محقق عن نسخة خطية كاملة، وعن مطبوعة الشعب وأكثر من عشر نسخ خطية أخرى يستوعب مجموعها التفسير كله.

تفسير القرآن العظيم

للحافظ

أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي

(٧٠٠ - ٧٧٤هـ)

تحقيق

سامي بن محمد السلامة

الجزء الثامن

الحديد - الناس

دار طيبة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الطبعة الثانية
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

(تم فيها استدراك السقط الحاصل بالمجلد الأول من طبعة الشعب)

دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق

ص.ب: ٧٦١٢ - رمز بريدي: ١١٤٧٢ - ت: ٤٢٥٣٧٣٧ - فاكس: ٤٢٥٨٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن العظيم

تفسير سورة الحديد

وهى مدنية .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد ، حدثنى بحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن ابن أبى بلال ، عن عِرْباض بن سارية ، أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : « إن فيهن آية أفضل من ألف آية » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، من طرق عن بقية ، به[١] . وقال الترمذى : حسن غريب .

ورواه النسائى عن ابن أبى السرح ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله ﷺ . . . فذكره مُرْسَلا ، لم يذكر عبد الله بن أبى بلال ، ولا العرباض بن سارية [٢] .

والآية المشار إليها فى الحديث هى ــ والله أعلم ــ قوله : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله وبه الثقة [٣] .

﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)** ﴾ .

يخبر تعالى أنه يسبح له ما فى السموات والأرض ، أى : من الحيوانات والنباتات ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقوله : ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ** ﴾ أى : الذى قد خضع له كل شىء ﴿ **الْحَكِيمُ** ﴾ فى خلقه وأمره وشرعه ﴿ **لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ أى : هو المالك المتصرف فى خلقه ، فيحيى ويميت ، ويعطى من يشاء ما يشاء ، ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أى : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ : وهذه الآية هى المشار إليها فى حديث العرباض ابن سارية : أنها أفضل من ألف آية .

---

(١) المسند (٤/١٢٨) وسنن أبى داود برقم (٥٠٥٧) وسنن الترمذى برقم (٣٤٠٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٢٦) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٥١) .

(٣) فى م ، أ : « سيأتى بيانه قريباً إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة ـ يعنى ابن عمار ـ حدثنا أبو زُمَيل قال : سألت ابن عباس فقلت : ما شيء أجده فى صدرى ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به . قال : فقال لى : أشيء من شك ؟ قال ـ وضحك ـ قال : ما نجا من ذلك أحد . قال : حتى أنزل الله : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ [لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ] (١) ﴾الآية [يونس:٩٤] قال: وقال لى : إذا وجدت فى نفسك شيئاً فقل : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وقد اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا .

وقال البخارى : قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً ، والباطن على كل شيء علماً (٣) .

قال شيخنا الحافظ المزّى : يحيى هذا هو ابن زياد الفراء ، له كتاب سماه : « معانى القرآن » .

وقد ورد فى ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش ، عن سُهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ كان يدعو(٤) عند النوم : « اللهم ، رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول ليس (٥) قبلك شيء ، وأنت الآخر ليس (٦) بعدك شيء ، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » (٧) .

ورواه مسلم فى صحيحه : حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن سُهَيل قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام : أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : اللهم ، ربّ السموات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم ، ربَّنا وربّ كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر .

وكان يَروى ذلك ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ (٨) .

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا ، فقال : حدثنا عقبة ، حدثنا يونس ، حدثنا السرى بن إسماعيل ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ، ثم همس ـ ما يُدرى ما يقول ـ فإذا كان فى آخر الليل رفع صوته فقال :« اللهم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ، ورب كل شيء ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ،

(١) زيادة من م .
(٢) سنن أبى داود برقم (٥١١٠) .
(٣) صحيح البخارى (١٣/ ٣٦١) « فتح ».
(٤) فى م : « يقول».
(٥ ، ٦) فى م : « فليس » .
(٧) المسند (٢ / ٤٠٤) .
(٨) صحيح مسلم برقم (٢٧١٣) .

فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته . اللهم،أنت الأول الذى ليس[1] قبلك شىء ، وأنت الآخر الذى ليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر »[2].

السرى بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبى ، وهو ضعيف جداً ، والله أعلم .

وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية :حدثنا عبدُ بن حميد وغير واحد ــ المعنى واحد ــ قالوا : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدث الحسن ، عن أبى هريرة قال : بينما رسول الله ﷺ جالس وأصحابه ، إذ أتى عليهم سَحَاب ، فقال نبى الله ﷺ : « هل تدرون ما هذا ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا العَنَان ، هذه رَوَايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يَدْعُونه » . ثم قال : « هل تدرون ما فوقكم ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها الرقيع ، سقف محفوظ ، وموج مكفوف » . ثم قال : « هل تدرون كم بينكم وبينها » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « بينكم وبينها خمسمائة سنة » . ثم قال : «هل تدرون ما فوق ذلك ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم.قال : « فإن فوق ذلك سماء[3] بُعدُ ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة ــ حتى عَدّ سبع سموات ــ ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض». ثم قال: « هل تدرون ما فوق ذلك ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعدُ[4] ما بين السماءين » . ثم قال : « هل تدرون ما الذى تحتكم ؟ » .قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنها الأرض » . ثم قال: « هل تدون ما الذى تحت ذلك ؟ » . قالوا: الله ورسوله أعلم . قال : «فإن تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة ــ حتى عدّ[5] سبع أرضين ــ بين كل أرْضَين مسيرة خمسمائة سنة » . ثم قال : « والذى نفس محمد بيده ، لو أنكم دَليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله » ، ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويُروى عن أيوب ويونس ــ يعنى ابن عبيد ــ وعلى بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبى هريرة . وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هَبَط على علْم الله وقدرته وسلطانه ، وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان ، وهو على العرش ، كما وصف فى كتابه. انتهى كلامه[6] .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سُريج ، عن الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ ، فذكره ، وعنده بُعدُ ما بين الأرْضين مسيرة سبعمائة عام ، وقال : « لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله » ، ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[7] .

---

(١) فى م : « فليس » .
(٢) مسند أبى يعلى (٨/ ٢١٠) .
(٣) فى م :« سماء بعد سماء » .
(٤) فى م ، أ : « مثل بعد » .
(٥) فى م : « عدد » .
(٦) سنن الترمذى برقم (٣٢٩٨) .
(٧) المسند (٢/ ٣٧٠) .

ورواه ابن أبى حاتم والبزار من حديث أبى جعفر الرازى ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبى هريرة . . . فذكر الحديث ، ولم يذكر ابن أبى حاتم آخره وهو قوله : « لو دليتم بحبل » ، وإنما قال: « حتى عَدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام » ، ثم تلا : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

وقال البزار : لم يروه عن النبى ﷺ إلا أبو هريرة .

ورواه ابن جرير ، عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ ، ذكر لنا أن نبى الله ﷺ بينما هو جالس فى أصحابه إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : « هل تدرون ما هذا ؟ »[١] ، وذكر الحديث مثل سياق الترمذى سواء ، إلا أنه مرسل من هذا الوجه ، ولعل هذا هو المحفوظ ، والله أعلم . وقد روى من حديث أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه وأرضاه ، رواه البزار فى مسنده ، والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات [٢] ، ولكن فى إسناده نظر ، وفى متنه غرابة ونكارة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال ابن جرير عند قوله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق:١٢] : حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة قال : التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلنى ربى ، عز وجل ، من السماء السابعة وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلنى ربى ، عز وجل ، من الأرض السابعة وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلنى ربى من المشرق وتركته ثَمّ ، قال الآخر : أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثَمّ [٣] .

وهذا [حديث] [٤] غريب جداً ، وقد يكون الحديث الأول موقوفاً على قتادة كما روى هاهنا من قوله ، والله أعلم .

﴿ **هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)** ﴾ .

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم أخبر باستوائه على العرش بعد خلقهن ، وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهها فى سورة « الأعراف [٥] » بما أغنى عن إعادته هاهنا .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٤) .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقى (ص ٥٠٦) من طريق أحمد بن عبد الجبار ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش، عن أبى نصر ، عن أبى ذر ، ومن طريق البيهقى رواه الجوزقانى فى الأباطيل (١/ ٦٨) وقال : « هذا حديث منكر » .

(٣) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٩) .

(٤) زيادة من م .

(٥) عند تفسير الآية :٥٤.

﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ** ﴾ أى : يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ﴿ **وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا** ﴾ من زرع ونبات وثمار ، كما قال : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وقوله : ﴿ **وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ** ﴾ أى : من الأمطار ، والثلوج والبرَد ، والأقدار والأحكام مع الملائكة الكرام ، وقد تقدم فى سورة « البقرة » أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يُقرّرها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء تعالى .

وقوله : ﴿ **وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا** ﴾ أى : من الملائكة والأعمال ، كما جاء فى الصحيح : « يُرْفَع إليه عَمَلُ الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل » [1] .

وقوله : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ أى : رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم ، من بر أو بحر ، فى ليل أو نهار ، فى البيوت أو القفار ، الجميع فى علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم ، كما قال : ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [هود : ٥] . وقال : ﴿ **سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** ﴾ [الرعد : ١٠] ، فلا إله غيره ولا رب سواه . وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ، لما سأله عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وروى الحافظ أبو بكر الإسماعيلى من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة ، حدثنى أبى ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن بن عائذ قال : قال عمر : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : زودنى كلمة أعيش بها . فقال : « استَحِ الله كما تستحى رجلا من صَالِحِ عشيرتك لا يفارقك » [2] .

هذا حديث غريب ، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضرى مرفوعاً : « ثلاث من فَعَلَهنّ فقد طَعِم الإيمان : من عبد اللّه وحده ، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه فى كل عام ، ولم يعط الهَرِمة ولا الدَرِنة ، ولا الشَّرِط اللئيمة ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم . وزكى نَفْسَه » . وقال رجل : يا رسول الله ، ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال : « يعلم أن الله معه حيث كان » [3] .

وقال نُعيم بن حَمّاد ، رحمه الله : حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى ، عن محمد بن مهاجر ، عن عُروَةَ بن رُوَيم ، عن عبد الرحمن بن غَنم ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » . غريب [4] .

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٩) من حديث أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه .

(٢) وذكره المؤلف فى مسند عمر بن الخطاب (٢/ ٦٠٩) من طريق الإسماعيلى وقال : « إسناده غريب، وفى حديث القدر : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وله شاهد من حديث سعيد بن يزيد عن ابن عم له قال : قلت: يارسول الله أوصنى ، قال : « استح من الله كما تستحى من الرجل الصالح من قومك» » . أخرجه مجشل فى تاريخ واسط (ص٢٠٩) .

(٣) ورواه البيهقى فى السنن الكبرى (٤/ ٩٦) من طريق الزبيدى عن يحيى بن جابر ، أن عبد الرحمن بن جبير حدثه أن أباه حدثه أن عبد الله بن معاوية الغاضرى به ، ورواه أبو داود من طريق الزبيدى عن يحيى بن جابر ،عن جبير بن نفير به نحوه ، والأول أصح .

(٤) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٤٧) «مجمع البحرين » عن مطلب ، عن نعيم بن حماد به وقال : « تفرد به عثمان ».=

وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين :

إذَا ما خَلَوتَ الدهرَ يوماً فَلا تَقُلْ   خَلَوتُ ولكن قُــل : عَلَيّ رَقيبُ

وَلاَ تَحْسَبَنّ اللهَ يَغفَــلُ سَاعَــةً   وَلا أنّ ما يخْفَــى عَلَيــه يَغيــبُ

وقوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أى : هو المالك للدنيا والآخرة ، كما قال : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى ﴾ [الليل:١٣] ، وهو المحمود على ذلك ، كما قال : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ ﴾ [القصص:٧٠] ، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ:١] . فجميع ما فى السموات والأرض ملك له ، وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٣ــ٩٥] . ولهذا قال : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أى : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم فى خلقه بما يشاء ، وهو العادل الذى لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ، ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠] . وكما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

وقوله : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ ﴾ أى : هو المتصرف فى الخلق ، يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه ، ﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أى : يعلم السرائر وإن دقت ، وإن خفيت .

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) ﴾ .

= ورواه أبو نعيم فى الحلية (٦/ ١٢٤) عن الطبرانى ، عن يحيى بن عثمان ، عن نعيم بن حماد به ، وقال : « غريب من حديث عروة لم نكتبه إلا من حديث محمد بن مهاجر » . وعثمان بن سعيد لم يعرفه الهيثمى فى المجمع (١/ ٦٠) ، وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٦/ ١٥٢) ونقل عن يحيى بن معين أنه ثقة .

أمر تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى : مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان فى أيدى من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال فى طاعته ، فإن [١] يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله : ﴿ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ : فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، فلعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصى الله فيه فتكون قد سعيت فى معاونته على الإثم والعدوان .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدّث ، عن مُطَرِّف ــ يعنى ابن عبد الله بن الشّخّير ــ عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : « ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر:١] ، يقول ابن آدم : مالى مالى ! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ » .

ورواه مسلم من حديث شعبة ، به [٢]، وزاد : « وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » .

وقوله : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ترغيب فى الإيمان والإنفاق فى الطاعة ، ثم قال : ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ ؟ أى : وأى شىء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم ، يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به ؟ . وقد روينا فى الحديث من طُرُق فى أوائل شرح « كتاب الإيمان » من صحيح البخارى : أن رسول ﷺ قال يوماً لأصحابه : « أىّ المؤمنين أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا : الملائكة . قال : « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟» قالوا : فالأنبياء. قال:« وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم؟». قالوا : فنحن ؟ قال : « وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانا قوم يجيؤون بعدكم ، يجدون صُحُفاً يؤمنون بما فيها » [٣] .

وقد ذكرنا طرفاً من هذا فى أول سورة « البقرة » عند قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣] .

وقوله : ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴾ كما قال : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [المائدة:٧] . ويعنى بذلك : بيعة الرسول ﷺ .

وزعم ابن جرير : أن المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم ، وهو مذهب مجاهد ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أى :حججاً واضحات ، ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات ، ﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أى : من ظلمات الجهل والكفر ، والآراء

(١) فى م: « وإن لم » .

(٢) المسند (٤/ ٢٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٨) .

(٣) سبق تخريج الحديث عند تفسير الآية :٣ من سورة البقرة .

المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أى : فى إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس ، وإزاحة العلل وإزالة الشُبه .

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق ، ثم حثهم على الإيمان ، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه ، حثهم[1] أيضاً على الإنفاق فقال : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى: أنفقوا ولا تخشَوا فقراً [2] وإقلالاً ، فإن الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض ، وبيده مقاليدهما ، وعنده خزائنهما ، وهو مالك العرش بما حوى ، وهو القائل : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩] ،وقال : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فمن توكل على الله أنفق ، ولم يخش من ذى العرش إقلالاً ، وعلم أن الله سيخلفه عليه :

وقوله : ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ أى : لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله ، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً ، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون ، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ؛ ولهذا قال : ﴿ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ .

والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة . وعن الشعبى وغيره أن المراد بالفتح هاهنا : صلح الحديبية ، وقد يُستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زُهَير ، حدثنا حُمَيد الطويل ، عن أنس قال : كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذُكر للنبى ﷺ فقال : « دعوا لى أصحابى ، فوالذى نفسى بيده ، لو أنفقتم مثل أحد ــ أو : مثل الجبال ــ ذهباً ، ما بلغتم أعمالهم » [3] .

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جَذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون : « صبأنا ، صبأنا » ، فلم يحسنوا أن يقولوا : « أسلمنا » ، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمر وغيرهما . فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك [4] .

والذى فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نَصيفه » [5] .

وروى ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، من حديث ابن وهب : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن

---

(١) فى م : « ثم حثهم » . (٢) فى أ : « قتراً » .
(٣) المسند (٣/ ٢٦٦).
(٤) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٧١٨٩) من حديث ابن عمر ، رضى الله عنه .
(٥) صحيح البخارى برقم (٣٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٤١) من حديث أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه .

أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » . فقلنا : من هم يا رسول الله ؟ أقريش ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، هم أرق أفئدةً وألين قلوباً » . فقلنا : هم خير منا يا رسول الله ؟ قال : « لو كان لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ، ما أدرك مُدّ أحدكم ولا نَصيفه ، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ، ﴿ **لا يَسْتَوِى منكم مَّنْ أَنفقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ » [(١)] .

[وهذا الحديث غريب بهذا السياق ، والذى فى الصحيحين من رواية جماعة ، عن عطاء بن يسار، عن أبى سعيد ــ ذكَرَ الخوارج ــ : « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » [(٢)]. الحديث . ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر ، فقال :

حدثنى ابن البرقى ، حدثنا ابن أبى مريم ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرنى زيد بن أسلم ، عن أبى سعيد التمار ، عن أبى سعيد الخدرى : أن رسول الله ﷺ قال : « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » . قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قريش ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، لأنهم أرق أفئدة ، وألين قلوباً » . وأشار بيده إلى اليمن ، فقال : « هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية » . فقلنا : يا رسول الله ، هم خير منا ؟ قال : « والذى نفسى بيده ، لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مُدّ أحدكم ولا نصيفه » . ثم جمع أصابعه ومد خنْصره ، وقال: « ألا ،إن هذا فضلُ ما بيننا وبين الناس،﴿ **لا يَسْتَوِى منكم مَّنْ أَنفقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾]»[(٣)] [(٤)] .

فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية ، فإن كان ذاك محفوظاً كما تقدم ، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده ، كما فى قوله تعالى فى سورة «المزمل » ــ وهى مكية ، من أوائل ما نزل ــ: ﴿ **وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾الآية [المزمل: ٢٠] فهى بشارة بما يستقبل ،وهكذا هذه. والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ يعنى :المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب على ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت فى تفاضل الجزاء ، كما قال : ﴿ **لا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٥] . وهكذا [(٥)] الحديث الذى فى الصحيح : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ،

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/١٢٧) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٦٩٣١) وصحيح مسلم برقم (١٠٦٤) .

(٣) زيادة من م ، أ .

(٤) تفسير الطبرى (١٧/١٢٧) .

(٥) فى م ، أ : « وهذا » .

وفى كل خير»[١] ، وإنما نَبّه بهذا لئلا يُهدرَ جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر ، فيتوهم متوهم ذمه؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه ، مع تفضيل الأول عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ أى : فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإنفاقه فى حال الجهد والقلة والضيق . وفى الحديث: « سبق درهم مائة ألف »[٢]. ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر ، رضى الله عنه ، له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ، عز وجل ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى[٣] ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيبانى ، حدثنا أبو إسحاق الفزارى ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن آدم بن على ، عن ابن عمر قال: كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خَلَّها فى صدره بخلال ، فنزل جبريل فقال : مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خَلَّها فى صدره بخلال ؟ فقال : « أنفقَ ماله علىّ قبل الفتح » . قال : فإن الله يقول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : أراض أنتَ عَنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله : « يا أبا بكر ، إن الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ » فقال : أبو بكر ، رضى الله عنه : أسخط على ربى عز وجل ؟ ! إنى عن ربى راض[٤] .

هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** ﴾ قال عمر بن الخطاب : هو الإنفاق فى سبيل الله، قيل : هو النفقة على العيال . والصحيح أنه أعم من ذلك ، فكل من أنفق فى سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة ، دخل فى عموم هذه الآية ؛ ولهذا قال : ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ** ﴾، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**[٥]﴾ [البقرة: ٢٤٥] أى : جزاء جميل ، ورزق باهر ــ وهو الجنة ــ يوم القيامة .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ** ﴾ قال أبو الدحداح الأنصارى : يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : « نعم ، يا أبا الدحداح » . قال : أرنى يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده ، قال : فإنى قد أقرضت ربى حائطى ــ وله حائط[٦] فيه ستمائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها ــ قال : فجاء

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٦٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) رواه النسائى فى السنن (٥/ ٥٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) فى أ : « الشرعى » .

(٤) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٤) وفيه :« إنى عن ربى راض» مرتين ،ووجه ضعفه أنه فيه العلاء بن عمرو . قال ابن حبان :« يروى عن أبى إسحاق الفزارى العجائب ، لا يجوز الاحتجاج به بحال » وساق الحديث .

(٥) فى أ ، م ، هـ : « أضعافاً كثيرة وله أجر كريم » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) فى أ :« وحائط له » .

أبو الدحداح فناداها : يا أم الدحداح. قالت : لبيك. فقال: اخرجى ،فقد أقرضته ربى ،عز وجل ـ وفى رواية : أنها قالت له : رَبح بيعك يا أبا الدحداح . ونقلت منه متاعها وصبيانها ، وأن رسول الله ﷺ قال : « كم من عَذْق رَدَاح فى الجنة لأبى الدحداح » . وفى لفظ : « رب نخلة مدلاة عروقها درّ وياقوت ، لأبى الدحداح فى الجنة » (١) .

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين : أنهم (٢) يوم القيامة يسعَى نورهم بين أيديهم فى عَرصات القيامة ، بحسب أعمالهم ، كما قال عبد الله بن مسعود فى قوله : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، قال : على قدر أعمالهم يمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم مَن نوره مثل النخلة ، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً مَن نوره فى إبهامه يتّقد مرة ويطفأ مرة (٣) . ورواه ابن أبى حاتم ، وابن جرير .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول : « من المؤمنين من يضىء نُوره من المدينة إلى عَدَن أبين وصنعاء فدون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من يضىء نوره موضع قدميه » (٤) .

وقال سفيان الثورى ، عن حُصَين ، عن مجاهد عن جُنَادة بن أمية قال : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم ، وسيماكم وحُلاكم ، ونجواكم ومجالسكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان ، هذا نورك . يا فلان ، لا نور لك . وقرأ : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

وقال الضحاك : ليس لأحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلى الصراط طُفئ نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين ، فقالوا : ربنا ، أتمم لنا نورنا .

وقال الحسن [فى قوله] (٥) : ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ : يعنى : على الصراط .

---

(١) ورواه أبو يعلى فى مسنده (٨/ ٤٠٤) عن محرز بن عون ، عن خلف بن خليفة به ، وضعفه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية برقم (٤٠٨٠) كما ذكره المحقق الفاضل حسين أسد .

(٢) فى م : « أنه » .

(٣) فى م : « ويطفأ أخرى » .

(٤) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٢٨) .

(٥) زيادة من أ .

وقد قال ابن أبي حاتم ، رحمه الله: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، أخبرنا عمى [(١)]، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سعد [(٢)] بن مسعود : أنه سمع عبد الرحمن بن جُبَير يحدث : أنه سَمِعَ أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبى ﷺ قال : « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر من بين يدى ومن خلفى ، وعن يمينى وعن شمالى ، فأعرف أمتى من بين الأمم » . فقال له رجل : يا نبى الله ، كيف تعرف أمتك من بين الأمم ، ما بين نوح إلى أمتك؟ قال: « أعرفهم ، مُحَجَّلون من أثر الوضوء ،ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ،وأعرفهم يُؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم[(٣)] » [(٤)] .

وقوله : ﴿ **وَبِأَيْمَانِهِم** ﴾ : قال الضحاك : أى وبأيمانهم كتبهم ، كما قال : ﴿ **فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** ﴾ [الإسراء: ٧١].

وقوله : ﴿ **بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ أى : يقال لهم : بشراكم اليوم جنات ، أى : لكم البشارة بجنات تجرى من تحتها الأنهار ، ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ أى : ماكثين فيها أبداً ﴿ **ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ .

وقوله :﴿ **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾ : وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة فى العرصات من الأهوال المزعجة،والزلازل العظيمة،والأمور الفظيعة [(٥)] ، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله ، وعمل بما أمر الله ، وترك ما عنه زجر .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثنى سليم بن عامر قال : خرجنا على جنازة فى باب دمشق ، ومعنا أبو أمامة الباهلى ، فلما صلى على الجنازة وأخذوا فى دفنها ، قال أبو أمامة : أيها الناس ، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم فى منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر ، وهو هذا ـ يشير إلى القبر ـ بيت الوحدة ، وبيت الظلمة ، وبيت الدود ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة ، فإنكم فى بعض تلك المواطن [حتى] [(٦)] يغشى الناس أمر من الله ، فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً ، وهو المثل الذى ضربه الله فى كتابه ، قال : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور: ٤٠] ، فلا يستضىء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضىء الأعمى بنور [(٧)] البصير ، ويقول المنافقون للذين آمنوا : ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً** ﴾ ، وهى خدعة الله التى خدع

---

(١) فى أ : « أخى » . (٢) فى م : «سعيد» . (٣) فى م : « وبأيمانهم » .

(٤) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/٤٧٨) من طريق عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبى حبيب به نحوه ، وله طريق آخر سيأتى عند تفسير سورة التحريم .

(٥) فى أ : « العظيمة » . (٦) فى هـ : « يوم » ، والمثبت من م ، أ . (٧) فى م : « ببصر » .

بها المنافقين (١) حيث قال : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] . فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور ، فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ، ﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ الآية . يقول سليم بن عامر : فما يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق .

ثم قال : حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بن عثمان ، حدثنا ابن حيوة ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، حدثنا يوسف بن الحجاج ، عن أبى أمامة قال : تُبعَثُ ظلمة يوم القيامة ، فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه ، حتى يبعثَ الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم ، فيتبعهم المنافقون فيقولون : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ .

وقال العوفى ، والضحاك ، وغيرهما ، عن ابن عباس : بينما الناس فى ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور (٢) دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم ، فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حينئذ : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ ، فإنا كنا معكم فى الدنيا . قال المؤمنون : ﴿ ارْجِعُوا ﴾ من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا الحسن بن علوية القطان ، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو (٣) حذيفة ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله يعطى كل مؤمن نوراً ، وكل منافق نورا ، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ . وقال المؤمنون : ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم:٨] . فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً » (٤) .

وقوله : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ : قال الحسن ، وقتادة : هو حائط بين الجنة والنار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :هو الذى قال الله تعالى : ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] . وهكذا رُوى عن مجاهد ، رحمه الله ، وغير واحد ، وهو الصحيح .

﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ أى : الجنة وما فيها ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ أى : النار . قاله قتادة ، وابن زيد ، وغيرهما .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن ذلك السور سورُ بيت المقدس عند وادى جهنم . ثم قال :

حدثنا ابن البرقى ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبى العوام ـ

(١) فى م : « المنافقون » وهو خطأ . (٢) فى م ، أ : « النور لهم » .
(٣) فى م ، أ ، هـ : « ابن » ، والصواب ما أثبتناه من المعجم الكبير .
(٤) المعجم الكبير (١١ / ١٢٢) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٩٥) : « فيه إسحاق بن بشر وهو متروك » .

مؤذن بيت المقدس ــ قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن السور الذى ذكر [١] الله فى القرآن: ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ هو السور الشرقى باطنه المسجد وما يليه ، وظاهره وادى جهنم .

ثم روى عن عبادة بن الصامت ، وكعب الأحبار ، وعلى بن الحسين زين العابدين ، نحو ذلك. وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً لذلك ، لا أن هذا هو الذى أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادى المعروف بوادى جهنم ؛ فإن الجنة فى السموات فى أعلى عليين ، والنار فى الدركات أسفل سافلين . وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور فى القرآن هو باب الرحمة الذى هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرائيلياته وتُرّهاته . وإنما المراد بذلك :سورٌ يُضرَب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دُخولهم أغلق الباب وبقى المنافقون من ورائه فى الحيرة والظلمة والعذاب ، كما كانوا فى الدار الدنيا فى كفر وجهل وشك وحيرة ﴿ **يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ** ﴾ أى : ينادى المنافقون المؤمنين : أما [٢] كنا معكم فى الدار الدنيا ، نشهد معكم الجمعات ، ونصلى معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟ ﴿ **قَالُوا بَلَىٰ** ﴾ أى : فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين : بلى ، قد كنتم معنا ، ﴿**وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ** ﴾ ، قال بعض السلف : أى فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات ﴿ **تَرَبَّصْتُمْ** ﴾ أى : أخرتم التوبة من وقت إلى وقت .

وقال قتادة : ﴿ **وَتَرَبَّصْتُمْ** ﴾ بالحق وأهله ﴿ **وَارْتَبْتُمْ** ﴾ أى: بالبعث بعد الموت ﴿**وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ** ﴾ أى : قلتم : سيغفر لنا . وقيل : غرتكم الدنيا ﴿ **حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ** ﴾ أى : مازلتم فى هذا حتى جاء الموت ﴿ **وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ** ﴾ أى : الشيطان .

قال قتادة : كانوا على خدعة من الشيطان ، والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله فى النار .

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين : أنكم كنتم معنا [أى] [٣] : بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها ، وإنما كنتم فى حيرة وشك ، فكنتم تُراؤون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلاً .

قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم ، وكانوا معهم أمواتاً ، ويعطون النور جميعاً يوم القيامة ، ويطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويُماز بينهم حينئذ .

وهذا القول من المؤمنين لا ينافى قولهم الذى أخبر الله به عنهم ، حيث يقول ــ وهو أصدق القائلين ــ : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ . مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا**

---

(١) فى م : « ذكره » . (٢) فى م : « إنا » . (٣) زيادة من م .

نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ [المدثر:٣٨ ــ ٤٧] ، فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى :﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ [المدثر:٤٨] ،كما قال تعالى هاهنا: ﴿ **فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ أى : لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ، ما قبل منه .

وقوله : ﴿ **مَأْوَاكُمُ النَّارُ** ﴾ أى : هى مصيركم وإليها منقلبكم .

وقوله : ﴿ **هِيَ مَوْلاكُمْ** ﴾ أى : هى أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم ، وبئس المصير .

﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)** ﴾ .

يقول الله تعالى : أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أى : تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ، فتفهمه وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا صالح المُرّى ، عن قتادة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال : ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ الآية ، رواه ابن أبى حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن حسين المروزى ، عن ابن المبارك ، به .

ثم قال هو ومسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال ــ يعنى الليث ــ عن عون بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن مسعود، رضى الله عنه ، قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الآية] (١) إلا أربع سنين (٢) .

كذا رواه مسلم فى آخر الكتاب . وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية ، عن هارون بن سعيد الأيلى ، عن ابن وهب ، به (٣) . وقد رواه ابن ماجة من حديث موسى بن يعقوب الزمعى (٤) ، عن أبى حزم ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، مثله (٥) . فجعله من مسند ابن الزبير . لكن رواه البزار فى مسنده من طريق موسى بن يعقوب ، عن أبى حازم ، عن عامر ، عن ابن الزبير،

---

(١) زيادة من م .

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٢٧) .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٦٨) .

(٤) فى أ : « الربعى » .

(٥) سنن ابن ماجة برقم (٤١٩٢) .

عن ابن مسعود ، فذكره [١] .

وقال سفيان الثورى ، عن المسعودى ، عن القاسم قال : مَلّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة ، فقالوا : حدثنا يا رسول الله . فأنزل الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] قال : ثم ملّوا ملة فقالوا : حَدِّثنا يا رسول الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴾ [الزمر:٢٣] . ثم ملوا ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله . فأنزل الله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٢] .

وقال قتادة : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ : ذُكِرَ لنا أن شداد بن أوس كان يروى عن رسول الله ﷺ قال : « إن أول ما يرفع [٣] من الناس الخشوع » [٤] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ : نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال فى دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد .

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أى : فى الأعمال ، فقلوبهم فاسدة ، وأعمالهم باطلة . كما قال : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة :١٣] ، أى : فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأعمال التى أمروا بها ، وارتكبوا مانهو عنه ؛ ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم فى شىء من الأمور الأصلية والفرعية .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا شهاب بن خِراش ، حدثنا حجاج بن دينار ، عن منصور بن المعتمر ، عن الربيع بن عَمِيلة الفزارى قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعت أعجب إلىّ منه ، إلا شيئاً من كتاب الله ــ أو : شيئاً قاله النبى ﷺ ــ قال : « إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم [٥] واستلذته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا : تعالوا ندع

---

(١) مسند البزار برقم (١٤٤٣) وقال : « لا نعلم روى ابن الزبير عن ابن مسعود إلا هذا الحديث » .

(٢) روى ابن جرير فى تفسيره (١٥/ ٥٥٢) ط ــ المعارف ، من طريق المسعودى عن عون بن عبد الله نحوه مرسلاً دون ذكر الشاهد هنا .

(٣) فى أ : « يرفع الله » .

(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٧/ ١٣١) ووصله الطبرانى فى المعجم الكبير (٧/ ٢٩٥) فرواه من طريق عمران القطان ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن شداد بن أوس مرفوعاً به ، وعمران القطان متكلم فيه .

(٥) فى أ : « أنفسهم » .

بنى إسرائيل إلى كتابنا هذا ، فمن تابعنا عليه تركناه ، ومن كره أن يتابعنا (١) قتلناه . ففعلوا ذلك ، وكان فيهم رجل فقيه ، فلما رأى ما يصنعون عَمَدَ إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه فى شىء لطيف، ثم أدرجه ، فجعله فى قرن ثم علق ذلك القرن فى عنقه ، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: ياهؤلاء ، إنكم قد أفشيتم القتل فى بنى إسرائيل ، فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم ، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس ، وإن أبى فاقتلوه . فدعوا فلاناً ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما فى كتابنا ؟ قال: وما فيه ؟ اعرضوه علىّ . فعرضوه عليه إلى آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : نعم ، آمنت بما فى هذا وأشار بيده إلى القرن ــ فتركوه ، فلما مات نبشوه فوجدوه مُتَعلّقا (٢) ذلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة . فافترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وخير مِلَلهم ملة أصحاب ذى القرن » .

قال ابن مسعود : [وإنكم] (٣) أوشك بكم إن بقيتم ــ أو : بقى من بقى منكم (٤) ــ أن تروا أموراً تنكرونها ، لا تستطيعون لها غِيَراً ، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره .

وقال أبو جعفر الطبرى : حدثنا ابن(٥) حُميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم قال : جاء عتريس بن عُرقوب (٦) إلى ابن مسعود فقال : يا عبد الله (٧)، هلك من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبُه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً ؛ إن بنى إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بنى إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه . قال : فجعل رجل منهم كتاب الله فى قَرْن ، ثم جعل القرن بين ثَنْدُوتيه فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به ــ ويومئ إلى القرن بين ثندوتيه ــ ومالى لا أومن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مِلَلِهم اليوم ملّةَ صاحب القَرن (٨).

وقوله : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ : فيه إشارة إلى أنه ، تعالى ، يلين القلوب بعد قسوتها ، ويَهدى الحَيَارى بعد ضَلَتها ، ويفرِّج الكروب بعد شدتها، فكما يحيى الأرض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث الهتَّان [الوابل] (٩)، كذلك يهدى القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم العدل فى جميع الفعال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .

---

(١) فى أ : « يتابعنا عليه » . (٢) فى أ : « معلقاً » . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « معكم » . (٥) فى أ : « أبو » . (٦) فى أ : « جابر بن سويد عن قرب » .
(٧) فى أ : « يا أبا عبد الله » .
(٨) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٣٢) .
(٩) زيادة من أ .

﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

يخبر تعالى عما يثيب به المُصَّدقين والمُصَّدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة ، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ أى: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله ، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً ؛ ولهذا قال : ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ أى : يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزداد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك، ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ أى: ثواب جزيل حسن ، ومرجع صالح ومآب ﴿كَرِيمٌ﴾ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ : هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون .

قال العوفى ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ : هذه مفصولة ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ .

وقال أبو الضحى : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾. وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله فى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ قال : هم ثلاثة أصناف : يعنى المصدقين ، والصديقين ، والشهداء ، كما قال [الله] [1] تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء:٦٩] ، ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس ، رحمه الله ، فى كتابه الموطأ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال : « بلى ، والذى نفسى بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

اتفق البخارى ومسلم على إخراجه من حديث مالك ، به [2] .

وقال آخرون : بل المراد من قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء . حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :

---

(١) زيادة من أ .

(٢) صحيح البخارى برقم (٣٢٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١) .

حدثنى صالح بن حرب أو مَعْمَر ، حدثنا إسماعيل بن يحيى ، حدثنا ابن عَجْلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مؤمنو أمتى شهداء » . قال : ثم تلا ﷺ هذه الآيـة : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ [لَهُمْ أَجْرُهُمْ]** (١) ﴾ . هذا حديث غريب (٢) .

وقال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون فى قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ** ﴾ قال : يجيؤون يوم القيامة معاً كالإصبعين .

وقوله : ﴿**وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ أى : فى جنات النعيم ، كما جاء فى الصحيحين : « إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خُضْر تسرح فى الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قُتلنا أول مرة . فقال: إنى قضيت أنهم إليها لا يرجعون » (٣) .

وقوله : ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ**﴾ أى : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم ، وهم فى ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا فى الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أبى يزيد الخولانى قال : سمعت فضالة بن عُبَيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت النبى ﷺ يقول : « الشهداء أربعة : رجل مؤمن جيد الإيمان ، لقى العدو فصدق الله فقتل ، فذلك (٤) الذى ينظر الناس إليه هكذا ــ ورفع رأسه حتى سقطت قَلَنسُوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر ــ والثانى مؤمن (٥) لقى العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح ، جاءه سهم غَرْب فقتله ، فذاك فى الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئاً لقى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذاك فى الدرجة الثالثة، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً ، لقى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذاك فى الدرجة الرابعة » (٦) .

وهكذا رواه على بن المدينى ، عن أبى داود الطيالسى ، عن ابن المبارك ، عن ابن لَهيعة ، وقال: هذا إسناد مصرى صالح . ورواه الترمذى من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب (٧) .

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ : لما ذكر السعداء ومآلهم ، عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم .

---

(١) زيادة من م .

(٢) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٣٣) .

(٣) صحيح مسلم برقم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود ، رضى الله عنه ، ولم أقع عليه عند البخارى .

(٤) فى م : « فذاك » . (٥) فى أ : « رجل » .

(٦) المسند (١/ ٢٣) .

(٧) سنن الترمذى برقم (١٦٤٤) .

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ .

يقول تعالى مُوهناً أمر الحياة الدنيا ومحقراً لها : ﴿ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ ﴾ أى : إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤] .

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا فى أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال : ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ وهو : المطر الذى يأتى بعد قنوط الناس، كما قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا [وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ] (١)﴾ [الشورى: ٢٨] .

وقوله : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أى : يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فإنهم أحرص شىء عليها وأميل الناس إليها ، ﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ أى : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خضراً (٢) نضرا ، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً ، أى : يصير يَبَساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان كذلك يكون فى أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف ، بهى المنظر ، ثم إنه يشرع فى الكهولة فتتغير طباعه ويَنْفَد (٣) بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ، ضعيف القوى ، قليل الحركة ، يعجزه الشىء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤] . ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حَذّر من أمرها ورغّب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أى : وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ أى : هى متاع فانٍ غارٌّ (٤) لمن ركن إليه ، فإنه يغتر

(١) زيادة من أ . (٢) فى أ : « ما أخضر » . (٣) فى أ : « ويفقد » .
(٤) فى أ : « عارٍ » .

بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها،وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .

قال ابن جرير : حدثنا على بن حرب الموصلى ، حدثنا المحاربى ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها . اقرؤوا : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ » [١] .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة [٢] ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع ، كلاهما عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لَلْجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

انفرد بإخراجه البخارى فى « الرقاق » ، من حديث الثورى ، عن الأعمش ، به [٣] .

ففى هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلهذا حثه الله [٤] على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التى تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ : والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣]. وقال هاهنا : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ أى : هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ،كما قدَّمنا فى الصحيح:أن فقراء المهاجرين قالوا : يارسول الله ، ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال : « وما ذاك ؟ » . قالوا : يُصَلُّون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويُعتقون ولا نُعْتق . قال : « أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم : تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين » . قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فَعَلنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله ﷺ : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » [٥] .

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٣٤) وليس فى المطبوع هذه الزيادة ، فلعل الحافظ رآها فى نسخة أخرى .

(٢) صحيح البخارى برقم (٦٤١٥) من حديث سهل بن سعد ، رضى الله عنه .

(٣) المسند (١/ ٣٨٧) وصحيح البخارى برقم (٦٤٨٨) .

(٤) فى م : « فلهذا حث تعالى » .

(٥) صحيح البخارى برقم (٨٤٣) وصحيح مسلم برقم (٥٩٥) .

مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) ﴾ .

يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية ، فقال : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ ، أى : فى الآفاق وفى نفوسكم ﴿ **إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ أى : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة .

وقال بعضهم : ﴿ **مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ : عائد على النفوس . وقيل : عائد على المصيبة . والأحسن عوده على الخليقة والبرية ؛ لدلالة الكلام عليها ، كما قال ابن جرير :

حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالساً مع الحسن ، فقال رجل : سله عن قوله : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ فسألته عنها ، فقال : سبحان الله ! ومن يشك فى هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ، ففى كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة (١) .

وقال قتادة : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ** ﴾ قال : هى السنون . يعنى : الجَدْب ، ﴿ **وَلا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ يقول : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قَدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر .

وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القَدَرية نُفاة العلم السابق ـ قبحهم الله ـ وقال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن لَهِيعة قالا : حدثنا أبو هانئ الخولانى : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلى يقول : سمعت عبد الله بن عَمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قَدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

ورواه مسلم فى صحيحه ، من حديث عبد الله بن وَهب وحيوة بن شُرَيح ونافع بن يزيد ، ثلاثتهم عن أبى هانئ ، به . وزاد ابن وهب : « وكان عرشه على الماء » . ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح (٢) .

وقوله : ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ أى : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد فى حينها ، سهل على الله ، عز وجل (٣) ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٣٥) .

(٢) المسند (٢/ ١٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذى برقم (٢١٥٦) .

(٣) فى أ : « تعالى » .

وقوله : ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم ﴾ أى : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا [1] للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه [2] لو قدر شىء لكان ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم ﴾ أى : جاءكم ، ويقرأ : « أتاكُم » أى : أعطاكم . وكلاهما متلازمان ، أى: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم [3] الله أشراً وبطراً ، تفخرون بها على الناس ؛ ولهذا قال : ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، أى : مختال فى نفسه متكبر فخور ، أى : على غيره .

وقال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفَرَح شكراً والحزن صبراً .

ثم قال : ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ أى : يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أى : عن أمر الله وطاعته ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ كما قال موسى عليه السلام : ﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨] .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى : بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ وهو : النقل المصدق ﴿وَالْمِيزَانَ ﴾ وهو : العدل . قاله مجاهد، وقتادة ، وغيرهما . وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ، كما قال : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود:١٧] ، وقال : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] ، وقال : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٧] ؛ ولهذا قال فى هذه الآية : ﴿ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ أى : بالحق والعدل وهو : اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، فإن الذى جاؤوا به هو الحق الذى ليس وراءه حق ، كما قال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [الأنعام:١١٥] أى : صدقاً فى الإخبار ، وعدلاً فى الأوامر والنواهى . ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤوا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسرر المصفوفات : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣] .

وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ أى : وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ؛ ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحجة على من

(١) فى أ : « كتابنا » . (٢) فى م : « لأنه » . (٣) فى أ : « نعمة » .

خالف [١] ، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن أبي المنيب [٢] الجرشي الشامي ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « بُعثتُ بالسيف بين يدَى الساعة حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له ، وجُعل رزقي تحت ظِلّ رُمْحي ، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري ، ومن تَشبَّه بقوم فهو منهم » [٣] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني : السلاح كالسيوف ، والحراب ، والسنان ، والنصال، والدروع ، ونحوها . ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ أي : في معايشهم كالسكة والفأس والقدوم ، والمنشار ، والإزميل ، والمجرفة ، والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز وما لا قوام للناس بدونه ، وغير ذلك .

قال علْباء[٤] بن أحمد ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : السندان[٥] والكلْبَتان والميقعَة [٦] ـ يعني المطرقة . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

وقوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي : من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي : هو قوي عزيز ، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس، وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾ .

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً ، عليه السلام ، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم ، عليه السلام ، خليل الرحمن ، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده ، إلا وهو من سلالته ،كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [يعني] [٧] :حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد، صلوات الله وسلامه عليهما ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

(١) في م : « على من تخلف منهم » .
(٢) في أ : « المسيب » .
(٣) المسند (٢/ ٥٠) وسنن أبي داود برقم (٤٠٣١) .
(٤) في أ : « قال علياء » .
(٥) في أ : « السنداب » .
(٦) في م : « المدقة » ، وفي أ : « والمنفعة » .
(٧) زيادة من أ .

وآتيناه الإنجيل ﴾ وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ أى : رأفة وهى الخشية ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ بالخلق .

وقوله : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أى : ابتدعها أمة النصارى ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أى : ما شرعناها لهم ، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله : ﴿ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ : فيه قولان ، أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير ، وقتادة . والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله .

وقوله : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ أى : فما قاموا بما التزموه حق القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ، أحدهما : فى الابتداع فى دين الله مالم يأمر به الله . والثانى : فى عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله ، عز وجل .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا إسحاق بن أبى حمزة أبو يعقوب الرازى ، حدثنا السندى بن عبدويه [1] ،حدثنا بُكَيْر بن معروف ، عن مُقاتِل بن حَيَّان ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود ، عن أبيه ، عن جده ابن مسعود قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا ابن مسعود » . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « هل علمت أن بنى إسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، فقاتلت الجبابرة فقُتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة ، فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران ، فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت ، وهم الذين ذكرهم الله ، عز وجل: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ » [2] .

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال : حدثنا يحيى بن أبى طالب ، حدثنا داود ابن المحبر ، حدثنا الصَّعق بن حَزْن ، حدثنا عقيل الجعدى ، عن أبى إسحاق الهمدانى ، عن سُوَيْد ابن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم . . . » وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : « ﴿ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾ هم الذين آمنوا بى وصدقونى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذى كذبونى وخالفونى » [3] .

ولا يقدح فى هذه المتابعة لحال داود بن المحبر ، فإنه أحد الوضاعين للحديث ، لكن[4] قد أسنده

---

(١) فى م : « السندى بن عبد ربه » ، وفى أ : « السرى بن عبد ربه » .

(٢) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/٢١١) من طريق هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف به نحوه ، وبكير بن معروف متكلم فيه .

(٣) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٣٨) .

(٤) فى م : « ولكن » .

أبو يعلى ، وسنده [١] عن شيبان بن فرُّوخ ، عن الصَّعق بن حَزْن ، به مثل ذلك [٢]. فقوى الحديث من هذا الوجه .

وقال ابن جرير ، وأبو عبد الرحمن النسائى ــ واللفظ له ــ : أخبرنا الحسين بن حُرَيث ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن سفيان بن سعيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس، رضى الله عنهما [٣] ، قال : كان ملوك بعد عيسى ، عليه السلام ، بدلت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ، فقيل لملوكهم : ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونا هؤلاء ، إنهم يقرؤون : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، هذه [٤] الآيات ، مع ما يعيبوننا به من أعمالنا فى قراءتهم ، فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمنا . فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك ؟ دعونا : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا . وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً فى الفيافى، ونحتفر الآبار ونحترث [٥] البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم . وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ، ففعلوا ذلك فأنزل الله ، عز وجل : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ والآخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم [٦] ، فلما بُعث النبى ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل ، انحط منهم رجل من صومعته ، وجاء سائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فآمنوا به وصدقوه ، فقال الله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى ابن مريم وبالتوراة والإنجيل ، وبإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم قال[٧] : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨] : القرآن ، واتباعهم النبى ﷺ، قال : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ الذين يتشبهون بكم ﴿ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [٨] .

هذا السياق فيه غرابة ، وسيأتى تفسير هاتين الآيتين الأُخريين على غير هذا ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء : أن سهل بن أبى أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن

---

(١) فى أ : « فى مسنده » .

(٢) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠ / ٢٧٢) من طريق محمد الحضرمى ، عن شيبان به ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٤٨٠) من طريق عبد الرحمن بن المبارك ، عن الصعق بن حزن به . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبى . قلت : « ليس بصحيح ، فإن فيه الصعق بن حزن ، عن عقيل بن يحيى ، والصعق وإن كان موثقاً ، فإن شيخه قال فيه البخارى : منكر الحديث » .

(٣) فى م ، أ : « عنه » .

(٤) فى م ، أ : « هؤلاء » .

(٥) فى م : « ونحرث » .

(٦) فى م : « به » .

(٧) فى م : « كما قال » .

(٨) تفسير الطبرى (٢٧ / ١٣٨) وسنن النسائى (٨ / ٢٣١) .

مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير ، وهو يصلى صلاة خفيفة [١] ، كأنها صلاة مسافر أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أم شىء تنفلته ؟ قال : إنها المكتوبة ، وإنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، إن رسول الله ﷺ كان يقول: « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » . ثم غدوا من الغد فقالوا : نركب فننظر ونعتبر . قال : نعم ، فركبوا جميعاً ، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا ، خاوية على عروشها فقالوا: تعرف هذه الديار ؟ قال : ما أعرفنى بها وبأهلها . هؤلاء أهل الديار ، أهلكهم البغى والحسد ، إن الحسد يطفئ نور الحسنات ، والبغى يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزنى والكف والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعمُر ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا سفيانُ ، عن زيد العَمِّى ، عن أبى إياس ، عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « لكل نبى رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله ، عز وجل » [٣] .

ورواه الحافظ أبو يعلى ، عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه : «لكل أمة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد فى سبيل الله » [٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ــ هو ابن محمد ــ حدثنا ابن عياش ــ يعنى إسماعيل ــ عن الحجاج بن مروان [٥] الكلاعى ،وعقيل بن مدرك السلمى ،عن أبى سعيد الخدرى ،رضى الله عنه ، أن رجلاً جاءه فقال : أوصنى . فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك ، أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن ، فإنه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض . تفرد به أحمد [٦] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ .

قد تقدم فى رواية النسائى عن ابن عباس : أنه حمل هذه الآية على مؤمنى أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما فى الآية التى فى القصص [٧] ، وكما فى حديث الشعبى عن أبى بُرْدَة ، عن

---

(١) فى أ ، م « خفيفة وقعة » .

(٢) مسند أبى يعلى (٦ / ٣٦٥) .

(٣) المسند (٣ / ٢٦٦) وفيه زيد العمى ضعيف .

(٤) مسند أبى يعلى (٧ / ٢١٠) .

(٥) فى م : « هارون » .

(٦) المسند (٣ / ٨٢) وقال الهيثمى فى المجمع (٤ / ٢١٥) : « رجال أحمد ثقات » .

(٧) عند تفسير الآية : ٥٤ .

أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مَوَاليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » . أخرجاه فى الصحيحين [(١)] .

ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك ، وعتبة بن أبى حكيم ، وغيرهما ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير : لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية فى حق هذه الأمة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أى: ضعفين ، وزادهم : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعنى : هدى يُتَبَصَّر به من العمى والجهالة ، ويغفر لكم . فضلهم بالنور والمغفرة . ورواه ابن جرير عنه .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩] .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سأل عمر بن الخطاب حَبراً من أحبار يهود : كم أفضل ما ضعفت[(٢)] لكم حسنة ؟ قال : كفل ثلاثمائة وخمسون [(٣)] حسنة . قال : فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين. [ثم] [(٤)] ذكر سعيد قول الله ، عز وجل : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ قال سعيد : والكفلان فى الجمعة مثل ذلك . رواه ابن جرير [(٥)] .

ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً ، فقال: من يعمل لى من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود . ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى . ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذى عملتم. فغضبت النصارى واليهود ، وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء . قال : هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا : لا . قال : فإنما هو فضلى أوتيه من أشاء » [(٦)] .

قال أحمد : وحدثناه مُؤَمَّل ، عن سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، نحو حديث نافع ، عنه [(٧)] .

انفرد بإخراجه البخارى ، فرواه عن سليمان [(٨)] بن حرب ، عن حماد ، [عن أيوب] [(٩)] ، عن

---

(١) صحيح البخارى برقم (٩٧) وصحيح مسلم برقم (١٥٤) .
(٢) فى م : « ضعف » . (٣) فى م : « وخمسين » . (٤) زيادة من أ .
(٥) تفسير الطبرى (٢٧/ ١٤١) .
(٦) المسند (٢/ ٦) .
(٧) المسند (٢/ ١١١) .
(٨) فى أ : « سليم » .
(٩) زيادة من صحيح البخارى .

نافع، به [١]. وعن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، بمثله [٢] .

وقال البخارى : حدثنى محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بَريد [٣] ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، عن النبى ﷺ قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا ، وما عملنا باطل . فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً ، فأبو وتَرَكُوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا : ماعملنا باطل ، ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه . فقال : أكملوا بقية عملكم ؛ فإن ما بقى من النهار شىء يسير . فأبوا ، فأستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم ، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قَبلوا من هذا النور » انفرد به البخارى [٤] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ أى : ليتحققوا أنهم لا يقدرون على رَدّ ما أعطاه الله ، ولا [على] [٥] إعطاء ما منع الله ، ﴿ **وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ .

قال ابن جرير : ﴿ **لِئَلاَّ يَعْلَمَ** ﴾ أى : ليعلم . وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها : « لكى يعلم». وكذا حطَّان [٦] بن عبد الله ، وسعيد بن جبير ، قال ابن جرير : لأن العرب تجعل « لا » صلة فى كل كلام دخل فى أوله أو آخره جحد غير مصرح ، فالسابق كقوله : ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ** ﴾ [الأعراف: ١٢] ، ﴿ **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ، ﴿ **وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٥] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٢٢٦٨) .
(٢) صحيح البخارى برقم (٣٤٥٩) .
(٣) فى أ : « يزيد » .
(٤) صحيح البخارى برقم (٢٢٧١) .
(٥) زيادة من أ .
(٦) فى م : « حطاب » .

تفسير سورة المجادلة

وهى مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذى وَسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبى ﷺ تكلمه وأنا فى ناحية البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية [١] .

وهكذا رواه البخارى فى كتاب التوحيد تعليقاً فقال : وقال الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، فذكره [٢] . وأخرجه النسائى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، من غير وجه ، عن الأعمش ، به [٣] .

وفى رواية لابن أبى حاتم عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، أنها قالت : تبارك الذى أوعى سمعه كل شىء ، إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه، وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ ، وهى تقول : يا رسول الله ، أكَلَ شبابى ، ونَثَرتْ [٤] له بطنى ، حتى إذا كَبُرَت سِنِّى ، وانقطع ولدى ، ظَاهَرَ منِّى ، اللهم إنى أشكو إليك . قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ . وقال [٥] : وزوجها أوس بن الصامت .

وقال ابن لَهِيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة : هو أوس بن الصامت ـــ وكان أوس امرأً به لمم، فكان إذا أخذه لممه [٦] واشتد به يظاهر من امرأته ، وإذا ذهب لم يقل شيئاً . فأتت رسول الله تستفتيه فى ذلك ، وتشتكى إلى الله ، فأنزل الله : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية .

وهكذا روى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن رجلاً كان به لممٌ ، فذكر مثله .

---

(١) المسند (٦/٤٦) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٧٣٨٥) .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٧٠) وسنن ابن ماجة برقم (١٨٨) وتفسير الطبرى (٢٨/٥) .

(٤) فى أ : « وبرت » . (٥) فى م : « وقالت » .

(٦) فى م : « أخذه لمم » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة ، حدثنا جرير ــ يعنى ابن حازم ــ قال : سمعت أبا يزيد يحدث قال : لقيت امرأة عُمَرَ ــ يقال لها : خولة بنت ثعلبة ــ وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟! قال : ويحك ! وتدرى من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها [(١)] .

هذا منقطع بين أبى يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روى من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبى حاتم أيضاً : حدثنا المنذر بن شاذان[(٢)] ، حدثنا يعلى ، حدثنا زكريا عن عامر قال: المرأة التى جادلت فى زوجها خولة بنت الصامت ، وأمها معاذة التى أنزل الله فيها : **﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾** [النور: ٣٣] .

صوابه : خولة امرأة أوس بن الصامت .

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا سعد [(٣)] بن إبراهيم ويعقوب قالا : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى مَعْمَر بن عبد الله بن حنظلة ، عن ابن عبد الله بن سلام ، عن خويلة [(٤)] بنت ثعلبة قالت : فىَّ ــ والله ــ وفى أوس بن الصامت أنزل الله صَدْرَ سورة « المجادلة » ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل علىَّ يوماً فراجعته بشىء فغضب فقال : أنت علىَّ كظهر أمى . قالت : ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة ، ثم دخل علىَّ فإذا هو يريدنى عن نفسى . قالت : قلت : كلا ، والذى نفس خويلة [(٥)] بيده ، لا تخلص إلىَّ وقد قلت ما قلت ، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه . قالت : فواثبنى وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عنى ، قالت : ثم خرجتُ إلى بعض جاراتى ، فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجتُ حتى جئت رسول الله ﷺ ، فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيتُ منه ، وجعلت أشكو إليه ما

(١) ورواه الدارمى فى الرد على الجهمية (ص٢٦) من طريق أبى يزيد ، عن عمر بن الخطاب به . قال الذهبى فى العلو (ص١١٣) : «هذا إسناد صالح فيه انقطاع ، أبو يزيد لم يلحق عمر » .

(٢) فى أ : « حدثنا الوليد بن المنذر به شاذان » . (٣) فى أ: «سعيد » . (٤ ، ٥) فى أ : « خولة» .

ألقى من سوء خلقه . قالت : فجعل رسول الله ﷺ يقول : « ياخويلة [١]، ابنُ عمك شيخ كبير ، فاتقى الله فيه » . قالت : فوالله ما برحت حتى نزل فيَّ القرآن ، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال لى : « يا خويلة [٢] ، قد أنزل الله فيك وفى صاحبك » . ثم قرأ عليَّ : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، قالت : فقال لى رسول الله ﷺ : « مُرِيه فليعتق رقبة» . قالت : فقلت : يا رسول الله ، ما عنده ما يعتق . قال : « فليصم شهرين متتابعين » . قالت : فقلت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام . قال : « فليطعم ستين مسكيناً وَسْقًا من تَمر» . قالت : فقلت : يا رسول الله ، ما ذاك عنده . قالت : فقال رسول الله ﷺ : « فإنا سنعينه بعَرَقٍ من تمر » . قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا سأعينه بعَرَقٍ آخر ، قال : « فقد أصبت وأحسَنْت ، فاذهبى فتصدقى به عنه ، ثم استوصى بابن عمك خيراً » . قالت : ففعلت .

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين ، عن محمد بن إسحاق بن يسار، به [٣]. وعنده : خولة بنت ثعلبة ، ويقال فيها : خولة بنت مالك بن ثعلبة . وقد تصغر فيقال : خُوَيلة . ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فالأمر فيها قريب ، والله أعلم .

هذا هو الصحيح فى سبب نزول صدر هذه السورة ، فأما حديث سَلَمة بن صَخْر فليس فيه أنه كان سبب النزول ، ولكن أمر بما أنزل الله فى هذه السورة ، من العتق أو الصيام ، أو الإطعام ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سُلَيمان ابن يَسَار ، عن سلمة بن صخر الأنصارى قال : كنتُ امرأ قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيرى ، فلما دخل رمضان تظهَّرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ، فَرَقاً من أن أصيب فى ليلتى شيئاً فأتابع فى ذلك إلى أن يدركنى النهار ، وأنا لا أقدر أن أنزع ، فبينا هى تخدمنى من الليل إذ تكشف لى منها شىء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحتُ غدوتُ على [٤] قومى فأخبرتهم خبرى وقلت : انطلقوا معى إلى النبى [٥] ﷺ فأخبره بأمرى. فقالوا :لا، والله لا نفعل ؛ نتخوف أن ينزل فينا [٦] ـ أو يقول فينا رسول الله ﷺ ـ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك . قال: فخرجتُ حتى أتيتُ النبى ﷺ ، فأخبرته خبرى. فقال لى : « أنت بذاك ». فقلت : أنا بذاك. فقال: « أنت بذاك » . فقلت : أنا بذاك . قال « أنت بذاك » قلت : نعم ، ها أناذا فامض فيَّ حكم الله تعالى [٧] ، فإنى صابر له . قال : « أعتق رقبة » . قال : فضربت صفحة رقبتى [٨] بيدى وقلت: لا ، والذى بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها. قال : « فصم شهرين » .قلت : يا رسول الله ، وهل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام ؟ قال : « فتصدق » . فقلت : والذى بعثك بالحق ،

(١ ، ٢) فى أ : « يا خولة » .
(٣) المسند (٦/ ٤١٠) وسنن أبى داود برقم (٢٢١٤، ٢٢١٥) .
(٤) فى م : « إلى » . (٥) فى م : « رسول الله » . (٦) فى أ : « فينا شىء » .
(٧) فى م ، أ : « عز وجل » . (٨) فى م : « عنقى » .

لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَى مالنا عشاء . قال : « اذهب إلى صاحب صدقة بنى زُريق فقل له فليدفعها إليك ، فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » . قال: فرجعت إلى قومى فقلت : وجدت عندكم الضيقَ وسوءَ الرأى ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السَّعَة والبركة ، قد أمر لى بصدقتكم ، فادفعوها إلىَّ . فدفعوها إلىَّ .

وهكذا رواه أبو داود ، وابن ماجة ، واختصره الترمذى وحَسَّنه (١) .

وظاهر السياق : أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خُوَيلة بنت ثعلبة ، كما دلَّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل .

قال خَصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت ، وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها خَشيت أن يكون ذلك طلاقاً، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أوساً ظاهر منى ، وإنا إن افترقنا هلكنا، وقد نَثَرتُ بطنى منه ، وقَدمتْ صُحْبَتُه . وهى تشكو ذلك وتبكى ، ولم يكن جاء فى ذلك شىء . فأنزل الله : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ** ﴾ إلى قوله : ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال : « أتقدر على رقبة تعتقها ؟ » . قال : لا ، والله يا رسول الله ما أقدر عليها ؟ قال : فـجمع له رسول الله ﷺ ، حتى أعتق عنه ، ثم راجع أهله رواه ابن جرير (٢) .

ولهذا ذهب ابنُ عباس والأكثرون إلى ما قلناه ، والله أعلم .

فقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم** ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر ، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من امرأته قال لها : أنت عَلَىَّ كَظَهْرِ أمى ، ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياساً على الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم . هكذا قال غير واحد من السلف .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية : أنت علىَّ كظهر أمى ، حُرِّمت عليه، فكان أول من ظاهر فى الإسلام أوس ، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها : « خويلة بنت ثعلبة (٣) » . فظاهر منها ، فأسقط فى يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حَرُمت على . وقالت له مثل ذلك ، قال : فانطلقى إلى رسول الله ﷺ . فأتت رسول الله فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فقال : « يا خويلة ، ما أمرنا فى أمرك بشىء (٤) » . فأنزل الله على رسوله ﷺ ، فقال : « يا خويلة ، أبشرى» قالت : خيراً . فقرأ عليها : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن**

(١) المسند (٤/ ٣٧) وسنن أبى داود برقم (٢٢١٣) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٦٢) وسنن الترمذى برقم (٣٢٩٩) .
(٢) تفسير الطبرى (٢٨/ ٦) .
(٣) فى أ : « بنت خويلد » وهو خطأ .
(٤) فى م : « ما أمرنا فيك بشىء » .

يَتَمَاسَّا ﴾ . قالت : وأى رقبة لنا ؟ والله ما يجد رقبة غيرى . قال : ﴿ **فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** ﴾ قالت : والله لولا أنه يشرب فى اليوم ثلاث مرات لذهب بصره ! قال : ﴿ **فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ . قالت : من أين ؟ ما هى إلا أكلة إلى مثلها ! قال : فدعا بشطر وَسْق ـ ثلاثين صاعاً ، والوسق : ستون صاعاً ـ فقال : « ليطعم ستين مسكينا وليراجعك » [(١)] ، وهذا إسناد جيد قوى ، وسياق غريب ، وقد روى عن أبى العالية نحو هذا ، فقال ابن أبى حاتم :

حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروى ، حدثنا على بن عاصم ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية قال : كانت خولة بنت دُلَيج تحت رجل من الأنصار ، وكان ضرير البصر فقيراً سيئ الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته ، قال : « أنت علىَّ كظهر أمى » . وكان لها منه عَيِّل أو عَيِّلان ، فنازعته يوماً فى شىء فقال : « أنت علىَّ كظهر أمى » . فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبى ﷺ ، وهو فى بيت عائشة ، وعائشة تغسل شق رأسه ، فقدمت عليه ومعها عَيِّلها ، فقالت : يا رسول الله ، إن زوجى ضرير البصر ، فقير لا شىء له سيئ الخُلُق ، وإنى نازعته فى شىء فغضب ، فقال : « أنت علىَّ كظهر أمى » ، ولم يرد به الطلاق ، ولى منه عَيِّل أو عَيِّلان ، فقال : « ما أعلمك إلا قد حَرُمت عليه » . فقالت : أشكو إلى الله ما نزل بى وأبا صبيىٍّ. قال : ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر ، فدارت معها ، فقالت : يا رسول الله ، زوجى ضرير البصر ، فقير سيئ الخلق ، وإن لى منه عَيِّلاً أو عيلين ، وإنى نازعته فى شىء فغضب ، وقال: «أنت علىَّ كظهر أمى» ، ولم يرد به الطلاق ! قالت : فرفع إلى رأسه وقال : « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه ». فقالت : أشكو إلى الله ما نزل بى وأبا صبيىٍّ ؟ قال : ورأت عائشة وجه النبى ﷺ تَغَيَّر ، فقالت لها : « وراءك وراءك ؟ » فتنحت ، فمكث رسول الله ﷺ فى غشيانه ذلك ما شاء الله، فلما انقطع الوحى قال : « يا عائشة ، أين المرأة » فدعتها ، فقال لها رسول الله ﷺ : «اذهبى فأتنى بزوجك » . فانطلقت تسعى فجاءت به . فإذا هو ـ [كما قالت][(٢)] ـ ضرير البصر ، فقير سيئ الخلق . فقال النبى ﷺ : « أستعيذ بالله السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا [وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ]** [(٣)] ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا [فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ]** [(٤)] ﴾ . قال النبى ﷺ : « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها ؟ » . قال : لا . قال : « أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » . قال : والذى بعثك بالحق، إنى إذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يعشو بصرى . وقال : « أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً ؟ » . قال : لا ، إلا [أن] [(٥)] تعيننى . قال : فأعانه رسول الله ﷺ فقال : « أطعم ستين مسكيناً » . قال :

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٣) ورواه البزار فى مسنده برقم (١٠٧٦) « كشف الأستار » من طريق عبيد الله بن موسى ، عن أبى حمزة به وقال : « لا نعلمه بهذا اللفظ فى الظهار عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وأبو حمزة لين الحديث ، وقد خالف فى روايته ومتن حديثه الثقات فى أمر الظهار ؛ لأن الزهرى رواه عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، وهذا إسناد لا نعلم بين علماء أهل الحديث اختلافاً فى صحته ، وأنه ﷺ دعا بإناء فيه خمسة عشر صاعاً ، وحديث أبى حمزة منكر ، وفيه لفظ يدل على خلاف الكتاب ؛ لأنه قال :« وليراجعك ، وقد كانت امرأته ، فما معنى مراجعته امرأته ولم يطلقها ، وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ، وإنما أتى هذا من رواية أبى حمزة الثمالى » .

(٢، ٣) زيادة من م . (٤) زيادة من أ . (٥) زيادة من م .

وحوّل الله الطلاق ، فجعله ظهاراً .

ورواه ابن جرير ، عن ابن المثنى ، عن عبد الأعلى ، عن داود ، سمعت أبا العالية ، فذكره نحوه ، بأخصر من هذا السياق (١) .

وقال سعيد بن جبير : كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية ، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر ، وجعل فى الظهار الكفارة . رواه ابن أبى حاتم ، بنحوه .

وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل فى هذه الآية بقوله : ﴿ **مِنكُم** ﴾ فالخطاب للمؤمنين ، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله: ﴿ **مِن نِّسَائِهِمْ** ﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ، ولا تدخل فى هذا الخطاب .

وقوله : ﴿ **مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ** ﴾ أى : لا تصير المرأة بقول الرجل : «أنت علىَّ كأمى » أو « مثل أمى » أو « كظهر أمى » (٢) ، وما أشبه ذلك ، لا تصير أمه بذلك ، إنما أمه التى ولدته ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا** ﴾ أى : كلاماً فاحشاً باطلاً ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** ﴾ أى : عما كان منكم فى حال الجاهلية . وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم ، كما رواه أبو داود : أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختى . فقال : « أختك هى ؟ » ، فهذا إنكار (٣) ، ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك؛ لأنه لم يقصده ، ولو قصده لحرمت عليه ؛ لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك .

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ : اختلف السلف والأئمة فى المراد بقوله : ﴿ **ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ ، فقال بعض الناس : العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره ، وهذا القول باطل ، وهو اختيار ابن حزم (٤) . وقول داود ، وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بُكَيْر ابن الأشج والفراء ، وفرقة من أهل الكلام .

وقال الشافعى : هو أن يمسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق .

وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة .

وقد حكى عن مالك : أنه العزم على الجماع والإمساك (٥) ، وعنه أنه الجماع .

وقال أبو حنيفة : هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية ، فمتى تظاهر (٦) الرجل من امرأته فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة . وإليه ذهب أصحابه ، والليث بن سعد .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٣) .

(٢) فى م : « كظهر أمى أو كأمى أو مثل أمى » .

(٣) سنن أبى داود برقم (٢٢١٠) من حديث أبى تميمة الهجيمى ، رضى الله عنه .

(٤) فى هـ ، أ : « ابن جرير » والمثبت من م . مستفاداً من هامش ط ــ الشعب .

(٥) فى م : « أو الإمساك » .

(٦) فى م : « ظاهر » .

وقال ابن لَهِيعة : حدثنى عطاء ، عن سعيد بن جبير : ﴿ **ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** ﴾ يعنى : يريدون أن يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم .

وقال الحسن البصرى : يعنى الغشيان فى الفرج . وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا** ﴾ والمس : النكاح . وكذا قال عطاء ، والزهرى ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

وقال الزهرى : ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر .

وقد رَوَىَ أهل السنن من حديث عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر . فقال : « ما حملك على هذا يرحمك الله ؟ » . قال: رأيت خلخالها فى ضوء القمر . قال : « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله ، عز وجل » [(١)] .

وقال الترمذى : حسن غريب صحيح [(٢)] . ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلاً . قال النسائى : وهو أولى بالصواب [(٣)] .

وقوله : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ﴾ أى : فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا ، فهاهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان ، وفى كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، فحمل الشافعى ، رحمه الله ، ما أطلق هاهنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب ، وهو عتق الرقبة ، واعتضد [(٤)] فى ذلك بما رواه عن مالك بسنده ، عن معاوية بن الحكم السلمى ، فى قصة الجارية السوداء ، وأن رسول الله ﷺ قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . وقد رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه [(٥)] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف [(٦)] بن موسى ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال : إنى تظاهرت [(٧)] من امرأتى ثم وقعت عليها قبل أن أكفر . فقال رسول الله ﷺ : « ألم يقل الله ﴿ **مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا** ﴾ . قال : أعجبتنى ؟ قال : « أمسك حتى تكفر » [(٨)] .

ثم قال البزار : لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا ، وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم . وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة .

---

(١) رواه أبو داود فى السنن برقم (٢٢٢٣) والترمذى فى السنن برقم (١٩٩٠) والنسائى فى السنن (٦/ ١٦٧) وابن ماجة فى السنن برقم (٢٠٦٥) .

(٢) فى م : « حسن صحيح غريب » .

(٣) سنن أبى داود برقم (٢٢٢١، ٢٢٢٢) وسنن النسائى (٦/ ١٦٨) .

(٤) فى م : « واعتمد » .

(٥) الموطأ (٢/ ٧٧٧) والمسند (٥/ ٤٤٧) وصحيح مسلم برقم (٥٣٧) .

(٦) فى أ : « حدثنا يونس » . (٧) فى م : « إنى ظاهرت » .

(٨) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٠٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٣٨٦) من طريق إسماعيل بن مسلم، عن عمرو بن دينار به نحوه ، وقال الذهبى : « فيه إسماعيل بن مسلم وهو واهٍ » .

وقوله : ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أى : تزجرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أى : خبير بما يصلحكم، عليم بأحوالكم .

وقوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ : وقد تقدمت الأحاديث الواردة [1] بهذا على الترتيب ، كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان .

﴿ ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى : شرعنا هذا لهذا .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أى : محارمه فلا تنتهكوها .

وقوله : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى : الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة ، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، بل لهم عذاب أليم ، أى : فى الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ .

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أى : أهينوا ولعنوا وأخزوا ، كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم ﴿ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أى : واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر ، ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أى : فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله ، والانقياد له ، والخضوع لديه .

ثم قال : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ وذلك يوم القيامة ، يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، ﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ أى : يخبرهم [2] بالذى صنعوا من خير وشر ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ أى : ضبطه الله وحفظه عليهم ، وهم قد نسوا ما كانوا عليه ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى: لا يغيب عنه شىء ، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً .

ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم ، وسماعه كلامهم ، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ

(١) فى م : « الآمرة » .
(٢) فى أ : « فيجزيهم » .

ثَلاثَةٍ ﴾ أى: من سر ثلاثة ﴿ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ أى : يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم الله به وسمعه لهم ، كما قال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة:٧٨] . وقال : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠] ؛ ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى [١] ، ولا شك فى إرادة ذلك ولكن سمعه أيضاً مع علمه محيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو، سبحانه ، مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شىء .

ثم قال : ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعلم ، واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) ﴾ .

قال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد [فى قوله] [٢] : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ﴾ قال : اليهود . وكذا قال مقاتل بن حيان ، وزاد : كان بين النبى ﷺ وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبى ﷺ جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله ـ أو : بما يكره المؤمن ـ فإذا رأى المؤمن ذلك خَشيهم ، فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبى ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزل الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنى سفيان بن حمزة ، عن كثير بن زيد ، عن رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله ﷺ ، نبيت عنده ؛ يطرُقه من الليل أمر [٣] ، وتبدو له حاجة . فلما كانت ذات ليلة كَثُر أهل النّوب والمحتسبون ، حتى كنا أندية نتحدث ، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « ما هذا النجوى ؟ ألم تُنْهَوا عن النجوى ؟ » . قلنا : تبنا إلى الله يا رسول الله ، إنا كنا فى ذكر المسيح،

---

(١) فى م : « علمه تعالى » . (٢) زيادة من أ . (٣) فى م : « أمراً » وهو خطأ .

فَرَقا منه . فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى منه ؟ » . قلنا : بلى يا رسول الله . قال: « الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » . هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء [١] .

وقوله : ﴿ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ أى : يتحدثون فيما بينهم بالإثم ، وهو ما يختص بهم ، والعدوان ، وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول ومخالفته ، يُصِرون عليها ويتواصون بها .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ : قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، [عن مسلم] [٢] عن مسروق ، عن عائشة قالت : دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم . فقالت عائشة : وعليكم السام [واللعنة] [٣] . قالت : فقال رسول الله ﷺ : « يا عائشة ، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش». قلت : ألا تسمعهم يقولون: السام عليك ؟ فقال رسول الله:« أو ما سمعت أقول[٤]:وعليكم؟ » . فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [٥] .

وفى رواية فى الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة. وأن رسول الله ﷺ قال : « إنه يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا » [٦] .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتى عليهم يهودى فسلَّم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبى الله ﷺ : « هل تدرون ما قال ؟ » . قالوا : سلم يا رسول الله . قال : « بل قال : سام عليكم، أى : تسامون دينكم » . قال رسول الله : « ردوه » . فردوه عليه . فقال نبى الله : «أقلت : سام عليكم ؟ » . قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : عليك » أى : عليك ما قلت [٧] .

وأصل حديث أنس مخرج فى الصحيح ، وهذا الحديث فى الصحيح عن عائشة ، بنحوه [٨] .

وقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ أى : يفعلون هذا ، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام ، وإنما هو شتم فى الباطن ، ومع هذا يقولون فى أنفسهم : لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له فى الباطن ؛ لأن الله يعلم ما نسره ، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ٣٠) وابن ماجة فى السنن برقم (٤٢٠٤) من طريق كثير بن زيد به نحوه، وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/٢٩٦) : « هذا إسناد حسن ، كثير بن زيد وربيع بن عبد الرحمن مختلف فيهما » .

(٢) زيادة من المسند (٦/ ٢٢٩) .

(٣) زيادة من أ . (٤) فى أ : « ما أقول » .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢١٦٥) من طريق يعلى بن عبيد ، عن الأعمش به نحوه .

(٦) انظر :صحيح البخارى برقم (٦٠٣٠) وصحيح مسلم برقم (٢١٦٦) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

(٧) تفسير الطبرى (٢٧/ ١١) .

(٨) صحيح مسلم برقم (٢١٦٣) .

يعاجلنا الله بالعقوبة فى الدنيا ، فقال الله تعالى : ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أى: جهنم كفايتهم فى الدار الآخرة ﴿ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ؛ أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليك ، ثم يقولون فى أنفسهم: ﴿ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ ؟ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ إسناد حسن ولم يخرجوه [١].

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله إذا حَيّوه : « سام عليك » ، قال الله: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

ثم قال الله مُؤدّباً عبادة المؤمنين ألا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ أى : كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مَالأهم على ضلالهم من المنافقين ، ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أى: فيخبركم [٢] بجميع أعمالكم وأقوالكم التى قد أحصاها عليكم ، وسيجزيكم بها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهْزٌ وعفان قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن مُحْرِز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر ، إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كَنَفه ويستره من الناس ، ويقرره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قَرّره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك ، قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعْطَى كتابَ حسناته ، وأما الكفار [٣] والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين » .

أخرجاه فى الصحيحين ، من حديث قتادة [٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى : إنما النجوى ــ وهى المُسَارّة ــ حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعنى : إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى : ليسوءهم ، وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله ، فإنه لا يضره شىء بإذن الله .

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذٍ على مؤمن،كما قال الإمام أحمد :

---

(١) المسند (٢/ ١٧٠) .

(٢) فى أ : « فيجزيكم » . (٣) فى م : « الكافرون » .

(٤) المسند (٢/ ٧٤) وصحيح البخارى برقم (٤٦٨٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٦٨) .

حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا : حدثنا الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَينَّ اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه » . أخرجاه من حديث الأعمش [(١)] .

وقال عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه ؛ فإن ذلك يحزنه » . انفرد بإخراجه مسلم عن أبى الربيع وأبى كامل ، كلاهما عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، به [(٢)] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) ﴾ .

يقول تعالى مؤدباً عباده المؤمنين ، وآمراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض فى المجالس : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ ﴾** ، وقرئ : **﴿ فِي الْمَجَالِسِ ﴾** ، **﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾** وذلك أن الجزاء من جنس العمل ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « من بَنَى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » [(٣)] وفى الحديث الآخر : « ومن يَسَّر على مُعْسِر يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، [ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة] [(٤)] والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » [(٥)] . ولهذا أشباه كثيرة ؛ ولهذا قال : **﴿ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾** .

قال قتادة : نزلت هذه الآية فى مجالس [(٦)] الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضَنّوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم جُمُعة وكان رسول الله ﷺ يومئذ فى الصفة ، وفى المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس ، فقاموا حيال رسول الله ﷺ ، فقالوا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . فرد النبى ﷺ ، ثم سلموا على القوم بعد ذلك ، فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم ، فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام ، فلم يُفسَح لهم ، فشق ذلك على النبى ﷺ ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار ، من غير أهل بدر : « قم يا فلان ، وأنت يا فلان » . فلم يزل

---

(١) المسند (١/ ٤٣١) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٤) ولم أقع عليه عند البخارى عن الأعمش ، وإنما هو عنده عن منصور ، عن أبى وائل برقم (٦٢٩٠) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٣) .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٥٠) ومسلم فى صحيحه برقم (٥٣٣) من حديث عثمان ، رضى الله عنه .

(٤) زيادة من صحيح مسلم (٢٦٩٩) .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٩٩) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٦) فى م : « فى مجلس » .

يقيمهم بعدة [١] النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه ، وعرف النبى ﷺ الكراهة فى وجوههم ، فقال المنافقون : ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبلُ عدلَ على هؤلاء ، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب لنبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلاً فَسَح [٢] لأخيه » . فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً ، فَتَفَسَّحَ القومُ لإخوانهم ، ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبى حاتم .

وقد قال الإمام أحمد ، والشافعى : حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تَفَسَّحُوا وتَوسَّعوا » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث نافع ، به [٣] .

وقال الشافعى : أخبرنا عبد المجيد ، عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى ، عن جابر بن عبد الله . أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقيمن أحدُكم أخاه يوم الجمعة ،ولكن ليقل : افسحوا » . على شرط السنن ولم يخرجوه [٤].

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا فُلَيْح ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن [أبى] [٥] صَعْصَعَة ، عن يعقوب بن أبى يعقوب ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « لا يقم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم » [٦] .

ورواه أيضاً عن سُرَيج [٧] بن يونس ، ويونس بن محمد المؤدب ، عن فُلَيْح ، به . ولفظه : «لا يقوم الرجلُ للرجل من مجلسه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد [٨] .

وقد اختلف الفقهاء فى جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص فى ذلك محتجاً بحديث : « قوموا إلى سيدكم » [٩] . ومنهم من منع ذلك محتجاً بحديث : « من أحَبَّ أن يَتَمثَّلَ له الرجال قياماً ، فَلْيَتبوأْ مَقْعَدَه من النار » [١٠] ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ،وللحاكم فى محل ولايته،كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبى ﷺ حاكماً

---

(١) فى أ : « بعدد » . (٢) فى م ، أ : « يفسح » .

(٣) لم يقع هذا الحديث لى فى مسند أحمد هكذا ، وإنما هو فيه (٢/٢٢) : عن ابن نمير ،عن عبيد الله بن عمر، عن نافع ، عن ابن عمر، (٢/٤٥) عن غندر ، عن شعبة ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر. وهو فى صحيح البخارى برقم (٦٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢١٧٧) .

(٤) مسند الشافعى برقم (٤٥٤) « بدائع المنن » .

(٥) زيادة من المسند (٢/٥٢٣) .

(٦) المسند (٢/٥٢٣) .

(٧) فى م ، أ : « شريح » .

(٨) المسند (٢/٣٣٨) .

(٩) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٠٤٣) ومسلم فى صحيحه برقم (١٧٦٨) من حديث أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه .

(١٠) رواه أبو داود فى السنن برقم (٥٢٢٩) والترمذى فى السنن برقم (٢٧٥٥) من حديث معاوية رضى الله عنه ، وقال الترمذى : «إسناد حسن » .

فى بنى قريظه فرآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم». وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، والله أعلم. فأما اتخاذه ديدناً فإنه من شعار العجم. وقد جاء فى السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكان إذا جاء لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهته [١] لذلك [٢] [٣] .

وفى الحديث المروى فى السنن : أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، وكان الصحابة ، رضى الله عنهم ، يجلسون منه على مراتبهم ، فالصديق يجلسه عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وبين يديه غالباً عثمان وعلى ؛ لأنهما كانا ممن يكتب [٤] الوحى ، وكان يأمرهم بذلك ، كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن أبى مَعْمَر ، عن أبى مسعود ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لِيَلِينِى منكم أولو الأحلام والنُّهَى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » [٥] . وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله ، صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر ، إما لتقصير أولئك فى حق البدريين ، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبهم ، كما أخذ أولئك قبلهم ، أو تعليماً بتقديم الأفاضل إلى الأمام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن الأعمش ، عن عُمَارة بن عمير [٦] التيمى [٧] ، عن أبى معمر ، عن أبى مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليلينى منكم أولو الأحلام والنُّهَى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم». قال أبو مسعود [٨] : فأنتم اليوم أشد اختلافاً .

وكذا رواه مسلم وأهل السنن ، إلا الترمذى ، من طرق عن الأعمش ، به [٩] .

وإذا كان هذا أمره لهم فى الصلاة أن يليه العقلاء [١٠] ثم العلماء ، فبطريق الأولى أن يكون ذلك فى غير الصلاة .

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن كثير بن مرة ، عن عبد الله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « أقيموا الصفوف ، وحَاذُوا بين المناكب، وسُدُّوا الخلل ، ولِينُوا بأيدى إخوانكم، ولا تَذَرُوا فرجات الشيطان، ومن وَصَل صَفّا وصله الله، ومن قطع صفّا قطعه الله » [١١] .

---

(١) فى م : « من كراهيته » .

(٢) رواه الترمذى فى السنن برقم (٢٧٥٤) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٣) وللإمام النووى ـ رحمه الله ـ رسالة سماها : « الترخيص بالقيام لذوى الفضل والمزية من أهل الإسلام» أطنب فى الكلام على هذه المسألة ، وهى مطبوعة بدار الفكر بدمشق .

(٤) فى م : « يكتبان » .

(٥) صحيح مسلم برقم (٤٣٢) .

(٦) فى أ : « بكير » . (٧) فى م ، أ : « الليثى » . (٨) فى أ : « سعيد » .

(٩) المسند (٤/ ١٢٢) وصحيح مسلم برقم (٤٣٢) وسنن أبى داود برقم (٦٧٤) وسنن النسائى (٢/ ٨٧) وسنن ابن ماجة برقم (٩٧٦) .

(١٠) فى أ : « الفضلاء » .

(١١) سنن أبى داود برقم (٦٦٦) .

ولهذا كان أبى بن كعب ــ سيد القراء ــ إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلاً يكون من أفناء [١] الناس ، ويدخل هو فى الصف المقدم ، ويحتج بهذا الحديث : « ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى » . وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس فى المكان الذى يقوم له صاحبه عنه ، عملاً بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذى أوردناه . ولنقتصر على هذا المقدار [٢] من الأنموذج المتعلق بهذه الآية ، وإلا فبسطه يحتاج [٣] إلى غير هذا الموضع ، وفى الحديث الصحيح : بينا رسول الله ﷺ جالس ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة فى الحلقة فدخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهباً . فقال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الثانى فاستحيا فاستحيا الله منه ،وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه» [٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عَتَّاب بن زياد ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عمرو ابن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » .

ورواه أبو داود والترمذى ، من حديث أسامة بن زيد الليثى ، به [٥] . وحسنه الترمذى .

وقد رُوى عن ابن عباس ، والحسن البصرى وغيرهما أنهم قالوا [٦] فى قوله تعالى : ﴿ **إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجلِسِ** [٧] **فَافْسَحُوا** ﴾ ، يعنى : فى مجالس الحرب ، قالوا : ومعنى قوله : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا** ﴾ أى : انهضوا للقتال .

وقال قتادة : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا** ﴾ أى : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال مقاتل [بن حيان] [٨] : إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا إذا كانوا عند النبى ﷺ فى بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده ، فربما يشق [٩] ذلك عليه ــ عليه السلام ــ وقد تكون له [١٠] الحاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا ، كقوله : ﴿ **وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا** [١١] **فَارْجِعُوا** ﴾ [النور:٢٨] .

وقوله : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ أى : لا تعتقدوا أنه إذا فَسَح أحد منكم لأخيه إذا أقبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، أن يكون ذلك نقصاً فى حقه ، بل هو رفعة ومزية [١٢] عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رَفَع الله قدره ، ونَشَر ذكره ؛ ولهذا قال : ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ**

---

(١) فى م ، أ : « أفناد » . (٢) فى م : « القدر » . (٣) فى م : « محتاج » .
(٤) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٦٦) ومسلم فى صحيحه برقم (٢١٧٦) .
(٥) المسند (٢/ ٢١٣) وسنن أبى داود برقم (٤٨٤٥) وسنن الترمذى برقم (٢٧٥٢) .
(٦) فى م ، أ : « أنهما قالا » . (٧) فى أ : « المجالس » . (٨) زيادة من م .
(٩) فى م : « شق » . (١٠) فى م : « لهم » . (١١) فى م : « وإذا قيل ارجعوا » وهو خطأ .
(١٢) فى م : « ورتبة » ، وفى أ : « ومنزلة » .

آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أى : خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، عن أبى الطفيل عامر ابن وائلة ، أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى . قال : وما ابن أبزى ؟ فقال : رجل من موالينا . فقال عمر [بن الخطاب] [1] : استخلفت عليهم مولى ؟ . فقال: يا أمير المؤمنين ، إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض . فقال عمر ، رضى الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين » [2] .

وهكذا رواه مسلم من غير وجه ، عن الزهرى ، به [3]. ورُوى من غير وجه عن عمر بنحوه[4]. وقد ذكرت [5] فضل العلم وأهله وما ورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى شرح « كتاب العلم » من صحيح البخارى ، ولله الحمد والمنة .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)** ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ ، أى : يساره فيما بينه وبينه ، أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ؛ ولهذا قال : ﴿ **ذَلِكَ [6] خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَجِدُوا** ﴾ أى : إلا من عجز عن ذلك لفقده ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال : ﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ** ﴾ أى : أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ، ﴿ **فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا**

---

(١) زيادة من م .

(٢) المسند (١/ ٣٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٨١٧) .

(٤) جاء من طريق حماد بن سلمة عن حميد ، عن الحسن بن مسلم : أن عمر استعمل ابن عبد الحارث على مكة ، فذكر نحوه ، أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١/ ١٨٥) وفيه انقطاع. وأيضاً من طريق الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت : أن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : خرجت مع عمر ، فاستقبلنا أمير مكة ـ نافع بن علقمة ـ فذكر نحو الحديث المتقدم ، أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١/ ١٨٦) .

(٥) فى م : « ذكرنا » .

(٦) فى أ : « ذلكم » وهو خطأ .

الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم .

وقد قيل : إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه .

قال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد قال : نهوا عن مناجاة النبى ﷺ حتى يتصدقوا ، فلم يناجه إلا على بن أبى طالب ، قدم ديناراً صدقة تصدق به ، ثم ناجى النبى ﷺ فسأله عن عشر خصال ، ثم أنزلت الرخصة .

وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد ، قال على ، رضى الله عنه : آية فى كتاب الله ، عز وجل، لم يعمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، كان عندى دينار فصرفته بعشر دراهم ، فكنت إذا ناجيت [1] رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم ، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ، ولا يعمل بها أحد بعدى ، ثم تلا هذه الآية :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ الآية .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن على بن علقمة الأنمارى ، عن على [بن أبى طالب] [2] ــ رضى الله عنه ــ قال : قال النبى ﷺ :« ما ترى ، دينار ؟ » . قال : لا يطيقون . قال : « نصف دينار ؟ » . قال : لا يطيقون . قال : « ما ترى ؟ » . قال : شَعيرة ، فقال له النبى ﷺ : « إنك زهيد [3] » . قال : قال على : فبى خَفَّف الله عن هذه الأمة ، وقوله : ﴿ [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**] [4] **إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ ، فنزلت : ﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ** ﴾ [5] .

ورواه الترمذى عن سفيان بن وَكيع ، عن يحيى بن آدم ، عن عبيد الله الأشجعى ، عن سفيان الثورى ، عن عثمان بن المغيرة الثقفى ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن على بن علقمة الأنمارى ، عن على بن أبى طالب قال : لما نزلت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ [إلى آخرها] [6] ، قال [7] لى النبى ﷺ : « ما ترى ، دينار ؟ » قلت[8] : لا يطيقونه. وذكره بتمامه ، مثله ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه ». ثم قال : ومعنى قوله : « شعيرة » : يعنى وزن شعيرة من ذهب [9] .

ورواه أبو يعلى ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن آدم ، به [10] .

وقال العوفى ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ إلى ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ : كان المسلمون يقدمون بين يدى النجوى صدقة ، فلما

---

(١) فى أ : « جئت » . (٢) زيادة من أ . (٣) فى م ، أ: « إنك لزهيد » .
(٤) زيادة من م .
(٥) تفسير الطبرى (٢٨/ ١٥) وعلى بن علقمة فيه ضعف . قال البخارى : فى حديثه نظر .
(٦) زيادة من م . (٧) فى م : « فقال » . (٨) فى م : « قال » .
(٩) سنن الترمذى برقم (٣٣٠٠) .
(١٠) مسند أبى يعلى (١/ ٣٢٢) .

نزلت الزكاة نسخ هذا .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ، عليه السلام . فلما قال ذلك صبر كثير من الناس وكفوا عن المسألة ، فأنزل الله بعد هذا : ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَة (١) فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فوسع الله عليهم ولم يضيق .

وقال عكرمة والحسن البصرى فى قوله : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ : نسختها الآية التى بعدها : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً (٢) ﴾ إلى آخرها .

وقال سعيد [بن أبى عروبة] (٣) ، عن قتادة ومقاتل بن حيان : سأل الناس رسول الله ﷺ ، حتى أحفوه بالمسألة ، فقطعهم الله بهذه الآية ، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبى الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وقال مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ : إنها منسوخة، ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن مجاهد قال على : ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت وأحسبه قال : وما كانت إلا ساعة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على المنافقين موالاتهم الكفار فى الباطن ، وهم فى نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [النساء:١٤٣] . وقال هاهنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ يعنى :

(١ ، ٢) فى أ : « صدقات » .
(٣) زيادة من م ، أ .

اليهود، الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم فى الباطن . ثم قال : ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ أى: هؤلاء المنافقون ، ليسوا فى الحقيقة لا منكم أيها المؤمنون ، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود .

ثم قال : ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعنى : المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا ، وهى اليمين الغموس ، ولا سيما فى مثل حالهم اللعين ، عياذاً بالله منه [١] ، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا جاؤوا الرسول حلفوا بالله [له][٢] أنهم مؤمنون ، وهم فى ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ؛ لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان فى نفس الأمر مطابقاً ؛ ولهذا شهد الله بكذبهم فى إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أى : أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة ، وهى موالاة الكافرين ونصحهم ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى : أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم ، فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس ﴿ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ أى :فى مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم فى الأيمان الكاذبة الحانثة .

ثم قال : ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى : لن يدفع ذلك عنهم بأساً [٣] إذا جاءهم ، ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

ثم قال :﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ أى : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ، ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أى : يحلفون بالله [٤] ، عز وجل ، أنهم كانوا على الهدى والاستقامة ، كما كانوا يحلفون للناس فى الدنيا ؛ لأن من عاش على شىء مات عليه وبعث عليه ، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس ، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أى : حلفهم ذلك لربهم ، عز وجل .

ثم قال منكراً عليهم حسبانهم [٥] : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا زهير ، عن [٦] سَماك بن حرب ، حدثنى سعيد بن جُبَير ؛ أن ابن عباس حدثه : أن النبى ﷺ كان فى ظل حجرة من حُجَره ، وعنده نفر من المسلمين قد كان يَقلصُ عنهم الظل ، قال :« إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعينى شيطان ، فإذا أتاكم فلا تكلموه » . فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه ، فقال ؛ « علام تشتمنى أنت وفلان وفلان ؟ » ــ نفر دعاهم بأسمائهم ــ قال : فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا له واعتذروا إليه، قال : فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ .

---

(١) فى م : « عياذاً بالله من ذلك » . (٢) زيادة من م . (٣) فى م : « بأس الله » .
(٤) فى م : « لله » . (٥) فى م ، أ : « حسابهم » . (٦) فى م : « حدثنا » .

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين ، عن سماك ، به [١]. ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن سماك ، به نحوه [٢] ، وأخرجه أيضاً من حديث سفيان الثورى، عن سماك ، بنحوه . إسناد جيد ولم يخرجوه .

وحال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤] . ثم قال : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ أى : استحوذ على قلوبهم الشيطانُ حتى أنساهم أن يذكروا الله ، عز وجل ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ؛ ولهذا قال أبو داود :

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زائدة ، حدثنا السائب بن حُبَيش ، عن مَعْدان بن أبى طلحة اليَعْمُرى ، عن أبى الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ثلاثة فى قرية ولا بَدْو ، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية » . قال زائدة : قال السائب : يعنى الصلاة فى الجماعة [٣] .

ثم قال تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعنى : الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. ثم قال : ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المحادين[٤] لله ورسوله ، يعنى : الذى هم فى حَدٍّ والشرع فى حَدٍّ ، أى : مجانبون للحق مشاقون له ، هم فى ناحية والهدى فى ناحية ، ﴿ أُوْلَٰئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ أى : فى الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب ، الأذلين فى الدنيا والآخرة .

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ أى: قد حكم وكتب فى كتابه الأول وقَدَره الذى لا يُخالَف ولا يُمانع ، ولا يبدل ، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة ، وأن العاقبة

---

(١) المسند (١/ ٢٤٠) .
(٢) تفسير الطبرى (٢٨/ ١٧) .
(٣) سنن أبى داود برقم (٥٤٧) .
(٤) فى أ : « المحاربين » .

للمتقين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر : ٥١ ، ٥٢] . وقال هاهنا : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أى : كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه . وهذا قدر محكم وأمر مبرم، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ أى: لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ الآية [آل عمران:٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[التوبة : ٢٤] .

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى آخرها فى أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر ؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، حين جعل الأمر شورى بعده فى أولئك الستة ، رضى الله عنهم : « ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته » .

وقيل فى قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾: نزلت فى أبى عبيدة ،قتل أباه يوم بدر ﴿ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ : فى[1] الصديق ، هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، ﴿ أَوْ إِخْوَانَهُمْ ﴾ : فى مصعب بن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ : فى عمر ، قتل قريباً له يومئذ أيضاً ، وفى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، والله أعلم .

قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين فى أسارى بدر ، فأشار الصديق بأن يفادوا ، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين ، وهم بنو العم والعشيرة ، ولعل الله أن يهديهم . وقال عمر : لا أرى ما رأى يا رسول الله ، هل [2] تمكنى من فلان ــ قريب لعمر ــ فأقتله ، وتمكن علياً من عقيل ، وتمكن فلاناً من فلان ، ليعلم الله أنه ليست [3] فى قلوبنا هوادة للمشركين . . . القصة بكاملها .

وقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أى : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه ، فهذا ممن كتب الله فى قلبه الإيمان ، أى : كتب له السعادة وقررها فى قلبه وزين الإيمان فى بصيرته .

---

(١) فى م : « وفى » . (٢) فى م : « بل » . (٣) فى م : « ليس » .

وقال السدى : ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ ﴾ : جعل فى قلوبهم الإيمان .

وقال ابن عباس : ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أى : قواهم .

وقوله : ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ : كل هذا تقدم تفسيره غير مرة .

وفى قوله : ﴿ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ : سر بديع ، وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله عَوّضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ،والفضل العميم .

وقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أى: هؤلاء حزبُ الله ، أى : عباد الله [١] وأهل كرامته .

وقوله : ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ : تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرهم[٢] فى الدنيا والآخرة ، فى مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان . ثم قال : ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطى ، حدثنا الفضل بن عَنْبَسة ، عن رجل قد سماه ــ يقال [٣] : هو عبد الحميد بن سليمان ، انقطع من كتابى ــ عن الذَّيَّال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهرى : أعلم أن الجاه جاهان ، جاه يجريه الله على أيدى أوليائه لأوليائه ، وإنهم الخامل ذكرهم ،الخفية شخوصهم،ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ: « إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء ، الذين إذا غابوا لم يُفتَقَدوا ، وإذا حضروا لم يُدْعَوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » [٤]. فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله: ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال نُعَيم بن حَمّاد : حدثنا محمد بن ثور ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: « اللهم ، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى يداً ولا نعمة ، فإنى وجدت فيما أوحيته إلى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ » . قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان . ورواه أبو أحمد العسكرى .

---

(١) فى م : « عباده » . (٢) فى م : « ونصرتهم » . (٣) فى م : « فقال » .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجة فى السنن برقم (٣٩٨٩) من طريق ابن لهيعة ،عن عيسى بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه، عن عمر مرفوعاً ، وفيه ابن لهيعة وقد توبع ، تابعه عياش بن عباس ، عن عيسى بن عبد الرحمن به، رواه الحاكم فى المستدرك (٤/٣٢٨) وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

تفسير سورة الحشر

[وكان ابن عباس يقول : سورة بنى النضير] [(١)] . وهى مدنية .

قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشَيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس: سورة الحشر ؟ قال : أنزلت فى بنى النضير .

ورواه البخارى ومسلم من وجه آخر ، عن هُشَيْم ، به [(٢)] . ورواه البخارى من حديث أبى عَوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر ؟ قال : قُل : سورة النَّضير [(٣)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ (٥) ﴾ .

يخبر تعالى أن جميع ما فى السموات وما فى الأرض من شىء يسبح له ويمجده ويقدسه ، ويصلى له ويوحده [(٤)] ، كقوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ] [(٥)] ﴾ [الإسراء:٤٤] . وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أى : منيع الجناب ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فى قَدره وشرعه .

وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعنى : يهود بنى النضير . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والزهرى ، وغير واحد : كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم

---

(١) زيادة من أ .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٨٨٢) وصحيح مسلم برقم (٣٣١) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٨٨٣) .

(٤) فى م : « وحده » .

(٥) زيادة من م .

عهداً وذمة ، على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه ، فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه ، فأحل الله بهم بأسه الذى لا مَرَدَّ [(١)] له ، وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يُصَدّ ، فأجلاهم النبى ﷺ ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون ، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله ، فما أغنى عنهم من الله شيئاً ، وجاءهم ما لم يكن ببالهم ، وسيّرهم رسول الله وأجلاهم من المدينة ، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالى الشام ، وهى أرض المحشر والمنشر ، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر. وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم ، فكانوا يخربون ما فى بيوتهم من المنقولات التى يمكن أن تحمل معهم ؛ ولهذا قال: ﴿ **يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ** ﴾ أى : تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله، وكذب كتابه ، كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا ، مع ما يدخره له فى الآخرة من العذاب الأليم .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ ، أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ، ومن كان معه يعبد [معه] [(٢)] الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : إنكم آويتم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه ، أو لتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مُقَاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبى ومن كان معه من عبدة الأوثان ، اجتمعوا لقتال النبى ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبى ﷺ لقيهم ، فقال : « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ؟ » ، فلما سمعوا ذلك من النبى ﷺ تفرقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شىء ــ وهى الخلاخيل ــ فلما بلغ كتابهم النبى ﷺ اجتمعت بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى النبى ﷺ : اخرج إلينا فى ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبراً ، حتى نلتقى بمكان المنصف فيسمعوا منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ [بالكتائب] [(٣)] فحصرهم ، قال لهم: « إنكم والله لا تأمنوا عندى إلا بعهد تعاهدونى عليه » . فأبوا أن يعطوه عهداً ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغَد على بنى قريظة بالكتائب ، وترك بنى النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم . وغدا إلى بنى النضير بالكتائب فقاتلهم ، حتى نزلوا على الجلاء . فجلت بنو النضر ، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بنى النضير لرسول الله ﷺ خاصة ، أعطاه الله إياها وخصه بها ، فقال : ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ** ﴾ يقول : بغير قتال ، فأعطى النبى ﷺ أكثرها للمهاجرين ، قسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى حاجة ، ولم يقسم من الأنصار غيرهما ، وبقى

---

(١) فى م : « لا يرد » .

(٢ ، ٣) زيادة من سنن أبى داود .

منها صدقة رسول الله ﷺ التى فى أيدى بنى فاطمة [١] .

ولنذكر ملخص غزوة بنى النضير على وجه الاختصار ، وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازى والسيَر : أنه لما قُتِل أصحابُ بئر معونة ، من أصحاب رسول الله [٢] ﷺ ، وكانوا سبعين ، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمرى ، فلما كان فى أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بنى عامر ، وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين، لأدينَّهما » . وكان بين بنى النضير وبنى عامر حلف وعهد ، فخرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك الرجلين ،وكان منازل بنى النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار فى كتابه السيرة : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير ، يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل [٣] عمرو بن أمية الضمرى ؛ للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما ، فيما حدثنى يزيد بن رُومان ، وكان بين بنى النضير وبنى عامر عَقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى دية ذينك القتيلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن [٤] تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ــ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم ــ فَمَن [٥] رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصَعَد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، رضى الله عنهم . فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبى ﷺ أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ،وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم . ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النخل والتَّحريق فيها . فنادوه: أن يا محمد،قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه،فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى [بن] [٦] سلول ، ووديعة ، ومالك بن أبى قوقل [٧] ، وسُوَيد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتَمَنَّعوا فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرَجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وخَلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله خاصة

(١) سنن أبى داود برقم (٣٠٠٤) .
(٢) فى م : « أصحاب النبى » . (٣) فى م : « قتلهما » . (٤) فى م : « لم » .
(٥) فى أ : « فمر » . (٦) زيادة من م ، أ . (٧) فى أ : « نوفل » .

يضعها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سماك بن خَرَشَة ذكرا فَقْرًا ، فأعطاهما رسول الله ﷺ .

قال : ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عُمَير [١] بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ، وما هم به من شأنى » . فجعل يامين بن عُمَير [٢] لرجل جُعِل على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها [٣] .

وهكذا روى يونس بن بُكَيْر ، عن ابن إسحاق ، بنحو ما تقدم [٤] .

فقوله : ﴿ **هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ يعنى : بنى النضير ﴿ **مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ** ﴾ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبى سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :من شك فى أن أرض المحشر هاهنا ـ يعنى الشام فَلْيَتْل [٥] هذه الآية : ﴿ **هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ** ﴾ ، قال لهم رسول الله ﷺ : « اخرجوا » . قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض المحشر » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن قال : لما أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير ، قال : « هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر » .

ورواه ابن جرير ، عن بُنْدَار ، عن ابن أبى عدى ، عن عوف ، عن الحسن ، به [٦] .

وقوله : ﴿ **مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا** ﴾ أى : فى مدة حصاركم لهم وقصَرها ، وكانت ستة أيام ، مع شدة حصونهم ومنعتها ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا** ﴾ أى : جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم فى بال ، كما قال فى الآية الآخرى : ﴿ **قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النحل:٢٦] .

وقوله : ﴿ **وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ** ﴾ أى : الخوف والهَلَع والجَزَع ، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذى نُصر بالرعب مسيرةَ شهر ، صلوات الله وسلامه عليه .

(١ ، ٢) فى م : « بن عمرو » .

(٣) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٠ـ١٩٢) وتفسير الطبرى (٢٨/ ٢١) .

(٤) فى م : « مما تقدم » . (٥) فى م ، أ : « فليقرأ » .

(٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ٢٠) ورواه ابن سعد فى الطبقات (٢/ ٤٢) عن هوذة بن خليفة ، عن عوف ، عن الحسن به وهو مرسل .

وقوله : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ : قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك ، وهو نقض [١] ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم ، وتَحملها على الإبل ، وكذا قال عروة بن الزبير ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد .

وقال مقاتل بن حيان : كان رسول الله ﷺ يقاتلهم ، فإذا ظهر على دَرْب أو دار ، هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال . وكان [٢] اليهود إذا علَوا مكاناً أو غلبوا على دَرْب أو دار ، نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها ، يقول الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا ﴾ أى: لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء ، وهو النفى من ديارهم وأموالهم ، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبى ، ونحو ذلك ، قاله الزهرى ، عن عُرْوَة ، والسُّدِّى وابن زيد ؛ لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم فى الدار الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة من العذاب فى نار جهنم .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن صالح ــ كاتب الليث ــ حدثنى الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة بن الزبير قال : ثم كانت وقعة بنىَ النضير ، وهم طائفة من اليهود ، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر . وكان منزلهم بناحية من المدينة ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وأن لهم ما أَقَلَّت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة ، وهى السلاح ، فأجلاهم رسول الله ﷺ قبَل الشام . قال : والجلاء أنه كُتب عليهم فى آى من التوراة ، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليه رسول الله ﷺ ، وأنزل الله فيهم : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

وقال عكرمة : الجلاء : القتل . وفى رواية عنه : الفناء .

وقال قتادة : الجلاء : خروج الناس من البلد إلى البلد .

وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام ، وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضى ، حدثنا محمد بن سعيد [٣] العوفى ، حدثنى أبى ، عن عمى ، حدثنى أبى عن جدى ، عن ابن عباس قال : كان النبى [٤] ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مَبْلَغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم [٥] إلى أرض أخرى [٦] .

وروى أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهرى ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد

---

(١) فى أ : « بعض » . (٢) فى م : « وكانت » . (٣) فى أ : « سعد » .
(٤) فى م : « كان رسول الله » . (٥) فى م : « أرض » .
(٦) دلائل النبوة للبيهقى (٣/٣٥٩) وإسناده مسلسل بالضعفاء .

ابن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة ؛ أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بنى النضير ، وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال [١] [٢] .

وقوله : ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ أى : حتم لازم لا بد لهم منه .

وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى: إنما فَعلَ الله بهم ذلك وسَلَّط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ؛ لأنهم خالفوا الله ورسوله ، وكذبوا بما أنـزل الله على رسله المتقدمين فى [٣] البشارة بمحمد ﷺ ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال : ﴿ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ اللين: نوع من التمر ، وهو جيد .

قال أبو عبيدة : وهو ما خالف العجوة والبَرْنِىّ من التمر .

وقال كثيرون [٤] من المفسرين : اللينة : ألوان التمر سوى العجوة .

قال ابن جرير : هو جميع النخل . ونقله عن مجاهد : وهو البُوَيرة أيضاً ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم [٥] إهانة لهم ، وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم . فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : [فبعث بنو النضير] [٦] يقولون لرسول الله ﷺ : إنك تنهى عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة ، أى : ما قطعتم وما تركتم من الأشجار ، فالجميع بإذن الله ومشيئته وقدرته [٧] ورضاه ، وفيه نكاية العدو [٨] ، وخزى لهم ، وإرغام لأنوفهم .

وقال مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هى مغانم المسلمين . فنزل[٩] القرآن بتصديق من نهى عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

وقد روى نحو هذا مرفوعاً ، فقال النسائى : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن [١٠] عفان ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبى عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل ، فحاك فى صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً ، فلنسألن رسول الله ﷺ : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [١١] .

---

(١) فى م : « أيام » .
(٢) دلائل النبوة (٣/ ٣٦٠) .
(٣) فى م : « من » .
(٤) فى م : « كثير » .
(٥) فى م : « نخلهم » .
(٦) فى هـ بياض ، وفى م : « بنو قريظة » وهو خطأ ، والمثبت من تفسير الطبرى . ومستفادا من هامش ط. الشعب .
(٧) فى م : « وقدره » .
(٨) فى م : « للعدو » .
(٩) فى م : « فأنزل » .
(١٠) فى م : « بن » .
(١١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٧٤) .

وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن جابر ــ وعن أبى الزبير ، عن جابر ــ قال : رخص لهم فى قطع النخل، ثم شدد عليهم ، فأتوا [١] النبى ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، علنيا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا وزر فيما تركنا ؟ فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ قطع نخل بنى النضير وحرّق .

وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة ، بنحوه [٣] ، ولفظ البخارى من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : حاربت[٤] النضيرُ وقريظة ، فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومَنّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم[٥] نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبى ﷺ فأمَّنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع ، وهم رهط عبد الله بن سلام ،ويهود بنى حارثة ،وكلّ يهود بالمدينة .

ولهما أيضا عن قتيبة ، عن الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بنى النضير وقطع ــ وهى البُوَيرةُ ــ فأنزل الله ، عز وجل فيه : ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [٦] .

وللبخارى ، رحمه الله ، من رواية جُوَيْرية بن أسماء عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بنى النضير [٧] . ولها يقول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه :

وَهَانَ عَلَى سَرَاة بنى لُؤىّ ... حَرِيقٌ بالبُوَيرَة مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدَام اللهُ ذلكَ من صَنِيع ... وَحرّق فى نَوَاحيها السَّعير

سَتَعلم أيُّنا منْها بِنُزْهٍ ... وَتَعْلُمُ أىّ أرْضينَا نَضِيرُ

---

(١) فى م : « فسألوا » .

(٢) مسند أبى يعلى (٤/ ١٣٥) وفيه سفيان بن وكيع ، وهو ضعيف .

تنبيه : رواية سليمان بن موسى عن جابر لم أجدها فى مسند أبى يعلى المطبوع فلعلها سقطت .

(٣) المسند (٢/ ٧) وصحيح البخارى برقم (٤٠٢١) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٦)

(٤) فى م : « حارب » . (٥) فى م : « فقتل من رجالهم وسبى وقسم » .

(٦) صحيح البخارى برقم (٤٨٨٤) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٦) .

(٧) فى هـ ، أ : « نخل بنى النضير ، وقطع البويرة » ، وقوله : « وقطع البويرة » غير ثابت فى البخارى ، ويبدو أنه سهو من الناسخ . مستفاداً من هامش ط ــ الشعب .

كذا رواه البخارى [١] ، ولم يذكره ابن إسحاق .

وقال محمد بن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف :

لَقَد خزيت[٢] بغَدْرَتِها الحُبُور ... كَذَاكَ الدهرُ ذو صَرْف يَدُورُ

وَذَلك أنَّهم كفَرُوا بِرَبّ ... عَظيم أمرُهُ أمرٌ كَبِيرُ

وقَد أوتوا معاً فَهماً وعلما ... وَجَاءهُمُ من الله النَّذيرُ

نَذير صَادق أدّى[٣] كتابا ... وآيات مُبَيَّنَةً تُنيرُ

فقال[٤] : ما أتيت بأمر صدق ... وأنت بمنكر منا جَديرُ

فَقال : بَلى لَقد أديتُ حقاً ... يُصَدّقنى به الفَهم الخَبيرُ

فَمن يَتْبعه يُهدَ لِكُل رُشْد ... وَمَن يَكفُر به يُجزَ الكَفُورُ

فَلَمَّا أشربُوا غَدْراً وكُفْراً ... وَجَدّ بهم عن الحَقّ النّفورُ

أرَى الله النبىّ برأى صدْق ... وكانَ الله يَحكُم لا يَجُورُ

فَأيَّدَهُ وَسَلَّطَه عَلَيهم ... وكَانَ نَصيرهُ نعْم النَّصيرُ

فَغُودرَ منْهمُو كَعب صريعاً ... فَذَلَّتْ بعدَ مَصْرَعه النَّضيرُ

عَلى الكَفَّين ثمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بأيدينا مُشَهَّرة ذكُورُ

بأمْر مُحَمَّد إذ دَس لَيلا ... إلى كَعب أخَا كَعب يَسيرُ

فَمَا كَرَه فَأنزلَه بِمكْر ... وَمحمودُ أخُو ثقَة جَسُورُ

فَتلْك بَنُو النَّضير بدار سَوء ... أبَارَهُمُ بما اجترموا المُبيرُ

غَداة أتاهُمُ فى الزّحْف رَهواً ... رَسُولُ الله وَهْوَبهم بَصيرُ

وَغَسَّانُ الحماةُ مُوازرُوه ... عَلَى الأعداء وهولهم وَزيرُ

فَقَالَ: السلْم ويحكمُ فصَدّوا ... وَحَالفَ أمْرَهَم كَذبٌ وَزُورُ

فَذَاقُوا غبّ أمْرهُمُ دَبَالا ... لكُلّ ثَلاثَة منهُم بَعيرُ

وَأجلوا عَامدين لقَينُقَاع ... وَغُودرَ مِنْهُم نَخْل ودُورُ [٥]

قال : وكان مما [٦] قيل من الأشعار فى بنى النضير قولُ ابن لُقَيم العَبْسىّ ـ ويقال : قالها قيس

(١) صحيح البخارى برقم (٤٠٣٢) .

(٢) فى أ : « خربت » .
(٣) فى م : « أوتى » .
(٤) فى م: « فقالوا » .

(٥) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١٩٩/٢) .

(٦) فى م : « ومما كان » .

ابن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعى :

أهلى فداءٌ لامرئٍ غير هَالك ... أحَلّ [(١)] اليهودَ بالحَسى [(٢)] المُزَنَّم
يَقيلُونَ فى جَمْر الغَضاة وبُدّلُوا ... أهَيضبَ عـودا بالوَدى المُكَمَّم
فإن يَكُ ظَنى صَادقاً بمُحَمد ... يَرَوا خَيلَه بينَ الصّلا وَيَرمْرَم [(٣)]
يَؤمّ بها عَمرو بنُ بُهثَةَ إنَّهُمْ ... عَدُو ومـا حَىّ صَديق كمُجْرِم
عَلَيهنّ أبطالُ مَساعيرُ فى الوَغَى ... يَهُزّونَ أطرافَ الوَشيج المُقَوّم
وكُـلّ رَقـيـق الشَّفـرتَين مُـهَـنَّـدٍ ... تُورثْنَ مـن أزْمـان عـاد وَجُرْهُمِ
فَمَن مُبلغٌ عَنى قُرَيشاً رِسَالةً ... فَهَلْ بَعدَهُم فى المَجْد من مُتَكرّم
بأنّ أخاكمُ فاعلَمنّ مُحَمَّداً ... تَليدُ النَّدى بينَ الحَجُون وزَمْزَم
فَدينُوا له بالحقّ تَجْسُمْ أمُورُكم ... وتَسْمُوا منَ الدنْيا إلى كُل مُعْظَم
نبى تـلافَـتـه مِـنَ الله رَحْـمَـةٌ ... وَلا تَسْألُوهُ أمْـرَ غَـيب مُرَجَّم
فَقَدْ كانَ فى بَدْر لَعَمْرى عِبرَةٌ ... لكُم يـا قُـرَيش والقَليب المُلَمَّم
غَدَاة أتَى فى الخَزْرَجيَّة عامِداً ... إليكُم مُطيعـاً للعَظيمِ المُكَرّم
مُعَاناً برُوح القُدْس يَنْكى عَدوه ... رَسُولاً مِـنَ الرّحمن حَقّا بِمَعْلَم
رَسُولاً منَ الرّحمن يَتْلُو كتابَهُ ... فَـلَـمّا أنـارَ الحَـقّ لـم يَتَلعْثَم
أرَى أمْرَهُ يَزْدادُ فى كُلّ مَوْطن ... عُلُوّا لأمـرْ حَمَّه اللهُ مُحْكَم [(٤)]

وقد أورد ابن إسحاق ، رحمه الله ، هاهنا أشعاراً كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفاصيل للقصة ، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه ، ولله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة . وحكى البخارى ، عن الزهرى ، عن عروة أنه قال : كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر [(٥)] .

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

(١) فى أ : « أجلى » . (٢) فى م ، أ : « بالحس » . (٣) فى أ : « بين الصفا وبزمزم ».
(٤) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٥) .
(٥) صحيح البخارى (٧/ ٣٢٩) « فتح » .

الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾ .

يقول تعالى مبيناً لمال الفيء ، وما صفته ؟ وما حكمه ؟ فالفيء: كلّ مال أخذ من الكفار بغير [1] قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، كأموال بنى النضير هذه ، فإنها مما لم يُوجف المسلمون عليه [2] بخيل ولا ركاب ، أى : لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة ، بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله فى قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ ، فأفاءه الله على رسوله ؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء ، فردّه على المسلمين فى وجوه البر والمصالح التى ذكرها الله ، عز وجل ، فى هذه الآيات ، فقال : ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ**﴾ أى : من بنى النضير ﴿ **فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ** ﴾ يعنى : الإبل ، ﴿ **وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أى : هو قدير لا يُغالَب ولا يُمانع ، بل هو القاهر لكل شىء .

ثم قال : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ** ﴾ أى: جميع البلدان التى تُفتَح هكذا ، فحكمها حكم أموال بنى النضير ؛ ولهذا قال : ﴿ **فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ إلى آخرها والتى بعدها . فهذه مصارفُ أموال الفيء ووجوهه .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ومَعْمَر ، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان ، عن عمر ، رضى الله عنه ، قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة [3] ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته [4] ــ وقال مرّة : قوت [5] سنته ــ وما بقى جعله فى الكُرَاع والسلاح فى سبيل الله ، عز وجل .

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم ــ إلا ابن ماجة ــ من حديث سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن الزهرى ، به [6] . وقد رويناه مطولاً ، فقال أبو داود ، رحمه الله :

حدثنا الحسن بن على ومحمد بن يحيى بن فارس ــ المعنى واحد ــ قالا : حدثنا بشر بن عُمَر الزهرانى ، حدثنى مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس قال : أرسل إليّ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، حين تعالى النهار ، فجئته فوجدته جالساً على سرير مُفضياً إلى رُماله ، فقال حين دخلت عليه : يا مالِ ، إنه قد دَفّ أهل أبيات [7] من قومك ، وقد أمرت فيهم بشىء ، فاقسم فيهم . قلت : لو أمرتَ غيرى بذلك ؟ فقال : خذه . فجاءه [8] يرفا ، فقال : يا أمير

(١) فى م : « من غير » . (٢) فى م : « عليه المسلمون » . (٣) فى م : « خاصة » .
(٤) فى م : « سنة » . (٥) فى أ : « مسيرة » .
(٦) المسند (١/ ٢٥) وصحيح البخارى برقم (٤٨٨٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٥٧) وسنن أبى داود برقم (٢٩٦٥) وسنن الترمذى برقم (١٧١٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٧٥) .
(٧) فى أ : « أهل بنات » . (٨) فى م : « فجاء » .

المؤمنين، هل لك فى عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ؟ فقال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفا فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى العباس وعلى ؟ قال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بينى وبين هذا ــ يعنى : علياً ــ فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرحهما . قال مالك بن أوس: خُيِّل إلىَّ أنهما قَدّما أولئك النفر لذلك . فقال عمر ، رضى الله عنه : اتئدا . ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « لا نُورَث ، ما تركنا صدقة » . قالوا : نعم . ثم أقبل على علىّ والعباس فقال : أنشدُكُما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة» . فقالا : نعم . فقال : فإن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس ، فقال: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِه مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْه مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . فكان الله أفاء على رسوله أموال بنى النضير ، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم،فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة ــ أو : نفقته ونفقة أهله سنة ــ ويجعل ما بقى أسوة المال . ثم أقبل علىَّ أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على علىٍّ والعباس فقال : أنشدُكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم . فلما تُوفى رسول الله ﷺ قال أبو بكر: « أنا ولىّ رسول الله » ، فجئت أنت وهذا إلى أبى بكر ، تطلب أنتَ ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر ، رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق . فوليها أبو بكر ، فلما توفى قلتُ : أنا وَلِىّ رسول الله ﷺ وولىّ أبى بكر ، فَوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئت أنت وهذا ، وأنتما جَميع وأمركما واحد ، فسألتمانيها ، فقلت : إن شئتما فأنا أدفعها إليكما على أنّ عليكما عهد الله أن تلياها بالذى كان رسول الله ﷺ يليها ، فأخذتماها منى على ذلك ، ثم جئتمانى لأقضى بينكما بغير ذلك . والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عَجَزتُما عنها فَردّاها إلى .

أخرجوه من حديث الزهرى ، به[1] . وقال الإمام أحمد :

حدثنا عارم وعفان قالا : حدثنا معتمر ، سمعت أبى يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبىّ الله ﷺ أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات ، أو كما شاء الله ،حتى فُتحَت عليه قريظة والنضير . قال : فجعل يَرُدّ بعد ذلك ، قال : وإن أهلى أمرونى أن آتى النبى ﷺ فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبى الله ﷺ قد أعطاه أمّ أيمن ، أو كما شاء الله ، قال : فسألتُ النبى ﷺ فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوبَ فى عنقى وجعلت تقول : كلا ، والله الذى لا إله إلا هو لا يُعطيكَهُنّ وقد أعطانيهن ، أو كما قالت ، فقال نبى الله : « لك كذا وكذا » . قال : وتقول :

(١) سنن أبى داود برقم (٢٩٦٣) وصحيح البخارى برقم (٣٠٩٤) وصحيح مسلم برقم (١٧٥٧) وسنن النسائى (٧/ ١٣٦) وسنن الترمذى برقم (١٦١٠) .

كلا ، والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . قال : وتقول : كلا والله . قال : « ويقول : لك كذا وكذا » . قال : حتى أعطاها ، حسبت أنه قال : عشرة أمثال أو قال قريباً من عشرة أمثاله ، أو كما قال .

رواه البخارى ومسلم من طُرُق عن معتمر ، به [(١)] .

وهذه المصارف المذكورة فى هذه الآية هى المصارف المذكورة فى خُمس الغَنيمة . وقد قدمنا الكلام عليها فى سورة « الأنفال » بما أغنى عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد [(٢)] .

وقوله : ﴿ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ أى: جعلنا هذه المصارف لمال الفىء لئلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها ، بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء .

وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ أى : مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا يحيى بن أبى طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن الحسن العوفى ، عن يحيى بن الجزار ، عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغنى أنك تنهى عن الواشمة والواصلة ، أشىء وجدته فى كتاب الله أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى ، شىء وجدته فى كتاب الله وعن رسول الله ﷺ . قالت : والله لقد تصفحتُ ما بين دفتى المصحف فما وجدت الذى تقول ! . قال : فما وجدت فيه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ؟ قالت : بلى . قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة . قالت : فلعله فى بعض أهلك . قال : فادخلى فانظرى . فدخلت فَنَظَرت ثم خرجَت ، قالت : ما رأيتُ بأسا . فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود:٨٨] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، [عن إبراهيم] [(٣)] ، عن علقمة ، عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات، والمُتفَلّجات للحُسْن ، المغيرات خلق الله ،عز وجل. قال: فبلغ امرأة فى البيت يقال لها: « أم يعقوب » ، فجاءت إليه فقالت : بلغنى أنك قلت كيتَ وكيتَ . قال : ما لى لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ ، وفى كتاب الله . فقالت : إنى لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته . فقال : إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه . أما قرأت : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾؟ قالت : بلى . قال : فإن النبى ﷺ نهى عنه . قالت : [إنى] [(٤)] لأظن أهلك يفعلونه . قال : اذهبى فانظرى .

---

(١) المسند (٣/٢١٩) وصحيح البخارى برقم (٣١٢٨ ، ٤٠٣٠ ، ٤١٢٠) وصحيح مسلم برقم (١٧٧١) .

(٢) فى أ : « ولله الحمد والمنة » .

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد والبخارى ومسلم .

(٤) زيادة من م ، أ ، والمسند .

فذهَبت فلم تر من حاجتها شيئا ، فجاءت فقالت : ما رأيتُ شيئاً . قال: لو كانت كذلك لم تُجَامعنا .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سفيان الثوري (١) .

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هُرَيرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » (٢) .

وقال النسائي : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حيان ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عُمَر وابن عباس : أنهما شهدا على رسول الله ﷺ : أنه نهى عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقير والمزَفَّت ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي : اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ؛ فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾ .

يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ أي : هؤلاء الذين صدَقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين .

ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ، ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حَسَدهم ، وإيثارهم مع الحاجة ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم .

قال عمر : وأوصي الخليفة [من] (٤) بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تَبوّؤوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم ،

(١) المسند (١/ ٤٣٣) وصحيح البخاري برقم (٤٨٨٧) وصحيح مسلم برقم (٢١٢٥) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧) .
(٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٧٨) .
(٤) زيادة من أ .

وأن يعفو [١] عن مسيئهم . رواه البخارى هاهنا أيضا [٢] .

وقوله : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ أى : مِنْ كَرَمهم وشرف أنفسهم ، يُحبّون المهاجرين [٣] ويواسونهم بأموالهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس قال : قال المهاجرون : يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً فى قليل ولا أحسن بذلاً فى كثير ، لقد كَفَونا المؤنة ، وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ! قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودَعَوتُمُ الله لهم » [٤] .

لم أره فى الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال : دعا النبى ﷺ الأنصار أن يُقطع لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن تُقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها . قال : « إما لا ، فاصبروا حتى تلقونى ، فإنه سيصيبكم [بعدى] [٥] أثرة » .

تفرد به البخارى من هذا الوجه [٦] .

وقال البخارى : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤنَةَ ونَشرككُم فى الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم [٧] .

﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ أى : ولا يجدون فى أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والتقديم فى الذكر والرتبة .

قال الحسن البصرى : ﴿ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ يعنى : الحسد .

﴿ مِّمَّا أُوتُوا ﴾ : قال قتادة : يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن أنس قال : كنا جُلوساً مع رسول الله ﷺ، فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار تَنطُف [٨] لحيته من وضوئه ، قد تَعَلَّق [٩] نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى . فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته [١٠] أيضاً ، فطلع

---

(١) فى م : « وأن يعفى » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٨٨٨) .

(٣) فى أ : « يحبون من هاجر إليهم » .

(٤) المسند (٣ / ٢٠٠) .

(٥) زيادة من صحيح البخارى .

(٦) صحيح البخارى برقم (٣٧٩٤) .

(٧) صحيح البخارى برقم (٢٣٢٥) .

(٨) فى م : « ينفض » . (٩) فى م : « قد علق » . (١٠) فى م : «مثل حاله » .

ذلك الرجل على مثل حاله الأولى [١] . فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال : إنى لاحيت أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤوينى [٢] إليك حتى تمضى فعلتُ . قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالى [٣] ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تَعارّ وتقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر . قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بينى وبين أبى غَضَب ولا هَجْر [٤] ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرَار [٥] : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث المرار [٦] ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملكَ فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير [٧] عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسولُ الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت . فلما وليت دعانى فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أنى لا أجدُ فى نفسى لأحد من المسلمين غشّا ، ولا أحسُد أحداً على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله : هذه التى بلغت بك ، وهى التى لا تُطاق [٨] .

ورواه النسائى فى اليوم والليلة ، عن سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن معمر به[٩]. وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين،لكن رواه عقيل وغيره عن الزهرى ،عن رجل،عن أنس [١٠]. فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله :﴿ **وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا** ﴾ يعنى: ﴿ **مِمَّا أُوتُوا** ﴾ : المهاجرون . قال : وتكلم فى أموال بنى النضير بعض من تكلم من الأنصار ، فعاتبهم الله فى ذلك ، فقال : ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ، قال : وقال رسول الله : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » . فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله ﷺ : « أو غير ذلك ؟ » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم [١١] الثمر » . فقالوا : نعم يا رسول الله [١٢] .

وقوله : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** [١٣] ﴾ يعنى : حاجة ، أى : يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدؤون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أفضلُ الصدقة جَهدُ المقلّ » . وهذا المقام

---

(١) فى م : « الأول » . (٢) فى أ : « أن تورينى » . (٣) فى م : « الليالى الثلاث » .
(٤) فى م ، أ : « ولا هجرة » . (٥) فى م : « مرات » . (٦) فى م : « المرات » .
(٧) فى م : « كبير » . (٨) فى م : « لا نطيق » ، وفى أ : « لا تطيق » .
(٩) المسند (٣/١٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٩٩) .
(١٠) انظر : تحفة الأشراف للمزى (١/ ٣٩٥) وكلام الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف بهامشه .
(١١) فى م : « ويقاسمونكم » .
(١٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/٢٨) .
(١٣) ذكر فى « م » بقية الآية .

أعلى من حال الذين وَصَف اللهُ بقوله : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّه** [١] ﴾ [الإنسان:٨] . وقوله : ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ** ﴾ [البقرة:١٧٧] .

فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه . ومن هذا المقام تصدق الصديق ، رضى الله عنه ، بجميع ماله ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أبقيت لأهلك ؟ » . فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . وهذا [٢] الماء الذى عُرِض [٣] على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه ، وهو جريح مثقل أحوجَ ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثلث ، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا فُضيل بن غَزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعى ، عن أبى هُرَيرة قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أصابنى الجهدُ ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال النبى ﷺ : « ألا رجل يُضَيِّفُ هذا الليلة ، رحمه الله ؟ » . فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضَيفُ رسول الله ﷺ لا تَدّخريه شيئاً . فقالت : والله ما عندى إلا قوتُ الصبية . قال : فإذا أراد الصبيةُ العَشَاء فنوّميهم وتعالى فأطفئى السراج ونَطوى بطوننا الليلة . ففعلَت ، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ ، فقال : « لقد عجب الله ، عز وجل ــ أو : ضحك ــ من فلان وفلانة » . وأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [٤] .

وكذا رواه البخارى فى موضع آخر ، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن فضيل بن غزوان ، به نحوه [٥] . وفى رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة ، رضى الله عنه .

وقوله: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ أى :من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح .

قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا داود بن قيس الفراء ، عن عُبَيد الله بن مِقْسَم ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والظلّم ، فإن الظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشُحَّ ، فإن الشّحَّ أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سَفَكُوا دماءهم واستَحلُّوا محارمهم » .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه عن القَعْنَبِىّ ، عن داود بن قيس ، به [٦] .

وقال الأعمش وشعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأقمر ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا الظُّلْم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفُحْش ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التَّفَحُّشَ ، وإياكم والشُّحَّ ؛ فإنه أهلكَ من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » .

---

(١) فى أ : « حبه مسكيناً » . (٢) فى م : « وهكذا » . (٣) فى م : « اعرضوه » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٨٨٩) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٣٧٩٨) وصحيح مسلم برقم (٢٠٥٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٠٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٨٢) .

(٦) المسند (٣/ ٣٢٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٨) .

ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة ، والنسائى من طريق الأعمش ، كلاهما عن عمرو بن مُرّة ، به [(١)] .

وقال الليث ، عن يزيد [بن الهاد] [(٢)] ، عن سُهَيل بن أبى صالح ، عن صفوان بن أبى يزيد ، عن القعقاع بن اللجلاج [(٣)] ، عن أبى هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخانُ جهنم فى جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبداً » [(٤)].

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا المسعودى، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنى أخاف أن أكون قد هلكت ! فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول : ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ ، وأنا رجل شحيح ، لا أكاد أن أخرج من يدى شيئاً ! فقال عبد الله : ليس ذلك [(٥)] بالشح الذى ذكر فى القرآن ، إنما الشح الذى ذكر الله فى القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذلك [(٦)] البخل ، وبئس الشىء البخل » [(٧)] .

وقال سفيان الثورى ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن أبى الهياج الأسدى قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلاً يقول :« اللهم قنى شح نفسى » . لا يزيد على ذلك ، فقلت لـه ، فـقـال : إنى إذا وقيت شـح نفسى لم أسـرق ولـم أزن ولم أفـعل » ، وإذا الـرجـل عبد الرحمن بن عوف ، رضى الله عنه . ورواه ابن جرير [(٨)] .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن إسحاق ، حدثنا سلميان بن عبد الرحمن الدمشقى ، حدثنا إسماعيل بن عَيّاش ، حدثنا مُجَمع بن جارية الأنصارى ، عن عمه يزيد بن جارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال : « بَرئَ من الشح مَن أدى الزكاة ، وقَرَى الضيف ، وأعطى فى النائبة » [(٩)] .

وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ : هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفىء ، وهم المهاجرون ثم الأنصار ، ثم التابعون بإحسان ، كما قال فى آية براءة : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] .فالتابعون لهم بإحسان

(١) المسند (٢/ ١٥٩) وسنن أبى داود برقم (١٦٩٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٨٣) .

(٢) زيادة من م ، أ .

(٣) فى م : « الجلاح » .

(٤) رواه النسائى فى السنن (٦/ ١٣) .

(٥) فى م : « ليس ذاك » .

(٦) فى م : « ذاك » .

(٧) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٢٩) من طريق جامع به .

(٨) تفسير الطبرى (٢٨/ ٢٩) .

(٩) تفسير الطبرى (٢٨/ ٢٩) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (١٠٨٤٢) من طريق محمد بن إسحاق به، وروى مرسلاً ، رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٤/ ١٨٨) من طريق عمرو بن يحيى وإبراهيم بن إسماعيل ، وابن حبان فى الثقات (٤/ ٢٠٢) من طريق ابن المبارك ، كلهم عن مجمع بن يحيى ، عن عمه مرسلاً .

هم : المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم فى السر والعلانية ؛ ولهذا قال فى هذه الآية الكريم : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ** ﴾ أى: قائلين: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً** ﴾ أى: بغضاً وحسداً ﴿ **لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الرافضى الذى يسبّ الصحابة ليس له فى مال الفىء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ،عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم، فسبوهم ! ثم قرأت هذه الآية :﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾ الآية .

وقال إسماعيل بن عُلَية ، عن عبد الملك بن عمير ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ ، فسببتموهم . سمعتُ نبيكم ﷺ يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » . ورواه البغوى [(١)] .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن الزهرى قال : قال عمر ، رضى الله عنه : ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ** ﴾ قال الزهرى : قال عمر : هذه لرسول الله ﷺ خاصة ، قُرى [عربية : فَدَك وكذا] [(٢)] وكذا ، فما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ ، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ** ﴾ ، فاستوعبت هذه الآية الناس ، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق ــ قال أيوب: أو قال: حظ ــ إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود ، وفيه انقطاع [(٣)] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عكرمة ابن خالد ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال : قرأ عمر بن الخطاب : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ حتى بلغ ﴿ **عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٦٠] ، ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ [وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ]** [(٤)] ﴾ [الأنفال: ٤١] ، ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ** ﴾ حتى بلغ للفقراء ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ** ﴾ ، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ** ﴾ ثم قال : استوعبت هذه الآية المسلمين عامة ،

---

(١) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٨٠) وله شاهد فى صحيح مسلم برقم (٣٠٢٢) عن عروة قال : قالت لى عائشة : « يا بن أختى ، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبى ﷺ فسبوهم » .

(٢) زيادة من م ، أ ، وسنن أبى داود .

(٣) سنن أبى داود برقم (٢٩٦٦) .

(٤) زيادة من م .

وليس أحد إلا له فيها حق [١] ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعى ـ وهو بسرو حمير ـ نصيبه فيها، لم يعرق فيها جبينه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ (١٢) لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) ﴾ .

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبى وأضرابه ، حين بعثوا إلى يهود بنى النضير يَعدُونهم النصر من أنفسهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أى : لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم [٢] قالوا لهم قولاً ومن نيتهم ألا يفوا لهم به ، وإما أنهم [٣] لا يقع منهم الذى قالوه ؛ ولهذا قال :﴿ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ ﴾ أى : لا يقاتلون معهم ، ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾ أى : قاتلوا معهم ﴿ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ ﴾ ، وهذه بشارة مستقلة بنفسها .

ثم قال تعالى : ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾ أى : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [النساء:٧٧] ؛ ولهذا قال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ[٤] ﴾ يعنى : أنهم من جُبنهم وهلَعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة [٥] ، بل إما فى حصون أو من وراء جدر [٦] محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة .

---

(١) فى أ : « فيها جزء » .
(٢،٣) فى م : « إما لأنهم » .
(٤) فى م ، أ : « أو من وراء جدار » .
(٥) فى م : « والمقاتلة » .
(٦) فى م ، أ : « أو من وراء جدار » .

ثم قال : ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أى : عداوتهم [فيما][(١)] بينهم شديدة ، كما قال : ﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ؛ ولهذا قال : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ أى : تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف .

قال إبراهيم النخعى : يعنى : أهل الكتاب والمنافقين ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال مجاهد ، والسدى ، ومقاتل بن حيان : [يعنى][(٢)] : كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر .

وقال ابن عباس : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعنى : يهود بنى قينقاع . وكذا قال قتادة ، ومحمد ابن إسحاق .

وهذا القول أشبه بالصواب ، فإن يهود بنى قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ يعنى : مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين ، وقول المنافقين لهم : ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ ثم لما حقت الحقائق وجَدَّ بهم الحصار والقتال ، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثالهم فى هذا كمثل الشيطان إذ [(٣)]سول للإنسان ــ والعياذ بالله ــ الكفر ، فإذا دخل فيما سوله [(٤)] تبرأ منه وتنصل ، وقال : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل هى كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشاكله لها ، فقال ابن جرير :

حدثنا خَلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شُمَيْل ، أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، سمعت عبد الله بن نَهيك قال : سمعت علياً ، رضى الله عنه ، يقول : إن راهباً تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنَّها ولها إخوة ،فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها. قال : فجاؤوا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، إنك أعييتنى ، أنا صنعت هذا بك فأطعنى أنجك مما صنعت بك ، اسجد لى سجدة . فسجد له ، فلما سجد له قال: إنى برىء منك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [(٥)] .

وقال ابن جرير : حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : كانت

---

(١) زيادة من م ، أ . (٢) زيادة من أ . (٣) فى م : « إذا » .
(٤) فى م ، أ : « سوله له » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٨/ ٣٣) .

امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة أخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب . قال : فنزل الراهب ففجَر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها ، فإنك رجل مُصدَّق يسمع قولك. فقتلها ثم دفنها. قال : فأتى الشيطانُ إخوتها فى المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة فجَر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فى مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا ، بل قصها علينا . قال: فقصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك . فقالوا : فوالله ما هذا إلا لشىء . قال : فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال : إنى أنا الذى أوقعتك فى هذا ، ولن ينجيك منه غيرى، فاسجد لى سجدة واحدةً وأنجيك مما أوقعتك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به مَلكهم تَبَرأ منه ، وأُخِذَ فقتل [1] .

وكذا روى عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك .واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا ، والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جُرَيج العابد ، فإن جريجاً اتهمته امرأة بَغى بنفسها ، وادعت أن حَملها منه ، ورفعت أمره إلى ولى الأمر ، فأمر به فأنزل من صومعته وخُربت صومعته وهو يقول : ما لكم ؟ ما لكم ؟ فقالوا : يا عدو الله ، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا . فقال جريج : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال : يا غلام ، من أبوك؟ قال [2] :أبى الراعى ــ وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ــ فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب. قال: لا، بل أعيدوها من طين، كما كانت.

وقوله : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ﴾ أى :فكانت عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له، وتصيرهما [3] إلى نار جهنم خالدين فيها ، ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ أى : جزاء كل ظالم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عون بن أبى جُحَيْفة ، عن المنذر ابن جرير ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار ، قال : فجاءه قوم حُفَاة عُراة مُجْتَابى النمار ــ أو : العَبَاء ــ مُتَقَلِّدِى السيوف عامتهم من مُضَر ، بل كلهم من مضر ، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام الصلاة ، فصلى ثم خطب ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى آخر الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] . وقرأ الآية التى فى الحشر : ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ،

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٣٣) .

(٢) فى م : « فقال » .

(٣) فى م : « ومصيرهما » .

تَصَدَّق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرِّه ، من صاع تمره ـ حتى قال ـ : ولو بشق تمرة » . قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تَعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مُذْهبة ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن يَنقُص من أجورهم شىء ، ومن سَنَّ فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة ، بإسناد مثله (١) .

فقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ : أمر بتقواه ، وهى تشمل فعل ما به أمر ، وترك ما عنه زجر .

وقوله : ﴿ **وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴾ أى : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ : تأكيد ثان ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ أى : اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم (٢) ، لا تخفى عليه منكم خافية ، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير .

وقال (٣) : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ أى : لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التى تنفعكم فى معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ؛ ولهذا قال : ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ أى : الخارجون عن طاعة الله ، الهالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، كما قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون:٩] .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى :حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى ،حدثنا [أبو] (٤) المغيرة ، حدثنا حَرِيز بن عثمان ، عن نعيم بن نَمحة قال : كان فى خطبة أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله ، عز وجل ، فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله ، عز وجل . إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا فى أيام سلفهم ، وخلوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيؤوا منه ليوم ظلمة ، [واتضحوا بسنائه وبيانه] (٥) إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾

---

(١) المسند (٣٥٨/٤) وصحيح مسلم برقم (١٠١٧) .

(٢) فى م : « وخفيها » . (٣) فى م : « وقوله » .

(٤) زيادة من المعجم الكبير للطبرانى .

(٥) زيادة من م ، والمعجم الكبير .

[الأنبياء: ٩٠] ، لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ، ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم (١) .

هذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ حَريز بن عثمان ، وهو نعيم بن نمحة ، لا أعرفه بنفى ولا إثبات ، غير أن أبا داود السجستانى قد حكم بأن شيوخ حَريز كلهم ثقات . وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ أى (٢) : لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله يوم القيامة ، كما قال : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] ، وقال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ ﴾ الآية [غافر: ٥٨] . وقال : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨] ؟ فى آيات أخر دالات على أن الله ، سبحانه ، يكرم الأبرار ، ويهين الفجار ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أى : الناجون المسلمون من عذاب الله ، عز وجل .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ .

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ، ومبيناً علو قدره ، وأنه ينبغى أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ أى : فإن كان الجبل فى غلظته وقساوته ،لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ،لخشع وتصدع من خوف الله ، عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

قال العوفى : عن ابن عباس فى قوله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ [لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا] (٣) ﴾ إلى آخرها ، يقول : لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حمّلته إياه ، لتصدع (٤) وخشع من ثقله ، ومن خشية الله . فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآنُ أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع . ثم

---

(١) المعجم الكبير (١/ ٦٠) .

(٢) بياض فى م .

(٣) زيادة من م .

(٤) فى م : « لصدع » .

قال : كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون . وكذا قال قتادة ، وابن جرير .

وقد ثبت فى الحديث المتواتر : أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع ، وجاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حَنّ الجذع وجعل [(١)] يئن كما يئن الصبى الذى يُسكَّن [(٢)]، لما كان يُسمَع من الذكر والوحى عنده . ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد إيراده : «فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع » [(٣)] . وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته ، لخشعت وتصدعت من خشيته [(٤)] ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى** ﴾ الآية [الرعد:٣١] . وقد تقدم أن معنى ذلك : أى لكان هذا القرآن . وقال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ [البقرة:٧٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ : أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ، ولا إله للوجود سواه ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب [(٥)] والشهادة ، أى : يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ، ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير ، حتى الذر فى الظلمات .

وقوله : ﴿ **هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾ : قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير ، بما أغنى عن إعادته هاهنا . والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ** ﴾ [الأعراف:١٥٦] ، وقال : ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [الأنعام:٥٤] ، وقال : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس:٥٨] .

وقال [(٦)] : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ** ﴾ أى: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة .

وقوله : ﴿ **الْقُدُّوسُ** ﴾ : قال وهب بن منبه : أى الطاهر . وقال مجاهد ، وقتادة : أى المبارك: وقال ابن جريج : تقدسه الملائكة الكرام .

---

(١) حديث حنين الجذع رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٥٨٣) من حديث ابن عمر ، وبرقم (٣٥٨٤،٣٥٨٥) من حديث جابر ، رضى الله عنه .

(٢) فى م : « يسكت » .

(٣) رواه أبو القاسم البغوى كما فى البداية والنهاية للمؤلف (٦/ ١٣٢) من طريق شيبان بن فروخ ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن أنس فى قصة الجذع ، ثم زاد : فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : « يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه » .

(٤) فى م : « من خشية الله » . (٥) فى م : « بالغيب » . (٦) فى م : « ثم قال » .

﴿ السَّلَامُ ﴾ أى : من جميع العيوب والنقائص ؛ بكماله [١] فى ذاته وصفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ الْمُؤْمِنُ ﴾ قال الضحاك ، عن ابن عباس: [أى] [٢] أمن خلقه من أن يظلمهم . وقال قتادة : أمَّن بقوله : إنه حق . وقال ابن زيد : صَدّق عبادَه المؤمنين فى إيمانهم به .

وقوله : ﴿ الْمُهَيْمِنُ ﴾ : قال ابن عباس وغير واحد : أى [٣] : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى : هو رقيب عليهم ، كقوله : ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج:٩] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس:٤٦] .

وقوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الآية [الرعد:٣٣] .

وقوله : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ أى : الذى قد عزّ كل شىء فقهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه ؛ لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ؛ ولهذا قال : ﴿ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾ أى : الذى لا تليق الجَبْرِيّة إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم فى الصحيح : « العَظَمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما عذَّبته » .

وقال قتادة : الجبار : الذى جَبَر خلقه على ما يشاء .

وقال ابن جرير : الجبار : المصلحُ أمورَ خلقه ، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم .

وقال قتادة : المتكبر : يعنى عن كل سوء .

ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٤] ﴾ .

وقوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ : الخلق : التقدير ، والبَراء : هو الفرى ، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود ، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ، عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر [٥] :

ولأنت تَفرى ما خَلَقت وبعـ ـضُ القوم يَخلُق ثم لا يَفْرى

أى : أنت تنفذ ما خلقت ، أى : قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد . فالخلق : التقدير . والفرى : التنفيذ . ومنه يقال : قدر الجلاد ثم فَرَى ، أى : قطع عل ما قدره بحسب ما يريده .

وقوله تعالى : ﴿ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ أى : الذى إذا أراد شيئاً قال له : كن ، فيكون على الصفة التى يريد ، والصورة التى يختار . كقوله : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الإنفطار:٨] ولهذا قال : ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أى : الذى ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التى يريدها .

---

(١) فى م : « لكماله » . (٢) زيادة من م . (٣) فى م : « إنه » .

(٤) فى م : « يصفون » وهو خطأ .

(٥) هو زهير بن أبى سلمى يمدح به هرم بن سنان ، والبيت فى ديوانه (ص٩٤) أ . هـ مستفاداً من حاشية ط الشعب .

وقوله : ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ : قد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة الأعراف » ، وذكر الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » . وتقدم سياق الترمذى وابن ماجة له ، عن أبى هريرة أيضا ، وزاد بعد قوله : « وهو وتر يحب الوتر » ـ واللفظ للترمذى ـ : « هو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ،الظاهر ، الباطن، الولى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور » .

وسياق ابن ماجة بزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته هنا [(١)] [(٢)] .

وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ كقوله : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أى : فلا يرام جَنَابه ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ فى شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا خالد ــ يعنى : ابن طَهْمَان ، أبو العلاء الخَفَّاف ــ حدثنا نافع ابن أبى نافع ، عن مَعقِل بن يسار ، عن النبى ﷺ قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وَكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » .

ورواه الترمذى عن محمود بن غَيْلان ، عن أبى أحمد الزبيرى ، به [(٣)]، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(١) فى م : « ها هنا » .

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٣) المسند (٥/٢٦) وسنن الترمذى برقم (٢٩٢٢) .

تفسير سورة الممتحنة

وهى مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) ﴾ .

كان سبب نزول صدر هذه السورة [١] الكريمة قصة حاطب بن أبى بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال [٢] ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً [٣] لعثمان . فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبى ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم ، وقال : « اللهم ، عَمِّ عليهم خبرنا » . فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً ، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة ، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ [من غزوهم] [٤] ، ليتخذ بذلك عندهم يداً ، فأطلع الله رسوله على ذلك [٥] ، استجابة لـدعائه. فبعث فى أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين فى الحديث المتفق على صحته . قال الإمام أحمد :

حدثنا سفيان ، عن عَمْرو ، أخبرنى حَسَن بن محمد بن على ، أخبرنى عُبَيد الله [٦] بن أبى رافع ــ وقال مرة : إن عبيد الله بن أبى رافع أخبره : أنه سمع علياً ، رضى الله عنه ، يقول : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظَعينة معها كتاب ، فخذوه منها » . فانطلقنا تَعَادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجى الكتاب . قالت : ما معى كتاب . قلنا : لتخرجن الكتاب أو لنُلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من عِقَاصها ، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة

---

(١) فى هـ : « الآية » ، والمثبت من م ، أ .
(٢) فى م : « وأموال » .
(٣) فى أ : « ضيفاً » .
(٤) زيادة من م .
(٥) فى م : « فأصلح الله على ذلك رسوله » .
(٦) فى م : « عبد الله »

إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » . قال : لا تعجل على ، إنى كنت امرأ مُلصَقاً فى قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة ، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتى ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن دينى ولا رضى بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « إنه صَدَقكم » . فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لَعَلّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة ، من غير وجه ، عن سفيان بن عُيَينة ، به [١] . وزاد البخارى فى كتاب « المغازى » : فأنزل الله السورة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [٢] . وقال فى كتاب التفسير : قال عمرو : ونزلت فيه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ قال [٣] : « لا أدرى الآية فى الحديث أو قال عمرو » . قال البخارى : قال على ـــ يعنى : ابن المدينى ـــ : قيل لسفيان فى هذا : نزلت ﴿ **لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ ؟ فقال سفيان : هذا فى حديث الناس ، حفظته من عمرو ، ما تركت منه حرفاً ، وما أرى [٤] أحداً حفظه غيرى [٥] .

وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث حُصَين بن عبد الرحمن ، عن سعد [٦] بن عُبَيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على قال : بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مَرْثَد ، والزبير بن العوام ، وكلنا فارس ، وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلى المشركين : فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا : الكتابُ ؟ فقالت: ما معى كتاب . فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً ، فقلنا : ما كذب رسول الله ﷺ ! لتخرجن الكتاب أو لنُجردنك . فلما رأت الجد أهوت إلى حُجْزتها وهى مُحتَجِزة بكساء فأخرجته . فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمر : يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فَدعنى فلأضْرِب عنقه . فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » . قال : والله ما بى إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن تكون لى عند القوم يَدٌ يدفع الله بها عن أهلى ومالى ، وليس أحد من أصحابك إلا له هنالك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: « صدق ، لا تقولوا له إلا خيراً ». فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعنى فلأضرب عنقه . فقال : « أليس من أهل بدر؟ » فقال : « لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ـــ أو:

---

(١) المسند (١/ ٧٩، ٨٠) وصحيح البخارى برقم (٣٠٠٧، ٤٨٩٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤٩٤) وسنن أبى داود برقم (٢٦٥٠) وسنن الترمذى برقم (٣٣٠٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٨٥) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٢٧٤) .

(٣) فى م : « وقال » .

(٤) فى م : « ولا أرى » .

(٥) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٠) .

(٦) فى م : « عن سعيد » .

قد غفرت لكم » . فدَمِعت عينا عُمر ، وقال : الله ورسوله أعلم [(١)] .

هذا لفظ البخارى فى « المغازى » فى غزوة بدر ، وقد روى من وجه آخر عن على قال ابن أبى حاتم :

حدثنا على بن الحسن الهِسْنجَانى ، حدثنا عبيد بن يعيش ، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى ، عن أبى سِنان ــ هو سعيد بن سنان ــ عن عمرو بن مُرة الجَمَلى ، عن أبى البخترى الطائى [(٢)] ، عن الحارث ، عن على قال : لما أراد النبى ﷺ أن يأتى مكة ، أسرّ إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبى بلتعة وأفشى فى الناس أنه يريد خيبر . قال : فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم . فأخبر رسول الله ﷺ قال : فبعثنى رسول الله ﷺ وأبا مَرثْد، وليس منا رجل إلا وعند [(٣)] فرس ، فقال : « ائتوا روضة خاخ ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب، فخذوه منها » . فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذَكَر رسولُ الله ﷺ . فقلنا لها : هات الكتاب . فقالت : ما معى كتاب . فوضعنا متاعها وفتشناها [(٤)] فلم نجده فى متاعها ، فقال أبو مرثد: لعله ألا يكون معها . فقلت : ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا [(٥)] . فقلنا لها : لتخرجِنَّه أو لنُعرينَّك . فقالت : أما تتقون الله ؟ ! ألستم مسلمين ؟ فقلنا : لتخرجنه أو لنعرينَّك . قال عمرو بن مرة : فأخرجته من حُجُزَتها . وقال حبيب بن أبى ثابت : أخرجته [(٦)] من قُبُلها . فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، خان الله ورسوله ، فائذن لى فلأضرب عنقه . فقال رسول الله : « أليس قد شهد بدراً ؟ » . قالوا : بلى . قال عمر : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك . فقال رسول الله ﷺ : « فلعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، إنى بما تعملون بصير » . ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال : « يا حاطب ، ما حملك على ما صنعت ؟ » . فقال : يا رسول الله ، إنى كنت امرأ مُلصَقاً فى قريش ، وكان لى بها مال وأهل ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله ، فكتبت إليهم بذلك والله ــ يا رسول الله ــ إنى لمؤمن بالله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : « صدق حاطب ، فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً » . قال [(٧)] حبيب ابن أبى ثابت : فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ** ﴾ الآية .

وهكذا رواه ابن جرير ،عن ابن حميد ، عن مِهْران ، عن أبى سِنان ــ سعيد بن سنان ــ بإسناده مثله[(٨)] . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازى والسير ، فقال محمد بن إسحَاق بن يَسَار فى السيرة :

حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَة بين الزبير وغيره من علمائنا قال : لما أجمع رسول

---

(١) صحيح البخارى برقم (٣٩٨٣) وصحيح مسلم برقم (٢٤٩٤) .
(٢) فى هـ : « عن أبى إسحاق البخترى الطائى » والمثبت من الطبرى .
(٣) فى م ، أ : « وعنده » .
(٤) فى م : « وفتشناه » .
(٥) فى م : « ولا كُذب » .
(٦) فى م : « فأخرجته » .
(٧) فى م : « فقال » .
(٨) تفسير الطبرى (٢٣/٣٨) .

الله ﷺ المسير[١] إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ـ زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم غيره أنها : سارة ، مولاة لبنى عبد المطلب ـ وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قُريشاً فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا [٢] له من أمرهم » .

فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيْفة ـ خليفة [٣] بنى أبى أحمد ـ فاستنزلاها بالخليفة ، فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا[٤]، ولتُخرجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك . فلما رأت الجدّ منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قُرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه . فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » . فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله[٥] ، ما غَيَّرت ولا بَدّلت، ولكن كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم وَلَد وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعنى فَلأضربْ عنقه، فإن الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ :« وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ». فأنزل الله ، عز وجل، فى حاطب : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: ٤] إلى آخر القصة [٦] .

وروى مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُرْوَة نحو ذلك . وهكذا ذكر مقاتل بن حيان : أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة : أنه بعث سارة مولاة بنى هاشم ، وأنه أعطاها عشرة دراهم ، وأن رسول الله ﷺ بعث فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، فأدركاها بالجحفة . . . وذكر تمام القصة كنحو ما تقدم. وعن السدى قريب منه. وهكذا قال العوفى ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغير واحد : إن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة .

فقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ يعنى : المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين ، الذين شرع الله [٧] عداوتهم ومصارمتهم ، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء ، كما قال :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [المائدة: ٥١] .

(١) فى م : « السير » . (٢) فى م ،أ : « اجتمعنا » . (٣) فى أ : « بالحليفة حليفة » .
(٤) فى م : « ولا كذبنا » . (٥) فى م : « وبرسوله » .
(٦) ورواه الطبرى فى تفسيره (٢٣/٣٩) من طريق أبى إسحاق .
(٧) فى م : « شرع لهم » .

وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٧] . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٤٤] . وقال تعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران:٢٨] ؛ ولهذا قَبِل رسول الله ﷺ عُذْرَ حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش ،لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد .

ويذكر هاهنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد :

حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا الأجلح ، عن قيس بن أبى مسلم ، عن ربعى بن حِرَاش ، سمعت حُذيفة يقول : ضَرَب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً : واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة ، وتسعة ، وأحد عشر ــ قال : فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرها ، قال : « إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعداء، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فَعَمَدوا إلى عَدُوهم فاستعملوهم وسلّطوهم ، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » [(١)] .

وقوله: ﴿ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ :هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم؛ لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم ، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ؛ ولهذا قال : ﴿ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ أى : لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين ، كقوله : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج:٨] ، وكقوله : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [الحج: ٤٠] .

وقوله : ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ﴾ أى : إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ، إن كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقاً عليكم وسخطاً لدينكم .

وقوله : ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ أى : تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ أى: لو قدروا عليكم لما اتقوا [(٢)] فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال . ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ أى : ويحرصون على ألا تنالوا خيراً ، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة ، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً .

وقوله : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أى : قراباتكم لا تنفعكم عند الله [(٣)] إذا أراد الله بكم سوءاً ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتموهم بما

(١) المسند (٥/٤٠٧) وقال الهيثمى فى المجمع (٥/٢٣٢) : « وفيه الأجلح الكندى وهو ثقة وقد ضعف ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) فى أ : « لما أبقوا » . (٣) فى م : « عند الله ولا أولادكم » .

يسخط الله ، ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخَسِر وضَلّ عمله ، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ، ولو كان قريباً إلى نبى من الأنبياء . قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً قال : يا رسول الله : أين أبى؟ قال : « فى النار » فلما [1] قَفَّى دعاه فقال : « إن أبى وأباك فى النار » .

ورواه مسلم وأبو داود ، من حديث حماد بن سلمة ، به [2] .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) ﴾ .

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم : **﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾** أى : وأتباعه الذين آمنوا معه **﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ ﴾** أى : تبرأنا منكم **﴿ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾** أى : بدينكم وطريقكم ، **﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾** يعنى : وقد شُرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم **﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾** أى : إلى أن تُوحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له ، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان .

وقوله : **﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾** أى : لكم فى إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها ، إلا فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإنه إنما كان عن مَوعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يَدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ، ويقولون : إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه ، فأنزل الله ، عز وجل : **﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ . وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾** [التوبة:١١٣ ، ١١٤] . وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة : **﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾** إلى قوله : **﴿ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾** أى :

---

(١) فى م : « قال : فلما » .

(٢) المسند (٣/٢٦٨) وصحيح مسلم برقم (٢٠٣) وسنن أبى داود برقم (٤٧١٨) .

ليس لكم فى ذلك أسوة ، أى : فى الاستغفار للمشركين، هكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والضحاك وغير واحد .

ثم قال تعالى مخبراً عن قول إبراهيم والذين معه ، حين فارقوا قومهم وتبرؤوا منهم ، فلجؤوا إلى الله وتضرّعوا [(١)] إليه فقالوا : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أى : توكلنا عليك فى جميع الأمور ، وسلَّمنا أمورَنا إليك ، وفوضناها إليك ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أى : المعاد فى الدار الآخرة . ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال مجاهد : معناه : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة لا تُظْهِرهم علينا فيفتتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه . واختاره ابن جرير [(٢)] .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله : ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : واستر ذنوبنا عن غيرك ، واعف عنها فيما بيننا وبينك ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : الذى لا يُضَام من لاذ بجناحك[(٣)] ، ﴿الْحَكِيمُ ﴾ فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ : وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبة [(٤)] هاهنا هى الأولى بعينها .

وقوله : ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ : تهييج إلى ذلك كل مقر [(٥)] بالله والمعاد .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أى : عما أمر الله به ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ كقوله : ﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨] .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس :﴿ الْغَنِيُّ ﴾ : الذى [قد] [(٦)] كمل فى غناه ، وهو الله ، هذه صفته لا تنبغى إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شيء ، سبحان الله الواحد القهار . ﴿الْحَمِيدُ ﴾ : المستحمد إلى خلقه ، أى : هو المحمود فى جميع أفعاله وأقواله ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن

(١) فى م : « وضرعوا » .
(٢) تفسير الطبرى (٢٨/ ٤٢) .
(٣) فى أ : « بجنابك » . (٤) فى أ : « المبينة » . (٥) فى م : « لكل موقن » .
(٦) زيادة من م .

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين : ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً** ﴾ أى : محبة بعد البِغْضَة ، ومودة بعد النَّفرة ، وألفة بعد الفرقة . ﴿ **وَاللَّهُ قَدِيرٌ** ﴾ أى : على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة ، فتصبح مجتمعة متفقة ، كما قال تعالى ممتناً على الأنصار : ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ﴾ الآية [آل عمران:١٠٣] . وكذا قال لهم النبى ﷺ: « ألم أجدْكُم ضُلالاً فهداكم الله بى ، وكنتم متفرقين فألَّفكُم الله بى ؟ » [(١)] . وقال الله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]. وفى الحديث « أحبِبْ حَبيبَكَ هوناً مّا ، فعسى أن يكونَ بَغيضَكَ يوماً ما . وأبغِض بغيضَك هوناً ما ، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما » [(٢)]. وقال الشاعر [(٣)] :

وَقَد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما ... يَظُنان كُل الظنّ ألا تَلاقيَا

وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ أى : يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له ، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه ، من أىّ ذنب كان .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية نزلت فى أبى سفيان ،صخر بن حرب ، فإن رسول الله ﷺ تزوج ابنته ، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه .

وفى هذا الذى قاله مقاتل نظر ؛ فإن رسول الله تزوج بأم حبيبة بنت أبى سفيان قبل الفتح ، وأبو سفيان إنما أسلم [(٤)] ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبى حاتم حيث قال :

قُرِئَ على محمد بن عَزِيز : حدثنى سلامة ، حدثنى عقيل ، حدثنى ابن شهاب ؛ أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن ، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقى ذا الخمار مرتداً ، فقاتله ، فكان أول من قاتل فى الردة وجاهد عن الدين . قال ابن شهاب : وهو ممن أنزل

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٣٣٠) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ، رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى فى السنن برقم (١٩٩٧) من طريق سويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ،عن أبى هريرة مرفوعاً به ، وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبى جعفر ، وهو حديث ضعيف أيضاً بإسناد له عن على ، عن النبى ﷺ ، والصحيح عن على موقوف قوله » .

(٣) هو قيس بن الملوح كما فى ديوانه (ص٣١٥) واللسان ، مادة « شتت » أ . هـ . مستفاداً من حاشية ط ـ الشعب.

(٤) فى م : « وإنما أسلم أبو سفيان » .

الله فيه : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وفي صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطنيهنّ . قال: « نعم » . قال : وتؤمّرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : « نعم » . قال : وعندى أحسن العرب وأجمله ، أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها . . . الحديث . وقد تقدم الكلام عليه (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُم ﴾ أى : لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم فى الدين ، كالنساء والضعفة منهم ، ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ أى : تحسنوا إليهم ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ أى : تعدلوا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء ــ هى بنت أبى بكر ، رضى الله عنهما ــ قالت : قَدِمت أمى وهى مشركة فى عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيتُ النبى (٣) ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن أمى قدمت وهى راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « نعم ، صلى أمك » أخرجاه (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه قال: قدمت قُتَيلة على ابنتها أسماء ابنة أبى بكر بهدايا : صِنَاب وأقط (٥) وسمن ، وهى مشركة ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبى ﷺ ، فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ إلى آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها ، وأن تدخلها بيتها .

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من حديث مصعب بن ثابت ، به (٦) . وفى رواية لأحمد وابن (٧) جرير : « قُتَيلة بنت عبد العزى بن [عبد] (٨) أسعد ، من بنى مالك بن حسل (٩) . وزاد ابن أبى حاتم : « فى المدة التى كانت بين قريش ، ورسول الله ﷺ » .

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ١٣٠) وعزاه لابن أبى حاتم ، وهو مرسل .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٠١) من حديث ابن عباس ، رضى الله عنه ، وقول الحافظ :« تقدم الكلام عليه»لا أدرى ما مقصوده ، فإنه ذكر الحديث عند تفسير الآية :٢٢٧ من سورة الشعراء ، ولم يتكلم عليه بشىء ، و قد يكون تكلم عليه فى مكان آخر لم أقع عليه ، والله أعلم .والحديث استشكل ، فقول أبى سفيان فى الحديث: وعندى أم حبيبة أزوجكها ، منقوض بأن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة ، والنبى ﷺ تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل . انظر كلام الإمام النووى فى : المنهاج (١٦/ ٦٣) وإجابته على ذلك .

(٣) فى م : « رسول الله » .

(٤) الحديث وقع لى من غير هذا الطريق ، انظر :المسند (٦/ ٣٤٤،٣٤٧) وصحيح البخارى برقم (٢٦٢٠،٣١٨٣،٥٩٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٠٠٣) .

(٥) فى م :« وصناب وقرظ » ،وفى أ : « وضباب وقرط » ، والمثبت من الطبرى .

(٦) المسند (٤/ ٤) وتفسير الطبرى (٢٨/ ٤٣) .

(٧) فى م : « ولابن » .

(٨) زيادة من مسند الإمام أحمد .

(٩) فى أ :« قبيلة بنت العزى بن سعد من بنى مالك بن حنبل » .

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة ، حدثنا أبو قتادة العدوى ، عن ابن أخى الزهرى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا : قدمت علينا أمنا المدينة ، وهى مشركة ، فى الهدنة التى كانت بين قريش وبين رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله ، إن أمنا قدمت علينا المدينة راغبةً ، أفنصلها ؟ قال : «نعم ، فَصِلاها » (١) .

ثم قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة إلا من هذا الوجه .

قلت : وهو منكر بهذا السياق ؛ لأن أم عائشة هى أم رومان ، وكانت مسلمة مهاجرة ، وأم أسماء غيرها ، كما هو مصرح باسمها فى هذه الأحاديث المتقدمة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ : تقدم تفسير ذلك فى سورة « الحجرات » ، وأورد الحديث الصحيح :« المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ، الذين يعدلون فى حكمهم ، وأهاليهم ، وما وَلُوا » (٢) .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ : أى : إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم العداوة ، فقاتلوكم وأخرجوكم ، وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) ﴾ .

---

(١) مسند البزار برقم (١٨٧٣) « كشف الأستار » وقال الهيثمى : « حديث أسماء فى الصحيح ، وأم عائشة غير أم أسماء » ؛ ولهذا أنكره الحافظ هنا ، وفيه عبد الله بن شبيب شيخ البزار ضعيف .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو ، رضى الله عنهما .

تقدم فى سورة « الفتح » ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش ، فكان فيه : « على ألا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا ». وفى رواية: « على أنه لا يأتيك منا أحد ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا » . وهذا قول عروة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد ، والزهرى ، ومقاتل ، والسدى . فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة ، وهذا من أحسن أمثلة ذلك ، وعلى طريقة بعض السلف ناسخة ، فإن الله ، عز وجل ، أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن عَلِموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .

وقد ذكرنا فى ترجمة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش ، من المسند الكبير ، من طريق أبى بكر ابن أبى عاصم ، عن محمد بن يحيى الذهلى ، عن يعقوب بن محمد ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن مُجَمِّع بن يعقوب ، عن حسين بن أبى لُبانة ، عن عبد الله بن أبى أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيط فى الهجرة ، فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلماه فيها أن يردها إليهما ، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين فى النساء خاصة ، ومنعهن أن يُرْدَدْنَ إلى المشركين ، وأنزل الله آية الامتحان [١] .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا يونس بن بُكَيْر ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن أبى نصر الأسدى قال : سُئِل ابنُ عباس : كيف كان امتحانُ رسول الله ﷺ النساءَ ؟ قال : كان يمتحنهن : بالله ما خَرجت من بُغض زوج ؟ وبالله ما خَرجت رَغبةً عن أرض إلى أرض؟ وبالله ما خرجت التماس دنيا؟ وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله؟[٢].

ثم رواه من وجه آخر ، عن الأغر بن الصباح ، به . وكذا رواه البزار من طريقه ، وذكر فيه أن الذى كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب [٣] .

وقال العوفى ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾ : كان امتحانهن أن يَشهدْن أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله [٤] ورسوله .

وقال مجاهد : ﴿ **فَامْتَحِنُوهُنَّ** ﴾ : فاسألوهن : ما جاء بهن ؟ فإن كان جاء بهن غضبٌ على أزواجهن أو سَخْطة أو غيره ، ولم يؤمنّ فارجعوهن إلى أزواجهن .

وقال عكرمة : يقال لها : ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ؟ وما جاء بك عشق رجل منا ، ولا

---

(١) جامع المسانيد و السنن لابن كثير (٧/ ٢٤٣) ورواه ابن الأثير فى أسد الغابة (٣/ ٦٧) من طريق أبى بكر بن أبى عاصم ، وعبد العزيز ابن عمران ضعيف .

(٢) تفسير الطبرى (٢٨/ ٤٤) .

(٣) مسند البزار برقم (٢٢٧٢) « كشف الأستار » وقال : « لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد،ولا روى عن أبى نصر إلا خليفة ». قال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٢٣) : « وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى ، وضعفه غيرهما ، وبقية رجاله ثقات » . وتعقبه ابن حجر فى مختصر الزوائد (١/ ١١٢) . قلت :« أعله الشيخ بقيس ، وقد ذكر البخارى أن أبا نصر لم يسمع من ابن عباس فهى العلة » .

(٤) فى م : « وأن محمداً عبده » .

فرار من زوجك ؟ فذلك قوله : ﴿ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ .

وقال قتادة : كانت محنتهن أن يستحلفن بالله : ما أخرجكن النشوز ؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحِرص عليه ؟ فإذا قلن ذلك قُبِل ذلك منهن .

وقوله : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ : فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً .

وقوله : ﴿ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ : هذه الآية هى التى حَرّمَت المسلمات على المشركين ، وقد كان جائزاً فى ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ؛ ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبى ﷺ زينب ، رضى الله عنها ، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه ، فلما وقع فى الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينت فى فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة ، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقّ لها رقّةً شَدِيدَةً ، وقال للمسلمين : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا » . ففعلوا ، فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه ، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده ، وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة ، رضى الله عنه ، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر ، وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها العاص بن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ، ولم يحدث لها صداقاً ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن إسحاق ، حدثنى داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينت على أبى العاص [بن الربيع] (١) ، وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ، ولم يحدث شهادة ولا صَدَاقاً .

ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجة (٢) . ومنهم من يقول : « بعد سنتين » ، وهو صحيح ؛ لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين . وقال الترمذى : « ليس بإسناده بأس ، ولا نعرف (٣) وجه هذا الحديث ، ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين . وسمعت عبد بن حميد يقول : سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث ، وحديث ابن الحجاج ـ يعنى ابن أرطاة ـ عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبى العاص ابن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد . فقال يزيد : حديث ابن عباس أجودُ إسناداً ، والعمل على حديث عمرو بن شعيب » .

قلت : وقد رَوَى حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب الأمامُ أحمد والترمذى وابن ماجة (٤) ، وضعفه الإمام أحمد وغير واحد ، والله أعلم .

---

(١) زيادة من مسند الإمام أحمد .
(٢) المسند (١/ ٢٦١) وسنن أبى داود برقم (٢٢٤٠) وسنن الترمذى برقم (١١٤٣) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٠٩).
(٣) فى م :« و لا يعرف » .
(٤) المسند (٢/ ٢٠٧) وسنن الترمذى برقم (١١٤٢) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١٠) .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عِدّتها منه ؛ لأن الذى عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم [١] انفسخَ نِكاحُها منه .

وقال آخرون : بل إذا انقضت العدة هى بالخيار ، إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت ، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت ، وحملوا عليه حديث ابن عباس ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ﴾ يعنى : أزواج المهاجرات من المشركين ، ادفعوا إليهم الذى غرموه عليهن من الأصدقة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والزهرى ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ يعنى : إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن ، أى : تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك .

وقوله : ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ : تحريم من الله ، عز وجل ، على عباده المؤمنين نكاح المشركات ، والاستمرار معهن .

وفى الصحيح ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور ومَرْوان بن الحكم : أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساءٌ من المؤمنات ، فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ [فَامْتَحِنُوهُنَّ][٢] ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ، فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين ، تزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية [٣] .

وقال ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ، وهو بأسفل الحديبية ، حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده إليهم ، فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية ، وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن ، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها ، وقال : ﴿ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ [٤] .

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال : وإنما حكم الله بينهم بذلك ، لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد .

وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهرى : طلق عمر يومئذ قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ، وهى أم عُبَيد الله ، فتزوجها أبو جهم ابن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما ، وطلق طلحةُ بن عبيد الله أروى بنتَ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص [٥] .

وقوله : ﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ﴾ أى : وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتى

---

(١) فى م : « ولم تسلم » .
(٢) زيادة من م .
(٣) صحيح البخارى برقم (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) .
(٤) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨ / ٤٦) .
(٥) تفسير الطبرى (٢٨ / ٤٧) مع اختلاف يسير .

يذهبن إلى الكفار ، إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أى : فى الصلح واستثناء النساء منه، والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أى: عليم بما يصلح عباده ،حكيم فى ذلك .

ثم قال: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾ قال مجاهد ، وقتادة : هذا فى الكفار الذين ليس لهم عهد ، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئاً ، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء ، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها .

وقال ابن جرير : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنى يونس ، عن الزهرى قال : أقر المؤمنون بحكم الله ، فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله للمؤمنين به : ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلى المشركين ، رَدّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العَقب الذى بأيديهم ، الذى أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرنَ ، ثم ردوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقى لهم. والعقب : ما كان [بأيدى المؤمنين] (١) من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن (٢) .

وقال العوفى ، عن ابن عباس فى هذه الآية : يعنى إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطى من الغنيمة مثل ما أنفق .

وهكذا قال مجاهد : ﴿ فَعَاقَبْتُمْ ﴾ : أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم ﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾ يعنى : مهر مثلها . وهكذا قال مسروق ،وإبراهيم ، وقتادة ،ومقاتل ، والضحاك ، وسفيان بن حسين ، والزهرى أيضاً .

وهذا لا ينافى الأول ؛ لأنه إن أمكن الأول (٣) فهو أولى ، وإلا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من أيدى الكفار . وهذا أوسع ، وهو اختيار ابن جرير ، ولله الحمد والمنة (٤) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ .

(١) زيادة من تفسير الطبرى .
(٢) تفسير الطبرى (٢٨/٤٨) .
(٣) فى م : « أمكن بالأول » .
(٤) فى م : « والله أعلم » .

قال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخى ابن شهاب ، عن عمه قال : أخبرنى عروة أن عائشة زوج النبى ﷺ ، أخبرته : أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ . قال عروة : قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول الله ﷺ : « قد بايعتك » ، كلاماً، ولا والله ما مست يده يد امرأة قَطّ فى المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك » . هذا لفظ البخارى [١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المُنْكَدِر ، عن أميمة بنت رُقَيقة قالت : أتيت رسول الله [٢] ﷺ فى نساء لنبايعه ، فأخذ علينا ما فى القرآن : ﴿ **أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا** ﴾ الآية ، وقال : « فيما استطعتن وأطقتن » ، قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول الله ، ألا تصافحنا ؟ قال « إنى لا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة[٣] كقولى لمائة امرأة » .

هذا إسناد صحيح ، وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ــ والنسائى أيضاً من حديث الثورى ــ ومالك بن أنس كلهم ، عن محمد بن المنكدر ، به [٤] . وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر .

وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة ، به . وزاد : « ولم يصافح منا امرأة » [٥] . وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة ، عن محمد ابن المنكدر ، به [٦] . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر الرازى ، عن محمد بن المنكدر : حدثتنى أميمة بنت رقيقة ــ وكانت أخت خديجة خالة فاطمة ، من فيها إلى فى ، فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن ابن إسحاق ، حدثنى سليط بن أيوب بن الحكم بن سُلَيم ، عن أمه سلمى بنت قيس ــ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدى بن النجار ــ قالت : جئت رسول الله ﷺ نبايعه فى نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا : ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ــ قال: « ولا تغشُشْن أزواجكن». قالت : فبايعناه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة منهن : ارجعى فسلى رسول الله ﷺ : ما غش أزواجنا ؟ قال : فسألته فقال : « تأخذ ماله ، فتحابى به غيره » [٧] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٩١) ووقع فى رواية أبى ذر : « حدثنا إسحاق ،حدثنا يعقوب بن إبراهيم » .

(٢) فى م : « أتيت النبى » . (٣) فى م : « واحدة منكن » .

(٤) المسند (٦/ ٣٥٧) وسنن الترمذى برقم (١٥٩٧) وسنن النسائى (٧/ ١٤٩) وسنن ابن ماجة برقم (٢٨٧٤).

(٥) المسند (٦/ ٣٥٧) .

(٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٣) .

(٧) المسند (٦/ ٣٧٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، حدثنى أبى ، عن أمه عائشة بنت قُدَامة ــ يعنى : ابن مظعون ــ قالت : أنا مع أمى رائطة بنت سفيان الخزاعية ، والنبى ﷺ يبايع النسوة ويقول : « أبايعكنّ على ألا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ، ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن ، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينني فى معروف » . [قالت : فأطرقن . فقال لهن النبى ﷺ] [١] : « قُلن : نعم فيما استطعتن » . فكُنّ يقلن وأقول معهن ، وأمى تُلقّنى : قولى [٢] : أى بنية ، نعم [فيما استطعتُ] [٣] فكنت أقول كما يقلن [٤] .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : بايَعْنَا رسولَ الله ﷺ ، فقرأ [٥] علينا : ﴿أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ، ونهانا عن النّياحة ، فقبضت امرأة يدها ، فقالت : أسعدتنى فلانة أريد أن أجزيها . فما قال لها رسول الله شيئا، فانطلقت ورجعت فبايعها .

ورواه مسلم [٦] . وفى رواية : « فما وفى منهن امرأة غيرها ، وغير أم سليم ابنة ملحان » .

وللبخارى عن أم عطية قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح ، فما وَفَت منا امرأة غير خمس نسوة : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبى سبرة امرأة معاذ ، وامرأتان ــ أو : ابنة أبى سَبرة ، وامرأة معاذ ، وامرأة أخرى [٧] .

وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهدُ النساءَ بهذه البيعة يوم العيد ، كما قال البخارى :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا هارون بن [٨] معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى ابن جُرَيج : أن الحسن بن مسلم أخبره ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان ، فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بَعدُ ، فنزل نبى الله ﷺ ، فكأنى أنظر إليه حين[٩] يُجَلِّس الرجالَ بيده ، ثم أقبل يَشقّهم حتى أتى النساء مع بلال فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ ، حتى فرغ من الآية كلها . ثم قال حين فرغ : « أنتن على ذلك ؟ » . فقالت امرأة واحدة ، لم يجبه غيرها : نعم يا رسول الله ــ لا يدرى الحسن [١٠] من هى ــ قال : « فتصدقن » ، قال : وبسط بلال ثوبه فجعلن[١١] يلقين الفَتَخَ

(١) زيادة من مسند الإمام أحمد .

(٢) زيادة من مسند الإمام أحمد ،وفى هـ ، م ،أ : « تقول لى » .

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد .

(٤) المسند (٦/ ٣٦٥) .

(٥) فى م : « فشرط » .

(٦) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٢) وصحيح مسلم برقم (٩٣٦) .

(٧) صحيح البخارى برقم (١٣٠٦) .

(٨) فى م : « حدثنا » .

(٩) فى م : « إليه حتى » .

(١٠) فى م،أ : « لا يدرى حسن » .

(١١) فى م : « فجعل » .

والخواتيم فى ثوب بلال [١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عياش ، عن سليمان بن سُليم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام ، فقال : « أبايعك على ألا تشركى بالله شيئاً ، ولا تسرقى ، ولا تزنى ، ولا تقتلى ولدك ، ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يَديك ورجليك ، ولا تنوحى ، ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله ﷺ فى مجلس فقال : « تبايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ــ قرأ الآية التى أخذت على النساء ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ** ﴾ فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به ، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، فهو إلى الله ،إن شاء غفر له ،وإن شاء عذبه ». أخرجاه فى الصحيحين [٣] .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن مرثد [٤] بن عبد الله اليَزنى [٥] ، عن أبى عبد الله عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنَابحى [٦] ، عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثنى عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف ، وقال : « فإن وَفَيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبى حاتم .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال : « قل لهن : إن رسول الله يبايعكن على ألا تشركن بالله شيئاً » ــ وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة مُنكرة فى النساء ــ فقالت : « إنى إن أتكلم يعرفنى ، وإن عرفنى قتلنى » . وإنما تنكرت فرقاً من رسول الله ﷺ ، فسكت النسوة اللاتى مع هند ، وأبين أن يتكلمن . فقالت هند وهى مُنَكَّرة : كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال ؟ ففطن [٧] إليها رسول الله وقال لعمر : « قل لهن : ولا تسرقن » . قالت هند : والله إنى لأصيب من أبى سفيان الهَنَات ، ما أدرى أيحلهن لى أم لا ؟ قال أبو سفيان : ما أصبت من شىء مضى أو قد بقى ، فهو لك حلال . فضحك رسول الله ﷺ وعرفها ، فدعاها فأخذت بيده ، فعاذت [٨] به ، فقال : « أنت هند ؟ » . قالت : عفا الله عما سلف. فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال : « ولا تزنين » ، فقالت: يا رسول الله ، وهل تزنى الحرة ؟ قال : « لا ، والله ما تزنى الحرة » . فقال : « ولا

(١) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٥) .
(٢) المسند (٢/ ١٩٦) .
(٣) المسند (٥/ ٣١٤) وصحيح البخارى برقم (٤٨٩٤) وصحيح مسلم برقم (٩ -١٧) .
(٤) فى م : « يزيد » . (٥) فى أ : « المزنى » . (٦) فى أ : « الصالحى » .
(٧) فى أ : « فنظر » . (٨) فى أ : «فعادتنا » .

يقتلن أولادهن » . قالت هند : أنت قتلتهم يوم بدر ، فأنت وهم أبصر . قال : ﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ قال : ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ . قال : منعهن أن ينحن ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ،ويقطعن الشعور ، ويدعون بالثبور . والثبور : الويل [١] .

وهذا أثر غريب ، وفى بعضه نكارة ، والله أعلم ؛ فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما ، بل أظهرا الصفاء والود له ، وكذلك كان الأمر من جانبه ، عليه السلام، لهما .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، فبايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا ، وعمر يبايع النساء تحتها عن رسول الله ﷺ ، فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال : ﴿ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ ، قالت هند : ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً . فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا نصر بن على ، حدثتنى غبطة بنت سليمان ، حدثتنى عمتى ، عن جدتها [٢] ، عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه ، فنظر إلى يدها فقال : « اذهبى فغيرى يدك » . فذهبت فغيرتها بحناء ، ثم جاءت فقال : « أبايعك على ألا تشركى بالله شيئا » ، فبايعها وفى يدها سواران من ذهب ، فقالت : ما تقول فى هذين السوارين ؟ فقال : « جمرتان من جمر جهنم » [٣] .

فقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾ أى: من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط، فبايعها ، ﴿ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ ﴾ أى : أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصراً فى نفقتها ، فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ، ما جرت به عادة أمثالها ، وإن كان بغير علمه ، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شَحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى ، فهل علىَّ جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله ﷺ :« خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك » . أخرجاه فى الصحيحين [٤] .

وقوله : ﴿ وَلا يَزْنِينَ ﴾ كقوله : ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢] . وفى حديث سَمُرة ذكرُ عقوبة الزناة بالعذاب الأليم فى نار الجحيم [٥] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُرْوة ، عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع النبى ﷺ فأخذ عليها : ﴿ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ ﴾ الآية ، قالت : فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة :

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٢) .

(٢) فى أ : « حدثنى عمى عن جدى » .

(٣) ورواه أبو يعلى فى المسند (٨/ ١٩٥) عن نصر بن على به نحوه ، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٣٧) :« فيه من لم أعرفهن » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٧١٨٠) وصحيح مسلم برقم (١٧١٤) .

(٥) رواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ١٥) .

أقِرّى أيتها المرأة ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذاً . فبايعها بالآية [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن فضيل ، عن حصين ، عن عامر ــ هو الشعبى ــ قال : بايع رسول الله ﷺ النساء ، وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ، ثم قال : «ولا تقتلن أولادكن » . فقالت امرأة : تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءه النساء يبايعنه ، جمعهن فعرض عليهن ، فإذا أقررن رجعن .

وقوله : ﴿ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ﴾ : وهذا يشمل قتله بعد وجوده ، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ، ويعم قتله وهو جنين ، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء ، تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه .

وقوله : ﴿ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ : قال ابن عباس : يعنى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم . وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذى رواه أبو داود :

حدثنا أحمد بن صالح ،حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو ــ يعنى :ابن الحارث ــ عن ابن الهاد ، عن عبد الله بن يونس ، عن سعيد المَقْبُرى ، عن أبى هُرَيرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة : « أيما امرأة أدخَلت على قوم من ليس منهم ، فليست من الله فى شىء ، ولن يدخلها الله جَنّته ، وأيما رجل جَحَد ولده وهو ينظر إليه ، احتجب الله منه ، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » [٢] .

وقوله : ﴿ وَلا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ يعنى :فما أمرتهن به من معروف،ونهيتهن عنه من منكر .

قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى قال : سمعت الزبير ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَلا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ قال : إنما هو شرط شرَطه الله للنساء [٣] .

وقال ميمون بن مِهْرَان : لم يجعل الله لنبيه طاعة إلا لمعروف [٤] ، والمعروف : طاعة .

وقال ابن زيد : أمر الله بطاعة رسوله ، وهو خِيَرة الله من خلقه فى المعروف .

وقد قال غيره عن ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وسالم بن أبى الجَعْد ، وأبى صالح ، وغير واحد : نهاهن يومئذ عن النوح . وقد تقدم حديث أم عطية فى ذلك أيضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى هذه الآية : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ أخذ عليهن النياحة ، ولا تحدثن الرجال إلا رجلاً منكن محرماً . فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبى الله ، إن لنا أضيافاً ، وإنا نغيب عن نسائنا . فقال رسول الله ﷺ : « ليس أولئك

---

(١) المسند (٦/١٥١) .

(٢) سنن أبى داود برقم (٢٢٦٣) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٣) .

(٤) فى م :« فى معروف » .

عَنَيتُ ، ليس أولئك عَنَيتُ » [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، حدثنى مبارك ، عن الحسن قال : كان فيما أخذ النبى ﷺ : « ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم ، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يَمذى بين فخذيه » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا هارون ، عن عمرو ، عن عاصم [٢] ، عن ابن سيرين ، عن أم عطية الأنصارية قالت : كان فيما اشتُرط علينا [٣] من المعروف حين بايعنا [٤] ألا ننوح ، فقالت امرأة من بنى فلان : إن بنى فلان أسعدونى ، فلا حتى أجزيهم [٥] فانطلقت فأسعَدَتهم، ثم جاءت فبايعت ، قالت : فما وفى منهن غيرها ، وغير أم سليم ابنة مِلْحان أم أنس بن مالك [٦] .

وقد روى البخارى هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية نسيبة الأنصارية ، رضى الله عنها [٧] . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضاً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا عُمَر بن فروخ القَتَّاب ، حدثنى مصعب بن نوح الأنصارى قال : أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ . قالت : فأتيته لأبايعه ، فأخذ علينا فيما أخذ ألا تنحن . فقالت عجوز : يا رسول الله [٨] ، إن ناساً قد كانوا [٩] أسعدونى على مصائب أصابتنى ، وإنهم قد أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أن أسعدهم . قال : «فانطلقى فكافئيهم » . فانطلقت فكافأتهم ، ثم إنها أتته فبايعته ، وقال : هو [١٠] المعروف الذى قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [١١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، حدثنا القَعْنَبى [١٢] ، حدثنا الحجاج بن صفوان ، عن أسيد [١٣] بن أبى أسيد البراد ، عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ : ألا نعصيه فى معروف : ألا نخمش وجوهاً [١٤] ، ولا ننشر شعراً ، ولا نشق جيبا ، ولا ندعوا ويلاً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكيع ، عن يزيد مولى الصهباء ، عن شهر بن حَوشب، عن أم سلمة ، عن رسول الله ﷺ فى قوله : ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ ، قال : «النوح» .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥١) .
(٢) فى م : « عن عمرو بن عاصم » .
(٣) فى م :« علينا رسول الله » .
(٤) فى م ، أ : « حين بايعناه » .
(٥) فى أ : « حتى أحدثهم ».
(٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٢) .
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٢) .
(٨) فى م : « يا نبى الله » .
(٩) فى م : « كانوا قد » .
(١٠) فى م :« هذا » .
(١١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٢) .
(١٢) فى م : « الضبى » .
(١٣) فى أ : « عن أسد » .
(١٤) فى م ، أ : «وجهاً ».

ورواه الترمذى فى التفسير ، عن عبد بن حُمَيد ، عن أبى نُعَيم ـ وابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ـ كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيبانى مولى [١] الصهباء ، به [٢]. وقال الترمذى : حسن غريب .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد [٣] بن سنان القزاز ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا إسحاق ابن عثمان أبو يعقوب ، حدثنى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية ، عن جدته أم عطية قالت : لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار فى بيت ، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فقام على الباب وسلم علينا ، فرددن ـ أو : فرددنا ـ عليه السلام ، ثم قال : « أنا رسُولُ رسول الله ﷺ إليكن ». قالت : فقلنا : مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله . فقال : « تبايعن على ألا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن ولا تزنين ؟» قالت: قلنا : نعم . قالت : فمد يده من خارج الباب ـ أو : البيت ـ ومددنا أيدينا من داخل البيت ، ثم قال : « اللهم اشهد » . قالت : وأمرنا فى العيدين أن نخرج فيه الحُيَّض والعواتق ، ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز . قال إسماعيل : فسألت جدتى عن قوله : ﴿ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ . قالت : النياحة [٤] .

وفى الصحيحين من طريق الأعمش ، عن عبد الله بن مُرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من ضَرَب الخدود ، وشَقَّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » [٥] .

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى موسى: أن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة [٦].

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا هُدْبَة بن خالد ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا يحيى بن أبى كثير : أن زيداً حدثه : أن أبا سلام حدثه : أن أبا مالك الأشعرى حدثه : أن رسول الله ﷺ قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطران، ودرع من جَرَب » .

ورواه مسلم فى صحيحه منفرداً به ، من حديث أبان بن يزيد العطار ، به [٧] .

وعن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة . رواه أبو داود [٨] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) ﴾ .

(١) فى أ : « عن أبى » .
(٢) سنن الترمذى برقم (٣٣٠٧) وسنن ابن ماجة برقم (١٥٧٩) .
(٣) فى م : « حدثنا أحمد » .
(٤) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٣) .
(٥) صحيح البخارى برقم (١٢٩٧) وصحيح مسلم برقم (١٠٣) .
(٦) صحيح البخارى برقم (١٢٩٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٤) .
(٧) مسند أبى يعلى (٣/ ١٤٨) وصحيح مسلم برقم (٩٣٤) .
(٨) سنن أبى داود برقم (٣١٢٨) .

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر « هذه السورة » كما نهى عنها فى أولها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعنى : اليهود والنصارى وسائر الكفار ، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد ، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة ، أى : من ثواب الآخرة ونعيمها فى حكم الله عز وجل .

وقوله : ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ : فيه قولان ، أحدهما : كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين فى القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك ؛ لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا ، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه .

قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى آخر السورة ، يعنى : من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل .

وقال الحسن البصرى : ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ قال : الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات .

وقال قتادة : كما يئس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا . وكذا قال الضحاك . رواهن ابن جرير .

والقول الثانى : معناه : كما يئس الكفار الذين هم فى القبور من كل خير .

قال الأعمش ، عن أبى الضُّحَى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : ﴿ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ قال : كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه . وهذا قول مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، وابن زيد ، والكلبى ، ومنصور . وهو اختيار ابن جرير .

تفسير سورة الصّف

وهى مدنية .

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ــ وعن عطاء بن يسار ، عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا : أيكم يأتى رسول الله ﷺ فيسأله : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يقم أحد منا ، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلينا رجلا ، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة ، يعنى سورة الصف كلها . هكذا رواه الإمام أحمد [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتى[٢] قراءة قال : أخبرنى أبى ، سمعت الأوزاعى ، حدثنى يحيى بن أبى كثير ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثنى عبد الله ابن سلام . أن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ؟ فلم يذهب إليه أحد منا ، وهبْنَا أن نسأله عن ذلك ، قال : فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ، ونزلت فيهم هذه السورة : (سبح) الصف قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها . قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها ، قال يحيى بن أبى كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها . قال الأوزاعى : وقرأها علينا يحيى بن أبى كثير كلها . قال أبى : وقرأها علينا الأوزاعى كلها .

وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعى، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم : أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه . فأنزل الله : ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . [كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا]**[٣] ﴾ قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله ﷺ . قال أبو سلمة : فقرأها علينا ابن سلام . قال يحيى : فقرأها علينا أبو سلمة . قال ابن كثير : فقرأها علينا الأوزاعى . قال عبد الله : فقرأها علينا ابن كثير .

ثم قال الترمذى : وقد خولف محمد بن كثير فى إسناد هذا الحديث عن الأوزاعى ، فروى ابن المبارك ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن سلام ــ أو : عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن سلام [٤] .

قلت : وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يَعْمَر ، عن ابن المبارك ، به [٥] .

---

(١) المسند (٥/ ٤٥٢) .

(٢) فى أ : « السرورى » .

(٣) زيادة من أ .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٣٠٩) .

(٥) المسند (٥/ ٤٥٢) .

قال الترمذى : وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعى ، نحو رواية محمد بن كثير .

قلت : وكذا رواه الوليد بن يزيد ، عن الأوزاعى ، كما رواه ابن كثير .

قلت : وقد أخبرنى بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو المُنَجَّا عبد الله بن عُمَر بن اللَّتى [١] ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شُعَيب السَّجزْىّ قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودى، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حَمَّوَيَة السرَخسِىّ ، أخبرنا عيس بن عُمَر بن عمران السمرقندى ، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بجميع مسنده [٢] ، أخبرنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعى . . . فذكر بإسناده مثله ، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبى العباس الحجار ، ولم يقرأها ، لأنه كان أميا ، وضاق الوقت عن تلقينها إياه . ولكن أخبرنى الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، رحمه الله : أخبرنا القاضى تقى الدين سليمان بن الشيخ أبى عمر ، أخبرنا أبو المنجا بن اللَّتى [٣] . . . فذكره بإسناده ، وَتسلل [٤] لى من طريقة، وقرأها على بكمالها ، ولله الحمد والمنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤) ﴾ .

تقدم الكلام على قوله : ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ غير مرة ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ ؟ إنكار على من يَعد عدَةً ، أو يقول قولا لا يفى به ، ولهذا استد بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا ، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم لا . واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث :إذا حَدَّث كذب ،وإذا وَعَد أخلف ، وإذا اؤتمن خان»[٥] . وفى الحديث الآخر فى الصحيح : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خَصْلَة من نفاق حتى يَدَعها » [٦]. ـ فذكر منهن إخلاف الوعد . وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين فى أول « شرح البخارى » ، ولله الحمد والمنة . ولهذا أكد تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله : ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون** ﴾ .

---

(١) فى أ :« الليثى » . (٢) فى أ : « سنده » . (٣) فى أ : « الليثى » .

(٤) فى أ : « وتسلسل » .

(٥) صحيح البخارى برقم (٣٣) وصحيح مسلم برقم (٥٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٦) صحيح البخارى برقم (٣٤) وصحيح مسلم برقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .

وقد روى الإمام أحمدُ وأبو داود ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : أتانا رسول الله ﷺ [فى بيتنا] [١] وأنا صبى قال : فذهبت لأخرج لألعب ، فقالت أمى : يا عبد الله : تعال أعطك . فقال لها رسول الله ﷺ : « وما أردت أن تُعطِيه ؟ » . قالت : تمرا . فقال : « أما إنك لو لم تفعلى كُتِبت عليك كِذْبة » [٢] .

وذهب الإمام مالك ،رحمه الله ، إلى أنه إذا تعلق بالوعد غُرم على الموعود وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : « تزوج ولك على كل يوم كذا » . فتزوجَ ، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك ، لأنه تعلق به حق آدمى ، وهو مبنى على المضايقة . وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا ، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فَرضيَّة الجهاد عليهم ، فلما فرض نكل عنه بعضهم ، كقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً . أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء : ٧٧،٧٨] . وقال تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ** ﴾ الآية [محمد : ٢٠] وهكذا هذه الآية معناها ، كما قال على بن أبى طلحة، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ ، قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لَوَدِدْنا أن الله ــ عز وجل ــ دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعملَ به . فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمالَ إيمانٌ به [٣] لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به. فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال الله سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ ؟ . وهذا اختيار ابن جرير [٤] .

وقال مقاتل بن حَيّان :قال المؤمنون : لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به . فدلهم الله على أحب الأعمال إليه ، فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** ﴾ ، فبين لهم ، فابتلوا يوم أحد بذلك ،فولوا عن النبى ﷺ مدبرين ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ ؟ وقال : أحبكم إلى من قاتل فى سبيلى .

ومنهم من يقول : أنزلت فى شأن القتال ، يقول الرجل : «قاتلت» ، ولم يقاتل [٥] . «وطعنت» ، ولم يطعن و«ضربت» ، ولم يضرب و«صبرت» ، ولم يصبر .

وقال قتادة ، والضحاك : نزلت [٦] توبيخاً لقوم كانوا يقولون : « قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا» . ولم يكونوا فعلوا ذلك .

---

(١) زيادة من المسند .
(٢) المسند (٣/٤٤٧) وسنن أبى داود برقم (٤٩٩١) .
(٣) فى م :« إيمان بالله » .
(٤) تفسير الطبرى (٥٦/٢٨) .
(٥) فى م : « ولم أقاتل » .
(٦) فى م :« أنزلت » .

وقال ابن يزيد : نزلت فى قوم من المنافقين ، كانوا يَعدون المسلمين النصرَ ، ولا يَفُون لهم بذلك.

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون** ﴾ ؟ ، قال : فى الجهاد .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ فما بين ذلك : فى نفر من الأنصار ،فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا فى مجلس : لو نعلم أىّ الأعمال أحبّ إلى اللّه ، لعملنا بها حتى نموت .فأنزل الله هذا فيهم . فقال عبد الله بن رواحة : لا أبرح [(١)] حبيسا فى سبيل الله حتى أموت . فقتل شهيداً .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسْهِر [(٢)] ، عن داود بن أبى هند ،عن أبى حَرْب بن أبى الأسود الدِّيلى [(٣)] ، عن أبيه قال : بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة ، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل ، كلهم قد قرأ القرآن ، فقال : أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات ، فأنسيناها ، غير أنى قد حفظت منها: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون** ﴾ . فتكتب شهادة فى أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ ، فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا مواجهين لأعداء الله فى حومة الوغى ، يقاتلون فى سبيل الله مَن كفر بالله ،لتكون كلمة الله هى العليا ، ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان.

قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا هُشَيْم ، قال مُجالد أخبرنا عن أبى الودَّاك، عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » .

ورواه ابن ماجة من حديث مجالد ، عن أبى الوَدَّاك جبر بن نوف ، به [(٤)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَيْن ، حدثنا الأسود ــ يعنى ابن شيبان ــ حدثنى يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : قال مُطرِّف : كان يبلغنى عن أبى ذر حديث كنت أشتهى لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، كان يبلغنى عنك حديث ، فكنت أشتهى لقاءك ، فقال : لله أبوك ! فقد لقيت ، فهات . فقلت : كان يبلغنى عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة ؟ قال : أجل ، فلا إخالنى أكذب على خليلى ﷺ . قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل غزا فى سبيل الله ، خرج محتسبا مجاهدا فلقى العدو فقتل ، وأنتم تجدونه فى كتاب الله المنزل ، ثم قرأ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ . . . وذكر الحديث .

---

(١) فى أ :« فما أبرح » . (٢) فى أ : « شهر » . (٣) فى أ : « الديلمى » .

(٤) المسند (٣/ ٨٠) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٠) وقال البوصيرى فى الزوائد (٨٧/١) :« هذا إسناد فيه مقال، مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم فى صحيحه فإنما روى له مقروناً بغيره قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ » .

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق ، وبهذا اللفظ ، واختصره . وقد أخرجه الترمذى والنسائى من حديث شعبة ، عن منصور بن المعتمر ، عن رِبْعَى بن حِرَاش ، عن زيد بن ظَبْيان ، عن أبى ذَرّ بأبسط من هذا السياق وأتم [١] وقد أوردناه فى مواضع أخر ،ولله الحمد .

وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد ﷺ : « عبدى المتوكل المختار ليس بفَظّ ولا غَليظ ولا سَخَّاب فى الأسواق ، ولا يخزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطابة،وملكه بالشام ، وأمته الحمادون يحمَدُون الله على كلّ حال ، وفى كل منزلة ، لهم دَوِىٌّ كدوى النحل فى جو السماء بالسحَر ، يُوَضّون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة » . ثم قرأ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ ، « رعاة الشمس ، يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو على ظهر دابة » رواه ابن أبى حاتم .

وقال سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال : وقوله : ﴿ **كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ : ملتصق بعضه فى بعض ، من الصف فى القتال .

وقال مقاتل بن حيان : ملتصق بعضه إلى بعض .

وقال ابن عباس : ﴿ **كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ : مُثَبّت ، لا يزول ، ملصق بعضه ببعض .

وقال قتادة : ﴿**كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ : ألم تر إلى صاحب البنيان ، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك الله عز وجل [يحب أن] [٢] لا يختلف أمره ،وإن الله صف المؤمنين فى قتالهم وصفَّهم فى صلاتهم ، فعليكم بأمر الله ، فإنه عصمة لمن أخذ به . أورد ذلك كله ابن أبى حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنى سعيد بن عَمرو السكونى ، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد ،عن أبى بكر بن أبى مريم ، عن يحيى بن جابر الطائى ، عن أبى بحرية [٣] قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، لقول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ قال : وكان أبو بحرية [٤] يقول : إذا رأيتمونى التفتُّ فى الصف فَجَئُوا فى لَحْيى [٥] .

﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن**

(١) سنن الترمذى برقم (٢٥٦٨) وسنن النسائى (٥/ ٨٤،٣/ ٢٠٧) وقال الترمذى :« هذا حديث صحيح » .
(٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى أ : « عن أبى يحيى به » . (٤) فى أ : « أبو بحيرة » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٨/ ٥٧) .

بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه : ﴿ **لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ أى : لم توصلون الأذى إلىّ وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من الرسالة ؟ . وفى هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصاب [(١)] من الكفار من قومه وغيرهم ، وأمر له بالصبر ؛ ولهذا قال : « رحمة الله على موسى : لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر»[(٢)] .وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبى ﷺ أو يُوَصّلوا إليه أذى ، كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا** ﴾ [الأحزاب :٦٩] .

وقوله : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ أى : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان ، كما قال تعالى : ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [الأنعام : ١١٠] وقال ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء : ١١٥] ولهذا قال الله تعالى فى هذه الآية : ﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ يعنى : التوراة قد بَشَّرَت بى ، وأنا مصداقُ ما أخبرت عنه، وأنا مُبَشّر بمن بعدى ، وهو الرسول النبى الأمى العربى المكى أحمد . فعيسى ، عليه السلام ، هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل ، وقد أقام [(٣)] فى ملأ بنى إسرائيل مبشراً بمحمد ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذى لا رسالة بعده ولا نبوة .وما أحسن ما أورد البخارى الحديثَ الذى قال فيه:

حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى قال : أخبرنى محمد بن جُبَير بن مُطعم ، عن أبيه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يَمحُو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » .

ورواه مسلم ، من حديث الزهرى ، به نحوه [(٤)] .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا المسعودى ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى عُبَيدة ، عن أبى موسى قال : سَمَّى لنا رسول الله ﷺ نَفسه أسماءَ ، منها ما حفظنا فقال : « أنا محمد ، وأحمد ، والحاشر ، والمقفى ، ونبى الرحمة ،والتوبة ،والملحمة » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، به [(٥)] .

---

(١) فى م : « فيما أصابه » .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٤٠٥) ومسلم فى صحيحه برقم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٣) فى م: « وقد قام » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٦) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٤) .

(٥) مسند الطيالسى برقم (٤٩٢) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٥) .

وقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١]

قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد : لئن بعث محمد وهو حى ليتبعنه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه .

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى ثور بن يَزيد ، عن خالد بن مَعْدَانَ ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى [١] كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » [٢] .

وهذا إسناد جيد . ورُوى له شواهد من وجوه أخر ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُوَيد الكلبى ، عن عبد الأعلى بن هلال [٣] السلمى ، عن العِرْباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجَدلُ فى طِينته ، وسأنبئكم بأول ذلك دَعْوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرَين » [٤] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر قال : سمعت أبا أمامة قال : قلتُ يا نبى الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأت أمى أنه يخرجُ منها نور أضاءت له قصورُ الشام»[٥].

وقال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى : سمعت خُدَيجاً أخا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحاق، عن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشى ونحن نحوٌ من ثمانين رجلا ، منهم : عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن [عُرْفُطَة] [٦] ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى . فأتوا النجاشى ، وبعثَت قريش عَمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد بهدية ، فلما دخلا على النجاشى سَجَدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ، ثم قالا له : إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا . قال : فأين هم ؟ قالا : هم فى أرضك، فابعث إليهم. فبعث إليهم . فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه فسلَّم ولم يسجد ،

---

(١) فى م:« حملتنى » .

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٦٠٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به ، وقال :« خالد بن معدان من خيار التابعين ، صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة ، فإذا أسند حديث إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد وإن لم يخرجاه » . قلت : وقد ورد موصولاً كما سيأتى فى رواية أحمد .

(٣) فى أ :« بلال » .

(٤) المسند (٤/ ١٢٧) وسعيد بن سويد لم يوثقه غير ابن حبان .

(٥) المسند (٥/ ٢٦٢) .

(٦) زيادة من المسند ، ومكانه بياض فى هـ ، م ، أ .

فقالوا له : ما لك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسوله ، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة .

قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك فى عيسى ابن مريم . قال : ما تقولون فى عيسى ابن مريم وأمه ؟ قالوا : نقول كما قال الله عز وجل : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول ، التى لم يمسها بَشَر ولم يَفْرِضْها [1] ولد . قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ، ما يساوى هذا . مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم . انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه . وأمَرَ بهدية الآخرَين فردت إليهما ، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً ، وزعم أن النبى ﷺ استغفر له حين بلَغه موته [2] .

وقد رُويت هذه القصةُ عن جعفر وأم سلمة رضى الله عنهما ، وموضع ذلك كتاب السيرة . والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه فى كتبها على أممها ، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث . وكان ما اشتهر الأمر فى أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى ابن مريم ؛ ولهذا قالوا : « أخبرنا عن بَدْء أمرك » يعنى : فى الأرض ، قال : « دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى ابن مريم ، ورؤيا أمى التى رأت » أى : ظهر فى أهل مكة أثر ذلك والإرهاص بذكره صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ قال ابن جريج وابن جرير : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم**﴾ أحمد ، أى : المبشر به فى الأعصار المتقادمة ، المنَّوه بذكره فى القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة المخالفون : ﴿ **هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ** ﴾ أى : لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله [3] ، ويجعل له أندادا وشركاء ، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ .

---

(١) فى أ : « ولم يعترضها ».
(٢) المسند (١/ ٤٦١) .
(٣) فى م : « يفترى على الله الكذب » .

ثم قال : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أى : يحاولون [١] أن يَرُدّوا الحق بالباطل ، ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه ،وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل [٢] ؛ ولهذا قال : ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة «براءة» ، بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة [٣] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾ .

تقدم فى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة ، رضى الله عنهم ، أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأنزل الله هذه السورة ، ومن جملتها هذا الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : من تجارة الدنيا ، والكد لها والتصدى لها وحدها .

ثم قال : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى : إن فعلتم ما أمرتكم[٤] به ودللتكم عليه ، غفرت لكم الزلات ، وأدخلتكم الجنات ، والمساكن الطيبات ، والدرجات العاليات ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

ثم قال : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ﴾ أى : وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها ، وهى : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أى : إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه ، تكفل الله بنصركم . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

وقوله : ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أى : عاجل . فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة ، لمن أطاع الله ورسوله ، ونصر الله ودينه؛ ولهذا قال : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

---

(١) فى أ : « أى يجادلون » .
(٢) فى م ،أ : « كذاك ذلك » .
(٣) فى أ : « والله أعلم » .
(٤) فى أ : « ما آمركم » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) ﴾ .

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم ، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال : ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ؟ أى : من مُعينى فى الدعوة إلى الله عز وجل ؟ ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ ﴾ ـ وهم أتباع عيسى عليه السلام ـ : ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ أى : نحن أنصارك على ما أرسلت به ومُوَازروك على ذلك ؛ ولهذا بعثهم دعاةٌ إلى الناس فى بلاد الشام فى الإسرائيليين واليونانيين . وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول فى أيام الحج : « من رجل يُؤوينى حتى أبلغ رسالة ربى ، فإن قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى »[1] . حتى قيَّض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه ؛ ولهذا سماهم الله ورسوله : الأنصار ،وصار ذلك علما عليهم، رضى الله عنهم ، وأرضاهم .

وقوله : ﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ﴾ أى : لما بلغ عيسى ابن مريم عليه السلام رسالة ربه إلى قومه ، ووازره مَن وازره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدوا نبوته ، ورموه وأمه بالعظائم ، وهم اليهود ـ عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ـ وغلت فيه طائفة ممن اتبعه ،حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فِرَقا وشيَعاً ، فمن قائل منهم :إنه ابن الله . وقائل : إنه ثالث ثلاثة: الأب ، والابن ،وروح القدس . ومن قائل : إنه الله . وكل هذه الأقوال مفصلة فى سورة النساء .

وقوله : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ أى : نصرناهم على من عاداهم من فِرَق النصارى ، ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أى : عليهم ، وذلك ببعثة محمد ﷺ ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

حدثنى أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنْهال ـ يعنى ابن عمرو ـ عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا ، من عين فى البيت ، ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشر[2] مرة بعد أن آمن بى . قال : ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ،ويكون معى فى درجتى ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا فقال : أنا . قال : فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ٣٢٢) من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) فى م ، أ : « اثنتى عشرة » .

فقام الشـاب ، فقال : أنا . فقال : نعم ، أنت ذاك . قال : فـألقى عليه شبه عيـسى ،ورُفع عيسى عليه السلام من روزَنة فى البـيت إلى السماء ،قال : وجاء الطلَبُ من اليهود ، فـأخذوا شِبْهَه فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضــهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، فتفرقوا ثلاث فـرق . قالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ، ثم رفعه إليـه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فيـنا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفـعه إليه ، وهؤلاء المسلمون ، فتظاهرت الكافـرتان على المسلمة ، فقتلوها ، فلم يزل الإسلام طامـساً حتى بعث الله محمداً ﷺ ، ﴿ **فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ** ﴾ يعنى : الطائفة التى كفرت من بنى إسـرائيل فى زمن عيـسى ، والطائفـة التى آمنت فى زمن عيـسى ، ﴿ **فَأَيَّدْنَا الَّذِيـنَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ ، بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار ﴿ **فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ .

هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكـريمة . وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه ، عن أبى كُرَيْب محمد بن العلاء ، عن أبى معاوية ، بمثله سواء [1] .

فأمـة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق ، حـتى يأتى أمر الله وهم كذلك ، وحـتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، كما وردت [بذلك][2] الأحاديث الصحاح ، والله أعلم .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٦٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩١) .

(٢) زيادة من م،أ .

تفسير سورة الجمعة

وهى مدنية .

عن ابن عباس ، وأبى هريرة : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم فى صحيحه [(١)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) ﴾ .

يخبر تعالى أنه يُسبّح له ما فى السموات وما فى الأرض ، أى : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

ثم قال : ﴿ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ أى : هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه ، وهو ﴿ الْقُدُّوسِ ﴾ أى : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال ﴿ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ : تقدم تفسيره غير مرة .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ الأميون هم : العرب كما قال تعالى : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وآكد ، كما فى قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:٤٤] ، وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به . وكذا قوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وهذا وأمثاله لا ينافى قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] ،وقوله : ﴿ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ،وقوله إخبارا عن القرآن: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود :١٧]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق[(٢)]،أحمرهم وأسودهم، وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام ،بالآيات والأحاديث الصحيحة ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) صحيح مسلم برقم (٨٧٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وبرقم (٨٧٩) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.
(٢) فى أ :« الثقلين » .

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة، على حين فترة من الرسل ، وطُمُوس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ،وقد مقت الله أهلَ الأرض عربهم وعجمهم ،إلا بقايا من أهل الكتاب ــ أى : نزرا يسيرا ــ ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ . وذلك أن العرب كانوا [قديما] [١] متمسكين بدين إبراهيم [الخليل] [٢] عليه السلام فبدلوه وغيروه ، وقلبوه وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا [٣] ، وباليقين شكا ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله [٤] ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها ، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم ، والنهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله. حاكم ، فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع . وجمَعَ له تعالى ، وله الحمد والمنة ، جميع المحاسن ممن كان قبله ، وأعطاه ما لم يُعطِ أحداً من الأولين ، ولا يعطيه أحداً من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه [دائماً] [٥] إلى يوم الدين .

وقوله : ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ : قال الإمام أبو عبد الله البخارى رحمه الله .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبى الغَيث ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة : ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** ﴾ ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا ، وفينا سلمان الفارسى، فوضع رسول الله ﷺ يده على سليمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثُّرَيَّا لناله رجال ــ أو : رَجُلٌ ــ مِن هؤلاء » .

ورواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، من طرق عن ثور بن زيد الدِّيلى [٦] ، عن سالم أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، به [٧] .

ففى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية ، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس ؛ لأنه فسر قوله : ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ** ﴾ بفارس ؛ ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، وإلى اتباع ما جاء به ؛ ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله : ﴿ **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** ﴾ قال : هم الأعاجم ، وكل من صدق النبى ﷺ من غير العرب .

---

(١) زيادة من م،أ . (٢) زيادة من م . (٣) فى أ :« شركا فيه » .

(٤) فى م :« لم يأذن الله بها » . (٥) زيادة من م،أ .

(٦) فى أ : « الديلمى » .

(٧) صحيح البخارى برقم (٤٨٩٧) وصحيح مسلم برقم (٢٥٤٦) وسنن الترمذى برقم (٣٣١٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩٢) وتفسير الطبرى (٢٨/ ٦٢) .

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدى[١]، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد الساعدى قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَ فى أصلاب أصلاب أصلاب رجال [من أصحابى رجالا] [٢] ونساء من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب » ، ثم قرأ : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ [٣] يعنى : بقية من بقى من أمة محمد ﷺ.

وقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى : ذو العزة والحكمة فى شرعه وقدره .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ يعنى : ما أعطاه الله محمدا ﷺ من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته ﷺ إليهم .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ .

يقول تعالى ذامًّا لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، فلم يعملوا بها ، مثلهم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، أى : كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حَملا حسيا [٤] ولا يدرى ما عليه . وكذلك هؤلاء فى حملهم الكتاب الذى أوتوه ، حفظوه لفظا ولم يفهموه [٥] ، ولا عملوا بمقتضاه ، بل أولوه وحرفوه وبدلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير ؛ لأن الحمار لا فهمَ له ، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ؛ ولهذا قال فى الآية الأخرى : ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] . وقال هاهنا : ﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن نُمَير ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا، والذى يقول له « أنصت » ، ليس له جمعة » [٦] .

---

(١) فى أ : « الترمذى » .

(٢) زيادة من الدر المنثور . مستفاداً من هامش ط. الشعب.

(٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٦/٢٠١) وابن أبى عاصم فى السنة برقم (٣٠٩) من طريق الوليد بن مسلم ، عن أبى محمد ـ عيسى بن موسى ـ به ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٤٠٨) :« إسناده جيد»

(٤) فى أ : « حسناً » . (٥) فى م : « ولم يتفهموه » .

(٦) المسند (١/ ٢٣٠) وقال الهيثمى فى المجمع (٢/ ١٨٤) : « فيه مجالد بن سعيد وقد ضعفه الناس ووثقه النسائى فى رواية ».

ثم قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ أى : إن كنتم تزعمون أنكم على هدى ،وأن محمدا وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿ **إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ فيما تزعمونه . قال الله تعالى : ﴿ **وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ أى : بما يعملون لهم [١] من الكفر والظلم والفجور ، ﴿**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾. وقد قدمنا فى سورة « البقرة » الكلام على هذه المباهلة لليهود ، حيث قال تعالى : ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة : ٩٤ ــ ٩٦] . وقد أسلفنا الكلام هناك،وبينا أن المراد أن يدعوا على الضال[٢] من أنفسهم أو خصومهم، كما تقدمت مباهلة النصارى فى آل عمران : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٦١] ومباهلة المشركين فى سورة مريم : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا** ﴾ [مريم :٧٥] .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقى أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن[٣] عبد الكريم بن مالك الجزرى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله : إن رأيتُ محمدا عند الكعبة لآتينَّه حتى أطأ على عُنُقه . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لو فعل لأخذَته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تَمَنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من[٤] النار . ولو خرج الذين يُبَاهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » .

رواه البخارى والترمذى والنسائى،من حديث عبد الرزاق عن معمر،عن عبد الكريم، [به][٥] [٦] قال البخارى : « وتبعه [٧] عمرو بن خالد ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ». ورواه النسائى أيضا عن عبد الرحمن بن عبيد الله الحلَبىَ ، عن عبيد الله بن عمرو الرقى ، به أتم [٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ كقوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء : ٧٨] .

وفى معجم الطبرانى من حديث معاذ بن محمد الهذلى ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سَمُرَة مرفوعا : « مثل الذى يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب دينى . فخرج له حُصَاص ، فلم يزل كذلك حتى

---

(١) فى أ : « هم » . (٢) فى م : « الضلال » . (٣) فى م : « بن » .
(٤) فى أ : « فى » . (٥) زيادة من أ .
(٦) المسند (١/٢٤٨) وصحيح البخارى برقم (٤٩٥٨) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٥) .
(٧) فى م ، أ :« وتابعه » .
(٨) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٠٦١) .

تقطعت عنقه ، فمات » [١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ .

إنما سميت الجمعة جُمعة ؛ لأنها مشتقة من الجَمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه فى كل أسبوع مَرّةً بالمعابد الكبار وفيه كَمُل جميع الخلائق ، فإنه اليوم السادس من الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض . وفيه خلق [٢] آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه [٣] إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح [٤] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عَبيدةُ بن حُمَيد ، عن منصور ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قَرْثَع الضَبى ، حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم ﷺ : «يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : « يوم جُمع فيه أبواك ـــ أو : أبوكم » [٥] .

وقد رُوى عن أبى هُرَيرة ، من كلامه ، نحو هذا ، فالله أعلم .

وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة . وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فَضَلّوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق [٦] ، واختار النصارى يومَ الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة [يوم] [٧] الجمعة الذى أكمل الله فيه الخَليقَةَ ،كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همام بن مُنَبِّه قال : هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يَومُهم الذى فَرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تَبَعٌ ، اليهود غداً، والنصارى بعد غد » [٨] . لفظ البخارى .

---

(١) المعجم الكبير (٧/ ٢٢٢) ورواه العقيلى فى الضعفاء (٤/ ٢٠٠) ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٤٠٥) وقال ابن الجوزى: « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ومعاذ فى حديثه وهم ، ولايتابع على رفعه ، وإنما هو موقوف على سمرة ».

(٢) فى أ : «خلق الله » .

(٣) فى أ :« أعطاه الله » .

(٤) منها حديث أبى هريرة رضى الله عنه رواه مسلم فى صحيحه برقم (٨٥٤) وبرقم (٨٥٢) وحديث أوس بن أوس رضى الله عنه رواه أحمد فى المسند (٤/ ٨) .

(٥) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٦/ ٢٣٧) والحاكم فى المستدرك (١/ ٢٧٧) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن منصور ، عن أبى معشر به، وقال الحاكم :« صحيح الإسناد واحتج الشيخان بجميع رواية غير قرثع سمعت أباعلى القارى يقول : أردت أن أجمع مسانيد قرثع الضبى فإنه من زهاد التابعين فلم يسند تمام العشرة » .

(٦) فى م : « خلق آدم » .

(٧) زيادة من م، أ .

(٨) هذا اللفظ لم أقع عليه من هذا الطريق فى صحيح البخارى وهو فى صحيح مسلم برقم (٨٥٥) وهذا لفظه .

وفى لفظ لمسلم : « أضل الله من كان قبلنا [١] . فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد . فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا ،والأولون يوم القيامة ،المقضى بينهم [٢] قبل الخلائق ».

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة ، فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ أى : اقصدوا واعمدوا [٣] واهتموا فى مَسيركم إليها ، وليس المراد بالسعى هاهنا المشى السريع ، وإنما هو الاهتمام بها ، كقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ** ﴾ [الإسراء:١٩] . وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها : «فامضوا إلى ذكر الله » . فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه ، لما أخرجاه فى الصحيحين ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال : « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم السكينة والوقار، ولا تُسرِعوا ، فما أدركتم فصَلُّوا ، وما فاتكم فأتموا » . لفظ البخارى [٤] .

وعن أبى قتادة قال : بينما نحن نُصَلى مع النبى ﷺ إذ سمع جَلَبة رجال ، فلما صلى قال : «ما شأنكم ؟ » . قالوا : استعجلنا إلى الصلاة . قال : « فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة [٥] ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » . أخرجاه [٦] .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ، رضى الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ،ولكن ائتوها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك [٧] ، وأخرجه من طريق يزيد بن زُرَيع ، عن معمر، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، بمثله [٨] .

قال الحسن : أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينةُ والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ **فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ يعنى : أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المشى إليها ، وكان يتأولُ قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ** ﴾ [الصافات:١٠٢] أى : المشى معه . روى عن محمد بن كعب، وزيد بن أسلم ، وغيرهما نحو ذلك .

ويستحَب لمن جاء الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عُمَر أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدُكم الجمعةَ فَلْيغتسل » [٩] .

---

(١) بعدها فى أ :« ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم » .
(٢) فى م ، أ : « لهم » .
(٣) فى أ : « واعبدوا » .
(٤) صحيح مسلم برقم (٨٥٦) .
(٥) فى م :« فعليكم السكينة والوقار » .
(٦) صحيح البخارى برقم (٦٣٦) وصحيح مسلم برقم (٦٠٢) .
(٧) سنن الترمذى برقم (٣٢٨) .
(٨) سنن الترمذى برقم (٣٢٧) .
(٩) صحيح البخارى برقم (٨٧٧) وصحيح مسلم برقم (٨٤٤) .

ولهما عن أبى سعيد ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ « غُسلُ يوم الجمعة واجب على كل مُحتَلِم »[١] .

وعن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » . رواه مسلم[٢] .

وعن جابر ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « على كل رجل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة » . رواه أحمد ، والنسائى ، وابن حبان[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية ، عن أبى الأشعث الصنعانى ، عن أوس بن أوس الثقفى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من غَسَّل واغتسل يوم الجمعة ،وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ،ودنا من الإمام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها » .

وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحَسَّنَهُ الترمذى[٤] .

وعن أبى هُرَيرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنه ،ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ،ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه[٥] .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ويتسوك ، ويتنظف ويتطهر . وفى حديث أبى سعيد المتقدم : « غسلُ يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، والسواكُ ، وأن يَمَس من طيب أهله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبى ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى ، عن عمران بن أبى يحيى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبى أيوب الأنصارى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ومَس من طيب أهله ــ إن كان عنده ــ ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع[٦] ــ إن بدا له ــ ولم يُؤذ أحدا، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى ، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى »[٧] .

وفى سنن أبى داود وابن ماجة ، عن عبد الله بن سلام ، رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مِهْنَته »[٨] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٨٧٩) وصحيح مسلم برقم (٨٤٦) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٨٩٧) وصحيح مسلم برقم (٨٤٩) .

(٣) المسند (٣/ ٣٠٤) وسنن النسائى (٣/ ٩٢) وصحيح ابن حبان برقم (٥٥٨) « موارد ».

(٤) المسند (٤/ ١٠٤) وسنن أبى داود برقم (٣٤٥) وسنن الترمذى برقم (٤٩٦) وسنن النسائى (٣/ ٩٥) وسنن ابن ماجة برقم (١٠٨٧) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٨٨١) وصحيح مسلم برقم (٨٥٠) .

(٦) فى م ، أ :« فركع » .

(٧) المسند (٥/ ٤٢٠) .

(٨) سنن أبى داود برقم (١٠٧٨) وسنن ابن ماجة برقم (١٠٩٥) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب النّمار ، فقال : « ما على أحدكم إن وجد سَعَة أن يتخذ ثوبين لجمعته ، سوى ثوبى مهنته » . رواه ابن ماجة [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ ﴾ : المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر ، فإنه كان حينئذ يؤذن بين يديه ، فهذا هو المراد ، فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فإنما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم ــ هو ابن أبى إياس ــ حدثنا ابن أبى ذئب ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أولهُ إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر ، فلما كان عثمان [بعد زمن] [(٢)] ، وكثر الناس، زاد النداء الثانى[(٣)] على الزوراء [(٤)] يعنى : يؤذن به على الدار التى تسمى بالزوراء ، وكانت أرفع دار بالمدينة ، بقرب المسجد.

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا محمد بن راشد المكحولى ، عن مكحول : أن النداء كان فى يوم الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ،ثم تقام الصلاة ، وذلك النداء الذى يحرم عنده البيع والشراء [(٥)] إذا نودى به ، فأمر عثمان ،رضى الله عنه، أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس .

وإنما يؤمر بحضور الجمعة [الرجال] [(٦)] الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقَيّم المريض ، وما أشبه ذلك من الأعذار ، كما هو مقرر فى كتب الفروع .

وقوله : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ أى : اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة : ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثانى . واختلفوا : هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خيرٌ لكم ، أى : فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

وقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ أى : فُرغ منها ، ﴿ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾: لَمَّا حَجَرَ عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله . كان عرَاك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد ، فقال : اللهم ، أجبتُ دعوتَك ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ،

---

(١) سنن ابن ماجة برقم (١٠٩٦) وقال البوصيرى فى الزوائد (١/ ٣٦٥) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» .

(٢) ما بين المعقوفين غير ثابت فى الصحيح . مستفاداً من هامش ط . الشعب .

(٣) فى الصحيح :« النداء الثالث » ومثله فى سنن ابن ماجة ، كتاب الإقامة ، باب ما جاء فى الأذان يوم الجمعة ،حديث رقم (١١٣٥) ١/ ٣٥٩ مستفاداً من هامش ط. الشعب .

(٤) صحيح البخارى برقم (٩١٢) .

(٥) فى م : « الشراء والبيع » .

(٦) زيادة من أ .

فارزقني من فضلك ،وأنت خير الرازقين . رواه أبي حاتم .

وروى [١] عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى يوم الجمعة بعد الصلاة ، بارك الله له سبعين مرة ،لقول الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُون** ﴾ أى : فى حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعَطَائكم ، اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ؛ ولهذا جاء فى الحديث : « من دخل سوقا من الأسواق فقال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير كُتبت[٢] له ألفُ ألف حَسنة ، ومُحى عنه ألفُ ألف سَيِّئة » [٣] .

وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا ، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا .

﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)** ﴾ .

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ ، فقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً** ﴾ أى : على المنبر تخطب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقتادة .

وزعم مقاتل بن حبان : أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم . وقد صَحّ بذلك الخبر ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا بن إدريس ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر قال : قَدمَت عيرٌ المدينة، ورسول الله ﷺ يخطب ، فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا ، فنزلت : ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا** ﴾ .

أخرجاه فى الصحيحين ، من حديث سالم ، به [٤] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا هُشَيم ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبى الجعد وأبى سفيان ، عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عيرٌ إلى المدينة ، فابتدرها أصحابُ رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا، فقال رسول الله ﷺ :« والذى نفسى بيده ، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الوادى

---

(١) فى م : « وروى أيضا ». (٢) فى أ : « كتب الله » .

(٣) جاء من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، رواه الإمام أحمد فى المسند (١/ ٤٧) والترمذى فى السنن برقم (٣٤٢٨) وابن ماجة فى السنن برقم (٢٢٣٥) وقال الترمذى : « هذا حديث غريب » .

(٤) المسند (٣/ ٣١٣) وصحيح البخارى برقم (٤٨٩٩) وصحيح مسلم برقم (٨٦٣) .

ناراً » ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ ، وقال : كان فى الاثنى عشر الذين ثَبَتُوا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر ، وعمر ، رضى الله عنهما [١] .

وفى قوله : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ : دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد رَوَى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سَمُرَة قال : كانت للنبى ﷺ خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس .

لكن هاهنا شىء ينبغى أن يُعلَم وهو : أن هذه القصة قد قيل : إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدّم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل : حدثنا محمود بن خالد، عن الوليد ، أخبرنى أبو معاذ بُكَير بن مَعروف ، أنه سمع مُقَاتل بن حَيَّان يقول : « كان رسول الله ﷺ يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى إذا كان يومٌ والنبى ﷺ يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحيةَ بن خليفةَ قد قدمَ بتجارة [٢] . يعنى : فانفضوا ، ولم يبق معه إلا نفر يسير .

وقوله : ﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ ﴾ أى : الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة ﴿ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أى : لمن توكل عليه ،وطلب الرزق فى وقته .

---

(١) مسند أبى يعلى (٣/٤٦٨) .

(٢) المراسيل برقم (٦٢) .

تفسير سورة المنافقون

وهى مدنية [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين : أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاؤوا النبى ﷺ ، فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك ، بل على الضدّ من ذلك ؛ ولهذا قال تعالى : **﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾** أى : إذا حَضَروا عندك [٢] واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون: ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ، فقال : **﴿ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾** .

ثم قال : **﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾** أى : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

وقوله : **﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾** أى : اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحَلْفات الآثمة ، ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون [٣] ، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون ، وهم من [٤] شأنهم إنهم كانوا [٥] فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبَلا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير [٦] على كثير من الناس . ولهذا قال تعالى : **﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** . ولهذا كان الضحاك بن مُزَاحم يقرؤها : « اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ جُنَّةً » أى : تصديقهم الظاهر جُنَّة ، أى : تقية يتقون به القتل . والجمهور يقرؤها [٧] : **﴿ أَيْمَانَهُمْ ﴾** جميع يمين .

[وقوله] [٨] : **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾** أى : إنما قُدّر عليهم

---

(١) فضائل هذه السورة ذكرت فى أول سورة الجمعة .
(٢) فى أ : « إليك ». (٣) فى أ : « فاعتقدهم مسلمين » . (٤) فى م : « فى » .
(٥) فى أ : « كانوا يقولون » . (٦) فى أ : « كثير » . (٧) فى م، أ : « قرؤوها » .
(٨) زيادة من م ، أ .

النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى ﴿ **فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ** ﴾ أى: فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعى ولا تهتدى .

﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾ أى : كانوا أشكالاً حسنة وذوى فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم [1] لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخَور والهلع والجزع والجبن ؛ ولهذا قال : ﴿ **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ** ﴾ أى : كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف ، يعتقدون ، لجبنهم ، أنه نازل بهم ، كما قال تعالى : ﴿ **أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [الأحزاب:١٩] ، فهم جَهَامات وصور بلا معانى . ولهذا قال : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ أى : كيف يُصرَفون عن الهدى إلى الضلال .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قُدامة الجُمَحى ، عن إسحاق بن بكر [2] بن أبى الفرات ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى. عن أبيه ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نُهبَة ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلا هُجْرا ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرا ، مستكبرين لا يألَفون ولا يُؤلَفون ، خُشُبٌ بالليل، صُخُب بالنهار » .وقال يزيد مرَةً : سُخُبٌ بالنهار [3] .

﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨)** ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين ــ عليهم لعائن الله ــ أنهم ﴿ **إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ** ﴾ أى : صَدوا وأعرضوا عما قيل لهم ، استكباراً عن ذلك ، واحتقارا لما قيل لهم. ولهذا قال : ﴿ **وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ﴾ . ثم جازاهم على ذلك فقال : ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ ، كما قال فى سورة «براءة »، وقد تقدم الكلام عن ذلك ، وإيراد الأحاديث المروية هنالك .

---

(١) فى م :« إلى قلوبهم » . (٢) فى أ :« بكير » .
(٣) المسند (٢/ ٢٩٣) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابنُ أبى عُمَر العَدَنى [١] قال : قال سفيان ﴿ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ : قال ابن أبى عمر : حولَ سفيان وجهه على يمينه ، ونظر بعينه شَزْرا ، ثم قال : هم[٢] هذا .

وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبد الله بن أبى ابن سلول ، كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قال محمد بن إسحاق فى السيرة :ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ــ يعنى مَرْجعَه من أحد ــ وكان عبد الله بن أبى ابن سلول ــ كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ــ له مقام يَقُومه كل جُمُعة لا يُنكر، شَرَفاً له من نفسه ومن قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام ، فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزكم به ، فانصروه وعَزّروه ،واسمعوا له وأطيعوا . ثم جلس ،حتى إذا صَنَع يوم أحُد ما صنع ــ يعنى مرجعه بثلث الجيش ــ ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعتَ ما صنعتَ . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بَجْراً ؛ أن قُمت أشدد أمره . فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك . ما لك ؟ قال : قمتُ أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوننى ويعنفوننى ، لكأنما قلت بَجْراً ، أن قمت أشدد أمره . قالوا : ويلك . ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . فقال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى [٣] .

وقال قتادة والسدى : أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى ، وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعَذَموه [٤] ، وأنزل الله فيه ما تسمعون، وقيل لعدو [٥] الله : لو أتيت رسول الله ﷺ ؟ فجعل يلوى رأسه ، أى : لست فاعلا [٦].

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو الربيع الزهرانى ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير : أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه ، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أنَ عبدَ الله بن أبى ابن سلول قال : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ . فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله بن أبى : ائت النبى ﷺ حتى يستغفر لك . فأنزل الله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان فى غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ؛ فإنَ عبد الله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المُرَيسيع ، وهى غزوة بنى المصطلق .

(١) فى أ : « العدوى » .
(٢) فى م ، أ : « هو » .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٠٥) .
(٤) فى م: « وعزلوه » ، وفى أ : « وعرموه » .
(٥) فى م ، أ : « وقيل لعبد » .
(٦) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٧١) .

قال يونس بن بُكَيْر ، عن ابن إسحاق : حدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عُمَر بن قتادة ، فى قصة بنى المصطلق : فبينا رسول الله مقيم هناك ، اقتتل على الماء جَهجاه بن سعيد الغفارى ــ وكان أجيرا ــ لعمر بن الخطاب ، وسنان بن وَبْر [١] قال ابن اسحاق: فحدثنى محمد بن يحيى بن حَبَّان قال : ازدحما على الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار. وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين ــ وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبى ــ فلما سمعها قال : قد ثاوَرونا فى بلادنا . والله ما مثلُنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : «سَمن كلبك يأكلك » . والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها . فسمعها زيد بن الأرقم ، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غُلَيّمٌ ــ وعنده بن الخطاب رضى الله عنه ــ فأخبره الخبر ، فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله مرُ عَبّاد بن بشْر [٢] فليضرب عنقه . فقال ﷺ : « فكيف إذا تحدث الناس ــ يا عمر ــ أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ناد يا عمر فى الرحيل » .

فلما بلغ عبدَ الله بن أبى أن ذلك قد بلغ رسولَ الله ﷺ ، أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم ــ وكان عند قومه بمكان ــ فقالوا : يا رسول الله ، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله ﷺ مُهجَراً فى ساعة كان لا يروح فيها ، فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة ، ثم قال : والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكَرَة ما كنت تروح فيها . فقال رسول الله ﷺ : « أما بلغك [٣] ما قال صاحبك ابن أبى ؟ . زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل » . قال : فأنت ــ يا رسول الله ــ العزيزُ وهو الذليل . ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الْخَرَزَ لِنُتَوّجه ، فإنه ليرى [٤] أن قد استلبتَه ملكا .

فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا ، وليلته حتى أصبحوا ، وصَدرَ يومه حتى اشتد الضحى. ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مَس الأرض فناموا ، ونزلت سورة المنافقين [٥] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا الحُمَيدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا [٦] عمرو بن دينار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ فى غَزَاة فكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصارى : ياللأنصار . وقال المهاجرى : يا للمهاجرين . فقال رسول الله ﷺ : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة » . وقال عبد الله بن أبى ابن سلول ــ وقد فعلوها ــ : والله لئن رجعنا

(١) فى م : « سنان بن يزيد » .　(٢) فى أ : « بشير » .　(٣) فى م : « ما بلغك » .
(٤) فى م : « يرى » .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٩٠ ــ ٢٩٢) .
(٦) فى م :« عن » .

إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبى ﷺ : « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » (١) .

ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزى ، عن سفيان بن عيينة (٢) . ورواه البخارى عن الحميدى ، ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره ، عن سفيان ، به نحوه (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القُرَظى ، عن زيد بن أرقم قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، فقال عبد الله بن أبى : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأتيت النبى (٤) ﷺ فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبى أنه لم يكن شىء من ذلك . قال : فلامنى قومى وقالوا : ما أردتَ إلى هذا؟ قال : فانطلقت فنمتُ كئيبا حَزينا ، قال : فأرسل إلى نبى الله ﷺ فقال : « إن الله قد أنزل عُذركَ وصَدّقك » . قال : فنزلت هذه الآية ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ حتى بلغ : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ .

ورواه البخارى عند هذه الآية ، عن آدم بن أبى إياس ، عن شعبة (٥) ، ثم قال : « وقال ابن أبى زائدة ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبى ليلى ، عن زيد ، عن النبى ﷺ ورواه الترمذى والنسائى عندها أيضا من حديث شعبة ، به (٦) .

طريق أخرى عن زيد : قال الإمام أحمد ، رحمه الله ، حدثنا يحيى بن آدم ، ويحيى بن أبى بُكَير(٧) قال: حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم ـ وقال ابن أبى بُكَير (٨) : عن زيد بن أرقم ـ قال : خرجت مع عمى فى غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فذكرت ذلك لعمى ، فذكره عمى لرسول الله ﷺ فأرسل إلىَّ رسولُ الله ﷺ فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه فحلفوا ما قالوا : فكَذبنى رسول الله ﷺ وصَدَقه ، فأصابنى هَمٌّ لم يصبنى مثله قط ، وجلست فى البيت ، فقال عمى : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك. قال: حتى أنزل الله : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ قال : فبعث إلىَّ رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله على ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » (٩) .

ثم قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق : أنه سمع زيد

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٥٣) .
(٢) المسند (٣/ ٣٩٢) .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٧) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٤) .
(٤) فى م :« رسول الله » .
(٥) المسند (٤/ ٣٦٨) وصحيح البخارى برقم (٤٩٠٢) .
(٦) سنن الترمذى برقم (٣٣١٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩٤) .
(٧) فى أ : « بكر » .
(٨) فى م : « وقال أبو بكر » .
(٩) المسند (٤/ ٣٧٣) .

ابن أرقم يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، فأصاب الناس شدةٌ ، فقال عبد الله بن أبى لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله . وقال :، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فأتيت النبى ﷺ فأخبرته بذلك ، فأرسل إلى عبد الله بن أبى فسأله ، فاجتهد يمينَه ما فعل . فقالوا : كذب زيد يا رسول الله . فوقع فى نفسى ما قالوا ، حتى أنزل الله تصديقى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُون** ﴾ . قال : ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم ، فلووا رؤوسهم . وقوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ** ﴾ قال : كانوا رجالا أجمل شىء .

وقد رواه البخارى ومسلم والنسائى ، من حديث زهير [١] . ورواه البخارى أيضا والترمذى من حديث إسرائيل ، كلاهما عن عن أبى إسحاق عمرو [٢] بن عبد الله السَّبيعىّ الهمدانى الكوفى ، عن زيد ، به [٣] .

طريق أخرى عن زيد : قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى سعد [٤] الأزدى قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نَبْتَدرُ الماء ، وكان الأعراب يسبقوننا يسبق الأعرابى أصحابه يملأ الحوض ، ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النّطع عليه حتى يجىء أصحابه . قال : فأتى رجل من الأنصار الأعرابى ، فأرخى زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه ، فانتزع حجراً ففاض الماء ، فرفع الأعرابى خشبة ، فضرب بها رأس الأنصارى فشجّه ، فأتى عبدَ الله ابن أبىّ رأسَ المنافقين فأخبره ــ وكان من أصحابه ــ فغضب عبد الله بن أبى ، ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ــ يعنى الأعراب ــ وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام . فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل . قال زيد : وأنا ردْف عَمّى ، فسمعتُ عبد الله فأخبرت عَمّى ، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ، فحلف وجَحَد ، قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبنى ، فجاء إلى عمى فقال : ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبكَ والمسلمون . فوقع على من الغم ما لم يقع على أحد قط ، فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ فى سفر وقد خَفَقْتُ برأسى من الهم ، إذ أتانى رسول الله ﷺ فَعَرَكَ أذنى ، وضحك فى وجهى ، فما كان يسرنى أن لى بها الخلد فى الدنيا ، ثم إن أبا بكر لحقنى وقال: ما قال لك رسول الله ﷺ قلت : ما قال لى رسول الله شيئاً ، غير أن عرك أذنى وضحك فى وجهى. فقال : أبشر . ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر . فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين .

انفرد بإخراجه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقى عن

---

(١) المسند (٣٧٣/٤) وصحيح البخارى برقم (٤٩٠٣) وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٥٩٨) .

(٢) فى أ : « عن أبى إسحاق عن عمرو » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٠) وسنن الترمذى برقم (٣٣١٢)

(٤) فى م: « عن أبى سعيد » .

الحاكم عن أبى العباس محمدين أحمد المحبوبى ، عن سعيد بن مسعود ، عن عبيد الله بن موسى ، به [(١)]. وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ﴾ حتى بلغ : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ﴾ حتى بلغ : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾ .

وقد روى عبد الله بن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروَةَ بن الزبير فى المغازى ـ وكذا ذكر موسى بن عقبة فى مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذى بَلْغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أبىّ ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم ، من بنى الحارث بن الخزرج. فلعله مبلغ آخر ، أو تصحيف من جهة السمع ، والله أعلم .

وقد قال ابن أبى حاتم ، رحمه الله : حدثنا محمد بن عزيز الأيلى ، حدثنى سلامة ، حدثنى عقيل ، أخبرنى محمد بن مسلم ، أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصارى أخبراه : أن رسول الله ﷺ غزا عزوة المريسيع ، وهى التى هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التى كانت بين قفا المُشَلّل وبين البحر ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان فى غزوة رسول الله ﷺ تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من بَهْز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى ، فقال البهزى : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار، وقال المهاجرى : يا معشر المهاجرين . فنصره رجال من المهاجرين ، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شىء من القتال ، ثم حُجز بينهم فانكفأ كل منافق ـ أو : رجل فى قلبه مرض ـ إلى عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرْجَى وتَدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب ـ وكانوا يَدعُون كُلّ حديث هجرة [(٢)] : الجلابيب ـ فقال عبد الله بن أبى عدو الله : [والله] [(٣)] لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخْشُم ـ وكان من المنافقين ـ : أولم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا . فسمع بذلك عمرُ بن الخطاب ، فأقبل يمشى حتى جاء [(٤)] رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس ، أضربُ عنقه ـ يريد عمرُ عبدَ الله بن أبى ـ فقال رسول الله ﷺ لعمر : « أو قاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » . قال : عمر [نعم][(٥)] والله لئن أمرتنى بقتله لأضربَنّ عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « اجلس » . فأقبل أسيدُ بن الحضير [(٦)] ـ وهو أحد الأنصار، ثم أحد بنى عبد الأشهل ـ حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس [حتى] [(٧)] أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « أوقاتله أنتَ إن أمرتُك بقتله ؟ » . قال : نعم ، والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن بالسيف تحت قُرط أذنيه . فقال رسول الله ﷺ : « اجلس » . ثم قال رسول الله ﷺ : « آذنوا بالرحيل » . فَهَجَّرَ بالناس ، فسار

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٣١٣) ودلائل النبوة للبيهقى (٤/ ٥٤) .

(٢) فى م :«أهجرة » . (٣) زيادة من م . (٤) فى أ : « حتى أتى » .

(٥) زيادة من م ، أ . (٦) فى م: « حضير » . (٧) زيادة من م .

يومه وليلته والغد حتى مَتَعَ النهار ، ثم نزل . ثم هَجَّر بالناس مثلها ، فَصبح [١] بالمدينة فى ثلاث سارها من قفا المُشَلَّل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : «أىْ عمر ، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال [٢] عمر : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : « والله لو قتلته يومئذ لأرغمتَ أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتثلوه [٣] فيتحدث الناسُ أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبراً » . وأنزل الله عز وجل : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ إلى قوله : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ [لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَل] [٤] ﴾ الآية .

وهذا سياق غريب ، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

وقال محمد بن إسحاق بن يَسار : حدثنى عاصم بن عُمَر بن قتادة : أن عَبدَ الله بن أبى ـ يعنى لما بلغه ما كان من أمر أبيه ـ أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبَىّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفق به ونحسن صحبته ، ما بقى معنا » [٥] .

وذكر عكرمةُ وابن زيد وغيرهما : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة ، وقف عبدُ الله بن عبد الله هذا على باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه : وراءك . فقال : مالك ؟ ويلك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذنَ لك رسول الله ﷺ ، فإنه العزيز وأنت الذليل . فلما جاء رسول الله ﷺ ـ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبدُ الله بن أبىّ ابنه ، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فَجُز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير فى مسنده : حدثنا سفيان بن عُيَينة ، حدثنا أبو هارون المدنى قال: قال عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول : رسولُ الله ﷺ الأعز وأنا الأذل . قال وجاء النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد أن تقتل أبى ، فو الذى بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لآتينك ، فإنى أكره أن أرى قاتل أبى [٦] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا

---

(١) فى م : « حتى صبح » .

(٢) فى م : « فقال » .

(٣) فى م : « لقتلوه » .

(٤) زيادة من م ، أ .

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٩٢) .

(٦) مسند الحميدى (٢/ ٥٢٠) .

جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ .

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبراً لهم بأنه من التَهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ثم حثهم على الإنفاق فى طاعته فقال : **﴿وأَنفقُوا من مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾** ، فكل مُفَرِّط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ، يستعتب ويستدرك ما فاته ، وهيهات ! كان ما كان ، وأتى ما هو آت ، وكل بحسب تفريطه ، أما الكفار فكما قال [الله] [1] تعالى: **﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾** [إبراهيم: ٤٤] . وقال تعالى : **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠] .

ثم قال تعالى : **﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** أى : لا ينظر أحداً بعد حلول أجله ، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً فى قوله وسؤاله ممن لو رُدَّ لعاد إلى شر مما كان عليه ؛ ولهذا قال : **﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** .

وقال أبو عيسى الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو جَنَاب الكلبى ، عن الضحاك بن مُزاحم ، عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاةٌ ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا ابن عباس ، اتق الله ، فإنما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآناً : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنفقُوا من مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ [وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا]** [2] **وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾** قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير .

ثم قال : حدثنا عبد بن حُمَيد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن يحيى بن أبى حَيَّة ــ وهو أبو جناب الكلبى ــ عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ ، بنحوه [3] .

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبى جَنَاب ، عن ابن الضحاك ، عن ابن عباس، من قوله . وهو أصح ، وضعَّف أبا جناب الكلبى .

---

(١) زيادة من أ .

(٢)زيادة من م ،وفى هـ : « إلى قوله » .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣١٦).

قلت : رواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن نُفَيل ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة الجهنى ، عن عمه ـ يعنى أبا مشجعة بن رِبْعِى ـ عن أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال : « إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبدَ ذُرية صالحة يدعون له ، فليحقه دعاؤهم فى قبره » [(١)] .

آخر تفسير سورة « المنافقون » [(٢)] ، ولله الحمد والمنة

(١) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ٢٨٥) من طريق الوليد بن عبد الملك، عن سليمان بن عطاء به وسليمان بن عطاء مجمع على ضعفه.

(٢) فى أ :« المنافقين » .

تفسير سورة التغابن

وهى مدنية ، وقيل : مكية .

قال الطبرانى : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقى ،حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، حدثنا الوليد بن الوليد ،حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن أبى رباح ،عن عبد الله بن عَمرو، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » [(١)] .

أورده ابن عساكر فى ترجمة « الوليد بن صالح » [(٢)] ، وهو غريب جداً ، بل منكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) ﴾ .

هذه السورة هى آخر المُسَبِّحات ، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ؛ ولهذا قال : ﴿ **لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ** ﴾ أى : هو المتصرف فى جميع الكائنات ، المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره .

وقوله : ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ أى : مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ** ﴾ أى : هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده ، وسيجزيهم بها أتم الجزاء ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ .

ثم قال: ﴿ **خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ** ﴾ أى : بالعدل والحكمة ،﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ أى : أحسن أشكالكم ، كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ**

---

(١) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٢٩٠) عن أحمد ، عن أيوب بن محمد الوزان، عن الوليد بن الوليد به ، وقال : « لم يروه عن ابن ثوبان إلا الوليد القلانسى » والوليد ضعيف .

(٢) تاريخ دمشق (١٧/ ٨٣١ « المخطوط ») .

فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ ــ ٨] ، وكقوله : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾ الآية [غافر: ٦٤] ، وقوله : ﴿ **وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ أي: المرجع والمآب .

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية ،فقال : ﴿ **يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ .

﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)** ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين ، وما حل بهم من العذاب والنكال ؛ في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق ، فقال : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ** ﴾ أي : خبرهم وما كان من أمرهم ، ﴿ **فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ** ﴾ أي : وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم ، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ أي : في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي . ثم علل ذلك فقال : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ أي : بالحجج والدلائل والبراهين ﴿ **فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا** ﴾؟ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم ، ﴿ **فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا** ﴾ أي : كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل،﴿ **وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ** ﴾ أي : عنهم ، ﴿ **وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾.

﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)** ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن المشركين والكفار والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون : ﴿ **قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ** ﴾ أي : لتُخْبَرُنَّ بجميع أعمالكم ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، ﴿ **وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ أي : بعثكم ومجازاتكم .

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه ، عز وجل ، على وقوع المعاد ووجوده، فالأولى في سورة يونس: ﴿ **وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ** ﴾ [يونس: ٥٣]، والثانية في سورة سبأ : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ** ﴾ الآية

[سبأ:٣] ، والثالثة هى هذه [﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾] (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا ﴾ يعنى: القرآن ، ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ أى : فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾: وهو يوم القيامة ، سمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون فى صعيد واحد، يسمعهم الداعى وينفُذهم البصر ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود:١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠] .

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة . وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار . وكذا قال قتادة ومجاهد .

وقال مقاتل بن حيان : لا غبن أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ، ويُذْهَب بأولئك إلى النار.

قلت : وقد فسر ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ . وقد تقدم تفسير مثلُ هذه (٢) غير مرة .

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به فى سورة الحديد : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾ [الحديد:٢٢] ،وهكذا قال هاهنا: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾: قال ابن عباس : بأمر الله ، يعنى : عن قدره (٣) ومشيئته .

﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أى : ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوَّضه عما فاته من الدنيا هُدى فى قلبه ، ويقيناً صادقاً ، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه ، أو خيراً منه .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ يعنى : يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

---

(١) زيادة من م ، أ . (٢) فى م : « هذا » ، وفى أ : « ذلك ».

(٣) فى أ : « عن قدرته » .

وقال الأعمش ، عن أبى ظَبْيان قال: كنا عند علقمة فقُرئ عنده هذه الآية : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ، فسُئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم. رواه ابن جرير(١) ، وابن أبى حاتم (٢) .

وقال سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان : ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ يعنى: يسترجع ، يقول : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦] .

وفى الحديث المتفق عليه : « عجباً للمؤمن ، لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » (٣) .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن على بن رَبَاح ؛ أنه سمع جنادة بن أبى أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال : « إيمان بالله ، وتصديق به ، وجهاد فى سبيله » . قال : أريد أهونَ من هذا يا رسول الله . قال : « السماحة والصبر » . قال : أريد أهون من ذلك يارسول الله . قال : « لا تتهم الله فى شىء ، قضى لك به » . لم يخرجوه (٤) .

وقوله : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ : أمرٌ بطاعة الله ورسوله فيما شرع ، وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى (٥) وزجر ، ثم قال : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ أى : إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حُمِّل من البلاغ ، وعليكم ما حُمِّلْتم من السمع والطاعة .

قال الزهرى : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم (٦) .

ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد ، الذى لا إله غيره ، فقال : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فالأول خَبَرٌ عن التوحيد، ومعناه معنى الطلب، أى: وحدوا الإلهية له ، وأخلصوا لديه ، وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل:٩] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ .

(١) تفسير الطبرى (٢٨/٧٩) .

(٢) فى م : « وابن أبى حاتم فى تفسيرهما » .

(٣) الحديث رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومى ، رضى الله عنه .

(٤) المسند (٥/٣١٨) .

(٥) فى م : « ما ينهى عنه » .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه معلقاً (١٣/٥٠٣) « فتح » .

يقول تعالى مخبراً على الأزواج والأولاد : أن منهم من هو عدو الزوج والوالد ، بمعنى : أنه يلتهى به عن العمل الصالح ، كقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المنافقون:٩] ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ قال ابن زيد : يعنى على دينكم .

وقال مجاهد : ﴿ **إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ** ﴾ قال : يحملُ الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه .

وقال ابن أبى حاتم ، حدثنا أبى ،حدثنا محمد بن خلف العسقلانى [(١)] ، حدثنا الفريابى ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سمَاك بن حرب ،عن عكْرمة ، عن ابن عباس ــ وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ ــ قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعوهم ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناسَ قد فقهوا فى الدين ، فَهَمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ **وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ .

وكذا رواه الترمذى عن محمد بن يحيى ، عن الفريابى ــ وهو محمد بن يوسف ــ به [(٢)]. وقال:حسن صحيح . ورواه ابن جرير والطبرانى ، من حديث إسرائيل ، به [(٣)] . ورُوى من طريق العوفى ، عن ابن عباس ، نحوه ، وهكذا قال عكرمة مولاه سواء .

وقوله : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ : يقول تعالى : إنما الأموال والأولاد فتنة ، أى : اختبار وابتلاء من الله لخلقه . ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

وقوله : ﴿ **وَاللَّهُ عِندَهُ** ﴾ أى : يوم القيامة ﴿ **أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ كما قال : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ [ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ والتى بعدها] [(٤)] [آل عمران:١٤، ١٥].

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى حُسَين بن واقد ، حدثنى عبد الله بن بُرَيْدة، سمعت أبى [(٥)] بريدة يقول : كان رسول الله ﷺ يخطب ، فجاء الحسن والحسين ،رضى الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال : « صدق الله ورسوله ،إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » .

---

(١) فى م : « الصيدلانى » .
(٢) سنن الترمذى برقم (٣٣١٧) .
(٣) تفسير الطبرى (٢٨/ ٨٠) والمعجم الكبير للطبرانى (١١/ ٢٧٥) .
(٤) زيادة من م ، وفى هـ : « الآية » .
(٥) فى هـ ، م ، أ : « أبا » ، والمثبت من المسند .

ورواه أهل السنن من حديث حُسَين بن واقد ، به [١]. وقال الترمذى : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديثه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج بن النعمان ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبى ، حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ فى وفد كندة ، فقال لى : « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لى فى مَخرَجى إليك من ابنة جمْد ، ولَوَدِدْتُ أن بمكانه : شبَعَ القوم . قال : « لا تقولن ذلك ، فإن فيهم قرة عين ، وأجراً إذا قبضوا » ، ثم قال : « ولئن قلت ذاك : إنهم لمجبنة مَحْزنة إنهم لمجبنة مَحْزنة » تفرد به أحمد [٢] ، رحمه الله تعالى .

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمود بن بكر ، حدثنا أبى ، عن عيسى [بن أبى وائل] [٣]، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « الولد ثمرة القلوب ، وإنهم مَجبنة مَبخلة محزنة » ثم قال :لا يعرف إلا بهذا الإسناد [٤] .

وقال الطبرانى : حدثنا هاشم بن مرثد [٥] ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثنى أبى، حدثنى ضَمْضَمُ بنُ زُرْعَةَ ، عن شريح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى ؛ أن رسول الله ﷺ قال : «ليس عدوك الذى إن قتلته كان فوزاً لك ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن الذى لعله عدو لك ولدك الذى خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالُك الذى ملكت يمينك » [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ أى : جهدكم وطاقتكم . كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » [٧] .

وقد قال بعض المفسرين ـ كما رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ـ إن هذه الآية العظيمة ناسخة للتى فى «آل عمران» وهى قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنى يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنى ابن لَهيعة ، حدثنى عطاء ـ هو ابن دينار ـ عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ قال : لما نزلت الآية اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ ، فنسخت الآية الأولى .

---

(١) المسند (٥/ ٣٥٤) وسنن أبى داود برقم (١١٠٩) وسنن الترمذى برقم (٣٧٧٤) وسنن النسائى (٣/ ١٠٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٦٠٠).

(٢) المسند (٥/ ٢١١) .

(٣) زيادة من أ .

(٤) مسند البزار برقم (١٨٩٢) « كشف الأستار » قال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥٥) : « وفيه عطية العوفى وهو ضعيف » المجبنة : مظنة للجبن ، والمبخلة : سبب للبخل ، والمحزنة : سبب للحزن .

(٥) فى هـ ، م ، أ : « مزيد » ، والمثبت من المعجم الكبير .

(٦) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٤) وفيه ضعف وانقطاع وقد تقدم بيانه مراراً .

(٧) صحيح البخارى برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧) .

وروى عن أبى العالية ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسُّدِّىّ ، ومُقاتل بن حَيَّان ، نحو ذلك .

وقوله : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ أى : كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ، ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدى الله ورسوله ،ولا تتخلفوا عما به أمرتم ، ولا تركبوا ما عنه زُجرتم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ ﴾ أى : وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحَاجات ، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم ، يكن خيراً لكم فى الدنيا والآخرة ، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم فى الدنيا والآخرة .

وقوله : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ : تقدم تفسيره فى سورة « الحشر » وذكر الأحاديث الواردة فى معنى هذه الآية ، بما أغنى عن إعادته هاهنا ، ولله الحمد والمنة ، وقوله: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أى : مهما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، ومهما تصدقتم من شىء فعليه جزاءه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول : « من يقرض غير ظلوم ولا عديم » (١) . ولهذا قال : ﴿ يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾ كما تقدم فى سورة البقرة : ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أى : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴾ أى : يجزى على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ ﴾ أى :[يعفو و] (٢) يصفح ويغفر ويستر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات .

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ : تقدم تفسيره غير مرة .

---

(١) صحيح مسلم برقم(٧٥٨) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه

(٢) زيادة من م.

تفسير سورة الطلاق

وهى مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) ﴾ .

خُوطب النبى ﷺ أولا تشريفاً وتكريما ،ثم خاطب الأمة تبعاً فقال : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾** .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهبارى ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة ، فأتت أهلها ، فأنزل الله ، عز وجل: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾** فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة ، وهى من أزواجك ونسائك فى الجنة .

ورواه ابن جرير ، عن ابن بشار ، عن عبد الأعلى،عن سعيد ،عن قتادة . . . فذكره مرسلا[(١)].
وقد ورد من غير وجه : أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها .

وقال البخارى : حدثنا يحى بن بُكَيْر ، حدثنا الليث وعقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرنى سالم : أن عبد الله بن عمر أخبره : أنه طلق امرأة له وهى حائض ، فذكر عمرُ لرسول الله ﷺ ، فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال : « ليراجعها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها ، فتلك العدة التى أمر الله ، عز وجل » [(٢)] .

هكذا رواه البخارى هاهنا وقد رواه فى مواضع من كتابه ، ومسلم ، ولفظه : « فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء » [(٣)] .

ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة [(٤)] ، ومواضع استقصائها كتب الأحكام .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٨٥) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٨) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٢٥١) وصحيح مسلم برقم (١٤٧١) .

(٤) المسند (٢/ ٢٦،٤٣،٥١،٥٤،٥٨) وسنن أبى داود برقم (٢١٧٩) وسنن النسائى (٦/ ١٣٨) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٢٣) .

وأمَسُّ لفظ يورَد هاهنا ما رواه مسلم فى صحيحه ، من طريق ابن جُرَيْج : أخبرنى أبو الزبير : أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن ـ مولى عَزة يسأل ابن عمر ـ وأبو الزبير يسمع ذلك : كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضاً ؟ فقال : طَلَّق ابن عمر امرأتهُ حائضا على عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهى حائض ،فقال رسول الله ﷺ:«ليراجعها» فَردَّها ، وقال : « إذا طهرت فليطلق أو يمسك » . قال ابن عمر : وقرأ النبى ﷺ : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ [1] .

وقال الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله فى قوله : ﴿**فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**﴾ قال: الطهر من غير جماع [2]. وروى عن ابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين ، وقتادة ، وميمون بن مِهْران ، ومقاتل بن حيان مثل ذلك . وهو رواية عن عكرمة ، والضحاك .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ قال : لا يطلقها وهى حائض ولا فى طهر قد جامعها فيه ، ولكن : تتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة .

وقال عكرمة : ﴿ **فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ : العدة : الطهر ،والقرء الحيضة ، أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ، ولا يدرى حبلى هى أم لا .

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة : أن يطلقها طاهراً من غير جماع ، أو حاملا قد استبان حملها . والبدعى : هو أن يطلقها فى حال الحيض ، أو فى طهر قد جامعها فيه ، ولا يدرى أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة، وهو طلاق الصغيرة والآيسة ، وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام فى ذلك وما يتعلق به مستقصى فى كتب الفروع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : ﴿ **وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ** ﴾ أى : احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ؛ لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج . ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ** ﴾ أى : فى ذلك .

وقوله : ﴿ **لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ** ﴾ أى : فى مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجها ، ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة [3] لحق الزوج أيضاً .

وقوله : ﴿ **إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ** ﴾ أى : لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرجِ من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل الزنا ، كما قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المُسَيِّب ، والشعبى ، والحسن ، وابن سيرين ،ومجاهد ، وعكْرِمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو قِلابة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراسانى ، والسُّدِّى ، وسعيد بن

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٧١) .

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ٨٣) .

(٣) فى أ : « لأنها متعلقة » .

أبى هلال ، وغيرهم . وتشمل ما ذا [١] نشزت المرأة أو بَذَت على أهل الرجل وآذتهم فى الكلام والفعال، كما قاله أبى بن كعب ، وابن عباس ، وعكرمة ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أى : شرائعه ومحارمه ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أى : يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ أى : بفعل ذلك .

وقوله : ﴿ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ أى : إنما أبقينا المطلقة فى منزل الزوج فى مدة العدة ، لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله فى قلبه رَجْعَتَها ، فيكون ذلك أيسر وأسهل .

قال الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن فاطمة بنت قيس فى قوله : ﴿ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ قال : هى الرجعة. وكذا قال الشعبى ، وعطاء ،وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل ابن حيان ، والثورى . ومن هاهنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم ،كالإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله ، إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة ، وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية ، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات ، وكان غائباً عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك ، فأرسل إليها وكيله بشعير ــ [يعنى] [٢] : نفقة ــ فَتَسَخَّطته فقال: والله ليس لك علينا نفقة . فأتت رسول الله ﷺ ، فقال : « ليس لك عليه نفقة » . ولمسلم:ولا سكنى ، وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ، ثم قال :« تلك امرأة يغشاها أصحابى، اعتدى عند ابن أم مكتوم ، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث [٣] .

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر ، فقال :

حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا مجالد ، حدثنا عامر قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس ، فحدثتنى أن زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ ، فبعثه رسول الله ﷺ فى سَرية . قالت : فقال لى أخوه : اخرجى من الدار . فقلت : إن لى نفقة وسكنى حتى يحل الأجل . قال : لا . قالت : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إن فلانا طلقنى ، وإن أخاه أخرجنى ومنعنى السكنى والنفقة ، [فأرسل إليه] [٤] فقال: « مالك ولابنة آل قيس »، قال: يا رسول الله ، إن أخى طلقها ثلاثا جميعاً. قالت : فقال رسول الله ﷺ : « انظرى يا بنت آل قيس، إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كان له عليها رجعة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى . اخرجى فانزلى على فلانة ». ثم قال : «إنه يُتحدّث إليها ، انزلى على ابن أم مكتوم ، فإنه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث [٥] .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عبد الله البزار التُّسْتَرِىّ ،حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ،حدثنا بكر بن بكار ، حدثنا سعيد بن يزيد البَجلى ، حدثنا عامر الشعبى : أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشى ، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة

(١) فى م ، أ : « وتشمل ما إذا » .
(٢) زيادة من م .
(٣) صحيح مسلم برقم (١٤٨٠) .
(٤) زيادة من المسند .
(٥) المسند (٦/ ٣٧٣) .

المخزومى، فقالت : إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق فى جيش إلى اليمن بطلاقى ، فسألت أولياءه النفقة على والسكنى ، فقالوا : ما أرسل إلينا فى ذلك شيئاً ، ولا أوصانا به . فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاقى ، فطلبت السكنى والنفقة على ، فقال أولياؤه : لم يرسل إلينا فى ذلك بشىء . فقال رسول الله ﷺ : « إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة ، فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى » .

وكذا رواه النسائى [١] عن أحمد بن يحيى الصوفى ، عن أبى نعيم الفضل بن دُكَيْن ، عن سعيد ابن يزيد وهو الأحمسى البَجَلى الكوفى . قال أبو حاتم الرازى : هو شيخ ، يروى عنه [٢] .

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) ﴾ .

يقول تعالى : فإذا بلغت المعتدات أجلهن ، أى : شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها ، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده . ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أى: محسناً إليها فى صحبتها ، وإما أن يعزم على مفارقتها ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أى : من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن .

وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أى : على الرجعة إذا عزَمتم عليها ، كما رواه أبو داود وابن ماجة ، عن عمران [٣] بن حُصَين : أنه سئِل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا رجعتها فقال : طَلَّقتَ لغير سنة ، ورجعت لغير سنة ، أشهِدْ على طلاقها وعلى رجعتها ، ولا تَعُدْ [٤] [٥] .

وقال ابن جُرَيج : كان عطاء يقول : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ قال : لا يجوز فى نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل ، كما قال الله ، عز وجل ، إلا أن يكون من عذر .

وقوله : ﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أى : هذا الذى أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة ، إنما يأتمر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا،ويخاف عقاب [٦] الله فى الدار الآخرة .

---

(١) المعجم الكبير (٢٤/ ٣٨٢) وسنن النسائى (٦/ ١٤٤) .

(٢) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٤/ ٧٤) .

(٣) فى م :«عن عمرو » .

(٤) فى أ : « ولا تعتد » .

(٥) سنن أبى داود برقم (٢١٨٦) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٢٥) .

(٦) فى م : « ويخاف عذاب » .

ومن هاهنا ذهب الشافعى ــ فى أحد قوليه ــ إلى وجوب الإشهاد فى الرجعة ، كما يجب عنده فى ابتداء النكاح . وقد قال بهذا طائفة من العلماء ، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإشهاد عليها .

وقوله : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ أى : ومن يتق الله فيما أمره به ، وتَرَكَ ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أى : من جهة لا تخطر بباله .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا كَهمس بن الحسن ،حدثنا أبو السليل ،عن أبى ذر قال : جعل رسول الله ﷺ يتلو علَىَّ هذه الآية : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : « يا أبا ذر ، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » . قال : فجعل يتلوها ويرددها على حتى نَعَست ، ثم قال : « يا أبا ذر ، كيف تصنع إن [1] أخرجت من المدينة ؟ » . قلت : إلى السعة والدّعة [2] أنطلق ، فأكون حمامة من حمام مكة . قال : «كيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟ » . قال: قلت : إلى السعة والدعة ، وإلى الشام والأرض المقدسة. قال: « وكيف تصنع إن أخرجتَ من الشام ؟ ». قلت : إذا ــ والذى بعثك بالحق [3] ــ أضع سيفى على عاتقى . قال : « أوخير من ذلك ؟ » . قلت : أوخير من ذلك ؟ قال : « تسمع وتطيع، وإن كان عبداً حبشياً » [4] .

وقال ابن أبى حاتم :حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا زكريا ، عن عامر ، عن شُتَير [5] ابن شكَل قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : إن أجمع آية فى القرآن : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل: ٩٠] ، وإن أكثر آية فى القرآن فرجاً : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ .

وفى المسند : حدثنى مهدى بن جعفر ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الحكم بن مصعب ، عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فرجاً ، ومن كل ضِيق مَخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » [6] .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ يقول : ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة ، ﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ .

وقال الربيع بن خثيم : ﴿ **يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ أى : من كل شىء ضاق على الناس .

وقال عكرمة :من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجاً . وكذا روى عن ابن عباس ، والضحاك.

---

(١) فى م: « إذا » . (٢) فى م : « إلى الدعة والسعة » . (٣) فى أ : « بالحق نبيا » .
(٤) المسند (٥/١٧٨) .
(٥) فى أ : « عن بسر ».
(٦) المسند (١/٢٤٨) .

وقال ابن مسعود ، ومسروق : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ : يعلم أن الله إن شاء منع ، وإن شاء أعطى ﴿ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب ﴾ أى [١] : من حيث لا يدرى .

وقال قتادة : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ أى : من شبهات الأمور والكرب [٢] عند الموت، ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب ﴾ ومن حيث لا يرجو أو لا يأمل .

وقال السدى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ : يطلق للسنة ، ويراجع للسنة ، وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له : « عوف بن مالك الأشجعى » كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، وكان أبوه يأتى رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التى هو بها وحاجته ، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ، ويقول له :« إن الله سيجعل لك فرجاً [٣] » . فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدى العدو فمر بغنم من أغنام العدو ، فاستاقها فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنى [٤] قد أصابه من الغنم ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ .

رواه ابن جرير [٥] ، وروى أيضاً من طريق سالم بن أبى الجعد مرسلا نحوه [٦] .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبى الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد لَيُحْرَمُ الرزق بالذنب يُصيبُه ، ولا يرد القَدر إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » .

ورواه النسائى وابن ماجة ، من حديث سفيان ــ وهو الثورى ــ به [٧] .

وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعى إلى رسول الله ﷺ فقال له : أسر ابنى عوف . فقال له رسول الله ﷺ : « أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله » . وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القِد عنه ، فخرج ، فإذا هو بناقة لهم فركبها ، وأقبل فإذا بسَرْح القوم الذين كانوا شدوه فصاح بهم ، فاتبع أولها آخرها ،فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب، فقال أبوه : عَوفٌ ورب الكعبة . فقالت أمه : واسوأتاه . وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد ــ فاستبقا الباب والخادم ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا ، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : قفا حتى آتى رسول الله ﷺ فأسأله عنها . فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله ﷺ : « اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعاً بمالك » . ونزل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ

---

(١) فى م :«أو » . (٢) فى أ :« والكروب » . (٣) فى م ، أ : « مخرجاً ».
(٤) فى م :« بغنم » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٨/ ٨٩) .
(٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٠) وقد جاء موصلاً ،أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٤٩٢) من طريق عبيد بن كثير العامرى ، عن عباد بن يعقوب ، عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن عمار بن أبى معاوية ،عن سالم بن أبى الجعد ، عن جابر ، رضى الله عنه ، قال: نزلت هذه الآية . . . فذكر نحو رواية السدى ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بقوله : « بل منكر، فيه عباد بن يعقوب رافضى جَبَل ، وعبيد بن كثير العامرى متروك ، قاله الأزدى » .
(٧) المسند (٥/ ٢٧٧) وسنن ابن ماجة برقم (٤٠٢٢) .

يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ .

رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، حدثنا الفضيل بن عياض ، عن هشام بن حسان [١] ، عن عمران بن حُصَين قال : قال رسول الله ﷺ : « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مَئُونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكَله إليها » [٢] .

وقوله : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ : قال الإمام أحمد :

حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، حدثنا قيس بن الحجاج ، عن حَنَش الصنعانى ، عن عبد الله بن عباس : أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا غلام ، إنى معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام، وجفت الصحف » .

وقد رواه الترمذى من حديث الليث بن سعد ، وابن لَهيعة ، به [٣] . وقال : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا بشير بن سلمان ، عن سيار أبى الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تُسَهَّل حاجته ، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل ، أو بموت آجل » .

ثم رواه عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن بشير ، عن سيار أبى حمزة ، ثم قال : وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق [٤] .

وقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ** ﴾ أى : منفذ قضاياه وأحكامه فى خلقه بما يريده ويشاؤه ﴿ **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ كقوله : ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ [الرعد:٨] .

﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

---

(١) فى م ، أ ، هـ : « الحسن » مستفاداً من هامش ط . الشعب .

(٢) ورواه الطبرانى فى المعجم الصغير (١/١١٦) ومن طريقه الخطيب فى تاريخه (٧/١٩٧) من طريق جعفر بن محمد البغدادى ، عن محمد بن على بن الحسن بن شقيق به ،وقال الطبرانى : « لم يروه عن هشام إلا الفضيل ، تفرد به إبراهيم بن الأشعث » وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٣٠٤) :« وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: يغرب ويخطئ ويخالف ،وبقية رجاله ثقات » .

(٣) المسند (١/٢٩٣) وسنن الترمذى برقم (٢٣٢٦) .

(٤) المسند (١/٤٤٢) .

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) ﴾ .

يقول تعالى مبيناً لعدة الآيسة ــ وهى التى قد انقطع عنها الحيض لكبرها ــ : أنها ثلاثة أشهر ، عوضاً عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض ، كما دلت على ذلك آية « البقرة » [(١)] ، وكذا الصغار اللائى لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ؛ ولهذا قال: ﴿**وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ**﴾ .

وقوله : ﴿ **إِنِ ارْتَبْتُمْ** ﴾ فيه قولان :

أحدهما ــ وهو قول طائفة من السلف ، كمجاهد ، والزهرى ، وابن زيد ــ : أى إن رأين دما وشككتم فى كونه حيضاً أو استحاضة ، وارتبتم فيه .

والقول الثانى : إن ارتبتم فى حكم عدتهن ، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر . وهذا مروى ، عن سعيد بن جبير . وهو اختيار ابن جرير ، وهو أظهر فى المعنى ، وَاحتَجَّ عليه بما رواه عن أبى كُرَيْب وأبى السائب قالا : حدثنا ابن إدريس ، أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم قال: قال أبى بن كعب : يا رسول الله ، إن عِدداً من عِدد النساء لم تذكر فى الكتاب : الصغار والكبار وأولات الأحمال [(٢)] . قال : فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ .

ورواه ابن أبى حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن مُطرِّف ، عن عمر [(٣)] بن سالم ، عن أبى بن كعب قال : قلت لرسول الله ﷺ : إن ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية التى فى « البقرة » فى عدة النساء قالوا : لقد بقى من عدة النساء عددٌ لم يُذكَرْنَ فى القرآن : الصغار والكبار اللائى قد انقطع عنهن الحيض ، وذوات الحمل . قال : فأنزلت التى فى النساء القصرى : ﴿ **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ : يقول تعالى : ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفُوَاق ناقة [(٤)] ، فى قول جمهور العلماء من السلف والخلف، كما هو نص هذه الآية الكريمة ، وكما وردت به السنة النبوية . وقد رُوى عن على ، وابن عباس ، رضى الله عنهم [(٥)] ، أنهما ذهبا فى المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر ، عملا بهذه الآية الكريمة ، والتى فى سورة « البقرة » . وقد قال البخارى :

حدثنا سعد [(٦)] بن حفص ، حدثنا شيبان ، عن يحيى قال : أخبرنى أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس ــ وأبو هريرة جالس ــ فقال : أفتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس: آخر الأجلين . قلت أنا : ﴿ **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾. قال أبو هريرة:

---

(١) هى الآية ٢٢٨.

(٢) فى أ : « الأحمال أجلهن » .

(٣) فى أ : « عن عمرو » .

(٤) فى أ: « بفراق تامة » .

(٥) فى أ : « عنهما » .

(٦) فى أ : « سعيد » .

أنا مع ابن أخى ــ يعنى أبا سلمة ــ فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها ، فقالت : قُتل زوج سُبَيعة الأسلمية وهى حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأنكحها رسول الله ﷺ ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها [(١)] .

هكذا أورد البخارى هذا الحديث هاهنا مختصراً . وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر [(٢)] ، وقال الإمام أحمد :

حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن المسور بن مَخْرَمَة ؛ أن سُبَيعَة الأسلمية تُوفى عنها زوجُها وهى حامل ، فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت ، فلما تَعَلَّت من نفاسها خُطِبت ، فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح ، فأذن لها أن تُنكَح ، فنُكحت .

ورواه البخارى فى صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة من طرق عنها [(٣)] ، كما قال مسلم ابن الحجاج :

حدثنى أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره أن يدخل على سُبَيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته . فكتب عُمر بن عبد الله يخبره أن سبيعة أخبرته أنها كانت تحت سَعد [(٤)] بن خَولة ــ وكان ممن شهد بدراً ــ فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل ، فلم تَنشَب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّت من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعكك فقال لها : ما لى أراك متجملة ؟ لعلك تَرجين النكاح ، إنك والله ما أنت بناكح حتى تَمرَ عليك أربعة أشهر وعشرٌ . قالت سُبَيعة : فلما قال لى ذلك جَمعتُ علىّ ثيابى حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك ، فأفتانى بأنى قد حَلَلت حين وضعتُ حملى ، وأمرنى بالتزوج [(٥)] إن بدا لى .

هذا لفظ مسلم . ورواه البخارى مختصراً [(٦)] ، ثم قال البخارى بعد [ذلك ، أى : بعد] [(٧)] رواية الحديث الأول عند هذه الآية :

وقال[(٨)] سليمان بن حرب وأبو النعمان : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد ــ هو ابن سيرين ــ قال : كنت فى حلقة فيها عبد الرحمن بن أبى ليلى ، رحمه الله ، وكان أصحابه يعظمونه ، فذكر آخر الأجلين ، فحدّثتُ بحديث سُبَيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة ، قال :

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٠٩) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٣١٨) وصحيح مسلم برقم (١٤٨٥) وسنن النسائى (٦/ ١٩١) .

(٣) المسند (٤/ ٣٢٧) وصحيح البخارى برقم(٥٣٢٠) وسنن النسائى (٦/ ١٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٢٩) كلهم من هذا الطريق الذى ساقه الإمام أحمد ، وأما مسلم وأبو داود فهو هذا الطريق الآتى بعده ، صحيح مسلم برقم (١٤٨٤) وسنن أبى داود برقم (٢٣٠٦) .

(٤) فى أ :« سعيد » .

(٥) فى م، أ : « بالتزويج » .

(٦) صحيح مسلم برقم(١٤٨٤) وصحيح البخارى برقم (٣٩٩١،٥٣١٩) .

(٧) زيادة من أ .

(٨) فى م : « وقال أبو سليمان » .

فَضَمَّزَلى [١] بعض أصحابه ، قال محمد : ففطنت له فقلت : إنى لجرىءٌ أن أكذبَ على عبد الله وهو فى ناحية الكوفة . قال : فاستحيا وقال : ولكن عَمّه لم يقل ذلك . فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته ، فذهب يحدثنى بحديث سُبَيعة ، فقلت : هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال : كنا عند عبد الله فقال : أتجعلون عليها التغليظ ، ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ نزلت [٢] سورة النساء القصرى بعد الطولى : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [٣] .

ورواه ابن جرير ، من طريق سفيان بن عُيَينة وإسماعيل بن عُلَيَّة ، عن أيوب به مختصرا [٤] . ورواه النسائى فى التفسير عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد بن الحارث ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، فذكره [٥] .

وقال ابن جرير : حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنى ابن شُبْرُمة الكوفى ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ؛ أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعنته ، ما نزلت : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها . قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت . يريد بآية المتوفى عنها زوجها : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقد رواه النسائى من حديث سعيد بن أبى مريم ، به [٦] . ثم قال ابن جرير :

حدثنا أحمد بن مَنِيع ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى قال: ذُكِرَ عند ابن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التى فى النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها [٧] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سِنان الواسطى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق قال : بلغ ابن مسعود أن عليا ، رضى الله عنه ، يقول : آخر الأجلين . فقال : من شاء لاعنته ، إن التى فى النساء القُصرَى نزلت بعد البقرة: ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ .

ورواه أبو داود وابن ماجة ، من حديث أبى معاوية ، عن الأعمش [٨] .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنى محمد بن أبى بكر المقدّمى ، أخبرنا عبد الوهاب الثقفى، حدثنى المثنى ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبى بن كعب قال: قلت للنبى ﷺ : ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾، المطلقة ثلاثا أو المتوفى

(١) فى أ : « فضم لى » . (٢) فى م :« أنزلت » .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩١٠) .
(٤) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٢) .
(٥) هو فى سنن النسائى (٦/ ١٩٦) ولم أقع عليه فى الكبرى .
(٦) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٢) وسنن النسائى (٦/ ١٩٧) .
(٧) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٢) .
(٨) سنن أبى داود برقم (٢٣٠٧) وسنن ابن ماجة برقم(٢٠٣٠) .

عنها [١] ؟ فقال : « هى المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها » [٢] .

هذا حديث غريب جدا ، بل منكر؛ لأن فى إسناده المثنى بن الصباح ،وهو متروك الحديث بمرّة، ولكن رواه ابن أبى حاتم بسند آخر ، فقال :

حدثنا محمد بن داود السِّمْنانى ، حدثنا عمرو بن خالد ــ يعنى : الحرانى ــ حدثنا ابن لَهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى بن كعب ، أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ : لا أدرى أمشتركة أم مبهمة ، قال رسول الله ﷺ : « أية آية ؟ » . قال : ﴿ **أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ ، المتوفى عنها والمطلقة ؟ قال : « نعم » .

وكذا رواه ابن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، به . ثم رواه عن أبى كريب أيضا ، عن مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبى المخارق أنه حدث عن أبىّ بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن : ﴿ **وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ قال : « أجل ، كل حامل أن تضع ما فى بطنها » [٣] .

عبد الكريم هذا ضعيف ، ولم يدرك أُبيًا .

وقوله : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ أى : يسهل له أمره ، وييسره عليه ، ويجعل له فرجا قريباً ومخرجاً عاجلاً .

ثم قال : ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ** ﴾ أى : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله ﷺ ، ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾ أى : يذهب عنه المحذور ، ويجزل له الثواب على العمل اليسير .

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده إذا طلّق أحدُهم المرأة أن يُسكنَها فى منزل حتى تنقضى عدتها ، فقال : ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم** ﴾ أى : عندكم ، ﴿ **مِّن وُجْدِكُمْ** ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى سَعَتكم . حتى قال قتادة : وإن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه .

---

(١) فى م : « عنها زوجها » .

(٢) زوائد المسند (٥/١١٦) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٨/٩٣) وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/ ٦٥٤) بعد ما ساق هذه الرواية : « وهذا المرفوع وإن كان لا يخلو شىء من أسانيده عن مقال ، لكن كثرة طرقه تشعر بأن له أصلاً ،ويعضده قصة سبيعة المذكوره » .

وقوله : ﴿ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ : قال مقاتل بن حيان : يعنى يضاجرها لتفتدى منه بمالها أو تخرج من مسكنه .

وقال الثورى ، عن منصور ، عن أبى الضُّحَى : ﴿ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ قال : يطلقها، فإذا بقى يومان راجعها .

وقوله : ﴿ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُن ﴾ : قال كثير من العلماء منهم ابن عباس ، وطائفة من السلف ، وجماعات من الخلف : هذه فى البائن ، إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها ، قالوا : بدليل أن الرجعية تجب نفقتها ، سواء كانت حاملاً أو حائلا .

وقال آخرون : بل السياق كله فى الرجعيات ، وإنما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية ؛ لأن الحمل تطول مدته غالبا ، فاحتيج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع ؛ لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة .

واختلف العلماء : هل النفقة لها بواسطة الحمل ، أو للحمل وحده ؟ على قولين منصوصين عن الشافعى وغيره ، ويتفرع عليها مسائل مذكورة فى علم الفروع .

وقوله : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ أى : إذا وضعن حملهن وهن طوالق ، فقد بنَّ بانقضاء عدتهن ، ولها حينئذ أن ترضع الولد ، ولها أن تمتنع منه ، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ ــ وهو باكورة اللبن الذى لا قوام للولد غالباً إلا به ــ فإن أرضعت استحقت أجرة مثلها ، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

وقوله: ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ أى: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف ، من غير إضرار ولا مضارة ، كما قال فى سورة «البقرة» : ﴿ لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وقوله : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴾ أى : وإن اختلف الرجل والمرأة ، فطلبت المرأة أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك ، أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه ، فليسترضع له غيرَها . فلو رضيت الأم بما استؤجرت عليه الأجنبية فهى أحق بولدها .

وقوله : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ أى : لينفق على المولود والده ، أو وليه ، بحسب قدرته ، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ كقوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

روى ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكَّام ، عن أبى سِنان قال : سأل عمر بن الخطاب عن أبى عبيدة ، فقيل : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها : فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تأول هذه الآية : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن

قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [١] .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير : حدثنا هاشم بن مرثد الطبرانى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، أخبرنى أبى ، أخبرنى ضَمْضَم بن زُرْعَة ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى ــ واسمه الحارث ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة نفر ، كان لأحدهم عشرة دنانير ، فتصدق منها بدينار . وكان لآخر عشر أوراق ، فتصدق منها بأوقية . وكان لآخر مائة أوقية ، فتصدق منها بعشر أواق » . فقال رسول الله ﷺ : « هم فى الأجر سواء ، كل قد تصدق بعشر ماله ، قال الله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ » [٢] .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ : وعدٌ منه تعالى ، ووعده حق ، وهو لا يخلفه ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٥ ، ٦].

وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره هاهنا ، فقال : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد بن بَهْرَام ، حدثنا شَهْر بن حَوْشَب قال : قال أبو هريرة : بينا رجل وامرأة له فى السلف الخالى لا يقدران على شىء ، فجاء الرجل من سفره ، فدخل على امرأته جائعا قد أصاب [٣] مَسْغَبَةً شديدة ، فقال لامرأته : عندك شىء ؟ قالت : نعم ، أبشر ، أتاك رزق الله . فاستحثها ، فقال : ويحك ! ابتغى إن كان عندك شىء . قالت : نعم ، هُنَيهة ــ ترجو رحمة الله ــ حتى إذا طال عليه الطوى [٤] قال : ويحك ! قومى فابتغى إن كان عندك شىء فائتينى به ، فإنى قد بُلغتُ وجَهدتُ . فقالت : نعم ، الآن يُنضج التنور فلا تعجل . فلما أن سكت عنها ساعة وتحيّنت أن يقول لها ، قالت من عند نفسها : لو قمتُ فنظرتُ إلى تنورى ؟ فقامَتْ فنظرَت إلى تَنّورها ملآن جُنوبَ الغنم ، ورَحييها تطحَنان . فقامت إلى الرحى فنَفَضتها ، واستخرجت ما فى تنورها من جنوب الغنم .

قال أبو هريرة : فو الذى نفس أبى القاسم بيده ، هو [٥] قول محمد ﷺ : « لو أخذت ما فى رَحييها ولم تنفضها لطحنتها إلى يوم القيامة » [٦].

وقال فى موضع آخر : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن محمد ــ هو ابن سيرين ــ عن أبى هريرة قال : دخل رجل على أهله ، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البَرِيَّة، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها ، وإلى التنور فسَجَرته ، ثم قالت: اللهم ارزقنا .فنظرت، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال : وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً ، قال : فرجع الزوج قال : أصبتم بعدى شيئا ؟ قالت امرأته : نعم ، من ربنا . قام إلى الرحى ، فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فقال النبى ﷺ :« أما إنه لو لم ترفعها ، لم تزل تدور إلى يوم القيامة » [٧] .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/ ٩٦) .

(٢) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٢) وفى إسناده ضعف وانقطاع كما تقدم مراراً .

(٣) فى م ،أ : « أصابته » . (٤) فى م : « الطول » . (٥) فى م : « عن » .

(٦) المسند (٢/ ٤٢١) .

(٧) المسند (٢/ ٥١٣) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) ﴾ .

يقول تعالى متوعداً لمن خالف أمره ، وكذب رسله ، وسلك غير ما شرعه ، ومخبراً عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك ، فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ أى : تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ، ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ أى : منكراً فظيعاً .

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ أى : غبّ مخالفتها ، وندموا حيث لا ينفع الندم ، ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أى: فى الدار الآخرة ، مع ما عَجَّل لهم فى الدنيا .

ثم قال بعد ما قَص من خبر هؤلاء : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أى : الأفهام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الألباب ،﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى : صدقوا بالله ورسله،﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعنى : القرآن . كقوله :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] .

وقوله : ﴿ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ : قال بعضهم : ﴿ رَسُولاً ﴾ منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة ؛ لأن الرسول هو الذى بلغ الذكر .

وقال ابن جرير : الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر ، يعنى: تفسيراً له؛ ولهذا قال :﴿رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ أى : فى حال كونها بينة واضحة جلية ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ كقوله : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم:١] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة:٢٥٧] ، أى : من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم . وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نوراً؛ لما يحصل به من الهدى ،كما سماه روحاً ؛ لما يحصل به من حياة القلوب،فقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] .

وقوله : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ

أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ : قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرّة ، بما أغنى عن إعادته .

﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم : ﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ** ﴾ كقوله إخباراً عن نوح أنه قال لقومه : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** ﴾ [نوح: ١٥] . وقال تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقوله : ﴿ **وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُن** ﴾ أى : سبعا أيضا ، كما ثبت فى الصحيحين : « من ظلم قِيدَ شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين»[١] . وفى صحيح البخارى: «خُسِف به إلى سبع أرضين» [٢] . وقد ذُكِرت طُرقه وألفاظه وعزوه فى أول « البداية والنهاية » [٣] عند ذكر خلق الأرض، ولله الحمد والمنة .

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم ، فقد أبعد النَّجْعَة ، وأغرق فى النزع ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند . وقد تقدم فى سورة « الحديد » عند قوله : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ** ﴾ [الآية: ٣] ذكر الأرضين السبع ، وبعد ما بينهن ، وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام . وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكذا الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن ، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » [٤] .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مُهَاجِر، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُن** ﴾ قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القُمّى الأشعرى ، عن جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : ﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ الآية . فقال ابن عباس : ما يؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى الضُّحى ، عن ابن عباس فى هذه الآية : ﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ قال عمرو : قال فى كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما على الأرض من

---

(١) صحيح البخارى برقم (٢٤٥٣) وصحيح مسلم برقم (١٦١٢) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

(٢) صحيح البخارى برقم (٥٤٥٤) من حديث ابن عمر ، رضى الله عنهما .

(٣) البداية والنهاية (١/١٦) ما جاء فى سبع أرضين .

(٤) سبق تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة .

الخلق . وقال ابن المثنى فى حديثه : فى كل سماء إبراهيم [١] .

وقد روى البيهقى فى كتاب « الأسماء والصفات » هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا [السياق][٢] ، فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وحدثنا أحمد بن يعقوب ، حدثنا عبيد بن غنام النخعى ، أخبرنا على بن حكيم ، حدثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس أنه قال : ﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ قال : سبع أرضين ، فى كل أرض نبى كنبيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى .

ثم رواه البيهقى من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس فى قول الله ، عز وجل : ﴿ **اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ قال : فى كل أرض نحو إبراهيم ،عليه السلام .

ثم قال البيهقى : إسناد هذا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ بمرة ، لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعاً ، والله أعلم .

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى فى كتابه « التفكر والاعتبار » : حدثنى إسحاق بن حاتم المدائنى ، حدثنا يحيى بن سليمان ، عن عثمان بن أبى دهرش قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون ،فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » . فقالوا : نتفكر فى خلق الله ، عز وجل . قال : « فكذلك فافعلوا ، تفكروا فى خلقه ولا تفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء ، نورها ساحتها [٣] ــ أو قال : ساحتها [٤] نورها ــ مسيرة الشمس أربعين يوماً ، بها خلقٌ [٥] الله لم يعصُوا الله طَرفة عَين قطّ » . قالوا : فأين الشيطان عنهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » . قالوا : أمن ولد آدم ؟ قال : « ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق » [٦] .

وهذا حديث مرسل ، وهو منكر جداً ، و« عثمان بن أبى دهرش » ذكره ابن أبى حاتم فى كتابه فقال : روى عن رجل من آل الحكم بن أبى العاص ، وعنه سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سليم الطائفى، وابن المبارك ــ سمعت أبى يقول ذلك [٧] .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٨/٩٩) .

(٢) زيادة من م . (٣) فى م : « نورها بياضها» . (٤) فى م : « بياضها » .

(٥) فى م : « خلق من خلق » .

(٦) الحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢/٤٠٨) وعزاه لابن أبى الدنيا .

(٧) الجرح والتعديل (٦/١٤٩) .

تفسير سورة التحريم

وهى مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) ﴾ .

اختُلف فى سبب نزول صدر هذه السورة ، فقيل : نزلت فى شأن مارية ،وكان رسول الله ﷺ قد حرمها ، فنزل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ . . . الآية.

قال أبو عبد الرحمن النسائى : أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ، حدثنا أبى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حَرَّمها ، فأنزل الله ،عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ؟ إلى آخر الآية (١) .

وقال ابن جرير : حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى (٢) ، حدثنا ابن أبى مريم ، حدثنا أبو غسان، حدثنى زيد بن أسلم : أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم فى بيت بعض نسائه ، فقالت : أى رسول الله ، فى بيتى وعلى فراشى ؟ ! فجعلها عليه حراماً . فقالت : أىْ رسول الله ، كيف يَحرمُ عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها . فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ؟ قال زيد : فقوله : أنت علىَّ حرام لغو (٣) .

وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، قال: قل لها : « أنت علىَّ حرام ، ووالله لا أطؤك » .

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٠٧) .

(٢) فى أ : « الرقى » .

(٣) تفسير الطبرى (٢٨/ ١٠٠) .

وقال سفيان الثورى وابن عُلَيَّة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن مسروق قال : آلى رسول الله ﷺ وحرَّمَ ، فعُوتِبَ فى التحريم ، وأمر بالكفارة فى اليمين . رواه ابن جرير . وكذا روى عن قتادة ، وغيره ، عن الشعبى ، نفسه . وكذا قال غير واحد من السلف ، منهم الضحاك ، والحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وروى العوفى ، عن ابن عباس القصة مطولة .

وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى ، حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟ قال : عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبى ﷺ فى بيت حفصة فى نوبتها[1] ، فَوَجَدت حفصة ، فقالت : يا نبى الله ، لقد جئت إلىَّ شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك ، فى يومى ، وفى دورى ، وعلى فراشى . قال : « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها ؟ » . قالت : بلى . فحرَّمها وقال : « لا تذكرى ذلك لأحد » . فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عليه ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ** ﴾ الآيات [2] فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفَّر [عن] [3] يمينه ، وأصاب جاريته [4] .

وقال الهيثم بن كُلَيب فى مسنده : حدثنا أبو قِلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ، حدثنا مسلم ابن إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : قال النبى ﷺ لحفصة : « لا تخبرى أحداً ، وإن أم إبراهيم علىَّ حرام » . فقالت : أتحرم ما أحل الله لك ؟ قال : « فوالله لا أقربها » . قال : فلم يقربها حتى أخبرت عائشة . قال : فأنزل الله : ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ .

وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج [5] .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن علية ، حدثنا هشام الدَّسْتُوَائى قال : كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول فى الحرام: يمين تكفرها ، وقال ابن عباس : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] يعنى : أن رسول الله حرم جاريته فقال الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ** ﴾ ؟ إلى قوله : ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ ، فكفر يمينه ، فصير الحرام يميناً [6] .

ورواه البخارى عن معاذ بن فضالة ، عن هشام ـ هو الدستوائى ـ عن يحيى ـ هو ابن كثير ـ عن ابن حكيم ـ وهو يعلى ـ عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى الحرام : يمين تُكَفر . وقال

---

(١) فى أ : « فى يومها » . (٢) فى م ، أ : « الآيات كلها » . (٣) زيادة من أ .
(٤) تفسير الطبرى (٢٨/١٠٢) وأصله فى الصحيح وسيأتى .
(٥) المختارة للضياء المقدسى برقم (١٨٩) .
(٦) تفسير الطبرى (٢٨/١٠١) .

ابن عباس : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] [١] .

ورواه مسلم من حديث هشام الدَّسْتُوَائى به [٢] .

وقال النسائى : أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن على ، حدثنا مَخْلد ـ هو ابن يزيد ـ حدثنا سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : إني جعلت امرأتي عَلَىَّ حرَاما ؟ قال : كذبتَ ليست عليك بحرام . ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ؟ عليك أغلظ الكفارات ، عتق رقبة .

تفرد به النسائى من هذا الوجه ، بهذا اللفظ [٣] .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن زكَريا ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن مسلم، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ؟ قال : حرم رسول الله ﷺ سُرِّيَّته [٤] .

ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات ، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة . وذهب الشافعى إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، إذا حَرَّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما فى قوله ، فأما إن نوى بالتحريم طلاقَ الزوجة أو عتق الأمة ، نفذ فيهما .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنى أبو عبد الله الظهرانى [٥] ، أخبرنا حفص بن عمر العَدَنى ، أخبرنا الحكم بن أبان ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ؟ فى المرأة التى وهبت نفسها للنبى ﷺ .

وهذا قول غريب ، والصحيح أن ذلك كان فى تحريمه العَسَل ، كما قال البخارى عند هذه الآية:

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن عبيد [٦] ابن عمير ، عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جَحش ، ويمكث عندها ، فتواطأتُ أنا وحفصةُ على : أيتُنا دخلَ عليها ، فلتقل له : أكلتَ مَغَافير ؟ إنى أجد منك ريح مغافير. قال : « لا ، ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جَحش ، فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا » ، ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ [٧] .

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ ، وقال فى كتاب « الأيمان والنذور » :

حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء أنه سمع عُبَيد بن عمير يقول : سمعتُ عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جَحش ويشرب

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩١١) .
(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٧٣) .
(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٠٩) .
(٤) المعجم الكبير (٨٦/١١) .
(٥) فى م : « الطبرانى » . (٦) فى أ : « عن عبد » .
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩١٢) .

عندها عَسَلا ، فتواصيتُ أنا وحفصة أن أيتُنا دخل عليها النبى ﷺ فَلْتَقُلْ : إنى أجد منك ريح مغافير؛ أكلت مغافير ؟ فدخل على إحداهما النبى ﷺ ، فقالت ذلك له ، فقال : « لا ، بل شربت عسلا عند زينب بنت جَحش ،ولن أعود له » . فنزلت : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ** ﴾ ؟ إلى : ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ لعائشة وحفصة ، ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا** ﴾ لقوله : « بل شربت عسلا » . وقال إبراهيم بن موسى ، عن هشام : « ولن أعود له ، وقد حلفت ، فلا تخبرى بذلك أحداً » [١] .

وهكذا رواه فى كتاب «الطلاق» بهذا الإسناد ، ولفظه قريب منه [٢]. ثم قال : المغافير :شبيه بالصمغ ، يكون فى الرِّمث فيه حلاوة ، أغفر الرِّمث : إذا ظهر فيه . واحدها مغفور ، ويقال : مغافير . وهكذا قال الجوهرى ، قال : وقد يكون المغفور أيضاً للعُشر والثُّمام والسَّلَم والطلح. قال : والرمِّث ، بالكسر : مرعى من مراعى الإبل ، وهو من الحَمْض . قال : والعرفط : شجر من العضاه ينضَح المغفُور [منه] [٣] .

وقد روى مسلم هذا الحديث فى كتاب « الطلاق » من صحيحه ، عن محمد بن حاتم ، عن حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، أخبرنى عطاء ، عن عُبيد بن عمير ، عن عائشة ،به [٤] . ولفظه كما أورده البخارى فى « الأيمان والنذور » .

ثم قال البخارى فى كتاب « الطلاق » : حدثنا فروة بن أبى المغراء ، حدثنا على بن مُسْهَر ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ،عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحَلوى والعَسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن . فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فَغِرْتُ فسألت عن ذلك ، فقيل لى : أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عَسَل ، فسقت النبى ﷺ منه شربة ، فقلت : أما والله لنحتالَن له . فقلت لسودة بنت زَمْعَةَ : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولى : أكلت مغَافير ؟ فإنه سيقول ذلك [٥] : لا . فقولى له : ما هذه الريح التى أجد ؟ فإنه سيقول لك : سقتنى حفصة شربة عسل . فقولى : جَرَسَتْ نحلُه العُرفُطَ . وسأقول ذلك، وقولى أنت له يا صفية ذلك ، قالت ــ تقول سودة ــ : والله [٦] ما هو إلا أن قام على الباب، فأردت أن أناديه بما أمرتنى فرقاً منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، أكلت مغافير ؟ قال : « لا ». قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال:« سقتنى حفصة شَربة عسل» . قالت : جَرَسَت نَحلُه العرفطَ. فلما دار إلىَّ قلت نحو ذلك ،فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له : يا رسول الله ، ألا أسقيك منه ؟ قال:« لا حاجةَ لى فيه» . قالت ــ تقول سودة ــ : والله لقد حَرَمْنَاه . قلت لها : اسكتى [٧] .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٦٩١) .
(٢) صحيح البخارى برقم (٥٢٦٧) .
(٣) زيادة من الصحاح ،مادة « عرفط » ٣/ ١١٤٢.
(٤) صحيح مسلم برقم (١٤٧٤) .
(٥) فى م : « سيقول لك » .
(٦) فى م: « فوالله» .
(٧) صحيح البخارى برقم (٥٢٦٨) .

هذا لفظ البخارى . وقد رواه مسلم عن سُوَيد بن سَعيد ، عن على بن مُسْهِر ، به . وعن أبى كُرَيْب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ، ثلاثتهم عن أبى أسامة حماد بن أسامة ، عن هشام بن عروة ، به [(١)] . وعنده قالت : وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح يعنى : الريح الخبيثة ؛ ولهذا قلن له : أكلت مغافير لأن ريحها فيه شيء . فلما قال : « بل شربت عسلا» . قلن: جَرَسَت نحلُه العرفطَ ، أى : رَعَت نحلُه شَجَر العرفط الذى صَمغُه المغافير ؛ فلهذا ظهر ريحهُ فى العسل الذى شربته .

قال الجوهرى : جَرَسَت نحلُه العرفط تَجْرِس : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل : جوارس ، قال الشاعر :

تَظَلّ عَلَى الثَّمْرَاء مِنها جَوَارِسُ

وقال : الجَرْس والجِرْس : الصوت الخفى . ويقال : سمعت جرس الطير : إذا سمعتَ صوت مناقيرها على شيء تأكله ، وفى الحديث : « فيسمعون جَرْس طير الجنة » . قال الأصمعى : كنت فى مجلس شُعبة قال : « فيسمعون جَرْشَ طير الجنة » بالشين [المعجمة] [(٢)] ، فقلت : « جرس » ؟! فنظر إلى فقال : خذوها عنه ، فإنه أعلم بهذا منا [(٣)] .

والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هى الساقية للعسل ، وهو من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خالته عائشة . وفى طريق ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة أن زينب بنت جَحش هى التى سقت العسل ، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه ، فالله أعلم . وقد يقال : إنهما واقعتان ، ولا بُعْدَ فى ذلك ، إلا أن كونَهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر ،والله أعلم.

ومما يدل على أن عائشة وحفصة ، رضى الله عنهما ، هما المتظاهرتان الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال : حـدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى : ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ ، حتى حج عمر وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدَل عمر وعدلت معه بالإداوة . فتبرز ثم أتانى ، فسكبت على يديه فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبى ﷺ ، اللتان قال الله تعالى : ﴿ **إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ ؟ فقال عمر : واعجبا لك يا بن عباس ـ قال الزهرى : كره ـ والله ما سألته عنه ولم يكتمه قال : هى حفصة وعائشة . قال : ثم أخذ يسوق الحديث . قال : كنا مَعشَر قريش قوماً نَغلبُ النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تَغلبُهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، قال : وكان منزلى فى دار بنى أمية بن زيد بالعَوَالى . قال : فغضبتُ يوماً على امرأتى فإذا هى تراجعنى ، فأنكرت أن تُرَاجِعنى ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبى [(٤)]

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٧٤) .

(٢) زيادة من م .

(٣) انظر : الصحاح للجوهرى ٩٠٨/٢ ولسان العرب لابن منظور ، مادة « جرس » .

(٤) فى م : « إن أزواج رسول الله » .

ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت : نعم . قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم . قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخَسر ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هى قد هلكت ؟ لا تراجعى رسول الله ولا تسأليه شيئاً ، وسلينى من مالى ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسمُ وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ـ يريد عائشة ـ قال : وكان لى جار من الأنصار، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فيأتينى بخبر الوحى وغيره ، وآتيه بمثل ذلك . قال : وكنا نتحدث أن غَسَّان تُنعِل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبى يوماً ثم أتى عشاء، فضرب بابى ثم نادانى ، فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وما ذاك ؟ أجاءت غسان؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلَّق رسول الله ﷺ نساءه ، فقلت : قد خابت حفصةُ وخَسِرت ، قد كنت أظن[(١)] هذا كائنا .حتى إذا صليتُ الصبحَ شددتُ علىَّ ثيابى ثم نزلت ، فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت : أطلقكن رسول الله ﷺ فقالت : لا أدرى ، هو هذا معتزل فى هذه المشرَبَة[(٢)] . فأتيت غلاماً له أسودَ فقلت : استأذن لعمر . فدخل الغلام ثم خرج إلىَّ فقال : ذكرتك له فصمت . فانطلقت حتى أتيت المنبر ، فإذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم ، فجلست قليلا ،ثم غلبنى ما أجد،فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمرَ.فدخل ثم خرج فقال : فقد ذكرتك له فصمت. فخرجت فجلست إلى المنبر ، ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له فصمتَ . فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعونى فقال : ادخل ، قد أذن لك . فدخلتُ فسلمتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رُمَال[(٣)] حَصِير .

قال الإمام أحمد : وحدثنا يعقوب فى حديث صالح : رُمَال حصير قد أثر فى جنبه ، فقلت : أطلَّقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال : « لا » . فقلت : الله أكبر ، لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فغضبت علىَّ امرأتى يوما ، فإذا هى تراجعنى ، فأنكرت أن تراجعنى ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه ، وتهجره أحداهن اليوم إلى الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمنُ إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هى قد هلكت .فتبسم رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، فَدخَلت على حفصة فقلت : لا يغُرنَّكِ أن كانت جارتُكِ هى أوسمُ ــ أو : أحب ــ إلى رسول الله ﷺ منك . فتبسم أخرى ، فقلت : أستأنس يا رسولَ الله . قال : « نعم » . فجلست فرفعت رأسى فى البيت ، فوالله ما رأيت فى البيت شيئاً يرد البصر إلا أَهَبَةٌ ثلاثة[(٤)] . فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك ، فقد وسَّع على فارس والروم ، وهم لا يعبدون الله . فاستوى جالساً وقال : «أفى شك أنت يا بن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لى يا رسول الله . وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهراً ؛ من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله ، عز وجل[(٥)] .

---

(١) فى م : « أظن أن » . (٢) المشربة : هى الغرفة . (٣) فى م : « على رمل » .
(٤) فى م : « معان » .
(٥) المسند (١/ ٣٣، ٣٤) .

وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، من طرق ، عن الزهرى ، به [(١)] وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن عُبَيد بن حُنَين ، عن ابن عباس ، قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق ،عدل إلى الأراك لحاجة له ، قال : فوقفت حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ،من اللتان [(٢)] تظاهرتا على النبى ﷺ ؟ [(٣)] .

هذا لفظ البخارى ، ولمسلم : من المرأتان اللتان قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ ؟ قال : عائشة وحفصة. ثم ساق الحديث بطوله ، ومنهم من اختصره .

وقال مسلم أيضاً : حدثنى زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفى ، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن سماك بن الوليد ــ أبى زميل ــ حدثنى عبد الله بن عباس ،حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبى الله ﷺ نساءه ، دخلت المسجد ، فإذا الناس يَنكُتُون بالحصى ،ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه! وذلك قبل أن يُؤمَر بالحجاب. فقلت: لأعلمن ذلك اليوم . . . فذكر الحديث فى دخوله على عائشة وحفصة ،ووعظه إياهما ، إلى أن قال : فدخلت ، فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكُفَّة المشربَة ، فناديت فقلت : يا رباح ، استأذن لى على رسول الله ﷺ . . . فذكر نحو ما تقدم ، إلى أن قال : فقلت يا رسول الله ما يَشُقّ عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريلَ وميكائيلَ وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك ، وقلما تكلمتُ ــ وأحمد الله ــ بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يصدق قولى ، ونزلت هذه الآية ،آية التخيير : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ ، ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾. فقلت : أطلقتهن ؟ قال : « لا » .فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] . فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر [(٤)] .

وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومقاتل بن حيان ، والضحاك ، وغيرهم :﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أبو بكر وعمر ــ زاد الحسن البصرى : عثمان . وقال ليث بن أبى سليم، عن مجاهد : ﴿ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : على بن أبى طالب .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبى عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين قال : أخبرنى رجل ثقة يرفعه إلى على قال : قال رسول الله ﷺ [فى] [(٥)] قوله :﴿ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هو على بن أبى طالب . إسناده ضعيف . وهو منكر جداً.

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هُشَيم ، عن حُميد ، عن أنس ، قال : قال

(١) صحيح البخارى برقم (٥١٩١،٢٤٦٨) وصحيح مسلم برقم (١٤٧٩) وسنن الترمذى برقم (٣٣١٨) وسنن النسائى (١٣٧/٤) .

(٢) فى م: « المرأتان اللتان » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩١٣) وصحيح مسلم برقم(١٤٧٩) .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٤٧٩) .

(٥) زيادة من م ،أ .

عمر: اجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه ، فقلت لهن : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُن ﴾ فنزلت هذه الآية [١] .

وقد تقدّم أنه وافق القرآن فى أماكنَ ، منها فى نزول الحجاب ، ومنها فى أسارى بدر ، ومنها قوله : لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى ؟ فأنزل الله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا [أبى ، حدثنا] [٢] الأنصارى ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغنى شىء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبى ﷺ ، فاستقريتهن [٣] أقول : لتكفن عن رسول الله أو ليبدلنّه الله أزواجاً خيرا منكن. حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر ، أما لى برسول الله ما يعظ نساءه ، حتى تعظهن ؟ ! فأمسكت ، فأنزل الله ، عز وجل : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

وهذه المرأة التى رَدّته عما كان فيه من وَعظ النساء هى أم سلمة ، كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى [٤] .

وقال الطبرانى ، حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهانى ، حدثنا إسماعيل البجلى ، حدثنا أبو عَوَانة، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ ، قال : دخلت حفصة على النبى ﷺ فى بيتها وهو يَطَأ مارية ، فقال لها رسول الله ﷺ : « لا تخبرى عائشة حتى أبشرك ببشارة ، فإن أباك يَلى الأمر من بعد أبى بكر إذا أنا مت » . فذهبت حفصة فأخبَرتْ عائشة ، فقالت عائشة لرسول الله ﷺ: من أنبأك هذا ؟ قال :« ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ». فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتى تحرم مارية .فحرمها ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ [٥] .

إسناده فيه نظر ، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات .

ومعنى قوله : ﴿ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ ﴾ ظاهر .

وقوله ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ أى : صائمات ، قاله أبو هريرة ، وعائشة ،وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، ومحمد بن كعب القرظى ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وأبو مالك ، وإبراهيم النخعى ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسُدّىّ ، وغيرهم. وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله : ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ من سورة « براءة » ، ولفظة :«سياحةُ هذه الأمة الصيامُ » .

وقال زيد بن أسلم ،وابنه عبد الرحمن : ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ أى : مهاجرات ، وتلا عبد الرحمن :

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩١٦) .

(٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م : « فاستقريته » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٤٨٣) ولم أر فيه التصريح بأنها أم سلمة والله أعلم .

(٥) المعجم الكبير (١٢/١١٧) ووجه ضعفه: أن فيه إسماعيل البجلى وهو ضعيف ، والضحاك لم يلق ابن عباس فهو منقطع .

﴿السَّائِحُونَ﴾ [التوبة:١١٢] أى : المهاجرون . والقول الأول أولى ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ أى : منهن ثيبات ، ومنهن أبكارا ، ليكون ذلك أشهى إلى النفوس، فإن التنوع يبسُط النفسَ ؛ ولهذا قال : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

وقال أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير : حدثنا أبو بكر بن صدقة ، حدثنا محمد بن محمد ابن مرزوق ، حدثنا عبد الله بن أمية ، حدثنا عبد القدوس ، عن صالح بن حَيَّان ، عن ابن بُرَيدة ، عن أبيه :﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ قال : وعد الله نبيه ﷺ فى هذه الآية أن يزوجه ، فالثيب : آسية امرأة فرعون ،وبالأبكار : مريم بنت عمران [١] .

وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة « مريم عليها السلام » من طريق سُوَيْد بن سعيد [٢] : حدثنا محمد بن صالح بن عمر ، عن الضحاك ومجاهد ، عن ابن عمر قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ بموت خديجة فقال : إن الله يقرئها السلام ، ويبشرها ببيت فى الجنة من قَصَب ، بعيد من اللهب [٣] ، لا نَصَب فيه ولا صَخَب ، من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم [٤] .

ومن حديث أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبى ﷺ دخل على خديجة ، وهى فى الموت، فقال . « يا خديجة ، إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزوجت قبلى ؟ قال : « لا » ، ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وكلثم أخت موسى » . ضعيف أيضاً [٥] .

وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن عرعرة ، حدثنا عبد النور بن عبد الله ، حدثنا يونس [٦] بن شعيب ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعلِمْتُ أن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران ، وكلثم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون » . فقلتَ : هنيئاً لك يا رسول الله [٧] .

وهذا أيضاً ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبى داود .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي

(١) لم أقع عليه فى المطبوع من المعجم الكبير للطبرانى .

(٢) فى أ : « بن سعد » . (٣) فى أ : « من اللهو » .

(٤) تاريخ دمشق (ص ٣٨٣) « تراجم النساء » ط . المجمع العلمى بدمشق .

(٥) تاريخ دمشق (ص ٣٨٤) « تراجم النساء » ط . المجمع العلمى بدمشق .

(٦) فى م ، أ ، هـ : « يوسف » والمثبت من المعجم الكبير للطبرانى .

(٧) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣٠٩/٨) والعقيلى فى الضعفاء (٤٥٩/٤) من طريق عبد النور بن عبد الله به ، وعبد النور كذاب، قال العقيلى :« وليس بمحفوظ ».

اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) ﴾ .

قال سفيان الثورى ، عن منصور ، عن رجل ، عن على ، رضى الله عنه ، فى قوله تعالى : ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول : أدبوهم ، علِّموهم .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومُروا أهليكم بالذكر ، ينجيكم الله من النار .

وقال مجاهد : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ قال : اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

وقال قتادة : يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصية الله ، وأن يقومَ عليهم بأمر الله ، ويأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ، قَدعتهم عنها وزجرتهم عنها .

وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله ، من قرابته وإمائه وعبيده ، ما فرض الله عليهم ، وما نهاهم الله عنه .

وفى معنى هذه الآية الحديثُ الذى رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ،من حديث عبد الملك بن الربيع بن سَبْرَة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها »[١] .

هذا لفظ أبى داود ،وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

وروى أبو داود ،من حديث عمرو بن شعيب ،عن أبيه،عن جده ،عن النبى ﷺ مثل ذلك[٢].

قال الفقهاء : وهكذا فى الصوم ؛ ليكون ذلك تمريناً له على العبادة ، لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر ، والله الموفق .

وقوله : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ :﴿وَقُودُهَا﴾ أى : حطبها الذى يلقى فيها جُثث بنى آدم . ﴿ وَالْحِجَارَةُ ﴾ قيل : المراد بذلك الأصنام التى كانت تعبد لقوله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء:٩٨] .

وقال ابن مسعود ، ومجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والسدى : هى حجارة من كبريت ــ زاد مجاهد : أنتن من الجيفة .

وروى ذلك ابن أبى حاتم ، رحمه الله ، ثم قال : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن سنان المنقرى ، حدثنا عبد العزيز ــ يعنى ابن أبى رَوَّاد ــ قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ، وعنده بعض أصحابه ، وفيهم

---

(١) المسند (٣/٤٠٤) وسنن أبى داود برقم (٤٩٤) وسنن الترمذى برقم (٤٠٧) .

(٢) سنن أبى داود برقم (٤٩٥) .

شيخ ، فقال الشيخ : يا رسول الله ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال : النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لَصَخرة من صخر جهنم أعظمُ من جبَال الدنيا كلها » . قال : فوقع الشيخُ مغشياً عليه، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده فإذا هُوَ حَىّ فناداه قال : « يا شيخ » ، قل : « لا إله إلا الله » . فقالها ، فبشره بالجنة ، قال : فقال أصحابه : يا رسول الله ، أمن بيننا ؟ قال : « نعم ، يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ » [إبراهيم: ١٤] . هذا حديث مرسل غريب .

وقوله : ﴿ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ أى : طباعهم غليظة ، قد نُزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ، ﴿ شِدَادٌ ﴾ أى : تركيبهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج .

قال [1] ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبى ، عن عكرمة أنه قال : إذا وصل أول أهل النار إلى النار ،وَجَدوا على الباب أربعمائة ألف من خزَنَة جهنم ، سود وجوههم ، كالحة أنيابهم ، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ، ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذَرَة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر ، ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ،ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة ، ثم يجدون على كل باب منها مثلَ ما وجدوا على الباب الأول ، حتى ينتهوا إلى آخرها .

وقوله : ﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ أى : مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه ، لا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه . وهؤلاء هم الزبانية عياذاً بالله منهم . وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى : يقال للكفرة يوم القيامة : لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم .

ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ أى : توبة صادقة جازمة ، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه ،وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات .

قال ابن جرير : حدثنا ابن مثنى ، حدثنا محمد،حدثنا شعبة ،عن سِمَاك بن حَرب:سمعت النعمان بن بشير يخطب : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه .

وقال الثورى ، عن سِماك ،عن النعمان ، عن عمر قال : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ، أو لا يعود فيه .

وقال أبو الأحوص وغيره ، عن سماك ، عن النعمان ، سُئِل عمر عن التوبة النصوح ، فقال : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً .

وقال الأعمش ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله : ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحاً ﴾ قال : يتوب ثم لا يعود .

---

(١) فى م: « كما قال » .

وقد روى هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد : حدثنا على بن عاصم ، عن إبراهيم الهَجَرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « التوبة من الذنب أن يتوب منه، ثم لا يعود فيه » . تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَرى ، وهو ضعيف ، والموقوف أصح [١] ، والله أعلم .

ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يُقلعَ عن الذنب فى الحاضر ، ويندمَ على ما سلف منه فى الماضى ، ويعزِم على ألا يفعل فى المستقبل . ثم إن كان الحق لآدمى ردّه إليه بطريقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، أخبرنى زياد بن أبى مريم ، عن عبد الله ابن مَعقِل قال : دخلت مع أبى عَلى عبد الله بن مسعود فقال : أنت سمعت النبى ﷺ يقول : «الندم توبة ؟ » . قال : نعم . وقال مَرَة : نعم سمعته يقول : « الندم توبة » .

ورواه ابن ماجة ، عن هشام بن عَمَّار ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الكريم ـ وهو ابن مالك الجَزَرىّ ـ به [٢].

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنى الوليد بن بُكَيْر أبو خباب ، عن عبد الله ابن محمد العَدَوى ، عن أبى سِنان البصرى ، عن أبى قِلابة ، عن زرّ بن حُبَيش ، عن أبى بن كعب قال : قيل لنا أشياء تكون فى آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته فى دبرها، وذلك مما حرم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها : نكاح الرجل الرجل ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله . ومنها : نكاح المرأة المرأة ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله . وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا ، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً . قال زر : فقلت لأبى بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « هو الندم على الذنب حينَ يَفرُط منك ، فتستغفرُ الله بندامتك منه عند الحاضر ، ثم لا تعود إليه أبداً » [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ،حدثنا عمرو بن على ، حدثنا عباد بن عمرو ، حدثنا أبو عمرو ابن العلاء ، سمعت الحسن يقول : التوبة النصوح : أن تُبغِض الذنبَ كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته .

فأما إذا حَزَم بالتوبة وصَمم عليها فإنها تَجُب ما قبلها من الخطيئات ، كما ثبتت فى الصحيح : «الإسلام يَجُب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » [٤] .

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات ، كما تقدم فى الحديث وفى الأثر: « لا يعود فيه أبداً » ، أو يكفى العزم على ألا يعود فى تكفير الماضى ، بحيث لو وقع منه

---

(١) المسند (١/ ٤٤٦) .

(٢) المسند (١/ ٣٧٦) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٥٢) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/ ٣٠٨) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » .

(٣) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٥٤٥٧) من طريق إسماعيل الصفار ، عن الحسن بن عرفة به، وقال : « إسناده ضعيف » .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٢١) من حديث عمرو بن العاص ، رضى الله عنه .

ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً فى تكفير ما تقدم ، لعموم قوله ، عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها ؟ » . وللأول أن يحتج بما ثبت فى الصحيح أيضاً : « مَن أحسنَ فى الإسلام لم يُؤاخَذ بما عمل فى الجاهلية ، ومن أساء فى الإسلام أخذ بالأول والآخر »[(١)] . فإذا كان هذا فى الإسلام الذى هو أقوى من التوبة ، فالتوبة بطريق الأولى ، والله أعلم .

وقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ و﴿عَسَىٰ﴾ من الله موجبة ، ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ أى : ولا يخزيهم معه يعنى : يوم القيامة ، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ كما تقدم فى سورة الحديد .

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : قال مجاهد ، والضحاك ، والحسن البصرى وغيرهم : هذا يقوله المؤمنون حين يَرَون يوم القيامة نورَ المنافقين قد طفِئ .

وقال محمد بن نصر المروزى : حدثنا محمد بن مقاتل المروزى ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا ابن لَهيعة ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول من يؤذن له فى السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظرُ بين يَدَىّ فأعرف أمتى من بين الأمم ، وأنظر عن يمينى فأعرف أمتى من بين الأمم ، وأنظر عن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم » . فقال رجل : يا رسول الله ، وكيف تعرف أمتك من بين الأمم . قال :« غُرٌّ مُحجلون من آثار الطُّهور[(٢)] ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتَون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »[(٣)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى ، حدثنا ابن المبارك ، عن يحيى بن حسان ، عن رجل من بنى كنانة قال :صليت خلف النبى ﷺ، عام الفتح ،فسمعته يقول : « اللهم، لا تخزنى يوم القيامة »[(٤)] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح والقتال ، وهؤلاء بإقامة

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٩٢١) وصحيح مسلم برقم (١٢٠) من حديث عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه .

(٢) فى م : « الوضوء ».

(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٦١) ورواه أحمد فى المسند (٥/ ١٩٩) من هذا الطريق ــ طريق ابن المبارك ــ وعن حسن ،عن ابن لهيعة به نحوه ، قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/ ١٥١) : « رواه أحمد ،وفى إسناده ابن لهيعة،وهوحديث حسن فى المتابعات » . وهو هنا من رواية ابن المبارك وهى رواية صحيحه .

(٤) المسند (٤/ ٢٣٤).

الحدود عليهم ، ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم ﴾ أى : فى الدنيا ، ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أى : فى الآخرة (١) .

ثم قال : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدى عنهم شيئاً ، ولا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلا فى قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : ﴿ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾ أى : نبيين رسولين عندهما فى صحبتها (٢) ليلا ونهاراً ،يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط ﴿فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أى : فى الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما فى الرسالة ، فلم يُجْد ذلك كلّه شيئاً ، ولا دفع عنهما محذورا ؛ ولهذا قال :﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى : لكفرهما ، ﴿ وَقِيلَ ﴾ أى : للمرأتين : ﴿ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ .

وليس المراد : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ فى فاحشة ، بل فى الدين ، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع فى الفاحشة ؛ لحرمة الأنبياء ، كما قدمنا فى سورة النور .

قال سفيان الثورى ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن قَتَّةَ : سمعتُ ابن عباس يقولُ فى هذه الآية : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ قال : ما زنتا ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس قال : كانت خيانتهما أنهما كانتا على عَورتيهما فكانت امرأة نُوح تَطّلع على سر نُوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم .

[وقال الضحاك عن ابن عباس : ما بغت امرأة نبى قط ، إنما كانت خيانتهما فى الدين] (٣) .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعضُ العلماء على ضعف الحديث الذى يأثرُه كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال : يا رسول الله ، أنت قلت : من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال: «لا، ولكنى الآن أقوله » (٤) .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) ﴾ .

---

(١) فى م: « فى الأخرى » .　(٢) فى م : « فى صحبتهما » .　(٣) زيادة من م .

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هذا ليس له إسناد عند أهل العلم ولا هو فى شىء من كتب المسلمين ، إنما يروونه عن سنان ، وليس معناه صحيحاً على الإطلاق ، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون» أ.هـ نقله الألبانى فى الضعيفة (١/ ٣٢٦) وذكره الإمام ابن القيم فى المنار المنيف (ص ١٤٠) وقال : « موضوع ، وغاية ما روى فيه أنه منام رآه بعض الناس » .

وهذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران:٢٨] .

قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده فوالله ما ضر امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حَكَمٌ عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه .

وقال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن حفص الأُبُلىّ ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى [١] ، عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تُعَذَّب فى الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها ، وكانت ترى بيتها فى الجنة .

ثم رواه عن محمد بن عبيد المحاربى عن أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمى ، به [٢] .

ثم قال ابن جرير : حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن هشام الدَّسْتُوَائى ،حدثنا القاسم بن أبى بَزَّة قال : كانت امرأة فرعون تسأل : من غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون . فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقالت : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فإن مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهى امرأته ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها فى الجنة ، فمضت على قولها ، وانتزع الله روحها ، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح [٣] .

فقولها : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ : قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار . وقد ورد شىء من ذلك فى حديث مرفوع ، ﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ أى : خلصنى منه ، فإنى أبرأ [إليك] [٤] من عمله ، ﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾. وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم ، رضى الله عنها .

وقال أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية قال : كان إيمانُ امرأة فرعونَ من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ،وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون ، فوقع المشط من يدها ، فقالت تعس من كفر بالله ؟ فقالت لها ابنة فرعون : ولك رب غير أبى ؟ قالت : ربى ورب أبيك ورب كل شىء اللهُ . فلطمتها بنتُ فرعونَ وضربتها ، وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين ربا غيرى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك ورب كل شىء الله ، وإياه أعبد فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً ، فشد رجليها ويديها وأرسل عليها الحيات ، وكانت كذلك ، فأتى عليها يوماً فقال لها : ما أنت منتهية؟ فقالت له : ربى وربك وربُ كل شىء الله . فقال لها : إنى ذابح ابنك فى فيك إن لم تفعلى . فقالت له : اقض ما أنت قاض . فذبح ابنها فى فيها ، وإن روح ابنها بشرها ، فقال لها : أبشرى يا أمه، فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . فصبرت ثم أتى [عليها] [٥] فرعون يوماً آخر فقال لها

---

(١) فى أ :« الترمذى » .

(٢ ، ٣) تفسير الطبرى (٢٨/ ١١٠) .

(٤) زيادة من م ،أ .

(٥) زيادة من م .

مثل ذلك ، فقالت له ، مثل ذلك ، فذبح ابنها الآخر فى فيها ، فبشرها روحه أيضاً ، وقال لها . اصبرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . قال : وسمعت امرأة فرعون كلاَم روح ابنها الأكبر ثم الأصغر ،فآمنت امرأةُ فرعونَ ، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوبها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً ، فاطَّلع فرعون على إيمانها ، فقال للملأ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيرى . فقالوا له : اقتلها . فأوتد لها أوتاداً ، فشد يديها ورجليها ، فدعت آسية ربها فقالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ . فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ، إنا نعذبها وهى تضحك ، فقبض الله روحها ، رضى الله عنها [١] .

وقوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أى : حفظته وصانته . الإحصان : هو العفاف والحرية ، ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ أى : بواسطة المَلَك ، وهو جبريل ، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها فى صورة بشر سَوِى ، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه فى جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت فى فرجها ، فكان منه الحمل بعيسى ،عليه السلام . ولهذا قال : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ أى : بقدره وشرعه ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا داود بن أبى الفرات ، عن عِلْباء ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس قال : خَطّ رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط ، وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون » [٢]

وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مُرَة ، عن مُرَة الهَمْدانى ، عن أبى موسى الأشعرى ، عن النبى ﷺ أنه قال : « كَمُلَ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خُوَيلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثَّرِيد على سائر الطعام » [٣] .

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها فى قصة عيسى ابن مريم ،عليهما السلام، فى كتابنا « البداية والنهاية » [٤] ولله الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه ، عليه السلام ، فى الجنة عند قوله : ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

---

(١) رواه الطبرى فى تفسيره (٢٨/ ١٠) .

(٢) المسند (١/ ٢٩٣) وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٢٢٣) : « رجاله رجال الصحيح »

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٤١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٤٣١) .

(٤) البداية والنهاية (٢/ ٥٥ ــ ٥٨) .

تفسير سورة الملك

وهى مكية .

قال أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عباس الجُشَمى ، عن أبى هُرَيرة ، عن رَسُول الله ﷺ قال : « إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شَفَعت لصاحبها حتى غُفر له : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » .

ورواه أهل السنن الأربعة ، من حديث شعبة ، به (١) . وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى ، من طريق سَلام بن مسكين (٢) ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :« سورة فى القرآن خَاصَمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » (٣) .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، حدثنا يحيى بن مالك النُكرى ، عن أبيه ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النَّبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك ﴿ تَبَارَكَ ﴾ حتى ختمها ، فقال رسول الله ﷺ : « هى المانعة ، هى المنجية ، تنجيه من عذاب القبر » (٤) . ثم قال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه . وفى الباب عن أبى هريرة . ثم روى الترمذى أيضاً من طريق ليث بن أبى سليم ، عن أبى الزبير ، عن جابر : أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿ الٓمٓ . تَنزِيلُ ﴾ [سورة السجدة] ، و﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾. وقال ليث عن طاوس: يفضلان كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة (٥) .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن الحسين بن عجلان (٦) الأصبهانى ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: «لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » يعنى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (٧) .

---

(١) المسند (٢/ ٣٢١) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٠) وسنن الترمذى برقم (٢٨٩١) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦١٢) وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٨٦) .

(٢) فى أ : « سليمان » .

(٣) المعجم الصغير للطبرانى (١/ ١٧٦) والمختارة للضياء المقدس برقم (١٧٣٨، ١٧٣٩) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٠) وفى إسناده يحيى النكرى ضعيف وذكر الذهبى هذا الحديث من مناكيره فى الميزان .

(٥) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٢) .

(٦) فى م ، أ ، هـ: « محمد بن الحسن بن علاف » وهوخطأ والمثبت من المعجم الكبير للطبرانى ومن تاريخ أصبهان .

(٧) المعجم الكبير (١١/ ٢٤٢) ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٦٥) من طريق حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان به ، وقال الحاكم : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى بقوله : « فيه حفص العدنى وهو واهٍ » .

هذا حديث غريب ، وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله فى سورة « يس » ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حُمَيد فى مسنده بأبسط من هذا ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى . قال : اقرأ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمجادلة ، تجادل ــ أو تخاصم ــ يوم القيام عند ربها لقارئها، وتطلب له [أن ينجيه] [١] من عذاب النار ، وينجى بها صاحبها من عذاب القبر ؛ قال رسول الله ﷺ : « لوددتُ أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » [٢] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى تاريخه ، فى ترجمة أحمد بن نصر بن زياد ، أبى عبد الله القرشى النيسابورى المقرئ الزاهد الفقيه ، أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم ، لكن فى غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجة وابن خزيمة ، وعليه تفقه فى مذهب أبى عُبَيد بن حَرْبَويه ، وخلق سواهم ، ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن رجلا ممن كان قبلكم مات ، وليس معه شىء من كتاب الله إلا ﴿ تَبَارَكَ ﴾ ، فلما وضع فى حفرته أتاه المَلَك فثارت السورة فى وجهه ، فقال لها : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره مساءتك ، وإنى لا أملك لك ولا له ولا لنفسى ضراً ولا نفعاً ، فإن أردت هذا به فانطلقى إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له . فتنطلق إلى الرب فتقول : يا رب ، إن فلاناً عَمَد إلىَّ من بين كتابك فتَعَلَّمنى وتلانى أفتحرقه [٣] أنت بالنار وتعذبه وأنا فى جوفه ؟ فإن كنت فاعلا ذاك به فامحنى من كتابك . فيقول : ألا أراك غضبت ؟ فتقول : وحُقّ لى أن أغضب . فيقول : اذهبى فقد وهبته لك ، وشَفّعتك فيه . قال : فتجىء فيخرج الملك ، فيخرج كاسف البال لم يَحْلَ منه بشىء . قال : فتجىء فتضع فاها على فيه ، فتقول : مرحباً بهذا الفم ، فربما تلانى ، ومرحباً بهذا الصدر ، فربما وعانى ، ومرحباً بهاتين القدمين ، فربما قامتا بى . وتؤنسه فى قبره مخافة الوحشة عليه » . قال: فلما حَدّث بهذا رسولُ الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حُرّ ولا عَبد ، إلا تعلمها ، وسماها رسول الله ﷺ المنجية [٤].

قلت : وهذا حديث منكر جداً ،وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ، ويحيى بن معين ، والبخارى ، وأبو حاتم ، والدارقطنى وغير واحد . وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر ، عن الزهرى، من قوله مختصراً . وروى البيهقى فى كتاب « إثبات عذاب القبر » عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا [٥] وقد كتبناه فى كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى ، ولله الحمد [٦] .

---

(١) زيادة من م ، أ .

(٢) ذكره البوصيرى فى إتحاف المهرة (ق ٢١٤سليمانية) من مسند عبد بن حميد .

(٣) فى أ : « أفتجزيه » .

(٤) تاريخ دمشق (٢/٢٥٦ « المخطوط») .

(٥) إثبات عذاب القبر للبيهقى برقم (٩٩) وقد فصل الكلام عليه الفاضل محمد طرهونى فى موسوعة فضائل القرآن (٢/١٩٣) .

(٦) فى أ : « ولله الحمد والمنة والثناء الحسن الجميل ».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ .

يمجد تعالى نفسه الكريمة ، ويخبر أنه بيده الملك ، أى : هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله . ولهذا قال : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ : واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجودى لأنه مخلوق . ومعنى الآية : أنه أوجد الخلائق من العدم ، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا ؟ كما قال : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [البقرة:٢٨] . فسمى الحال الأول ــ وهو العدم ــ موتاً ، وسمى هذه النشأة حياة . ولهذا قال : ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة:٢٨] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خُلَيْد ، عن قتادة فى قوله : ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « إن الله أذل بنى آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » .

ورواه مَعْمَر ، عن قتادة (١) .

وقوله : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ أى : خير عملا ، كما قال محمد بن عَجْلان : ولم يقل أكثر عملا .

ثم قال : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ أى : هو العزيز العظيم المنيع الجناب ، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب ، بعدما عصاه وخالف أمره ، وإن كان تعالى عزيزاً ، هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز .

ثم قال : ﴿ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ أى : طبقة بعد طبقة ، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض، أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان ، أصحهما الثانى ، كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره .

(١) ورواه الطبرى فى تفسيره (٢٩/٢) من طريق معمر ، عن قتادة ،ومن طريق سعيد ، عن قتادة به مرسلاً.

وقوله : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ أى : بل هو مصطحب مستو ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل ؛ ولهذا قال : ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أى : انظر إلى السماء فتأملها ، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً ؟ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والثورى ، وغيرهم فى قوله : ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ أى : شقوق .

وقال السدى : ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ أى : من خُروق . وقال ابن عباس فى رواية : ﴿ من فُطُورٍ ﴾ أى : من وُهِىّ [(١)] . وقال قتادة : ﴿ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أى : هل ترى خَلَلاً يا بن آدم ؟ .

وقوله : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ قال : مرتين . ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ قال ابن عباس: ذليلا ؟ وقال مجاهد ، وقتادة : صاغراً .

﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ : قال ابن عباس : يعنى : وهو كليل . وقال مجاهد ، وقتادة ، والسدى : الحسير : المنقطع من الإعياء .

ومعنى الآية : إنك لو كررت البصر ، مهما كررت ، لانقلب إليك ، أى : لرجع إليك البصر ، ﴿خَاسِئًا ﴾ عن أن يرى عيباً أو خللا ، ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أى : كليل وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ، ولا يرى نقصاً .

ولما نفى عنها فى خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ وهى الكواكب التى وضعت فيها من السيارات والثوابت .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ : عاد الضمير فى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا ﴾ على جنس المصابيح لا على عينها ؛ لأنه لا يرمى بالكواكب التى فى السماء ، بل بشهب من دونها ، وقد تكون مستمدة منها، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ أى : جعلنا [(٢)] للشياطين هذا الخزى فى الدنيا ، وأعتدنا لهم عذاب السعير فى الأخرى ، كما قال : فى أول الصافات : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ . لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ . إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠] .

قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال : خلقها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

---

(١) فى هـ ، أ : « من وهاء» والمثبت من تفسير الطبرى . مستفادا من هوامش ط. الشعب .
(٢) فى م : « أى : جعلناها» .

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٦ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١ ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ و ﴾ أعتدنا ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أى : بئس المآل والمنقلب . ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ : قال ابن جرير : يعنى الصياح .

﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ : قال الثورى : تغلى بهم كما يغلى الحَبّ القليل فى الماء الكثير .

وقوله : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ أى : تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم ، ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ : يذكر تعالى عدله فى خلقه ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، كما قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] . وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١] . وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ أى : لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق ، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى البَخْتَرىّ الطائى قال: أخبرنى من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال : « لن يهلك الناس حتى يُعذروا من أنفسهم » (١). وفى حديث آخر: « لا يدخل أحد النار ، إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة » (٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٥ ﴾ .

---

(١) المسند (٤/ ٢٦٠) .

(٢) فى المسند (٢/ ٥٤١) من حديث أبى هريرة مرفوعا : « لايدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة » وهو فى الصحيح .

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس ، فينكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات ، حيث لا يراه أحد إلا الله ، بأنه له مغفرة وأجر كبير ، أى : يكفر عنه ذنوبه ، ويجازى بالثواب الجزيل ، كما ثبت فى الصحيحين : « سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » ، فذكر منهم : « رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » [١] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : قالوا : يا رسول الله ، إنا نكون عندك على حال،فإذا فارقناك كنا على غيره؟ قال : « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا : الله ربنا فى السر والعلانية. قال : « ليس ذلكم النفاق » [٢] .

لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عُبَيد فيما نعلمه .

ثم قال تعالى منبهاً على أنه مطلع على الضمائر والسرائر : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أى : بما خطر فى القلوب ، ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ ؟ أى : ألا يعلم الخالق . وقيل : معناه : ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى ، لقوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمد [٣] ولا تضطرب [٤] ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهيأها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ أى : فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئاً ، إلا أن ييسره الله لكم ؛ ولهذا قال : ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ ، فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حَيْوَة ، أخبرنى بكر بن عمرو ، أنه سمع عبد الله بن هُبَيْرة يقول : إنه سمع أبا تميم الجَيشانى يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوح بِطَاناً» .

رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ،من حديث ابن هبيرة [٥] ، وقال الترمذى : حسن صحيح . فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق ، مع توكلها على الله ،عز وجل ، وهو المسَخِّر المسير المسبب . ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ أى : المرجع يوم القيامة .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٦٠) وصحيح مسلم برقم (١٠٣١) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٢) مسند البزار برقم(٥٢) « كشف الأستار » وقال الحافظ ابن حجر فى مختصر الزوائد (١/ ٦٧) : « الحارث له مناكير وإن أخرج له فى الصحيح » .

(٣) فى أ : «لا تميد» . (٤) فى م: « لاتضطرب ولا تميد » .

(٥) المسند (١/ ٣٠) وسنن الترمذى برقم (٢٣٤٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٦٤) .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى : ﴿ مَنَاكِبِهَا ﴾ : أطرافها وفجاجها ونواحيها . وقال ابن عباس وقتادة : ﴿ مَنَاكِبِهَا ﴾ : الجبال .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عمرو بن حكام الأزدى ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن بشير بن كعب: أنه قرأ هذه الآية: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ فقال لأم ولد له: إن علمت ﴿ مَنَاكِبِهَا﴾ فأنت عتيقة . فقالت : هى الجبال . فسأل أبو الدرداء فقال : هى الجبال .

﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) ﴾ .

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم ، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ، ويؤجل ولا يعجل ، كما قال : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر:٤٥] .

وقال هاهنا : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ أى : تذهب وتجىء وتضطرب ، ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ أى : ريحا فيها حصباء تدمغكم ، كما قال : ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾ [الإسراء:٦٨] . وهكذا توعدهم هاهنا بقوله : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أى : كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به .

ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أى : من الأمم السابقة والقرون الخالية ، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أى : فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم ؟ أى : عظيماً شديداً أليماً .

ثم قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ أى : تارة يصففن أجنحتهن فى الهواء ، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ أى : فى الجو ﴿إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ أى : بما سخر لهن من الهواء ، من رحمته ولطفه ،﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ أى : بما يصلح كل شىء من مخلوقاته. وهذه كقوله : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:٧٩] .

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ

وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) ﴾ .

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصراً ورزقاً ، مُنكراً عليهم فيما اعتقدوه ، ومُخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه ، فقال : ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ** ﴾ أي : ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ، ولا ناصر لكم غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ** ﴾ ؟ أى : من هذا الذى إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟ ! أى : لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق ، وينصر إلا الله ، عز وجل ، وحده لا شريك له ، أى : وهم يعلمون ذلك ، ومع هذا يعبدون غيره ؛ ولهذا قال : ﴿ **بَل لَّجُّوا** ﴾ أى : استمروا فى طغيانهم وإفكهم وضلالهم ﴿ **فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ** ﴾ أى : معاندة واستكباراً ونفوراً على أدبارهم عن الحق ، [أى] (١) : لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ثم قال : ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ ؟ : وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مُكبّا على وجهه ، أى : يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه ، أى : لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب ؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿ **أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا** ﴾ أى : منتصب القامة ﴿ **عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ أى : على طريق واضح بين ، وهو فى نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة . هذا مثلهم فى الدنيا ، وكذلك يكونون فى الآخرة . فالمؤمن يحشر يمشى سوياً على صراط مستقيم ، مُفض به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى نار جهنم ، ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ . وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ . مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ [الصافات : ٢٢ ـ ٢٦] .

قال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا ابن نُمَير ، حدثنا إسماعيل ، عن نُفَيع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : « أليس الذى أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم » (٢) .

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طريق [يونس بن محمد ، عن شيبان ، عن قتادة ، عن

---

(١) زيادة من م .

(٢) المسند (٣/١٦٧) .

أنس ، به نحوه][(١)] [(٢)] .

وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ ﴾ أي : ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكورا ، ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ﴾ أي : العقول والإدراك ، ﴿ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي : ما أقل تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها عليكم ، في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره .

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي : بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها ، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم ، وحلاكم وأشكالكم وصوركم ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي : تُجمَعون بعد هذا التفرق والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم .

ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين المعاد المستبعدين وقوعه : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي: متى [يقع] [(٣)] هذا الذي تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق ؟ ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي : لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ، عز وجل ، لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ، ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ : وإنما على البلاغ ، وقد أديته إليكم .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي : لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ، ورأوا أن الأمر كان قريباً ؛ لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه ، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك ، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر ، أي : فأحاط بهم ذلك، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال ولا حساب ، ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا [(٤)] وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الزمر:٤٧ ، ٤٨] ؛ ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ : ﴿ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ أي : تستعجلون .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ : يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه : ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي : خلّصوا أنفسكم ، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة ، والرجوع إلى دينه ، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنَّكَال ، فسواء عذبنا الله أو رحمنا ، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم .

ثم قال : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ أي : آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم ، وعليه

(١) زيادة من م،أ.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٦) .

(٣) زيادة من م .

(٤) في م :« ما عملوا » وهوخطأ .

توكلنا فى جميع أمورنا ، كما قال : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود:١٢٣] . ولهذا قال : ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ؟ أى : منا ومنكم ، ولمن تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ؟ .

ثم قال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أى : ذاهبا فى الأرض إلى أسفل ، فلا يُنَال بالفئوس الحداد ، ولا السواعد الشداد ، والغائر : عكس النابع ؛ ولهذا قال : ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ؟ أى : نابع سائح جار على وجه الأرض ، لا يقدر على ذلك إلا الله ، عز وجل ، فمن فضله وكرمه [أن] [١] أنبع لكم المياه وأجراها فى سائر أقطار الأرض ، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة .

[آخر تفسير سورة « تبارك » ، ولله الحمد] [٢]

---

(١) زيادة من أ .

(٢)زيادة من م ، وفى أ : « آخر تفسير سورة الملك ولله الحمد والثناء الحسن الجميل » .

تفسير سورة « ن »

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) ﴾ .

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول «سورة البقرة» ،وأن قوله: ﴿ ن ﴾ كقوله: ﴿ ص﴾ ، ﴿ ق﴾،ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور،وتحرير القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته.

وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ : حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل [(١)] للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان ــ هو الثورى ــ حدثنا سليمان ــ هو الأعمش ــ عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال: اكتب القَدَر . فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة . ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء، ففُتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر على الأرض [(٢)] .

وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سِنان ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، به . وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فُضَيل ، ووَكِيع ، عن الأعمش ، به. وزاد شعبة فى روايته : ثم قرأ : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . وقد رواه شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ــ أو مجاهد ــ عن ابن عباس، فذكر نحوه . ورواه مَعْمَر ، عن الأعمش : أن ابن عباس قال . . . فذكره ، ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى الضُّحَى ، عن ابن عباس قال : إن أول شىء خلق ربى ، عز وجل ، القلم ، ثم قال له : اكتب . فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة . ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه [(٣)] .

---

(١) فى أ : « وهو الحامل » .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠) .

وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعاً فقال : حدثنا أبو حبيب [(١)] زيد بن المهتدى المروذى [(٢)] ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى ، حدثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب، عن أبى الضحى مسلم بن صَبِيح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :« إن أول ما خلق الله القلم والحوت ، قال للقلم : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : كل شىء كائن إلى يوم القيامة». ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، فالنون : الحوت .والقلم : القلم [(٣)] .

حديث آخر فى ذلك : رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول شىء خلقه الله القلم ، ثم خلق « النون » وهى : الدواة . ثم قال له : اكتب .قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما يكون ــ أو : ما هو كائن ــ من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلى يوم القيامة ، فذلك قوله : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلقَ العقل وقال : وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت » [(٤)] .

وقال ابن أبى نَجيح : إن إبراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال : كان يقال : النون : الحوت [العظيم] [(٥)] الذى تحت الأرض السابعة .

وذكر البغوى وجماعة من المفسرين : إن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والأرض ،وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن،وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن [(٦)]، فالله أعلم . ومن العجيب [(٧)] أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس : أن عبد الله بن سلام بَلَغه مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ، فأتاه فسأله عن أشياء ، قال : إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ والولد ينزع إلى أمه ؟ قال : «أخبرنى بهن جبريل آنفاً » . قال ابن سلام : فذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : « أما أول أشراط الساعة فنار تَحشرهم [(٨)] من المشرق إلى المغرب . وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادةُ كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد ،وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت » .

---

(١) فى أ : « أبو صهيب » . (٢) فى أ : « المهدى ».

(٣) المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣) وقال : « لم يرفعه عن حماد بن زيد إلامؤمل بن إسماعيل » .ومؤمل كثير الخطأ، فلعله أخطأ فى رفعه .

(٤) تاريخ دمشق (١٧/ ٤٩٢ « المخطوط») ورواه الحكيم الترمذى كما فى إتحاف السادة المتقين(١/ ٤٥٤) من طريق يحيى الغسانى ، عن أبى عبد الله ، عن أبى صالح ، به . ورواه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٦٩) من طريق محمد بن وهب ، عن مسلم ، عن مالك ، عن سمى ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه ، وقال : « هذا بهذا الإسناد باطل منكر » وآفته محمد بن وهب . قال الذهبى فى الميزان : « صدق ابن عدى فى أن هذا الحديث باطل » .

(٥) زيادة من م.

(٦) معالم التنزيل (٨/ ١٨٦) وهذا من الإسرائيليات كما ذكر ذلك الشيخ محمد أبو شهبة فى كتابه :« الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » (ص٣٠٥) وقال الإمام ابن القيم فى المنار المنيف (ص٧٦) فى ذكر علامات الوضع : « أن يكون الحديث مما تشهد الشواهد الصحيحة على بطلانه ، ومن هذا حديث :« إن الأرض على صخرة ، والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة ، فتحركت الأرض، وهى الزلزلة » والعجب من مُسَوِّد كُتُبه بهذه الهذيانات » .أ.هـ .

(٧) فى أ : « ومن العجب » . (٨) فى أ : « تحشر الناس » .

ورواه البخارى من طرق عن حُمَيد ، ورواه مسلم أيضا [١] . وله من حديث ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ نحو هذا . وفى صحيح مسلم من حديث أبى أسماء الرحبى ، عن ثوبان : أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل ، فكان منها أن قال : فما تحفتهم ؟ ـ يعنى أهل الجنة حين يدخلون الجنة ـ قال : « زيادة كبد الحوت » . قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال :« من عين فيها تسمى سلسبيلا » [٢] .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ نٓ ﴾ : لوح من نور .

قال ابن جرير : حدثنا الحسين بن شبيب المكتب ، حدثنا محمد بن زياد الجزرى ، عن فرات بن أبى الفرات ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ: « ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾: لوح من نور ، وقلم من نور ، يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » [٣] . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جُرَيج [٤] : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : المراد بقوله : ﴿نٓ﴾ : دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الحسن وقتادة فى قوله : ﴿نٓ﴾ قالا : هى الدواة .

وقد روى فى هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عبد الله مولى بنى أمية، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« خلق الله النون ،وهى الدواة» [٥] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أخى عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت الثمالى ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون ـ وهى الدواة ـ وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شىء من ذلك ، شأنه : دخوله فى الدنيا ، ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزاناً ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألستم قوماً عَرَبا تسمعون الحفظة يقولون : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩] ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل [٦] .

---

(١) المسند (٣/١٨٩) وصحيح البخارى برقم (٣٩٣٨) ولم أقع عليه فى صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم برقم (٣١٥) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠) .

(٤) فى أ: « ابن جرير» .

(٥) ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٧/ ٤٩٢ « المخطوط») من طريق الفريابى ، عن هشام ، عن الحسن بن يحيى به مطولاً ،وقد تقدم قريباً فى هذه السورة .

(٦) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠).

وقوله : ﴿وَالْقَلَمِ﴾ : الظاهر أنه جنس القلم الذى يكتب به كقوله : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣ ــ ٥] . فهو قسم منه تعالى ، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التى بها تنال العلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَا يَسْطُرُون ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى : وما يكتبون .

وقال أبو الضُّحى ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَا يَسْطُرُون ﴾ أى : وما يعملون .

وقال السدى : ﴿ وَمَا يَسْطُرُون ﴾ : يعنى الملائكة وما تكتب من عمل العباد .

وقال آخرون : بل المراد هاهنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة . وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم ، فقال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا : حدثنا أبو داود الطيالسى ، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلمى ، عن عطاء ــ هو ابن أبى رباح ــ حدثنى الوليد بن عبادة بن الصامت قال : دعانى أبى حين حضره الموت فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : يا رب ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر [ما كان] [١] وما هو كائن إلى الأبد » .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق ، عن الوليد بن عبادة ، عن أبيه ، به [٢] . وأخرجه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى ، به [٣] . وقال : حسن صحيح غريب . ورواه أبو داود فى كتاب «السنة» من سننه ، عن جعفر بن مسافر ، عن يحيى بن حسان ، عن ابن رباح ، عن إبراهيم بن أبى عبلة [٤] ، عن أبى حفصة ــ واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبشى الشامى ــ عن عبادة ، فذكره [٥] .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الطوسى ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بَزة [٦] ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول شىء خلقه الله القلم ، فأمره فكتب كل شىء » . غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه [٧] .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يعنى : الذى كتب به الذكر .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْطُرُون ﴾ أى : يكتبون ، كما تقدم .

---

(١) زيادة من منحة المعبود . مستفاداً من هامش ط ــ الشعب .

(٢) المسند (٥/٣١٧) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣١٩) .

(٤) فى أ : « عن ابن أبى عبلة » .

(٥) سنن أبى داود برقم (٤٧٠٠) .

(٦) فى أ : « بن أبى مرة » .

(٧) تفسير الطبرى (١١/٢٩) .

وقوله : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ أى : لست ، ولله الحمد ، بمجنون ، كما قد يقوله الجهلة من قومك ، والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين ، فنسبوك فيه إلى الجنون ،﴿ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أى : بل لك الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذى لا ينقطع ولا يبيد ، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق ، وصبرك على أذاهم . ومعنى ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أى : غير مقطوع كقوله : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين:٦] أى : غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أى : غير محسوب ، وهو يرجع إلى ما قلناه .

وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : أى : وإنك لعلى دين [١] عظيم ، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدى ، والربيع بن أنس ، والضحاك، وابن زيد .

وقال عطية : لعلى أدب عظيم . وقال مَعْمَر ، عن قتادة : سُئلت عائشةُ عن خلق رسول الله ﷺ . قالت : كان خلقه القرآن ، تقول : كما هو فى القرآن .

وقال سعيد بن أبى عَرُوبَة ، عن قتادة قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ : ذكر لنا أن سعد [٢] ابن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ . فقالت : ألست تقرأ القران ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى [٣] ، عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة فقلت : أخبرينى يا أم المؤمنين ــ عن خُلُق رسول الله ﷺ. فقالت : أتقرأ القرآن ؟ قلتُ : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن [٤] .

هذا حديث طويل . وقد رواه الإمام مسلم فى صحيحه ، من حديث قتادة بطوله [٥] . وسيأتى فى سورة « المزمل » إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقه القرآن [٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بنى سواد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ . فقالت : أما تقرأ القرآن:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال : قلت : حدثينى عن ذاك . قالت : صنعت له طعاماً ، وصنعت له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريتى : اذهبى فإن جاءت هى بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحى الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام . قالت : فألقت [٧] الجارية ، فوقعت القصعة فانكسرت ــ وكان نِطْعاً [٨] ــ قالت : فجمعه رسول الله

(١) فى أ : « لعلى خلق » . (٢) فى أ : « أن سعيد » . (٣) فى أ : « زرارة بن أبى أوفى » .
(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٤٥) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٧٤٦) .
(٦) المسند (٦/ ٢١٦) .
(٧) فى أ : « فالتفتت » .
(٨) فى هـ ، م ، أ : « نطع » ، والمثبت من المسند .

ﷺ وقال : « اقتضوا ــ أو : اقتضى ــ شك أسود ــ ظَرفاً مكان ظَرفك ». قالت: فما قال شيئاً [١].

وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبى أياس ، حدثنا أبى ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد [٢] بن هشام : قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبرينى بخُلق النبى [٣] ﷺ . فقالت : كان خلقه القرآن . أما تقرأ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقد روى أبو داود والنسائى ، من حديث الحسن ، نحوه [٤] .

وقال ابن جرير: حدثنى يونس ، أنبأنا ابن وهب ، وأخبرنى معاوية بن صالح ، عن أبى الزاهرية ، عن جُبَير بن نفير قال : حججتُ فدخلتُ على عائشة ، رضى الله عنها ، فسألتها عن خُلُق رسول الله ﷺ . فقالت : كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن .

هكذا رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدى . ورواه النسائى فى التفسير ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ، به [٥] .

ومعنى هذا أنه ، عليه السلام ، صار امتثالُ القرآن ، أمراً ونهياً ، سجيةً له ، وخلقاً تَطَبَّعَه ، وترك طبعه الجِبلِّى ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة ، والصفح والحلم ، وكل خلق جميل . كما ثبت فى الصحيحين عن أنس قال : خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لى : « أف » قط ، ولا قال لشىء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشىء لم أفعلَه : ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ، ولا مَسِسْتُ خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ [٦] .

وقال البخارى : [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله] [٧] ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير [٨] .

والأحاديث فى هذا كثيرة ، ولأبى عيسى الترمذى فى هذا كتاب « الشمائل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن

---

(١) المسند (٦/ ١١) .

(٢) فى هـ ، أ : « سعيد » ، والمثبت من م وتفسير الطبرى .

(٣) فى م : « رسول الله» .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٣) وسنن أبى داود برقم (١٣٥٢) وسنن النسائى (٣/ ٢٢٠) .

(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٣) والمسند (٦ / ١٨٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١١٣٨) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٦٠٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٩) .

(٧) زيادة من م ، أ ،و صحيح البخارى .

(٨) صحيح البخارى برقم (٣٥٤٩) .

يجاهد فى سبيل الله . ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله ، عز وجل [(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :« إنما بُعِثتُ لأُتمم صالح الأخلاق » . تفرد به [(٢)] .

وقوله: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أى : فستعلم يا محمد ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك : من المفتون الضال منك ومنهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦] ، وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] .

قال ابن جريج : قال ابن عباس فى هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُون ﴾ أى : الجنون . وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُون ﴾ أى : أولى بالشيطان .

ومعنى المفتون ظاهر ، أى : الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء فى قوله : ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُون﴾ لتدل على تضمين الفعل فى قوله : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُون ﴾ وتقديره : فستعلم ويعلمون ، أو : فستُخْبَر ويُخْبَرون بأيكم المفتون . والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين ﴾ أى : هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) ﴾ .

يقول تعالى : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِين ﴾ .

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُون ﴾ : قال ابن عباس : لو تُرَخِّص لهم فَيُرَخِّصون .

وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ﴾ : وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترئ بها على أسماء الله تعالى ، واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها .

---

(١) المسند (٦/ ٢٣٢) .

(٢) المسند (٢/ ٣٨١) .

قال ابن عباس : المهين الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . قال الحسن : كل حلاف مكابر مهين ضعيف .

وقوله : ﴿ هَمَّازٍ ﴾ : قال ابن عباس وقتادة : يعنى الاغتياب .

﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ يعنى : الذى يمشى بين الناس ، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين ، وهى الحالقة ، وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر [١] من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث . وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم ، من طرق عن مجاهد ، به [٢] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن هَمّام ؛ أن حُذَيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قَتَّات » .

رواه الجماعة ــ إلا ابن ماجة ــ من طرق ، عن إبراهيم ، به [٣] .

وحدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قتات » يعنى : نماما [٤] .

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان أبو سعيد الأحول ، عن الأعمش ، حدثنى إبراهيم ــ منذ نحو ستين سنة ــ عن همام بن الحرث قال : مر رجل على حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء . فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ــ أو : قال ــ : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة قتات » [٥] .

وقال أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا مهدى ، عن واصل الأحدب ، عن أبى وائل قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ قال: « لا يدخل الجنة نمام » [٦] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ؛ أن النبى ﷺ قال :« ألا أخبركم بخياركم ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين إذا رُؤوا ذُكر الله ، عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاؤون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العَنَت » .

ورواه ابن ماجة ، عن سويد بن سعيد ، عن يحيى بن سليم ، عن ابن خُثَيم ، به [٧] .

---

(١) فى أ : « لا يستبرئ » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٢١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٩٢) وسنن أبى داود برقم (٢٠) وسنن الترمذى برقم (٧٠) وسنن النسائى (٢٨/١) وسنن ابن ماجة برقم (٣٤٧) .

(٣) المسند (٣٨٢/٥) وصحيح البخارى برقم (٦٠٥٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٥) وسنن أبى داود برقم (٤٨٧١) وسنن الترمذى برقم (٢٠٢٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤) .

(٤ ، ٥) المسند (٣٨٩/٥) .

(٦) المسند (٥ / ٣٩١) .

(٧) المسند (٤٥٩/٦) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٩) وقال البوصيرى فى الزوائد (٢٧٣/٣) : « هذا إسناد حسن ، شهر وسويد مختلف فيهما ، وباقى رجال الإسناد ثقات » .

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبى حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن ابن غَنْم ـ يبلغ به النبى ﷺ :« خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت »[١] .

وقوله : ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أى : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ فى متناول ما أحل الله له ، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أى : يتناول المحرمات .

وقوله : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ : أما العتل : الفظ الغليظ الصحيح ، الجموع المَنُوعُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن مَعْبَد[٢] بن خالد ، عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله ﷺ :« ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مُتَضَعَّفٍ لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتل جَوّاظ مستكبر » . وقال وَكِيع :« كل جَوَّاظ جعظرى مستكبر » .

أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة ، إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثورى وشعبة ،كلاهما عن معبد بن خالد ، به[٣].

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن على قال : سمعت أبى يحدِّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ أن النبى ﷺ قال عند ذكر أهل النار :« كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . تفرد به أحمد[٤] .

قال أهل اللغة : الجعظرى : الفَظُّ الغَليظ ، والجَوّاظ : الجَمُوع المَنُوع .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن ابن غَنْم ، قال : سُئل رسول الله ﷺ عن العُتلِّ الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخَلْق المصحح ، الأكول الشروب ، الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف »[٥] .

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجَواظ الجعظرى ، والعتل الزنيم »[٦] وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ : « تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مِقضَماً ، فكان للناس ظلوماً . قال : فذلك العُتُل[٧] الزنيم »[٨] .

---

(١) المسند (٤/ ٢٢٧) .

(٢) فى أ : «سعيد ».

(٣) المسند (٤/ ٣٠٦) وصحيح البخارى برقم (٤٩١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٣) وسنن الترمذى برقم (٢٦٠٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦١٥) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٦) .

(٤) المسند (٢/ ١٦٩) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٩٣) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٥) المسند (٤/ ٢٢٧) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٩٣) :« إسناده حسن ، إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبى ﷺ » وقال فى موضع آخر (٧/ ١٢٨) : « فيه شهر بن حوشب وثقه جماعة وفيه ضعف ، وعبد الرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح ».

(٦) المسند (٤/ ٢٢٧) .

(٧) فى م ،أ : «العبد » .

(٨) تفسير الطبرى (١٩/ ١٦) وهو مرسل .

وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المُصحَّح الخَلْق ، الشديد القوى فى المأكل والمشرب والمنكح ، وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخارى :

حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيد الله، عن [1] إسرائيل ، عن أبى حَصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال : رجلٌ من قريش له زَنْمة مثل زَنَمَة الشاة .

ومعنى هذا : أنه كان مشهوراً بالشر[2] كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم فى لغة العرب : هو الدّعِىُّ فى القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان ابن ثابت ، يعنى يذم بعض كفار قريش :

وأنــتَ زَنيم نِيطَ فى آل هـــاشــم كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرّاكِب القَدَحُ الفَرْدُ [3]

وقال آخر :

زَنيـمٌ لَـيْسَ يُـعـرفُ مَــن أبـــوهُ بَغـــىُّ الأم ذُو حَسَب لَـئـيـــم

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطى ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ قال : الدعىُّ الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زَنيمٌ تَـداعـاه الـــرجالُ زيـــادَةً كَما زيدَ فى عَرضِ الأديم الأكَـــارعُ [4]

وقال العوفى عن ابن عباس : الزنيم : الدعى . ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة ، يعرف بها . ويقال : هو الأخنس بن شَرِيق الثقفى ، حليف بنى زهرة . وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزهرى ، وليس به .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه زعم أن الزنيم المُلحَق النسب .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنى يونس، حدثنا ابن وهب، حدثنى سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن ابن حَرملة ، عن سعيد بن المُسيَّب ، أنه سمعه يقول فى هذه الآية : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال سعيد : هو الملصق فى القوم ، ليس منهم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة عن الزنيم ، قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء . والزنماء من الشياه : التى فى عنقها هَنتان معلقتان فى حلقها .

وقال الثورى ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير قال : الزنيم : الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنيم : الملصق . رواه ابن جرير .

---

(١) فى أ : « بن » . (٢) فى أ : « بالسوء » .

(٣) تفسير الطبرى (١٩/١٧) .

(٤) البيت فى اللسان ، مادة « زنم » منسوباً إلى الخطيم التميمى .

وروى أيضا من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم : قال : نُعتَ فلم يعرف حتى قيل : زنيم . قال : وكانت له زَنَمَةٌ فى عنقه يُعرَف بها . وقال آخرون : كان دَعَياً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن أصحاب التفسير قالوا[١]: هو الذى تكون له زَنَمةٌ مثل زَنَمة الشاة .

وقال الضحاك : كانت له زَنَمَة فى أصل أذنه ، ويقال : هو اللئيم الملصق فى النسب .

وقال أبو إسحاق : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذى يعرف بالشر .

وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رَزِين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم الذى يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها .

والأقوال فى هذا كثيرة ، وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو : المشهور بالشر ، الذى يعرف به من بين الناس ، وغالباً يكون دعياً ولد زنا ، فإنه فى الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره ، كما جاء فى الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زنا » [٢] . وفى الحديث الآخر :« ولد الزنا شَرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه » [٣] .

وقوله : ﴿ **أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين** ﴾ : يقول تعالى : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين ، كفر بآيات الله وأعرض عنها ، وزعم أنها كَذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾ قال الله تعالى : ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ [المدثر: ١١ ــ ٢٦] . وقال تعالى هاهنا : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ .

قال ابن جرير : سنبين أمره بياناً واضحاً ، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم ، كما لا تخفى السمة على الخراطيم [٤] . وهكذا قال قتادة : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ : شين لا يفارقه آخر ما عليه .

---

(١) فى أ :« قال » .

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند (٢/٢٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه، ورواه النسائى فى السنن الكبرى برقم (٤٩٢٥، ٤٩٢٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه ، وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ١١١) قال : « وفيه مخالفة للأصول وأعظمها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] » . قال الإمام ابن القيم متعقباً على ابن الجوزى فى المنار المنيف (ص١٣٣) :« ليست معرضة بها إن صحت ،فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه ، بل لأن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب فى الغالب ، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة ، فإن كانت فى هذا الجنس طيبة دخلت الجنة ،وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد فى ذمه :« أنه شر الثلاثة » وهو حديث حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض ، وهذه نطفة خبيثة فشره فى أصله وشر الأبوين فى فعلهما » . قلت : ويوجه أيضاً بالتقييد الذى فى حديث عائشة الآتى بأنه شر الثلاثة إذا عَمِلَ عَمَلَ أبويه ،وكلام ابن الجوزى منطبق على حديث : « ولد الزنا فى النار إلى سبعة أبناء » . وهو موضوع .

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ١٠٩) من حديث عائشة ، رضى الله عنها ، و(٢/ ٣١١) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) فى م : « على الخرطوم » .

وفى رواية عنه : سيما [١] على أنفه . وكذا قال السدى .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ : يقاتل يوم بدر ، فيُخطم بالسيف فى القتال . وقال آخرون : ﴿سَنَسِمُهُ﴾ :سمة أهل النار ، يعنى : نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخرطوم . وحكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه فى الدنيا والآخرة ، وهو مُتّجه .

وقد [٢] قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث ، حدثني خالد عن [٣] سعيد ، عن عبد الملك بن عبد الله ، عن عيسي بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقابا [٤] ثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ، ثم يموت والله عليه [٥] راض . ومن مات هَمَّازاً لـمَّازاً مُلَقِّبا للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسميه الله على الخرطوم ، من كلا الشفتين » [٦] .

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ .

هذا مَثَل ضَرَبه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بَعْثُهُ محمداً ﷺ إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ؛ ولهذا قال : ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أى : اختبرناهم ، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار

(١) فى م :« سنسمه سيما » .

(٢) فى م : « ولهذا ».

(٣) فى م ، أ ، هـ: « بن » والصواب ما أثبتناه من المعجم الكبير للطبرانى .

(٤) فى أ: «أحيانا ثم أحيانا » .

(٥) فى م : « عنه » .

(٦) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٦٠) « القطعة المفقودة » والمعجم الأوسط برقم (٣٢٣٤) « مجمع البحرين » عن المطلب الأزدى، عن عبد الله بن صالح به . وقال فى الأوسط : « لا يروى عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الليث » .

والفواكه ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ أى :حلفوا فيما بينهم لَيجُذّنَ ثمرها ليلا ، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ، ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أى: فيما حلفوا به. ولهذا حَنَّثهم الله فى أيمانهم ، فقال : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ أى : أصابتها آفة سماوية ، ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ : قال ابن عباس : أى كالليل الأسود . وقال الثورى، والسدى : مثل الزرع إذا حُصِد ، أى : هشيماً يبساً .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بشير بن زاذان ، عن عمر بن صبح [(١)]، عن ليث بن أبى سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم والمعاصى ، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيِّئ له » ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾،قد حرموا خَير جنّتهم بذنبهم[(٢)] .

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أى : لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجَذَاذ ، ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ أى : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عِنَباً ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أى : يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحداً كلامهم . ثم فسر الله عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به ، فقال : ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ . أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ أى : يقول بعضهم لبعض : لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ! قال الله تعالى : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ أى : قوة وشدة . وقال مجاهد : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أى : جد . وقال عكرمة : غيظ . وقال الشعبى : ﴿ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ : على المساكين . وقال السدى : ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أى: كان اسم قريتهم حرد . فأبعد السدى فى قوله هذا ! .

﴿ قَادِرِينَ ﴾ أى: عليها فيما يزعمون ويَرومون. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهى على الحالة التى قال الله ، عز وجل ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْلَهِمَّة ، لا يُنتفع بشيء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطؤوا الطريق ؛ ولهذا قالوا : ﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى : قد سلكنا إليها غير الطريق فتُهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هى فقالوا : ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أى: بل هذه هى، ولكن نحن لا حَظّ لنا ولا نصيب .

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس ،والضحاك ، وقتادة: أى : أعدلهم وخيرهم:﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾! قال مجاهد ، والسدى ، وابن جريج : ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أى : لولا تستثنون . قال السدى : وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحاً .

---

(١) فى أ :« بن صبيح » .

(٢) وفى إسناده عمر بن صبح قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث . وقال الدارقطنى : متروك . وقال الأزدى : كذاب . وله شاهد من حديث ثوبان ، رضى الله عنه ، رواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ٢٧٧) .

قال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله . وقيل : معناه : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أى : هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ، أتوا بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ؛ ولهذا قالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ أى : يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجَذاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ أى : اعتدينا وبَغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ، ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ قيل : رغبو فى بدلها لهم فى الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة ، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ـ قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها ضروان [١] ، على ستة أميال من صنعاء . وقيل : كانوا من أهل الحبشة ـ وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليها ويدّخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات ورثه بنوه ، قالوا : لقد كان أبونا أحمقَ إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنَّا منعناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا على ذلك عُوقبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، ورأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أى :هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء [٢] وذوى الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرا ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ نهى عن الجداد [٣] بالليل ، والحصاد بالليل [٤] .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

---

(١) فى أ : « جردان » .

(٢) فى أ : « حق المسكين والفقير » .

(٣) فى م ، أ ، هـ : « الجذاذ » بالذال وهو خطأ والمثبت من سنن البيهقى .

(٤) سنن البيهقى الكبرى (٤/ ١٣٣) والجداد ـ بالدال بالفتح والكسر ـ قال ابن الأثير فى النهاية (١/ ٢٤٤) : « هى صرام النخل ، وهو قطع ثمرتها ، يقال : جدّ الثمرة يجدُّها جدّا ، وإنما نهى عن ذلك لأجل المساكين حتى يحضروا فى النهار فيتصدق عليهم منه » .

لما ذكر [الله] (١) تعالى حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله ، عز وجل ، وخالفوا أمره ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه فى الدار الآخرة جنات النعيم التى لا تَبيد ولا تفرغ ولا ينقضى نعيمها .

ثم قال : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** ﴾ ؟ أى : أفنساوى بين هؤلاء وهؤلاء فى الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ؛ ولهذا قال : ﴿ **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ ! أى : كيف تظنون ذلك ؟ .

ثم قال : ﴿ **أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ** ﴾ يقول : أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف، مُتضمن حكما مؤكداً كما تدعونه؟ ﴿ **إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** ﴾ أى : أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، ﴿ **إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ** ﴾ أى : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ **سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ** ﴾ ؟ أى : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟ ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ** ﴾ أى: من الأصنام والأنداد ، ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ .

﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)** ﴾ .

لما ذكر تعالى أن للمتقين عنده (٢) جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع ، فقال : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ يعنى : يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخارى هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « يكشفُ ربّنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقاً واحداً » (٣) .

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق (٤) ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور .

وقد قال عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ**

---

(١) زيادة من م .　　(٢) فى م : « عند ربهم » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩١٩) .

(٤) وهو حديث الشفاعة وقد سبق سياقه بطرقه وألفاظه عند تفسير أول سورة الإسراء .

عَن سَاق ﴾ قال : هو يوم كَرْب وشدة . رواه ابن جرير ثم قال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ــ أو : ابن عباس ، الشك من ابن جرير ــ : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ قال : عن أمر عظيم ، كقول الشاعر :

وقامت الحرب بنا على ساق [١]

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ قال : شدة الأمر [٢] .

وقال ابن عباس : هى أول [٣] ساعة تكون فى يوم القيامة .

وقال بن جُرَيج ، عن مجاهد : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ قال : شدة الأمر وجده .

وقال على ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ : هو الأمر الشديد المُفظِع من الهول يوم القيامة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال . وكشفه دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روى الضحاك عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال :

حدثنى أبو زيد عمر بن شَبَّة ، حدثنا هارون بن عمر المخزومى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبى بردة بن أبى موسى ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ قال : ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق** ﴾ قال : « عن نور عظيم ، يخرون له سجداً » .

ورواه أبو يعلى ، عن القاسم بن يحيى ، عن الوليد بن مسلم ، به [٤] . وفيه رجل مبهم [٥]، فالله أعلم .

---

(١) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٢٤) .

(٢) فى أ : « الأمر وجده». (٣) فى م : « هى أشد » .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٢٧) ومسند أبى يعلى (١٣/ ٢٦٩) .

تنبيه : ظن بعض الناس أن الحافظ ابن كثير سلك هنا مسلك التأويل لصفة الساق،وهذا فهم خاطئ ؛ وذلك لأن الحافظ ابن كثير فسر هذه الآية بحديث أبى سعيد ،رضى الله عنه ،ثم ذكر ما قيل فى هذه الآية،وقد تكلم الإمام ابن القيم عن هذه الآية كلاماً بديعاً قال، رحمه الله ، فى الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢،٢٥٣) : « والصحابة متنازعون فى تفسير هذه الآية : هل المراد الكشف عن الشدة ؟ أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه؟ ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيها يذكر أنه من الصفات أم لا فى غير هذا الموضوع ، وليس فى ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله ؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه ، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والأصبع لم يأخذ ذلك من ظاهر القرآن ، وإنما أثبتوه بحديث أبى سعيد الخدرى المتفق على صحته ، وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه : « فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجداً » . ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**﴾ [القلم :٤٢] : مطابق لقوله ﷺ: « فيكشف عن ساقه فيخرون له سجداً » . وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة،جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه ،قالوا :وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ؛ فإن لغة القوم فى مثل ذلك أن يقال: كشف الشدة عن القوم لاكشف عنها كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾ [الزخرف: ٥٠] ، وقال: ﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ** ﴾ [المؤمنون :٧٥] ، فالعذاب والشدة هو المكشوف عنه ، وأيضاً فهناك تحدث الشدة وتشتد ، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود ، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة» انتهى نقلا عن التحذير من مختصرات الصابونى ، وانظر: عقيدة الحافظ ابن كثير للشيخ عبد الآخر الغنيمى (ص٤٨،٤٩) والتحذير للشيخ بكر أبو زيد (ص٣٥٠ ــ ٣٥٣) .

(٥) فى أ :« رجل متهم » .

وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أى : فى الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم فى الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه . ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة ، إذا تجلى الرب ، عز وجل ، فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجُد ، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه ، عكس السجود ، كما كانوا فى الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعنى : القرآن . وهذا تهديد شديد ، أى : دعنى وإياه منى ومنه ، أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمده فى غيه وأنظر [(١)]، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ؛ ولهذا قال : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو فى نفس الأمر إهانة ، كما قال: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أى : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم [(٢)] ، وذلك من كيدى ومكرى بهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أى : عظيم لمن خالف أمرى ، وكذب رسلى ، واجترأ على معصيتى .

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ليُملى للظالم ،حتى إذا أخذه لم يُفْلته ». ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] [(٣)] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ : تقدم تفسيرهما فى سورة «الطور» [(٤)] [(٥)]. والمعنى فى ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ، عز وجل ، بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجوا ثواب ذلك عند الله ، عز وجل ، وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) ﴾ .

---

(١) فى أ : « وأنظره » . (٢) فى أ : « وأمد لهم » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه .

(٤) فى م : « فى سورة النور » .

(٥) عند تفسير الآيتين : ٤٠، ٤١ .

يقول تعالى : ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك فى الدنيا والآخرة ، ﴿ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يعنى : ذا النون ، وهو يونس بن متى ، عليه السلام ، حين ذهب مُغَاضِباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه فى البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به فى البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلى القدير ، الذى لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقدير ، فحينئذ نادى فى الظلمات: ﴿ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] . قال الله : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣ ، ١٤٤] وقال ههنا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدى : مغموم . وقال عطاء الخراسانى ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا فى الحديث أنه لما قال : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، خرجت الكلمة تَحُفّ حول العرش ، فقالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال الله : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذى لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع ،حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى [١] . وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة [٢] .

وقوله : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ : لَيَنْفُذُونك بأبصارهم ، أى : لَيَعِينُوك بأبصارهم ، بمعنى : يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك ، وحمايته إياك منهم . وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله ، عز وجل ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة :

حديث أنس بن مالك ، رضى الله عنه : قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود العَتَكى ، حدثنا شريك (ح) ، وحدثنا العباس العَنْبَرىّ ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذَرِيح، عن الشعبى ــ قال العباس : عن أنس ــ قال : قال النبى ﷺ: « لا رقية إلا من عين أو حُمة أو دم لا يرقأ » . لم يذكر العباس العين . وهذا لفظ سليمان [٣] .

حديث بُرَيدة بن الحُصَيب ، رضى الله عنه : قال أبو عبد الله بن ماجة :حدثنا محمد بن عبد الله ابن نُمَير ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى جعفر الرازى ، عن حُصَين ، عن الشعبى ، عن

(١) المسند (١/ ٣٩٠) وصحيح البخارى برقم (٤٦٠٣) .
(٢) صحيح البخارى برقم (٤٦٣١) وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٦) .
(٣) سنن أبى داود برقم (٣٨٨٩) .

بُرَيدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » [(١)] .

هكذا رواه ابن ماجة ، وقد أخرجه مسلم فى صحيحه ، عن سعيد بن منصور ، عن هشيم ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عامر الشعبى ، عن بريدة موقوفاً ، وفيه قصة [(٢)] . وقد رواه شعبة ، عن حصين ، عن الشعبى ،عن بريدة .قاله الترمذى [(٣)] . وروى هذا الحديث الإمام البخارى من حديث محمد بن فضيل ، وأبو داود من حديث مالك بن مغْول ، والترمذى من حديث سفيان ابن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين ، عن عامر الشعبى ، عن عمرانَ بن حُصَين موقوفاً [(٤)] .

حديث أبى جندب بن جنادة : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى ، رحمه الله : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة بن البِرِند السامى ، حدثنا ديلم بن غَزوان ، حدثنا وهْب بن أبى دبى ، عن أبى حرب ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العين لتولع الرجلَ بإذن الله ، فيتصاعد حالقا، ثم يتردى منه » إسناده غريب ، ولم يخرجوه [(٥)] .

حديث حابس التميمى : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيى بن أبى كثير ، حدثنى حيَّة بن حابس التميمى : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا شىء فى الهام ، والعين حق ، وأصدق الطِّيرَة [(٦)] الفَأْلُ » [(٧)] .

وقد رواه الترمذى عن عمرو بن على ، عن أبى غسان يحيى بن كثير ، عن على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، به [(٨)]. ثم قال غريب . قال : وروى شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن حيَّة بن حابس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ .

قلت : كذلك رواه الإمام أحمد ، عن حسن بن موسى وحُسَين بن محمد ، عن شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن حيَّة ، حدثه عن أبيه ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لا بأس فى الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل » [(٩)] .

حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن دُوَيد ، حدثنى إسماعيل بن ثوبان ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « العين

---

(١) سنن ابن ماجة برقم(٣٥١٣) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٠) .

(٣) سنن الترمذى (٤/ ٣٤٥) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٧٠٥) وسنن أبى داود برقم (٣٨٨٤) وسنن الترمذى برقم (٢٠٧٥) .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ١٠٤) من طريق أبى يعلى لكنه وقع فيه : إبراهيم ، عن ديلم ،عن وهب بن أبى دبى ، عن محجن، عن أبى زر به ، فأسقط أبوحرب ،وسيأتى توجيه ذلك من كلام ابن عدى ،ورواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ١٤٦) من طريق يونس بن محمد ، وابن عدى فى الكامل (٣/ ١٠٤) من طريق الصلت بن مسعود كلاهما عن ديلم بن غزوان،عن وهب ، عن أبى حرب ، عن محجن ، عن أبى ذر به، قال ابن عدى : « وهذا الحديث يرويه ديلم عن وهب بن أبى دبى ، وأظن أنه وهم من رواية الصلت حيث قال : عن وهب بن أبى دبى ، عن أبى حرب ، عن محجن ، ولعل أبا حرب هو محجن » .

(٦) فى م : « الطير » ، وفى أ : «الظن » .

(٧) المسند (٥/ ٧٠) .

(٨) سنن الترمذى برقم (٢٠٦١) .

(٩) المسند (٥/ ٧٠) .

حق ، العين حق ، تستنزل الحالق » [١] غريب .

طريق أخرى : قال مسلم فى صحيحه : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، أخبرنا مسلم ابن إبراهيم ، حدثنا وُهَيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : «العين حق ، ولو كان شىء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العين ، وإذا اغتُسلتم فاغسلوا » . انفرد به دون البخارى [٢] .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى ، عن منصور ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين ، يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهَامَّة ، ومن كل عين لامَّة » ، ويقول : « هكذا كان إبراهيم يُعَوِّذ إسحاق وإسماعيل ، عليهما السلام » .

أخرجه البخارى وأهل السنن من حديث المنهال ، به [٣] .

حديث أبى أمامة أسعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه : قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيف قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيف ، وهو يغتسل ، فقال : لم أر كاليوم ولا جلدَ مخبأة . فما لبث أن لُبِطَ به ، فأتى به رسول الله ﷺ فقيل له : أدرك سهلا صريعاً . قال : « من تتهمون به ؟ ». قالوا: عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فَلْيَدعُ له بالبركة » . ثُم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، وركبتيه ، ودَاخِلة إزاره ، وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال مَعْمَر ، عن الزهرى : وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه [٤] .

وقد رواه النسائى ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، كلاهما عن الزهرى ، به . ومن حديث سفيان بن عيينة أيضاً عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبى أمامة : ويكفَأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبى ذئب عن الزهرى ، عن أبى أمامة أسعد بن سهل بن حُنَيف ، عن أبيه ،به . ومن حديث مالك أيضاً ، عن محمد بن أبى أمامة بن سهل ، عن أبيه ، به [٥] .

حديث أبى سعيد الخدرى : قال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين [٦] الجان وأعين الإنس . فلما نزل [٧] المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك .

---

(١) المسند (١/ ٢٧٤) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٨) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٣٧١) وسنن أبى داود برقم (٤٧٣٧) وسنن الترمذى برقم (٢٠٦٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٨٤٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٥) .

(٤) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٩) .

(٥) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٦١٧ ــ ٧٦١٩) .

(٦) فى م : « من عين » .

(٧) فى م : « فلما نزلت » .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث سعيد بن إياس [(١)] أبى مسعود الجُرَيرى ، به [(٢)] . وقال الترمذى : حسن .

حديث آخر عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنى أبى ، حدثنى عبد العزيز بن صُهيب ، حدثنى أبو نضرة ، عن أبى سعيد : أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك [(٣)] .

ورواه عن عفان ، عن عبد الوارث ، مثله . ورواه مسلم وأهل السنن ــ إلا أبا داود ــ من حديث عبد الوارث ، به [(٤)] .

قال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبى نَضرة ، عن أبى سعيد ــ أو : عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله ﷺ اشتكى ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من كل حاسد وعين الله يُشفيك [(٥)] .

ورواه أيضاً ، عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن داود ، عن أبى نَضرة ، عن أبى سعيد، به [(٦)] .

قال أبو زُرْعَة الرازى : روى عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز ، عن أبى نَضْرَةَ ، وعن عبد العزيز ، عن أنس ، فى معناه ، وكلاهما صحيح .

حديث أبى هُرَيرة : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن هَمَّام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله ﷺ : « إن العين حق » [(٧)].

أخرجاه من حديث عبد الرزاق [(٨)].

وقال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن الجُرَيرى ، عن مُضَارب بن حَزن ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق » . تفرد به .

ورواه أحمد ، عن إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن سعيد الجُرَيْرى ، به [(٩)].

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور ــ يعنى ابن يزيد ــ عن مكحول ، عن أبى

---

(١) فى م : « سعيد بن أبى إياس » .

(٢) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١١) وسنن الترمذى برقم (٢٠٥٨) وسنن النسائى (٨/ ٢٧١) .

(٣) المسند (٣/ ٢٨).

(٤) المسند (٣/ ٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٦) وسنن الترمذى برقم (٩٧٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٨٤٣) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٣) .

(٥) المسند (٣/ ٧٥) .

(٦) المسند (٣/ ٥٨) .

(٧) المسند (٢/ ٣١٨) .

(٨) صحيح البخارى برقم (٥٧٤٠) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٧) .

(٩) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٧) والمسند (٢/ ٤٨٧) .

هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ، ويحضُرها الشيطانُ ، وحسد ابن آدم » [(١)] .

وقال أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس : سُئل أبو هُرَيرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة فى ثلاث : فى المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذاً أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ! ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أصدق الطيرة الفألُ ، والعين حق » [(٢)] .

حديث أسماء بنت عُمَيس : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عُروةَ ابن عامر ، عن عُبيدَ بن رفاعة الزُرقى قال : قالت أسماء : يا رسول الله ، إن بنى جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقى لهم ؟ قال : « نعم ، فلو كان شىء يسبق القدرَ لسبقته العين » .

وكذا رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، به[(٣)] . ورواه الترمذى أيضاً والنسائى ، من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عُرْوَة بن عامر ، عن عُبَيد بن رفاعة ، عن أسماء بنت عميس ، به [(٤)] . وقال الترمذى : حسن صحيح .

حديث عائشة ، رضى الله عنها : قال ابن ماجة : حدثنا على بن أبى الخَصيب ، حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، ومِسْعَر ، عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شَدَّاد ، عن عائشة ؛ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقى من العين [(٥)].

ورواه البخارى عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد بن خالد ، به . وأخرجه مسلم من حديث سُفيانَ ومِسْعَر ، كلاهما عن معبد ، به [(٦)] . ثم قال ابن ماجة :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو هشام المخزومى ، حدثنا وُهَيب ، عن أبى واقد ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله ، فإن العين حق». تفرد به [(٧)] .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المَعين [(٨)].

حديث سهل بن حُنَيف : قال الإمام أحمد : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا أبو أويس [(٩)]، حدثنا الزهرى ، عن أبى أمامة بن سَهل بن حُنَيف : أن أباه حدثه أن النبى ﷺ خرج وساروا معه

---

(١) المسند (٢/ ٤٣٩) .

(٢) المسند (٢/ ٢٨٩) .

(٣) المسند (٦/ ٤٣٨) وسنن الترمذى برقم (٢٠٥٩) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٢٠٥٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٥٣٧) .

(٥) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٧٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢١٩٥) .

(٧) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٨) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/ ١٣٤) : « هذا إسناد فيه مقال » .

(٨) سنن أبى داود برقم (٣٨٨٠) .

(٩) فى م : « أبو إدريس » .

نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخَرَار ــ من الجحفة ــ اغتسل سهلُ بن حُنَيف ــ وكان رجلاً أبيض حَسن الجسم والجلد ــ فنظر إليه عامر بن ربيعة ، أخو بنى عدى بن كعب ، وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخَبَّأة . فلُبِطَ سهل ، فأتى رسول الله ﷺ فقيل له : يا رسول الله ، هل لك فى سهل . والله ما يرفع رأسه ولا يُفيق . قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » . قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول الله ﷺ عامرا ، فتغيظ عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَركت ؟ » . ثم قال له : « اغتسل له » ــ فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه ودَاخلَة إزاره فى قَدح ــ ثم صُب ذلك الماء عليه . يَصُبّه رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ[1] القدح وراءه . ففعل ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس به بأس [2] .

حديث عامر بن ربيعة : قال الإمام أحمد فى مسند عامر: حدثنا وكِيع ،حدثنا أبى،حدثنا عبد الله ابن عيسى، عن أمَيّة بن هند بن سهل بن حُنَيْف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا يلتمسان الخمرَ ــ قال : فوضع عامر جُبَّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعينى فنزل الماء يغتسل . قال : فسمعت له فى الماء فرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبنى . فأتيت النبى ﷺ فأخبرته . قال : فجاء يمشى فخاض الماء كأنى أنظر إلى بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيدى ثم قال : « اللهم ، اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » . قال: فقام .فقال رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم من أخيه ، أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه ، فَلْيُبَرِّك ، فإن العين حق » [3] .

حديث جابر : قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصارى ــ ويقال له :ابن الضَجِيع ، ضجيع حمزة ، رضى الله عنه ــ حدثنى عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثر من يموت من أمتى بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » [4] .

قال البزار : يعنى العين . قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد .

قلت : بل قد روى من وجه آخر عن جابر ؛ قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروى ــ المعروف بشكَّر ــ فى كتاب العجائب ، وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوى ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا على بن أبى على الهاشمى ، حدثنا محمد بن المُنكَدِر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « العين حق ، لتُورِد الرجل القبر ، والجمل القِدر ، وإن أكثر هلاك أمتى فى العين » [5] .

---

(١) فى أ : « ثم يلقى » .

(٢) المسند (٣/٤٨٦) .

(٣) المسند (٣/٤٤٧) .

(٤) مسند البزار برقم (٣٠٥٢) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١٠٦) : « رجاله رجال الصحيح ، خلا طالب بن حبيب ابن عمرو ،وهو ثقة » .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٥/١٨٥) من طريق رحيم عن ابن أبى فديك ، عن على بن أبى على اللهبى ، به . وقال : « غير محفوظ » وعلى بن أبى على هو آفته ،قال أحمد : يروى أحاديث مناكير عن جابر .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « قد تُدخل الرجلَ العينُ فى القبر ، وتدخل الجمل القدر » [١].

حديث عبد الله بن عمرو : قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبى رُقية ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ولا طيرةَ ، ولا هَامة ولا حَسَد » ، والعين حق » . تفرد به أحمد [٢] .

حديث عن على : روى الحافظ ابن عساكر من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكَشَورى ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصرى ، عن أبى رجاء ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن على؛ أن جبريل أتى النبى ﷺ فوافقه مغتما، فقال: يا محمد ، ما هذا الغم الذى أراه فى وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين ». قال : صَدَق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وما هن يا جبريل ؟ » . قال : قل: اللهم ذا السلطان العظيم ، ذا المن [٣] القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولى الكلمات التامات، والدعوات المستجابات ،عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالها النبى ﷺ فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبى ﷺ : « عَوِّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » .

قال الخطيب البغدادى : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحَبَطى [٤] من أهل تُسْتَر . ذكره ابن عساكر فى ترجمة « طراد بن الحسين » ، من تاريخه [٥] .

وقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُون ﴾ أى : يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : ﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُون ﴾ أى : لمجيئه بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) ورواه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٤٠٨) وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠) من طرق عن شعيب بن أيوب به ،وقال أبونعيم : « غريب من حديث الثورى ، تفرد به معاوية » وكذا قال ابن عدى .

(٢) المسند (٢/ ٢٢٢) .

(٣) فى م : « والمن » .

(٤) وقع فى تاريخ دمشق :« محمد بن عبد الله الحنظلى » وفى كنز العمال : « محمد بن عبد الله الخطيبى » ولم يتبين لى الصواب ، والله أعلم .

(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٥٠٣« المخطوط»).

تفسير سورة الحاقة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) ﴾ .

الحاقةُ من أسماء يوم القيامة ؛ لأن فيها يَتَحقَّقُ الوَعدُ والوَعيد ؛ ولهذا عَظَّم تعالى أمرَها فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ؟

ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ ، وهى الصيحة التى أسكتتهم ، والزلزلة التى أسكنتهم . هكذا قال قتادة : الطاغية الصيحة . وهو اختيار ابن جرير [١] .

وقال مجاهد : الطاغية الذنوب . وكذا قال الربيع بن أنس ، وابن زيد : إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ [الشمس: ١١].

وقال السُّدِّى : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ قال : يعنى : عاقر الناقة .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أى : باردة . قال قتادة ، والربيع ، والسدى ، والثورى : ﴿عَاتِيَةٍ ﴾ أى : شديدة الهبوب . قال قتادة : عتت عليهم حتى نَقَّبت عن أفئدتهم .

وقال الضحاك :﴿ صَرْصَرٍ ﴾ : باردة ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ : عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة . وقال على وغيره : عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أى : سلطها عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أى : كوامل متتابعات مشائيم .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣١) .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والثورى ، وغير واحد : ﴿ حُسُومًا ﴾ : متتابعات .

وعن عكرمة والربيع : مشائيم عليهم ، كقوله : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت:١٦] قال الربيع: وكان أولها الجمعة . وقال غيره الأربعاء . ويقال : إنها التى تسميها الناس الأعجاز ؛ كأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .وقيل : لأنها تكون فى عجر الشتاء ، ويقال : أيام العجوز ؛ لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سَرَبًا فقتلها الريح فى اليوم الثامن . حكاه البغوى [١] . والله أعلم .

قال ابن عباس : ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ : خربة . وقال غيره : بالية ، أى : جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان .

وقد ثبت فى الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأهلكَت عادٌ بالدَّبور» [٢] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضِّريس العبدى ، حدثنا ابن فُضَيل، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فتح الله على عاد من الريح التى أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم ، فَمرّت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم، فجعلتهم بين السماء والأرض . فلما رأى ذلك أهل الحاضرة الريح [٣] وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا .فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » [٤] .

وقال الثورى عن ليث ، عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب .

﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ؟ أى : هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أنه [٥] ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خَلَفًا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ ﴾ : قُرِئ بكسر القاف ، أى : ومن عنده فى زمانه من أتباعه من كفار القبط . وقرأ آخرون بفتحها ، أى : ومن قبله من الأمم المشبهين له .

وقوله : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾ وهم المكذبون بالرسل . ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أى : بالفعلة الخاطئة ، وهى التكذيب بما أنزل الله .

قال الربيع : ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أى : بالمعصية . وقال مجاهد : بالخطايا .

---

(١) معالم التنزيل للبغوى (٨/٢٠٨) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٠٣٥) وصحيح مسلم برقم (٩٠٠) .

(٣) فى م : « فلما رأى أهل الحاضر من عاد الريح » .

(٤) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٢/ ٤٢١) وأبو الشيخ فى العظمة برقم (٨٠٦) من طريق محمد بن فضيل عن مسلم ، به . وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٣) :« فيه مسلم الملائى وهو ضعيف » .

(٥) فى م : « أو » .

ولهذا قال : ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ :وهذا جنس ، أى: كُلّ كذّبَ رسول الله إليهم. كما قال: ﴿ كُلٌّ [١] كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٤]. ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ، ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣] ، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١] . وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ أى : عظيمة شديدة أليمة .

قال مجاهد : ﴿ رَّابِيَةً ﴾ : شديدة . وقال السدى : مهلكة .

ثم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴾ أى : زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود . قال ابن عباس وغيره : ﴿ طَغَا الْمَاءُ ﴾ : كثر ــ وذلك بسبب دعوة نوح ، عليه السلام ، على قومه حين كذبوه وخالفوه ، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعَمّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْرَان ، عن أبى سِنان سعيد بن سنان ،عن غير واحد، عن على بن أبى طالب قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الخزان فخرج ، فذلك قول الله : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ ﴾ ولم ينزل شىء من الريح إلا بكيل على يدى ملك ،إلا يوم عاد ،فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله : ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ عتت على الخزان [٢] .

ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ ﴾ ، وهى السفينة الجارية على وجه الماء ، ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه ، أى : وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار ، كما قال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس: ٤١، ٤٢] .

وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة . والأول أظهر ؛ ولهذا قال : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أى : وتفهم هذه النعمة ، وتذكرها أذن واعية .

قال ابن عباس : حافظة سامعة [٣] . وقال قتادة : ﴿ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ : عقلت [٤] عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ : سمعتها أذن ووعت . أى : من له سمع صحيح وعقل رجيح . وهذا عام فيمن فهم ، ووعى .

---

(١) فى م ، أ ، هـ :« إن كل إلا » .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٢) .

(٣) فى م: «سامعة حافظة » .	(٤) فى م :« تحفظت » ، وفى أ : « حفظت » .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة الدمشقى ،حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقى، حدثنا زيد بن يحيى ، حدثنا على بن حوشب ، سمعت مكحولا يقول : لما نزل [١] على رسول الله ﷺ: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ قال رسول الله ﷺ:«سألت ربى أن يجعلها أذُنَ عَلِىّ». [قال مكحول] [٢]: فكان عَلِىّ يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن على بن سهل ، عن الوليد بن مسلم ، عن على بن حوشب ، عن مكحول [٣] ، به . وهو حديث مرسل .

وقال ابن أبى حاتم أيضا: حدثنا جعفر بن محمد بن عامر ،حدثنا بشر[٤] بن آدم ، حدثنا عبد الله ابن الزبير أبو محمد ــ يعنى والد أبى أحمد الزبيرى ــ حدثنى صالح بن الهيثم ، سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى : « إنى أمرت أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن أعلمك وأن تعى ، وحُقّ لك أن تعى » . قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ .

ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف ، عن بشر بن آدم ، به[٥]. ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبى داود الأعمى ، عن بُرَيدة ، به . ولا يصح أيضا .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع ، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهى هذه النفخة . وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة ؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ،ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد .

وقال الربيع : هى النفخة الأخيرة . والظاهر ما قلناه ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ أى :فمدت مَدّ الأديم العُكَاظى ، وتَبَدّلت الأرض غير الأرض ، ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أى : قامت القيامة . ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ . قال سِماك ، عن شيخ من بنى أسد ، عن على قال : تنشق السماء من المجرة . رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن جريج : هى كقوله : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النبأ:١٩] .

---

(١) فى م ، أ : « لما نزلت » .
(٢) زيادة من م، أ .
(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٥) .
(٤) فى أ :« حدثنا بشير » .
(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٦) ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق كما فى الكنز برقم (٣٦٤٢٦) وقال ابن عساكر : « هذا إسناد لا يعرف والحديث شاذ » .

وقال ابن عباس : منخرقة ، والعرش بحذائها .

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ : الملك : اسم جنس ، أى : الملائكة على أرجاء السماء .

قال ابن عباس : على ما لم يَهِ منها ، أى : حافتها . وكذا قال سعيد بن جبير ، والأوزاعى . وقال الضحاك : أطرافها . وقال الحسن البصرى : أبوابها . وقال الربيع بن أنس فى قوله : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ يقول : على ما استدق من السماء ، ينظرون إلى أهل الأرض .

وقوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ أى : يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة . ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم ، أو : العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب . وفى حديث عبد الله بن عَميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، فى ذكر حَمَلَة العرش أنهم ثمانية أو عال [(١)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبوسعيد يحيى بن سعيد [(٢)] ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى أبو السمح البصرى ، حدثنا أبو قَبيل حُيَىّ بن هانئ : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ، ما بين مُوق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى قال : كتب إلىّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابورى : حدثنى أبى ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : « أذنَ لى أن أحدثكم عن ملك من حَمَلَة العرش : بُعْدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام » .

وهذا إسناد جيد ، رجاله ثقات . وقد رواه أبو داود فى كتاب « السنة » من سننه : حدثنا أحمد ابن حفص بن عبد الله ، حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله؛أن رسول الله ﷺ قال:« أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش:أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» . هذا لفظ أبى داود [(٣)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ . قال : ثمانية صفوف من الملائكة . قال : ورُوى عن الشعبى [وعكرمة] [(٤)] ، والضحاك . وابن جُرَيْج ، مثل ذلك . وكذا روى السُّدِّى عن أبى مالك ، عن ابن عباس : ثمانية صفوف . وكذا روى العوفى ، عنه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : الكَرُوبيّون ثمانية أجزاء ، كل جنس [(٥)] منهم بقدر [(٦)] الإنس والجن والشياطين والملائكة .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ أى : تعرضون على عالم السر والنجوى الذى

---

(١) حديث الأوعال رواه أبو داود فى السنن برقم (٤٧٢٣) وتقدم عند تفسير الآية : ٧ من سورة غافر .
(٢) فى م : « حدثنا أبو سعيد عن ابن سعيد » .
(٣) سنن أبى داود برقم (٤٧٢٧) .
(٤) زيادة من م، أ .
(٥) فى م :« كل جزء » .
(٦) فى أ :« بعدة » .

لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ؛ ولهذا قال : ﴿ **لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ .

وقد قال ابن أبى الدنيا : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن بُرْقان ، عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا على بن على بن رفاعة ، عن الحسن ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدالٌ ومعاذيرُ ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » .

ورواه ابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن وَكيع ، به [2]. وقد رواه الترمذى عن أبى كُرَيْب ، عن وكيع ، عن على بن على ، عن الحسن ، عن أَبى هريرة ،به [3] .

وقد روى ابنُ جرير عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن سليمان بن حيان ، عن مروان الأصغر ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : عرضتان ، معاذير وخصومات ، والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيدى . ورواه سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة مرسلا ،مثله [4] .

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)** ﴾ .

يخبر تعالى عن سعادة من أوتى كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ أى : خذوا اقرؤوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممن بَدل الله سيئاته حسنات .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنى: ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ أى:ها اقرؤوا كتابيه، و «ؤم» زائدة . كذا قال ، الظاهر أنها بمعنى : هاكم .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا بشر بن مطر [5] الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا

---

(١) محاسبة النفس لابن أبى الدنيا برقم (٢) وذكره المؤلف فى مسند عمر (٢/٦١٨) وقال : « أثر مشهور وفيه انقطاع ، وثابت بن الحجاج هذا جزرى تابعى صغير لم يدرك ،ولم يرو عنه سوى جعفر بن برقان ،وله عند أبى داود فى السنن حديثان » .

(٢) المسند (٤/ ٤١٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٧٧) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/٣١٥) : « هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع ، الحسن لم يسمح من أبى موسى . قاله على بن المدينى وأبو حاتم و أبو زرعة» .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٤٢٥) .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/٣٨) .

(٥) فى أ :« بشر بن مطير » .

عاصم الأحول ، عن أبى عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه [بيمينه] [١] فى ستر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئةً تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات ، قال : فعند ذلك يقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ .

وحدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة [٢]، أخبرنى عبد الله بن عبد الله بن حنظلة ــ غسيل الملائكة ــ قال : إن الله يَقِفُ عبده يوم القيامة فيبدى سيئاته فى ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم ، أى رب . فيقول له إنى لم أفضحك به ، وإنى قد غفرت لك . فيقول عند ذلك : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ. إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ ، حين نجا من فَضْحه يوم القيامة .

وقد تقدم فى الصحيح حديثُ ابن عمر حين سئل عن النجوى ، فقال : سمعت النبى ﷺ يقول: « يُدْنِى اللهُ العبدَ يوم القيامة ، فيُقَرِّره بذنوبه كلها ، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله : إنى سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطَى كتابَ حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود:١٨] [٣] .

وقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أى: قد كنت موقنا فى الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٤٦] .

قال الله : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى : مرضية ، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أى : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو عُتْبَةَ الحسن بن على بن مسلم السَّكُونى ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلام الأسود قال : سمعتُ أبا أمامة قال : سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيحيونهم ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين ، تقصر بهم أعمالهم » [٤] .

وقد ثبت فى الصحيح: « إن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» [٥].

وقوله : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ قال البراء بن عازب : أى قريبة ، يتناولها أحدهم ، وهو نائم على سريره . وكذا قال غير واحد .

قال الطبرانى : [حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى] [٦] ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى،

---

(١) زيادة من م . (٢) فى أ : « موسى بن أبى عبيدة » .

(٣) انظر : تفسير الآية : ١٨ من سورة هود وتخريجه هناك .

(٤) ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٤٢١) من طريق جعفر بن الزبير وبشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة مرفوعاً بنحوه ، وجعفر بن الزبير وبشر بن نمير متروكان واتهما بالوضع .

(٥) صحيح البخارى برقم (٢٧٩٠) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٦) زيادة من المعجم الكبير للطبرانى (٦/ ٢٧٢) .

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » [١] .

وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان،عن رسول الله ﷺ قال: يعطى المؤمن جوَازا على الصراط: (بسم الله الرحمن الرحيم) ،هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » [٢] .

وقوله : ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ أى : يقال لهم ذلك ؛ تفضلا عليهم، وامتنانا وإنعاما وإحسانا .وإلا فقد ثبت فى الصحيح ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «اعملوا وَسَدِّدوا وقَاربُوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخلَه عملُه الجنةَ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يَتَغَمَّدنى الله برحمة منه وفضل » [٣] .

﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٣٧)** ﴾ .

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه فى العَرَصات بشماله ، فحينئذ يندم غاية الندم ، فيقول : ﴿ **فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ** ﴾ .

قال الضحاك : يعنى موتة لا حياة بعدها . وكذا قال محمد بن كعب ،والربيع ،والسدى .

وقال قتادة : تمنى[٤] الموت ، ولم يكن شىء فى الدنيا أكره إليه منه .

﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه** ﴾ أى : لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذابَ الله وبَأسه، بل خَلَص الأمر إلىَّ وحدى ، فلا معين لى ولا مجير.فعندها يقول الله ،عز وجل : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ .**

(١) المعجم الكبير للطبرانى (٦/ ٢٧٢) وعبد الرحمن بن زياد ضعيف ، ورواه ابن عدى فى الكامل (١/ ٣٤٤) من طريق إسحاق الدبرى ، به. وقال : « حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر » ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٤٤٦) من طريق أبى بكر ــ محمد بن خشام ــ عن العباس البلخى ، عن سعدان بن سعيد الحكمى ، عن سليمان التيمى ، به . وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ أما الطريق الأول ــ أى طريق عبد الرزاق ــ ففيه عبد الرحمن بن زياد قال أحمد بن حنبل : نحن لا نروى عن عبد الرحمن . وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس . وأما الطريق الثانى ، فقال الدارقطنى : تفرد به سعدان عن التيمى . قال ابن الجوزى : سعدان مجهول ، وكذلك محمد بن خشام » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨١٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) فى م : « يعنى » .

ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ أى : يأمر الزبانية أن تأخذه عنْفاً من المحشر، فَتَغُله ، أى : تضع الأغلال فى عنقه ، ثم تُورده إلى جهنم فتصليه إياها ، أى : تغمره فيها .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن المِنْهَال ابن عمرو قال : إذا قال الله ، عز وجل : ﴿ **خُذُوهُ** ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقى سبعين ألفا فى النار .

وروى ابن أبى الدنيا فى « الأهوال » : إنه يبتدره أربعمائة ألف ، ولا يبقى شىء إلا دَقَّه ، فيقول : ما لى ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شىء غضبان عليك .

وقال الفضيل ــ هو ابن عياض ــ : إذا قال الرب ، عز وجل : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يجعل الغل فى عنقه .

﴿ **ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ أى : اغمروه فيها .

وقوله : ﴿ **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ : قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا .

وقال العَوفى عن ابن عباس ، وابن جرير : بذراع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : ﴿ **فَاسْلُكُوهُ** ﴾ تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى .

وقال العوفى،عن ابن عباس:يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه ،حتى لا يقوم على رجليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبى السمح ، عن عيسى بن هلال الصَّدَفى ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن رَصَاصة مثل هذه ــ وأشار إلى [مثل] [١] جُمْجُمة ــ أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهى مسيرة خمسمائة سنة ، لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفاً الليلَ والنهارَ ، قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها ».

وأخرجه الترمذى ، عن سُوَيْد بن نصر [٢] ، عن عبد الله بن المبارك ، به [٣] . قال : هذا حديث حسن .

وقوله : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ أى : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ؛ فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حقّ الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبى ﷺ وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » [٤] .

---

(١) زيادة من المسند والترمذى .

(٢) فى أ : « سويد بن سعيد » .

(٣) المسند (٢/١٩٧) وسنن الترمذى برقم (٢٥٨٨) .

(٤) جاء من حديث أنس ، وعلى وأم سلمة ، وسفينة ، رضى الله عنهم ، وحديث على ، رضى الله عنه :« كان آخر كلام النبى ﷺ. . .» فذكره ، رواه الإمام أحمد فى المسند (١/٧٨) وأبو داود فى السنن برقم (٥١٥٤) .

وقوله : ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلا طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلِينٍ . لا يَأْكُلُهُ إلا الْخَاطِئُون** ﴾ أى : ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ،لا حميم ــ وهو القريب ــ ولا شفيع يطاع ،ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين .

قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع ، والضحاك : هو شجرة فى جهنم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا منصور بن أبى مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : ما أدرى ما الغسلين ، ولكنى أظنه الزقوم .

وقال شَبيب بن بشر ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال على بن أبى طلحة عنه : الغسلين : صديد أهل النار .

﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)** ﴾ .

يقول تعالى مُقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم : إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيلُه على عبده ورسوله ، الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، فقال : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾ يعنى : محمداً ، أضافه إليه على معنى التبليغ ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ؛ ولهذا أضافه فى سورة التكوير إلى الرسول المكى : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ وهذا جبريل ،عليه السلام .

ثم قال : ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾ يعنى : محمداً ﷺ ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾ يعنى : أن محمداً ﷺ رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها ، ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴾ أى : بمتهم ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ** ﴾ [التكوير :١٩ـــ ٢٥] ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ ، فأضافه تارة إلى قوله الرسول المكى ، وتارة إلى الرسول البشرى ؛ لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ؛ ولهذا قال: ﴿**تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شُرَيح بن عبيد الله قال : قال عمر ابن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن . قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال : فقرأ : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ** ﴾ . قال : فقلت: كاهن .قال : فقرأ : ﴿ **وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ**

تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع [١] .

فهذا من جملة الأسباب التى جعلها الله مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه فى سيرته المفردة ، ولله الحمد [٢] .

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا** ﴾ أى : محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريا علينا ، فزاد فى الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا ، وليس كذلك ، لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال : ﴿ **لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** ﴾ قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين ؛ لأنها أشد فى البطش . وقيل : لأخذنا بيمينه .

﴿ **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ : قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العِرْقُ الذى القلب معلق فيه . وكذا قال عكرمة ،وسعيد بن جبير ، والحكم ،وقتادة ،والضحاك ، ومسلم البَطِين ، وأبو صخر حُميد بن زياد.

وقال محمد بن كعب : هو القلب ومَرَاقُّه وما يليه .

وقوله : ﴿ **فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ أى : فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك . والمعنى فى هذا [٣] : بل هو صادق بار راشد ؛ لأن الله ، عز وجل ، مقرر له ما يبلغه عنه ، مؤيد له بالمعجزات الباهرات [٤] والدلالات القاطعات .

ثم قال : ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ يعنى : القرآن كما قال :﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** ﴾ [فصلت: ٤٤] .

ثم قال [٥] : ﴿ **وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ** ﴾ أى : مع هذا البيان والوضوح ، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن .

ثم قال : ﴿ **وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله .

---

(١) المسند (١/١٧) .

(٢) فى أ : « ولله الحمد والمنة » . (٣) فى م : « فى ذلك » . (٤) فى م : « القاهرات » .

(٥) فى م : « كما قال » .

وروى ابن أبى حاتم ، من طريق السدى ، عن أبى مالك: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يقول: لندامة . ويحتمل عود الضمير على القرآن ، أى : وإن القرآن والإيمان به لحسرة فى نفس الأمر على الكافرين ، كما قال : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠،٢٠١] ، وقال تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أى : الخبر الصدق الحق الذى لا مرية فيه ، ولا شك ولا ريب .

ثم قال : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى أنزل هذا القرآن العظيم .

[آخر تفسير سورة « الحاقة » ، ولله الحمد (١)] (٢)

(١) فى أ : « ولله الحمد والمنة والثناء والحمد الجميل » .

(٢) زيادة من م ،أ .

تفسير سورة سأل سائل

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾ .

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ : فيه تضمين دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقَدر : يستعجل سائل بعذاب واقع . كقوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الحج:٤٧] ، أى : وعذابه واقع لا محالة .

قال النسائى : حدثنا بشر بن خالد ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المِنْهَال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : النضر بن الحارث بن كَلَدَة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة ، قال : وهو قولهم : ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] .

وقال ابن زيد وغيره : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ أى : واد فى جنهم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول ضعيف ، بعيد عن المراد . والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : ﴿ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ ﴾ أى : مُرصد مُعَدّ للكافرين .

وقال ابن عباس : ﴿ وَاقِعٍ ﴾ : جاء ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ أى : لا دافع له إذا أراد الله كونه ؛ ولهذا قال : ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ قال الثورى ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ قال : ذو الدرجات .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ يعنى : العلو والفواضل .

وقال مجاهد: ﴿ ذِى الْمَعَارِجِ ﴾ : معارج السماء . وقال قتادة : ذى الفواضل والنعم .

وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾: قال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة: ﴿ تَعْرُجُ﴾ : تصعد .

وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشبهون الناس ، وليسوا ناسا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم ، فإنها إذا قبضت يُصعد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء . وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، من حديث المنْهَال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعاً ــ الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة ــ قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء [1] السابعة » . والله أعلم بصحته ، فقد تُكلم فى بعض رواته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد فى حديث أبى هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه ، من طريق ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد ابن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز فى وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة ، وأنه من ياقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبى حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكَّام ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة . يعنى بذلك : تَنَزّلَ الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن حكَّام بن سلم ، عن عُمَر بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس [2] .

قال ابن أبى حاتم : وحدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطُّنافِسىّ ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا نوح المؤدب ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام . وغلظ كل سماء

---

(١) فى م : « السماء التى فيها الله » .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩ / ٤٤) .

خمسمائة عام ، وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

القول الثانى : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو زُرْعَة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم سماها الله تعالى يوم ، ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴾ قال: اليوم: الدنيا.

وقال عبد الرزاق : أخبرنا مَعْمَر ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ــ وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدرى أحدٌ كم مضى ، ولا كم بقى إلا الله، عز وجل [١] .

القول الثالث: أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جداً .قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بُهلول بن المورق [٢] ، حدثنا موسى ابن عبيدة ، أخبرنى محمد بن كعب : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أحمد بن سِنان الواسطى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . ورواه الثورى عن سِمَاك بن حرب ، عن عكرمة ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ قال :فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وقد وردت أحاديث فى معنى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد قال: قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا » .

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٥٣) .

(٢) فى أ :« بهلول بن المعروف » .

ورواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به [١] . إلا أن درّاجا وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبى عمر الغُدانى قال : كنت عند أبى هُرَيرة فمر رجل من بنى عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامرى مالا . فقال أبو هريرة : ردوه [٢] . فقال : نبئت أنك ذو مال كثير ؟ فقال العامرى : إى والله ، إن لى لمائة حُمْراً ومائة أدماً ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفنان الرقيق، ورباط الخيل فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلافَ النعم [٣] ـ يُرَدّد ذلك عليه ، حتى جعل لونُ العامرى يتغير ـ فقال : ما ذاك يا أبا هُرَيرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من كانت له إبلٌ لا يعطى حقها فى نجدتها ورِسْلها ـ قلنا يا رسول الله : ما نجدتُها ورِسْلُها ؟ قال : « فى عُسرها ويسرها ـ » فإنها تأتى يوم القيامة كأغذّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قَرقَر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها فى نجدتها ورسلها ، فإنها تأتى يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قَرقَر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقصاء ولا عضباء ، إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله » . فقال العامرى : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى الكريمة ، وتمنح الغَزيرَة ، وتفقر الظهر ، وتَسقىَ اللبن[٤]، وتُطرقَ الفحل .

وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والنسائى من حديث سعيد بن أبى عَرُوبة ، كلاهما عن قتادة ، به [٥] .

طريق أخرى لهذا الحديث : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، عن سُهَيل [٦] بن أبى صالح، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كنز لا يودى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها فى نار جهنم ، فتكوى بها بجهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » . وذكر بقية الحديث فى الغنم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخيل لثلاثة ؛ لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى

(١) المسند (٣/ ٧٥) وتفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) ودراج عن أبى الهيثم ضعيف .

(٢) فى أ :«ردوه إلىّ » . (٣) فى م : « الغنم » . (٤) فى م :« وتسقى الإبل » .

(٥) المسند (٢/ ٤٨٩) وسنن أبى داود برقم (١٦٦٠) وسنن النسائى (٥/ ١٢) .

(٦) فى أ :« عن سهل » .

رجل وزر » إلى آخره [١] .

ورواه مسلم فى صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخارى ، من حديث سُهَيل [٢] ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيرة [٣] ، وموضع استقصاء طرقه وألفاظه فى كتاب الزكاة فى « الأحكام » ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقد روى ابن جرير عن يعقوب [٤] عن ابن عُلَيَّة وعبد الوهاب ، عن أيوب ، عن ابن أبى مُلَيْكَة قال : سأل رجل ابن عباس عن قوله : ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ قال : فاتهمه ، فقيل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثنى . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول فى كتاب الله بما لا أعلم [٥] .

وقوله : ﴿ **فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً** ﴾ أى : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ، كقوله : ﴿ **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ** ﴾ [الشورى:١٨] قال : ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا** ﴾ أى : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع ، بمعنى مستحيل الوقوع ، ﴿ **وَنَرَاهُ قَرِيبًا** ﴾ أى : المؤمنون يعتقدون كونه قريبا ، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله، عز وجل ،لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

﴿ **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا(١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ(١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨)** ﴾ .

يقول تعالى : العذابُ واقع بالكافرين ﴿ **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدى ، وغير واحد ، كدُرْديّ الزيت ، ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ** ﴾ أى : كالصوف المنفوش ، قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدى . وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ [القارعة:٥] .

وقوله : ﴿ **وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ** ﴾ أى : لا يسأل القريب عن حاله ، وهو يراه فى أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفى عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض

---

(١) المسند (٢/ ٢٦٢) .

(٢) فى أ : « سهل » .

(٣) صحيح مسلم برقم (٩٨٧) .

(٤) فى أ : « عن منصور » .

(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٤٥) .

بعد ذلك ، يقول : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .

وهذه الآية الكريمة كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [لقمان:٣٣] . وكقوله : ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [فاطر:١٨] . وكقوله : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١] . وكقوله : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧] .

وقوله : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ . كَلا ﴾ أى : لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض ، وبأعز ما يجده من المال ، ولو بملء الأرض ذهباً ، أو من ولده الذى كان فى الدنيا حُشَاشة كبده ، يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ، ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدى : ﴿ فَصِيلَتِهِ ﴾ : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة: فَخذه الذى هو منهم . وقال أشهب ، عن مالك : ﴿ فَصِيلَتِهِ ﴾: أمه .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ يصف النار وشدة حرها ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ : الجلود والهام . وقال مجاهد: ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبير : العصب . وقال أبو صالح : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ يعنى : أطراف اليدين والرجلين . وقال أيضا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصرى ، وثابت البنانى : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضا : تحرق كل شىء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ أى : نزاعة لهامته ومكارم وَجهه وخَلْقَه وأطرافه . وقال الضحاك : تبرى اللحم والجلد عن العظم ، حتى لا تترك منه شيئاً . وقال ابن زيد : الشوى : الآراب العظام . فقوله : نزاعة ، قال : تقطع عظامهم ، ثم يُجَدد خلقهم وتبدل جلودهم .

وقوله : ﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طَلَق ذَلَق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم ـ كما قال الله ،عز وجل ـ كانوا ممن ﴿ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أى : كذب بقلبه ،وترك العمل بجوارحه ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ أى : جمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أى : أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث : « ولا تُوعى فَيُوعى الله عليك » (١) وكان عبد الله بن عُكيم لا يربط له كيسا ويقول : سمعت الله يقول : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ .

وقال الحسن البصرى : يا بن آدم ، سمعتَ وعيدَ الله ثم أوعيتَ الدنيا .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ قال : كان جَمُوعاً قمُوماً للخَبيث .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٤٣٤) ومسلم فى صحيحه برقم (١٠٢٩) من حديث أسماء بنت أبى بكر الصديق ، رضى الله عنهما.

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة : **﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾** ، ثم فسره بقوله: **﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾** أى : إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير ، **﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾** أى : إذا حصلت له [1] نعمة من الله بخل بها على غيره ، ومنع حق الله فيها .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عُلَىّ بنُ رَبَاح : سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « شر ما فى رجل شُحٌّ هالع ، وجبن خالع » .

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبى عبد الرحمن المقرى ، به [2]. وليس لعبد العزيز عنده سواه .

ثم قال : **﴿ إِلا الْمُصَلِّينَ ﴾** أى : الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه ، وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : **﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾** قيل: معناه يحافظون على أوقاتهم وواجباتهم . قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعى .

وقيل : المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع ، كقوله : **﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾** [المؤمنون: ١ ، ٢] . قاله عتبة بن عامر . ومنه الماء الدائم ، أى: الساكن الراكد .

وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء فى الصحيح عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلّ » . وفى لفظ : « ما داوم عليه صاحبه » ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً داوم عليه. وفى لفظ : أثبته [3] .

---

(١) فى م : « عنده » .

(٢) المسند (٢/ ٣٢٠) وسنن أبى داود برقم (٢٥١١) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٣، ٦٤٦٥) وصحيح مسلم برقم (٧٨٥) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ : ذُكر لنا أن دانيال ، عليه السلام ، نعت أمة محمد ﷺ فقال : يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خُلُق للمؤمنين حسن .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ أى : فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك فى « سورة الذاريات » .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ أى : خائفون وجلون ، ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أى : لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ أى : يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله [فيه] (١) . ولهذا قال : ﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ أى : من الإماء ، ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .وقد تقدم تفسير ذلك فى أول سورة (٢) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بما أغنى عنى إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أى : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا . وهذه صفات المؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد فى (٣) الحديث الصحيح : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . وفى رواية : « إذا حَدَّث كذب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » (٤) .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ أى : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ، ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [البقرة:٢٨٣] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ (٥) يُحَافِظُونَ ﴾ أى : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم فى أول سورة : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، سواء ؛ ولهذا قال هناك : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ ، ١١] ، وقال هاهنا : ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أى : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار .

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ

(١) زيادة من م . (٢) فى م: « سورة المؤمنون » . (٣) فى م: « كما ورد به» .
(٤) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٨ من سورة المؤمنون .
(٥) فى أ :« على صلاتهم ».

الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا فى زمن [١] النبى ﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى وأيده الله به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه، شاردون يميناً وشمالاً ، فِرَقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً ، كما قال تعالى : ﴿ **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** ﴾ الآية [المدثر:٤٩ ــ ٥١] وهذه مثلها ؛ فإنه قال تعالى : ﴿**فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** ﴾ أى : فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى: مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصرى: ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ أى : منطلقين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ واحدها عِزَةٌ ، أى : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أى : فى حال تفرقهم واختلافهم ، كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء : فهم مخالفون للكتاب ، مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب .

وقال العوفى ، عن ابن عباس: ﴿ **فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ** ﴾ قال : قبلك ينظرون ، ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ قال : العزين : العُصَب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن الحسن [٢] فى قوله : ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالا يقولون : ما قال هذا الرجل ؟

وقال قتادة : ﴿ **مُهْطِعِينَ** ﴾ : عامدين ، ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** ﴾ أى : فِرَقاً حول النبى ﷺ لا يرغبون فى كتاب الله ، ولا فى نبيه ﷺ .

وقال الثورى ، وشعبة ، وعيسى بن يونس وعَبْثَر بن القاسم [٣] ، ومحمد بن فضيل ، ووكِيع ، ويحيى القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة ؛ أن رسول الله ﷺ خرج عليهم [٤] وهم حلق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ »

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن جرير ، من حديث الأعمش ، به [٥] .

---

(١) فى أ :« فى زمان » .
(٢) فى م : « عن الحسين » .
(٣) فى م : « وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس » .
(٤) فى م : «خرج على أصحابه » .
(٥) المسند (٥/٩٣) وصحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبى داود برقم (٤٨٢٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٢٢) وتفسير الطبرى (٢٩/٥٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حِلَق حِلق ، فقال : « ما لى أراكم عزين ؟ » (١) .

وهذا إسناد جيد ، ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ أى : أيطمع هؤلاء ــ والحالة هذه ــ من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق ــ أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده ، مستدلا عليهم بالبداءة التى الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : من المني الضعيف ، كما قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠] . وقال : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٥ ــ ١٠] .

ثم قال : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ أى : الذى خلق السموات والأرض ، وجعل مشرقا ومغربا ، وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فى مغاربها . وتقرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب، ولا بعث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة . ولهذا أتى بـ « لا » فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى ، وهومضمون الكلام ، وهو الرد على زعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة ، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض ، وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ؛ ولهذا قال تعالى :﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ (٢) الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] . وقال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨١ ، ٨٢] . وقال هاهنا : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أى : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه ، فإن قدرته صالحة لذلك ، ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أى : بعاجزين . كما قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة: ٣ ، ٤] . وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٠ ، ٦١] .

واختار ابن جرير ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أى : أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها ، كقوله : ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨] . والمعنى الأول أظهر لدلالة

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٥٤) .

(٢) فى أ : « أو ليس » .

الآيات الأخر عليه ، والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أى : يا محمد ﴿ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ أى : دعهم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُون ﴾ أى : فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله ، ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أى : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب ، تبارك وتعالى ، لموقف الحساب ، ينهضون سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إلى عَلَم يسعون . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبى كثير : إلى غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : « نَصْب » بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى المنصوب . وقرأ الحسن البصرى : ﴿ نُصُبٍ ﴾ بضم النون والصاد ، وهو الصنم ، أى : كأنهم فى إسراعهم إلى الموقف كما كانوا فى الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون ، يبتدرون ، أيهم يستلمه أول . وهذا مروى عن مجاهد ، ويحيى بن أبى كثير ، ومسلم البَطين [1] ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع ابن أنس ، وأبى صالح ، وعاصم بن بَهْدَلَة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أى : خاضعة ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أى : فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة ، ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

آخر تفسير سورة « سأل سائل » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى م : « وأبو مسلم البطين » .

تفسير سورة نوح

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن نوح ، عليه السلام ، أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ، فإن تابوا وأنابوا رفع عنهم ؛ ولهذا قال : ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أى : بَيْن النّذارة ، ظاهر الأمر واضحه ، ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ أى : اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما آمركم به وأنهاكم عنه . ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أى : إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم ، غفر الله لكم ذنوبكم .

و « من » هاهنا قيل : إنها زائدة . ولكن القول بزيادتها فى الإثبات قليل . ومنه قول بعض العرب : « قد كان من مطر » . وقيل : إنها بمعنى « عن » ، تقديره : يصفح لكم عن ذنوبكم . واختاره ابن جرير [١] . وقيل : إنها للتبعيض ، أى: يغفر لكم الذنوب العظام التى وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام .

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أى : يمد فى أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذى إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه ، أوقعه بكم [٢] .

وقد يستدل بهذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصلة الرحم ، يزاد بها فى العمر حقيقة ؛ كما ورد به الحديث : « صلة الرحم تزيد فى العمر » .

وقوله : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى : بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة ، فإنه إذا أمر [الله] [٣] تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع ، فإنه العظيم الذى قهر كل شىء ، العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٥٧) .

(٢) فى أ : « أو يعذبكم » .

(٣) زيادة من أ .

كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠) ﴾ .

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح ، عليه السلام ،أنه اشتكى إلى ربه، عز وجل ،ما لقى من قومه، وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما ، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴾ أى : لم أترك دعاءهم فى ليل ولا نهار ، امتثالا لأمرك وابتغاءً لطاعتك ، ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا ﴾ أى: كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فَروا منه وحَادُوا عنه ، ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أى : سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوهم إليه . كما أخبر تعالى عن كفار قريش :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦].

﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ : قال ابن جريج ، عن ابن عباس : تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد ابن جبير ، والسدى : غطوا رؤوسهم لئلا يسمعوا ما يقول .

﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ أى : استمروا على ما هم فيه [1] من الشرك والكفر العظيم الفظيع ، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ أى : واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له .

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ أى : جهرة بين الناس ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ أى : كلاما ظاهرا بصوت عال ، ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ أى : فيما بينى وبينهم، فَنوّع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ أى : ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه [2] مهما كانت فى الكفر والشرك ؛ ولهذا قال: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ أى : متواصلة الأمطار . ولهذا يستحب قراءة هذه السورة فى صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية . وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أنه صعد المنبر ليستسقى ، فلم يزد على الاستغفار ، وقرأ الآيات فى الاستغفار . ومنها

(١) فى م:« ما هم عليه » .

(٢) فى أ: « ولو كان ذنبه » .

هذه الآية : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء [1] التى ستنزل بها المطر .

وقال ابن عباس وغيره :يتبع بعضه بعضا .

وقوله : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ أى : إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه ،كثر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء ، وأنبت لكم من بركات الأرض ، وأنبت لكم الزرع ،وأَدَرَّ لكم الضّرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أى : أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، وخللها بالأنهار الجارية بينها .

هذا مقام الدعوة بالترغيب . ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال : ﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ أى : عظمة . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقال ابن عباس : لا تعظمون الله حق عظمته ، أى : لا تخافون من بأسه ونقمته ، ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ قيل : معناه من نطفة ، ثم من علقة ،ثم من مضغة . قاله ابن عباس ، وعكرمة ،وقتادة ، ويحيى بن رافع ، والسدى ، وابن زيد .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ؟ أى : واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هى من الأمور المدركة بالحس ، مما علم من التسيير والكسوفات ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا ، فأدناها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه، وعطارد فى الثانية ، والزهرة فى الثالثة ، والشمس فى الرابعة ، والمريخ فى الخامسة ، والمشترى فى السادسة ، وزُحل فى السابعة . وأما بقية الكواكب ــ وهى الثوابت ــ ففى فَلَك ثامن يسمونه فَلَكَ الثوابت . والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسى ، والفلك التاسع ، وهو الأطلس . والأثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك ، وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهى من المغرب إلى المشرق ؛ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ، ومعها يدور سائرالكواكب تبعا ، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق . وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة ، والشمس فى كل سنة مرة ، وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ،وإن كانت حركة الجمع فى السرعة متناسبة . هذا ملخص ما يقولونه فى هذا المقام ، على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة ،لسنا بصدد بيانها ، وإنما المقصود أن الله سبحانه :﴿ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا .وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ أى : فاوت بينهما فى الاستنارة ،فجعل كلا منهما أنموذجا على حدة ، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقدر القمر منازل وبروجا ، وفاوت نوره ،فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ، ليدل على مضى الشهور والأعوام ، كما قال : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ

(١) فى م :« بمجادح » ، وفى أ : « بمخارج » .

يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:٥] .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ : هذا اسم مصدر ، والإتيان به هاهنا أحسن ، ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ أى : إذا متم ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ أى : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ أى : بسطها ومهدها وقررها وثبّتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا ﴾ أى : خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها [١] أين شئتم ، من نواحيها وأرجائها وأقطارها، وكل هذا مما ينبههم به نوح، عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والأرض ، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية ، فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً ، والأرض مهادا ، وأوسع [٢] على خلقه من رزقه ، فهو الذى يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد ؛ لأنه لا نظير له ولا عَديل[٣] له ، ولا ندّ ولا كفء ، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير ، بل هو العلى الكبير .

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن نوح، عليه السلام ، أنه أنهى إليه ، وهو العليم الذى لا يعزب عنه شىء، أنه مع البيان المتقدم ذكره ، والدعوة المتنوعة المتشملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى : أنهم عصوه وكذبوه وخالفوه ، واتبعوا أبناء الدنيا ممن غَفَل عن أمر الله ، ومتع بمال وأولاد ، وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ؛ولهذا قال : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ : قُرِئَ ﴿وَوُلْده ﴾ بالضم وبالفتح ، وكلاهما متقارب .

وقوله: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ ، قال مجاهد: ﴿ كُبَّارًا ﴾ أى : عظيماً .وقال ابن زيد: ﴿ كُبَّارًا﴾ أى : كبيرا. والعرب تقول: أمر عجيب وعُجَاب وعُجَّاب . ورجل حُسَان . وحُسَّان : وجُمَال وجُمَّال، بالتخفيف والتشديد ، بمعنى واحد .

والمعنى فى قوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ أى : بأتباعهم فى تسويلهم لهم بأنهم على الحق والهدى ، كما يقولون لهم يوم القيامة : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ﴾ [سبأ:٣٣] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا . وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ . وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

قال البخارى : حدثنا إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، وقال عطاء ، عن ابن عباس : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما وَد: فكانت لكلب بدَومة الجندل ؛ وأما

(١) فى م : « منها » . (٢) فى م :« ووسع » . (٣) فى م ، أ : « ولا عدل » .

سواع: فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبنى غُطَيف بالجُرُف عند سبأ ، وأما يَعوقُ: فكانت لهَمْدان ، وأما نسر: فكانت لحمير لآل ذى كَلاع،وهى [١] أسماء رجال صالحين من قوم نوح، عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم .ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ [٢] العلم عُبِدت [٣] .

وكذا رُوى عن عكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، وابن إسحاق ، نحو هذا .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : هذه أصنام كانت[٤] تعبد فى زمن نوح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن موسى ، عن محمد بن قيس ﴿ [ويغُوثَ] [٥]ويَعُوقَ ونَسْرًا ﴾ قال : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صَوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم . فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَون المطر ، فعبدوهم [٦] .

وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة شيث، عليه السلام ، من طريق إسحاق بن بشر قال : وأخبرنى جُويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم ،عليه السلام ، أربعون ولدا،عشرون غلاما وعشرون جارية،فكان ممن عاش منهم:هابيل،وقابيل ،وصالح ،وعبد الرحمن ــ والذى كان سماه عبد الحارث ــ ووَدّ ، وكان وَدّ يقال له « شيث » ويقال له : « هبة الله » وكان إخوته قد سَوّدوه ، وولد له سَوَاع ويغوث ويعوق ونسر [٧].

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو عُمَر الدّورىُّ ، حدثنى أبو إسماعيل المؤدّب ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرمز عن أبى حزْرَة ، عن عروة بن الزُّبير قال : اشتكى آدم، عليه السلام ، وعنده بنوه : ود ، ويغوث ،[ويعوق] [٨] ،وسواع، ونسر ــ وكان وَدّ أكبرَهم وأبرّهم به .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا يعقوب ، عن أبى المطهر قال :ذكروا عند أبى جعفر ــ وهو قائم يصلى ــ يزيد بن المهلب ، قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيدَ بن المهلب ، أما إنه قتل فى أول أرض عُبد فيها غيرُ الله . قال : ثم ذكر وداً ــ قال : وكان وَدٌّ رجلا مسلما وكان محببا فى قومه ، فلما مات عسكروا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه ، فلما رأى إبليس جزَعهم عليه ، تشبه فى صورة إنسان ، ثم قال : إنى أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله ، فيكونَ فى ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا :

---

(١) فى أ : « ونسرا وهى » . (٢) فى م : « ونسخ » .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٠) .
(٤) فى م : « كانت هذه أصنام » .
(٥) زيادة من م .
(٦) تفسير الطبرى (٢٩/ ٦٢) .
(٧) تاريخ دمشق (٨/ ١٦٥ « المخطوط») .
(٨) زيادة من م ، أ .

نعم. فصُوِّر لهم مثله ، قال : ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه .فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ، فيكون [1] له في بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم. قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به ، وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه ، حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم ،فكان أول ما عبد غير الله : الصنم الذى سموه ودّاً .

وقوله : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ يعني: الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا ، فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم . وقد قال الخليل، عليه السلام، في دعائه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾[إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

وقوله : ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً ﴾ : دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم ، كما دعا موسى على فرعون ومثله في قوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس:٨٨] .وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه ، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به .

﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطَايَاهُمْ ﴾ وقرئ : ﴿ خَطِيئَاتِهِمْ﴾ ﴿ أُغْرِقُوا ﴾ أي : من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ أي : نقلوا من تيار البحار [2] إلى حرارة النار ، ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ أي : لم يكن لهم معين ولا مُغيث ولا مُجير ينقذهم من عذاب الله كقوله : ﴿ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ﴾ [هود:٤٣] .

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أي : لا تترك على [وجه] [3] الأرض منهم أحداً ولا تُومُرِيًّا [4] وهذه من صيغ تأكيد النفي .

قال الضحاك : ﴿ دَيَّارًا ﴾ : واحدا . وقال السُّدِّي : الديار : الذي يسكن الدار .

فاستجاب الله له ، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه ، وقال : ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِم وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود:٤٣].

---

(١) في م : « ليكون » .
(٢) في م :« البحر ».
(٣) زيادة من م ،أ .
(٤) في م : « ولاد ومريا » .

وقال ابن أبى حاتم : قرئ [١] على يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى شَبيب ابن سعد ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لو رحم الله من قوم نوح أحدا ، لرحم امرأة ، لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل ، فلما بلغها الماء صعدت[٢] به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها ، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها . فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » [٣] .

هذا حديث غريب ، ورجاله ثقات . ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح، عليه السلام، وهم الذين أمره الله بحملهم معه .

وقوله : ﴿ **إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ** ﴾ أى : إنك إن أبقيت منهم أحداً أضلوا عبادك ، أى : الذين تخلقهم بعدهم ﴿ **وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾ أى : فاجراً فى الأعمال كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما .

ثم قال : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا** ﴾ : قال الضحاك : يعنى :مسجدى ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حَيْوَة ، أنبأنا سالم بن غَيْلان : أن الوليد بن قيس التُّجِيبيّ أخبره: أنه سمع أبا سعيد الخدرى ـ أو : عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد : ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقى » .

ورواه أبو داود والترمذى ، من حديث عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، به [٤] . ثم قال الترمذى : إنما نعرفه من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ **وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ : دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يَعُم الأحياءَ منهم والأموات ؛ ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء ، اقتداء بنوح ،عليه السلام ، وبما جاء فى الآثار ، والأدعية [المشهورة] [٥] المشروعة .

وقوله : ﴿ **وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا تَبَارًا** ﴾ : قال السدى : إلا هلاكا . وقال مجاهد : إلا خسارا ، أى : فى الدنيا والآخرة .

آخر تفسير سورة « نوح » [عليه السلام ولله الحمد والمنة] [٦]

---

(١) فى هـ : « لما قرئ » والمثبت من م ،أ .　　(٢) فى م: « فلما بلغ الماء رأسها صعدت » .

(٣) وله شاهد من حديث عائشة رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٥٩١) والحاكم فى المستدرك (٢/٣٤٢) من طريق سعيد بن أبى مريم ، عن موسى بن يعقوب ، عن فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع :أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ قال : « لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبى » وذكره نحوه ، وقال الحاكم :« صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وتعقبه الذهبى بقوله : « إسناده مظلم ، وموسى بن يعقوب المذكور فى إسناده ليس بذاك » .

(٤) المسند (٣/٣٨) وسنن أبى داود برقم (٤٨٣٢) وسنن الترمذى برقم (٢٣٩٥) .

(٥) زيادة من م .　　(٦) زيادة من أ .

تفسير سورة الجن

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) ﴾ .

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه : أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أى : إلى السداد والنجاح ، ﴿ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] . وقد قدمنا الأحاديث الواردة فى ذلك بما أغنى عن إعادتها هاهنا .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى : فعلُه وأمره وقدرته .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه .

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدى : تعالى أمر ربنا . وعن أبى الدرداء ، ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره . وقال سعيد ابن جبير : ﴿ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أى : تعالى ربنا .

فأما ما رواه ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (١) ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد: أب. ولو علمت الجن أن فى الإنس جدا ما قالوا : تعالى جَدَ ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ؛ ولعله قد سقط شىء ، والله أعلم.

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أى : تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أى : قالت

(١) فى م : « عبد الله بن سويد الكوفى » .

الجن : تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته ، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ الصاحبة والولد .

ثم قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾، قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسُّدِّى: ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ يعنون : إبليس، ﴿ شَطَطًا ﴾، قال السُّدِّى ، عن أبى مالك : ﴿ شَطَطًا ﴾ أى : جورا . وقال ابن زيد : ظلما كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم : ﴿ سَفِيهُنَا ﴾ : اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا. ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ أى : قبل إسلامه ﴿ عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴾ أى: باطلا وزورا ؛ ولهذا قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أى :ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالئون على الكذب على الله فى نسبة الصاحبة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك .

وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أى : إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كان عادة العرب فى جاهليتها . يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون [١] بهم من خوفهم منهم ، ﴿ زَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قتادة : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة .

وقال الثورى ، عن منصور عن إبراهيم : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : ازدادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضَرّ أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى ، قال : فإذا عاذ بهم من دون الله ، رَهقَتهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ،حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبى، حدثنا الزبير بن الخِرِّيت ، عن عِكْرِمة قال : كان الجن يَفْرَقُون من الإنس كما يفرَق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : نعوذ بسيد أهل هذا الوادى . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخَبَل والجنون ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : ﴿ رَهَقًا ﴾ أى : خوفا . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أى : إثما . وكذا قال قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانا .

---

(١) فى م : « سيعوذون » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا فروة بن أبى المغراء الكندى ، حدثنا القاسم بن مالك ــ يعنى المزنى ــ عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كَردم بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حَمَلا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، جارك . فنادى مناد لا نراه ، يقول : يا سِرْحان ، أرسله . فأتى الحملُ يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ .

ثم قال : ورُوى عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبى العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النَّخَعى ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل ــ وهو ولد الشاة ــ كان جنّيا حتى يُرهب الإنسى ويخاف منه ، ثم ردَه عليه لما استجار به ، ليضله ويهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا** ﴾ أى : لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبى ، وابن جرير .

﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)** ﴾ .

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء مُلئَت حرسا شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك ؛ لئلا يسرقوا شيئا من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة ، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق . وهذا [١] من لطف الله بخلقه[٢] ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ أى : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يمحقه ويهلكه ، ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ أى : ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء ، لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشدا ؟ وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح : « والشر ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يُرمَى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان ، كما فى حديث ابن عباس [٣] : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار ،فقال : « ما كنتم تقولون

---

(١) فى م : « فكان هذا » . (٢) فى م : « عليه » . (٣) فى م : « كما فى حديث العباس » .

فى هذا ؟ » فقلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء » ،وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه فى سورة « سبأ » بتمامه [١]. وهذا هو السبب الذى حَمَلهم على تطلب السبب فى ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه فى الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذى حُفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم ، وتمرد فى طغيانه من بقى ، كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك، عند قوله فى سورة «الأحقاف » : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ الآية[الأحقاف:٢٩] . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ،وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها ، هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم ــ كما قال السدى: لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبى أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر . فلما بعث الله محمداً نبيا ، رُجموا ليلة من الليالى ، ففزع لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب . فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويُسَيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو ابن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف . أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ،فإن رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبى كبشة ــ يعنى: محمداً ﷺ ــ وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفزعت الشياطين فى تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذى كان من أمرهم ، فقال : ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها. فأتوه فَشَم فقال : صاحبكم بمكة .فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله [٢] ﷺ قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن، فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كَلاكلَهم تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل الله تعالى أمرهم على نبيه ﷺ ،وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى أول البعث من (كتاب السيرة) المطول ، والله أعلم ، ولله الحمد والمنة .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ .

يقول مخبرا عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أى : غير ذلك، ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

---

(١) عند تفسير الآية :٢٣ .

(٢) فى م : « نبى الله » .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى : منا المؤمن ،ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النَّجاد فى أماليه ، حدثنا أسلم بن سَهل بَحْشَلُ ، حدثنا على بن الحسن ابن سليمان ــ وهو أبو الشعثاء الحضرمى ، شيخ مسلم ــ حدثنا أبو معاوية [١] قال : سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جنى ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال الأرز . قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا . فقلت : فيكم من هذه الأهواء التى فينا ؟ قال : نعم. قلت : فما الرافضة فيكم [٢] ؟ قال [٣] : شرنا . عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزِّى فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش .

وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن أحمد الدمشقى قال[٤] : سمعتُ بعض الجَنّ وأنا فى منزلى بالليل ينشد :

قُلوبٌ بَرَاها الحبّ حَتى تعلَّقت ... مَذَاهبُها فى كُلّ غَرب وشَارِقِ
تَهيم بحـب الله ، واللهُ ربُّـها ... مُعَلَّقَةٌ بالله دُونَ الخَلائقِ [٥]

وقوله : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ أى : نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا، وأنا لا نعجزه فى الأرض ،ولو أمعنا فى الهرب، فإنه علينا قادر [٦] ، لا يعجزه أحد منا .

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾: يفتخرون بذلك ،وهو مفخر [٧]لهم،وشرف رفيع،وصفة حسنة.

وقولهم : ﴿ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا ﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما : فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [طه:١١٢] .

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى : منا المسلم ومنا القاسط ، وهو : الجائر عن الحق الناكب عنه ، بخلاف المقسط فإنه العادل ، ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أى : طلبوا لأنفسهم النجاة ، ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أى : وقوداً تُسعر بهم .

وقوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ، اختلف المفسرون فى معنى هذا على قولين :

أحدهما : وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : كثيراً . والمراد بذلك سعَة الرزق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [المائدة:٦٦] ، وكقوله :

---

(١) فى أ : « أبو عوانة » . (٢) فى أ :« منكم » . (٣) فى م :« قالوا » .
(٤) فى م : « أنه قال » .
(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٨٨٧ « المخطوط ») .
(٦) فى م :« فإنه قادر علينا » . (٧) فى أ : « وهو مفتخر » .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦] . وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى : لنختبرهم ، كما قال مالك ، عن زيد بن أسلم: ﴿لِنفتنهم﴾: لنبتليهم ، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ؟ .

ذكر من قال بهذا القول : قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ يعنى بالاستقامة : الطاعة . وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ قال : الإسلام . وكذا قال سعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والسدى ، ومحمد بن كعب القرظى .

وقال قتادة : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ يقول : لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا .

وقال مجاهد : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ أى : طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أى : لنبتليهم به .

وقال مقاتل : فنزلت فى كفار قريش حين مُنعوا المطر سبع سنين .

والقول الثانى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ : الضلالة ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ أى : لأوسعنا عليهم فى الرزق استدراجا ، كما قال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] ، وكقوله : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٥ ، ٥٦] ،وهذا قول أبى مِجلز لاحق بن حُمَيد؛ فإنه فى قوله : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة ﴾ أى : طريقة الضلالة . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبى ، وابن كيسان . وله اتجاه ،ويتأيد بقوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ .

وقوله :﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : عذاباً شاقاً شديداً موجعاً مؤلما .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وابن زيد : ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ أى : مشقة لا راحة معها .

وعن ابن عباس : جبل فى جهنم . وعن سعيد بن جبير : بئر فيها .

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا

يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده أن يُوَحِّدوه فى مجال عبادته ، ولا يُدْعى معه أحد ولا يشرك به [١] ، كما قال قتادة فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ . قال : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعِهِم ، أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين : حدثنا إسماعيل ابن بنت السدى ، أخبرنا رجل سماه ، عن السدى ، عن أبى مالك ــ أو أبى صالح ــ عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا : بيت المقدس .

وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله ، ائذن لنا نشهد معك الصلوات فى مسجدك . فأنزل الله : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ يقول : صلوا ، لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهْران ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن محمود ، عن سعيد بن جبير ، : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** ﴾ قال : قالت الجن لنبى الله [٢] ﷺ : كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناؤون [عنك] [٣] ؟ ، وكيف نشهد الصلاة نحن ناؤون عنك ؟ فنزلت: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [٤] .

وقال سفيان ، عن خُصَيْف ، عن عكرمة : نزلت فى المساجد كلها .

وقال سعيد بن جبير . نزلت فى أعضاء السجود ، أى : هى لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ :« أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة ــ أشار [٥] بيديه إلى أنفه ــ واليدين والركبتين وأطراف القدمين » [٦] .

وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ ، قال العَوفى ، عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبى ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه ؛ من الحرص ، لما سمعوه يتلو القرآن ، ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : ﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ** ﴾ ، يستمعون القرآن .

هذا قول ، وهو مروى عن الزبير بن العوام ، رضى الله عنه .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو مسلم ، عن أبى عَوَانة ، عن أبى بشر ،

---

(١) فى م : « ولا يشرك به أحداً » . (٢) فى م: « قالت الجن للنبى » . (٣) زيادة من م .
(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٣) .
(٥) فى م :« وأشار » .
(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٨١٢) ، صحيح مسلم برقم (٤٩٠) .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ ، قال : لما رأوه يصلى وأصحابه، يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ، قالوا : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ .

وهذا قول ثان ، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا .

وقال الحسن : لما قام رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تَلْبُد عليه جميعاً .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال :تَلَبَّدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويُمضيه [١] ويظهره على من ناوأه .

وهذا قول ثالث ، وهو مَروىّ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختيار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ أى : قال لهم الرسول ــ لما آذوه [٢] وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ، ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى ﴾ أى : إنما أعبد ربى وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه، ﴿وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّى لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ أى : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ، وعبد من عباد الله ليس إلىّ من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد ، أى : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذى من عذابه ، ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدى : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أى : لا نصير ولا ملجأ . وفى رواية : لا ولىّ ولا مَوئلَ .

وقوله تعالى : ﴿ إِلا بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ ﴾ : قال بعضهم : هو مستثنى من قوله : ﴿ لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ ،﴿ إِلا بَلاغًا﴾ ، ويحتمل أن يكون استثناء من قوله :﴿لَن يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ أى: لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها علىّ ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن [٣] لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ أى: إنما أبلغكم رسالة الله، فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج

---

(١) فى م :« ويعينه » .
(٢) فى م : « لما نادوه » .
(٣) فى م :« فإن » وهو خطأ .

لهم منها .

وقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أى : حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصراً وأقل عدداً ، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل ، أى : بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل .

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد ؟ ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ ؟ أى : مدة طويلة .

وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام ، لا يؤلف تحت الأرض ، كذب لا أصل له ، ولم نره فى شىء من الكتب . وقد كان ﷺ يُسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تَبدَّى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرنى عن الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » [(١)]. ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جَهورىّ فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك . إنها كائنة ، فما أعددت لها ؟ » . قال : أما إنى لم أعد لها كثير [(٢)] صلاة ولا صيام ، ولكنى أحب الله ورسوله . قال : «فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فَمَا فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث [(٣)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن مُصَفّى ، حدثنا محمد بن حمير [(٤)] ، حدثنى أبو بكر بن أبى مريم ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى سعيد الخُدرى ، عن النبى ﷺ قال: « يا بنى آدم ، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده ، إنما توعدون لآت » [(٥)] .

وقد قال أبو داود فى آخر « كتاب الملاحم » : حدثنا موسى بن سهيل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جُبَير ، عن أبيه ، عن أبى ثَعلبة الخُشنى قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » [(٦)] .

---

(١) هو جزء من حديث جبريل الطويل ، رواه مسلم فى صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) فى م : « كبير » .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس ، رضى الله عنه .

(٤) فى أ : « محمد بن جبير » .

(٥) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان ، عن محمد بن المصفى ، به.

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٣٤٩) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٢٤) من طريق ابن وهب ، به . وقال الحاكم :« صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان . حدثنا أبو المغيرة ، حدثنى صفوان ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال : « إنى لأرجو ألا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود [(١)] .

وقوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ ،هذه كقوله تعالى : ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة:٢٥٥] . وهكذا قال هاهنا : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾ ، وهذا يعم الرسول الملكى والبشرى .

ثم قال : ﴿ **فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ أى : يَخْتَصّه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ، ويساوقونه على ما معه من وحى الله ؛ ولهذا قال : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون فى الضمير الذى فى قوله : ﴿ **لِيَعْلَمَ** ﴾ ، إلى من يعود ؟ فقيل : إنه عائد على النبى ﷺ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّى [(٢)]، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، ﴿ **لِيَعْلَمَ** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ .

ورواه ابن أبى حاتم من حديث يعقوب القمى [(٣)] ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدى ، ويزيد بن أبى حبيب .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ** ﴾ ، قال : ليعلم نبى الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها . وكذا رواه سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير .

وقيل غير ذلك ، كما رواه العَوفى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إِلا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ ، قال : هى معقبات من الملائكة يحفظون النبى من الشيطان ، حتى يتبين الذى أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول ، ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم .

وكذا قال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ** ﴾ قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفى هذا نظر .

---

(١) سنن أبى داود برقم (٤٣٥٠) ، وشريح بن عبيد لم يدرك سعد بن أبى وقاص ، فهو منقطع .

(٢، ٣) فى أ : « العمى » .

وقال البغوى : قرأ يعقوب : « ليُعلَم » بالضم ، أى : ليعلم الناس أن الرسل بُلّغوا .

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله عز وجل ، وهو قول حكاه ابن الجوزى فى « زاد المسير » [1] . ويكون المعنى فى ذلك : أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحى ؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وكقوله : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت:١١]، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ؛ولهذا قال بعد هذا :﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

---

(١) زاد المسير (٨/ ٣٨٦) .

تفسير سورة المزمل

وهى مكية .

قال الحافظ أبو بكر [أحمد] [١] بن عمرو بن عبد الخالق البزار : حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطى ، حدثنا معلى بن عبد الرحمن ، حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : اجتمعت قريش فى دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسماً تصدر [٢] الناس عنه . فقالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون على ذلك ، فبلغ ذلك النبى ﷺ ، فتزمل فى ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل ، عليه السلام ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن : قد حدث عنه جماعة من أهل العلم ، واحتملوا حديثه، لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها [٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) ﴾ .

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل ، وهو : التغطى فى الليل ، وينهض إلى القيام لربه عز وجل ، كما قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦] . وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل ، وقد كان واجباً عليه وحده ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] . وهاهنا بين له مقدار ما يقوم، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

قال ابن عباس ، والضحاك ، والسدى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ يعنى : يا أيها النائم . وقال قتادة : المزمل فى ثيابه ، وقال إبراهيم النَّخعىّ : نَزَلت وهو مُتَزَمل بقطيفة .

وقال شبيب بن بِشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ قال : يا محمد ،

---

(١) زيادة من م ، أ .
(٢) فى أ : « فصدوا » .
(٣) مسند البزار برقم (٢٢٧٦) « كشف الأستار » ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤٠٨) من طريق محمد بن موسى القطان به مثله ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٠) : « وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطى وهو كذاب » .

زُمّلتَ القرآن .

وقوله : ﴿ نِّصْفَهُ ﴾ : بدل من الليل ، ﴿ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ أى: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حرج عليك فى ذلك .

وقوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ أى: اقرأه على تمهل ، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيرتلها ، حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى، عن أنس: أنه سُئِل عن قراءة رسول الله ﷺ ، فقال: كانت مداً ، ثم قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، يمد بسم الله ،ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم [١].

وقال ابن جُرَيج ، عن ابن أبى مُلَيكة عن أم سلمة : أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ ، فقالت : كان يقطّع قراءته آية آية، ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى ﷺ قال : « يقال لصاحب [٣] القرآن : اقرأ وارقَ ، ورتِّل كما كنت تُرتِّل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » .

ورواه أبو داود ، والترمذى والنسائى ، من حديث سفيان الثورى ، به [٤] . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقد قدمنا فى أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ، كما جاء فى الحديث : « زيِّنوا القرآن بأصواتكم » ، و « ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن » ، و « لقد أوتى هذا مزمار من مزامير آل داود » يعنى : أبا موسى ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبَّرْته لك تحبيرا [٥] .

وعن ابن مسعود أنه قال : لا تنثروه نثر الرمل [٦] ، ولا تهذّوه هَذَّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هَمّ أحدكم آخر السورة . رواه البغوى [٧] .

وقال البخارى : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل [٨] الليلة فى ركعة . فقال : هذّا كهذّ الشعر . لقد عرفت

---

(١) صحيح البخارى برقم (٥٠٤٦) .

(٢) المسند (٦/ ٣٠٢) ، وسنن أبى داود برقم (٤٠٠١) ، والشمائل للترمذى برقم (٢٩٩) .

(٣) فى م : « لقارئ » .

(٤) المسند (٢/ ١٩٢) وسنن أبى داود برقم (١٤٦٤) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩١٤) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٥٦) .

(٥) انظر هذه الأحاديث فى : فضائل القرآن فى المقدمة .

(٦) فى أ :« الدقل » .

(٧) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٢١٥) .

(٨) فى أ : « المعضل » .

النظائر التى كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن .فذكر عشرين سورة من المُفَصّل،سورتين فى ركعة [١] .

وقوله : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ ، قال الحسن ، وقتادة : أى العمل به .

وقيل : ثقيلٌ وقت نزوله ؛ من عظمته . كما قال زيد بن ثابت : أنزل على رسول الله ﷺ وفَخذُه على فخذى ، فكادت تُرض فَخذى [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حَبيب ، عن عَمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قال : سألتُ النبى ﷺ فقلت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أسمعُ صَلاصِيلَ ، ثم أسكتُ عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض » ، تفرد به أحمد [٣] .

وفى أول صحيح البخارى عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ : كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : « أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عَلَىّ ، فَيَفْصِمُ عنى وقد وَعَيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى ﷺ فى اليوم الشديد البرد ، فَيَفْصِمُ عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا . هذا لفظه [٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه، عن عائشة قالت : إن كان ليوحَى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته ، فتضرب بِجرَانها [٥] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ أن النبى ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسَرّى عنه [٦] .

وهذا مرسل . الجران : هو باطن العنق .

واختار ابن جرير أنه ثقيل [٧] من الوجهين معا ، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين .

وقوله : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ ، قال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : نشأ : قام بالحبشة .

وقال عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير : الليل كله ناشئة .وكذا قال مجاهد ، وغير واحد ،

---

(١) صحيح البخارى برقم (٧٧٥) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٤٥٩٢) .

(٣) المسند (٢/ ٢٢٢) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٢) .

(٥) المسند (٦/ ١١٨) .

(٦) تفسير الطبرى (٢٩/ ٨٢) .

(٧) فى أ : « أنه يقبل » .

يقال : نشأ : إذا قام من الليل . وفى رواية عن مجاهد : بعد العشاء . وكذا قال أبو مِجْلَز ، وقتادة، وسالم وأبو حازم ، ومحمد بن المنكدر .

والغرض أن ناشئة الليل هى : ساعاته وأوقاته ، وكل ساعة منه تسمى ناشئة ، وهى الآنات . والمقصود أن قيام الليل هو [١] أشد مواطأة بين القلب واللسان ، وأجمع على التلاوة ؛ ولهذا قال : ﴿ **هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ أى : أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقتُ انتشار الناس ولَغَط الأصوات وأوقات المعاش .

و [قد] [٢] قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش ، أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية : « إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا » فقال له رجل : إنما نقرؤها ﴿ **وأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾، فقال له : إن أصوب وأقوم وأهيأ وأشباه هذا واحد [٣] .

ولهذا قال : ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً** ﴾ . قال ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء بن أبى مُسلم : الفراغ والنوم .

وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وسفيان الثورى : فراغاً طويلا .

وقال قتادة : فراغا وبغية ومُنْقَلبا .

وقال السدى : ﴿ **سَبْحًا طَوِيلاً** ﴾ : تطوعا كثيراً .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله : ﴿ [**إِنَّ لَكَ فِى النَّهَار**] [٤] **سَبْحًا طَوِيلاً** ﴾ قال : لحوائجك ، فَأفْرِغ لدينك الليل . قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله مَنَّ على العباد فخففها ووضعها ، وقرأ : ﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ إلى آخر الآية ، ثم قال : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ** ﴾، حتى بلغ : ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ﴾ [الليل نصفه أو ثلثه . ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته] [٥] فقال : وقال : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء:٤٩] . وهذا الذى قاله كما قاله .

والدليل عليه ما رواه الإمام أحمد فى مسنده حيث قال: حدثنا يحيى ، حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام : أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله فى الكُرَاع والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتى يموت. فلقى رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال : « أليس لكم فىّ أسوة [٦] ؟»

---

(١) فى م : « هى » . (٢) زيادة من م .

(٣) مسند أبى يعلى (٧/ ٨٨) ونقل المحقق فى الحاشية عن أبى بكر بن الأنبارى أنه قال : « حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم ، لأنه مبنى على رواية الأعمش عن أنس ، فهو مقطوع ليس بمتصل ، فيؤخذ من قبل أن الأعمش رأى أنساً ولم يسمع منه » .

(٤) زيادة من أ .

(٥) زيادة من تفسير الطبرى .

(٦) فى أ : « أسوة حسنة » .

فنهاهم عن ذلك ، فأشهدهم على رَجعتها ، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم. قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إلىّ فأخبرنى بردّها عليك . قال : فأتيت على حكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه إليها ، فقال : ما أنا بقاربها ؛ إنى نهيتها أن تقول فى هاتين الشّيعتَين شيئا ، فأبت فيهما إلا مُضياً . فأقسمتُ عليه ، فجاء معى ، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ وعرفته ، قال : نعم . قالت : من هذا معك ؟ قال : سعد ابن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال : فترحمت عليه وقالت : نعم المرء كان عامر. قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى [(١)] . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن . فهمَمتُ أن أقوم ، ثم بدا لى قيامُ رسول الله ﷺ ، قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئينى عن قيام رسول الله ﷺ . قالت : ألست تقرأ هذه السورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ ؟ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة، فقام رسولُ الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة . فهَممت[(٢)] أن أقوم ، ثم بدا لى وتر رسول الله ﷺ ، قلت : يا أم المؤمنين ، أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ . قالت : كنا نعد له سِواكه وطَهُوره ، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمانى ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه ويدعو [ويستغفر ثم ينهض ولا يسلم . ثم يصلى التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو] [(٣)] ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم . فتلك إحدى عشر ركعة يا بنى . فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ اللحم ، أوتر بسبع ، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم ، فتلك تسع يا بنى . وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان [(٤)] إذا شغَله عن قيام الليل نوم أو وَجَع أو مرض ، صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ، ولا أعلم نبى الله ﷺ قرأ القرآن كله فى ليلة ، ولا قام ليلة حتى أصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال : صدقت ، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى مشافهة .

هكذا رواه الإمام أحمد بتمامه .وقد أخرجه مسلم فى صحيحه ،من حديث قتادة ، بنحوه [(٥)] .

طريق أخرى عن عائشة فى هذا المعنى : قال ابن جرير : حدثنا وَكيع ، حدثنا زيد بن الحُبَاب ــ وحدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهران قالا جميعا ، واللفظ لابن وكيع : عن موسى بن عُبيدة ، حدثنى محمد بن طَحْلاء ، عن أبى سلمة ، عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يُصَلى عليه من الليل ، فتسامع الناس به فاجتمعوا ، فخرج كالمُغضب ــ وكان بهم رحيما ، فخشى أن يكتب

---

(١) فى أ : « نعم » . (٢) فى م :« ثم هممت » .

(٣) زيادة من المسند .

(٤) فى أ : « وكان رسول الله ﷺ » .

(٥) المسند (٦/ ٥٤) ، وصحيح مسلم برقم (٧٤٦) .

عليهم قيام الليل ـ فقال : « أيها الناس ، اكلَفُوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلّ من الثواب حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال ما ديمَ عليه » . ونزل القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه ، فرحمهم فردهم إلى الفريضة ، وترك قيام الليل [١] .

ورواه ابن أبى حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذى ، وهو ضعيف . والحديث فى الصحيح[٢] بدون زيادة نزول هذه السورة ، وهذا السياق قد يُوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك، وإنما هى مكية . وقوله فى هذا السياق : إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر ـ غريب ؛ فقد تقدم فى رواية أحمد أنه كان بينهما سنة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مِسْعَر ، عن سِماك الحنفى ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل: أول المزمل ، كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة .

وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب ، عن أبى أسامة ، به [٣] .

وقال الثورى ومحمد بن بشر العَبَدى ، كلاهما عن مسعر ، عن سماك ، عن ابن عباس : كان بينهما سنة . وروى ابن جرير ، عن أبى كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبى عبد الرحمن قال : لما نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ، قاموا حولا حتى وَرِمت أقدامهم وسُوقُهم ، حتى نزلت : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ،قال : فاستراح الناس [٤] .

وكذا قال الحسن البصرى .

وقال ابن أبى حاتم : [حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا عُبَيد الله بن عمر القواريرى ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبى] [٥] ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : فقلت ـ يعنى لعائشة ـ : أخبرينا عن قيام رسول الله ﷺ . قالت : ألست تقرأ :﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ ؟ قلت : بلى. قالت : فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى انتفخت أقدامهم ، وحُبس آخرها فى السماء ستة عشر شهراً ، ثم نزل .

وقال مَعْمَر ، عن قتادة :﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ : قاموا حولا أو حولين ، حتى انتفخت سُوقهم

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٩) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٦٤٦٥) ،وصحيح مسلم برقم (٧٨٢) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٨) .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٩) .

(٥) زيادة من م ، أ .

وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد فى آخر السورة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حُميد ، حدثنا يعقوب القمى [١]، عن جعفر ، عن سعيد ـ هو ابن جبير ـ قال : لما أنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ قال : مكث النبى ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل ، كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾، إلى قوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ ،فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين [٢] .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن رافع ، عن يعقوب القمى [٣] ، به .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً [أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا] [٤] ،فشق ذلك على المؤمنين ، ثم خفف الله عنهم ورحمهم ، فأنزل بعد هذا : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ ﴾، إلى قوله: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ،فوسع الله ـ وله الحمد ـ ولم يضيق .

وقوله : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أى : أكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور دنياك ،كما قال: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح:٧] أى : إذا فرغت من مهامك فانصب فى طاعته وعبَادَته ، لتكون فارغَ البال . قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه .

قال ابن عباس ومجاهد ، وأبو صالح ، وعطية ، والضحاك ، والسدى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ أى : أخلص له العبادة .

وقال الحسن : اجتهد وبتّل إليه نفسك .

وقال ابن جرير : يقال للعابد : متبتل ، ومنه الحديث المروى : أنه نهى عن التَّبَتُّل ، يعنى : الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج [٥] .

وقوله : ﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ أى: هو المالك المتصرف فى المشارق والمغارب الذى لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل ، ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود:١٢٣] ، وكقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، وآيات [٦] كثيرة فى هذا المعنى ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله ، وتخصيصه بالتوكل عليه .

---

(١) فى أ :« العمى » .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٩) وهو مرسل .
(٣) فى أ :« العمى » . (٤) زيادة من م ، أ . (٥) فى م:« التزويج » .
(٦) فى م :« فى آيات » .

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه ، وأن يهجرهم هجراً جميلا ، وهو الذى لا عتاب معه . ثم قال له متوعداً لكفار قومه ومتهدداً ــ وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شيء ــ: ﴿ **وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَة** ﴾ أى : دعنى والمكذبين المترفين أصحابَ الأموال، فإنهم أقدر على الطاعة من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ، ﴿**وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً** ﴾ أى : رويدا ، كما قال : ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ [لقمان: ٢٤]؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً** ﴾ وهى : القيود . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وطاوس ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن بُرَيدة ، وأبو عمران الجونى ، وأبو مجلَز ، والضحاك ، وحماد بن أبى سلمان، وقتادة والسدى ، وابن المبارك والثورى ، وغير واحد ،﴿ **وَجَحِيمًا** ﴾: وهى السعير المضطرمة . ﴿**وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ**﴾ ، قال ابن عباس : ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، ﴿ **وَعَذَابًا أَلِيمًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ** ﴾ أى : تزلزل، ﴿ **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلا** ﴾ أى : تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب ، حتى تصير الأرض قاعاً صفصفا ، لا ترى فيها عوجاً ، أى :واديا ، ولا أمتا ، أى: رابية ، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع .

ثم قال مخاطباً لكفار قريش ، والمراد سائر الناس : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ** ﴾ أى: بأعمالكم، ﴿ **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً** ﴾ . قال ابن عباس، ومجاهد ، وقتادة ،والسدى ، والثورى : ﴿ **أَخْذًا وَبِيلاً** ﴾ أى : شديدا ، أى : فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول ، فيصيبكم ما أصاب فرعونَ ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما قال تعالى : ﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى** ﴾ [النازعات: ٢٥] ،وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران . ويُروَى عن ابن عباس ومجاهد .

وقوله : ﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** ﴾ ، يحتمل أن يكون ﴿ **يَوْمًا** ﴾ معمولا لتتقون ، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود : « فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به » ؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم ، فعلى الأول : كيفَ

يحصلُ لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ؟ وعلى الثانى : كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ؟ وكلاهما معنى حسن ، ولكن الأول أولى ، والله أعلم .

ومعنى قوله : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ أى : من شدة أهواله وزلازله وبلابله ، وذلك حين يقول الله لآدم : ابعث بعثَ النار . فيقول : مِن كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة .

قال الطبرانى : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ، حدثنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا نافع بن يزيد، حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ قال : « ذلك يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم : قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار . قال : من كم يا رب ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وينجو واحد » . فاشتد ذلك على المسلمين ، وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك فى وجوههم : « إن بنى آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وإنه لا يموت منهم رجل حتى يرثه لصلبه ألف رجل . ففيهم وفى أشباههم جنة لكم » [1] .

هذا حديث غريب ، وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث .

وقوله : ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ : قال الحسن ، وقتادة : أى بسببه من شدته وهوله . ومنهم من يعيد الضمير على الله عز وجل .وروى عن ابن عباس ومجاهد،وليس بقوى؛لأنه لم يجر له ذكر هاهنا .

وقوله تعالى : ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ أى : كان وعد هذا اليوم مفعولا ، أى : واقعاً لا محالة ، وكائنا لا محيد عنه .

﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠) ﴾ .

يقول تعالي : ﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ أي : السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ أى : يتذكر بها أولو الألباب ؛ ولهذا قال: ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أى : ممن شاء الله هدايته ، كما قيده في السورة الأخري : ﴿ وَمَا

(١) المعجم الكبير للطبرانى (١١/٣٦٦) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٠) : « وفيه عثمان بن عطاء الخراسانى وهو ضعيف » .

تشاءُونَ إِلاَّ أَن يَشاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

ثم قال : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ** ﴾ أى : تارة هكذا ، وتارة هكذا ، وذلك كله من غير قصد منكم ، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل ؛ لأنه يشق عليكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** ﴾ أى : تارة يعتدلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، أو هذا من هذا ، ﴿ **عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ** ﴾ أى : الفرض الذى أوجبه عليكم ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾ أى : من غير تحديد بوقت ، أى : ولكن قوموا من الليل ما تيسر . وعبر عن الصلاة بالقراءة ، كما قال فى سورة سبحان : ﴿ **وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ** ﴾ أى : بقراءتك ، ﴿ **وَلا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ .

وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة ، رحمه الله ، بهذه الآية ، وهى قوله : ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾ على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة ، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزأه ؛ واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذى فى الصحيحين : « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » .

وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو فى الصحيحين أيضا : أن رسول الله ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » [١] . وفى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهى خداَج ، فهى خدَاج ، فهى خدَاج ،غير تمام » [٢]. وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعاً :« لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » [٣] .

وقوله : ﴿ **عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ أى: علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل ، من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين [٤] فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين [٥] بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله. وهذه الآية ــ بل السورة كلها ــ مكية ، ولم يكن القتال شُرِع بعدُ ، فهى من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة . ولهذا قال : ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** [٦] ﴾ أى: قوموا بما تيسر عليكم منه .

قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء محمد ،قال :قلت للحسن : يا أبا سعيد ، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة؟ قال : يتوسَّدُ القرآن ، لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح : ﴿ **وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا**

---

(١) صحيح البخارى برقم (٧٥٦) ، وصحيح مسلم برقم (٣٤٩) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٩٥) .

(٣) صحيح ابن خزيمة برقم (٤٩٠) .

(٤) فى أ : «ومسافرون» . (٥) فى أ : « وآخرون مشغولون » . (٦) فى م : «من القرآن» .

عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف:٦٨] ، ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ ﴾ [الأنعام:٩١] . قلت : يا أبا سعيد، قال الله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ ؟ قال : نعم ، ولو خمس آيات .

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى :أنه كان يرى حقاً واجباً على حَمَلَة القرآن أن يقوموا ولو بشىء منه فى الليل ؛ ولهذا جاء فى الحديث : أن رسول الله ﷺ سُئل عن رجل نام حتى أصبح ، فقال: «ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » [١]. فقيل: معناه: نام عن المكتوبة. وقيل: عن قيام الليل. وفى السنن : « أوتِرُوا يا أهل القرآن » [٢]. وفى الحديث الآخر : « من لم يوتر فليس منا » [٣] .

وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر عبد العزيز ، من الحنابلة ، من إيجابه قيام شهر رمضان ، فالله أعلم .

وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجُدّى ، حدثنا أبو [حمة] [٤] محمد بن يوسف الزبيدى ، حدثنا عبد الرحمن،[عن محمد بن عبد الله] [٥] بن طاوس ــ من ولد طاوس ــ عن أبيه ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ قال : « مائة آية » [٦] .

وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا فى معجم الطبرانى ، رحمه الله .

وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أى : أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم ، وآتوا الزكاة المفروضة . وهذا يدل لمن قال : إن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير النّصب والمَخْرَج لم تُبَين إلا بالمدينة . والله أعلم .

وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد من السلف : إن هذه الآية نَسَخت الذى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل . واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم . وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل : «خمس صلوات فى اليوم والليلة » . قال : هل علىّ غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تَطوّع » [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ يعنى : من الصدقات ، فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره ، كما قال : ﴿ مَن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة:٢٤٥] .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١١٤٤) ، ومسلم فى صحيحه برقم (٧٧٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) جاء من حديث على وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهما ،أما حديث على ، فقد رواه أبو داود فى السنن برقم (١٤١٦) ، والترمذى فى السنن برقم (٤٥٣)، والنسائى فى السنن (٣/ ٢٢٨) ،وابن ماجة فى السنن برقم (١١٦٩) ، وقال الترمذى :« حديث على حديث حسن » ، وأما حديث ابن مسعود ، فرواه أبو داود فى السنن برقم (١٤١٧) ، وابن ماجة برقم (١١٧٠) .

(٣) جاء من حديث بريدة وأبى هريرة ،رضى الله عنهما ، أما حديث بريدة ، فرواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٥٧)، وأبو داود فى السنن برقم (١٤١٩) ، وأما حديث أبى هريرة ، فرواه أحمد فى المسند (٣/ ٤٤٣) .

(٤) زيادة من المعجم الكبير للطبرانى (١١/ ٢٩) .

(٥) زيادة من م ، أ .

(٦) المعجم الكبير (١١/ ٢٩) .

(٧) صحيح البخارى برقم (٤٦)، وصحيح مسلم برقم (١١) من حديث طلحة رضى الله عنه .

وقوله : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ أى : جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو [خير] [١] لكم حاصل ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا أبو خَيْثَمة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيد [٢] قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ :« أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : «اعلموا ما تقولون » . قالوا : ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إنما مال أحدكم ما قدّم ومال وارثه ما أخر » .

ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث ، والنسائى من حديث [٣] أبى معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به [٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أى : أكثروا من ذكره واستغفاره فى أموركم كلها ؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

آخر تفسير سورة « المزمل » ولله الحمد

(١) زيادة من م .
(٢) فى أ :« الحارث بن يزيد » .
(٣) فى م ، أ : « من طريق» .
(٤) مسند أبى يعلى (٩/ ٩٧) ، وصحيح البخارى برقم (٦٤٤٢) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (٦٤٣٩) .

تفسير سورة المدثر

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ﴾ .

ثبت فى صحيح البخارى [من حديث يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة][١] ، عن جابر أنه كان يقول : أول شىء نزل من القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وخالفه [٢] الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، كم سيأتى [بيان] [٣] ذلك هنالك .

قال البخارى : حدثنا يحيى ، حدثنا وكيع ،عن على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . قلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ؟ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلتُ له مثل ما قلتَ لى ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال : « جاورت بحراء ، فلما قضيت جوارى هبطتُ فنُوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئاً ، ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ، ونظرت أمامى فلم أر شيئاً ، ونظرت خلفى فلم أر شيئاً . فرفعت رأسى فرأيت شيئاً،فأتيت خديجة فقلت : دَثرونى . وصبُّوا على ماء باردا . قال : فدثَّرونى وصبُّوا على ماء باردا قال : فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ » [٤].

هكذا ساقه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم [٥] من طريق عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة قال : أخبرنى جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى : « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى قبلَ السماء ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فَجَثثتُ [٦] منه حتى هَوَيتُ إلى الأرض ، فجئت إلى أهلى ، فقلت : زملونى زملونى . فزملونى ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إلى : ﴿ فَاهْجُرْ ﴾ ـ

(١) زيادة من م . (٢) فى م:« وخالف » . (٣) زيادة من م .
(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٢) .
(٥) صحيح مسلم برقم (١٦١) .
(٦) فى م:« فجثيت » .

قال أبو سلمة : والرجز: الأوثان ــ ثم حَمىَ الوحىُ وتَتَابع » .

هذا لفظ البخارى [١] . وهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا ، لقوله : « فإذا الملك الذى جاءنى [٢] بحراء » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شىء نزل بعد فترة الوحى هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حجاج ، حدثنا لَيْث ، حدثنا عُقَيل ، عن ابن شهاب[٣] قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرنى جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثم فتر الوحى عنى فترة ، فبينا أنا أمشى سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت بصرى قِبَل السماء ، فإذا الملك الذى جاءنى [بحراء الآن] [٤]قاعد على كرسى بين السماء والأرض ، فَجُئِثْت [٥] منه فَرَقاً ، حتى هَوَيت إلى الأرض ، فجئت أهلى فقلت لهم : زملونى زملونى . فزملونى ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ . ثم حمى الوحى [بعدُ] [٦] وتتابع » .أخرجاه من حديث الزهرى ، به [٧] .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بشر [٨] البَجَلى ، حدثنا المعافى بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبى مُلَيْكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا . قال : ما تقولون فى هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم ليس بشاعر . وقال بعضهم : [بل] [٩] سحر يؤثر. فأجمع رأيهم على أنه سحر يُؤثر . فبلغ ذلك النبى ﷺ فحزن وقَنع رأسه ، وتَدَثَّر ، فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ**﴾[١٠] .

فقوله : ﴿ **قُمْ فَأَنذِرْ** ﴾ أى : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وبهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . ﴿ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾ أى : عظم . وقوله : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾، قال الأجلح الكندى، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾،

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٦) .
(٢) فى م : « الذى كان » . (٣) فى أ : « ابن هشام ».
(٤) زيادة من م ، أ ، والمسند .
(٥) فى م :« فجثيت » .
(٦) زيادة من المسند .
(٧) المسند (٣/ ٣٢٥) ، وصحيح البخارى برقم (٤٩٢٦) ، وصحيح مسلم برقم (١٦١) .
(٨) فى أ : الحسن بن بشير » . (٩) زيادة من م .
(١٠) المعجم الكبير للطبرانى (١١/ ١٢٥) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣١) :« وفيه إبراهيم بن يزيد الخورى وهو ضعيف » .

قال: لا تلبسها [١] على معصية ولا على غَدْرَة . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى :

فَإنى بحمد الله لا ثَوبَ فَاجر   لبستُ ، ولا من غَدْرَة أتقَنّعُ [٢]

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس [فى هذه الآية] [٣] : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : فى كلام العرب : نَقِى الثياب . وفى رواية بهذا الإسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والشعبى ، وعطاء .

وقال الثورى ، عن رجل ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى هذه الآية : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : من الإثم . وكذا قال إبراهيم النخَعى .

وقال[٤] مجاهد : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ قال : نفسك ، ليس ثيابه . وفى رواية عنه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : عملك فأصلح، وكذا قال أبو رَزين . وقال فى رواية أخرى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض عما قالوا.

وقال قتادة : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : طهرها من المعاصى ، وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يَف بعهد الله إنه لَمُدَنس [٥] الثياب . وإذا وفى وأصلح : إنه لمطهر الثياب .

وقال عكرمة ، والضحاك : لا تلبسها على معصية .

وقال الشاعر [٦] :

إذا المرءُ لم يَدْنَس منَ اللؤم عرْضُه   فَكُلّ رداء يَرتَديه جَميلُ

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [يعنى] [٧] : لا تك ثيابك التى تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لا تلبس ثيابك على معصية .

وقال محمد بن سيرين : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : اغسلها بالماء .

وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره الله أن يتطهر ،وأن يطهر ثيابه .

وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه ، كما قال امرؤ القيس :

أفاطمَ مَهلاً بعض هَذا التَدَلُّل   وَإن كُنت قَد أزْمَعْت هَجْرى فأجْملى

وَإن تَكُ قَد سَاءتك منى خَليقَةٌ   فَسُلّى ثِيَابى مِن ثيابك تَنسُلِ [٨]

وقال سعيد بن جبير : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : وقلبك ونيتك فطهر .

---

(١) فى أ : « لا تسلبها » .

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٩١) .

(٣) زيادة من م .

(٤) فى م :« وعن» .

(٥) فى م :« لدنس » .

(٦) هو دكين بن رجاء ، وانظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/ ٦١٢) مستفاداً من حاشية الشعب .

(٧) زيادة من م.

(٨) ديوان امرئ القيس (ص٣٧) مستفاداً من حاشية الشعب .

وقال محمد بن كعب القرظى ، والحسن البصرى : وخُلقَك فَحسّن .

وقوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿وَالرُّجْزَ ﴾ ،وهو الأصنام ، فاهجر .وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والزهرى ، وابن زيد : إنها الأوثان .

وقال إبراهيم ، والضحاك : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى : اترك المعصية .

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١] . ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٢] .

وقوله : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ : قال ابن عباس : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعى ، والضحاك ، وقتادة ، والسدى، وغيرهم .

وروى عن ابن مسعود أنه قرأ : « ولا تمنن أن تستكثر » .

وقال الحسن البصرى : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .وقال خُصَيف ، عن مجاهد فى قوله : ﴿ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن فى كلام العرب : تضعف .

وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس ، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

فهذه أربعة أقوال ، والأظهر القول الأول ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى : اجعل صبرك على أذاهم لوجه الله عز وجل ،قاله مجاهد .

وقال إبراهيم النخعى : اصبر على عطيتك لله تعالى [١] .

وقوله :﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، والشعبى ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدى ، وابن زيد : ﴿ النَّاقُورِ ﴾ : الصور .قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مُطَرِّف ، عن عطية العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ ، فقال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط ، به [٢] . ورواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب ، عن ابن فضيل

---

(١) فى أ :« لله عز وجل » .

(٢) المسند (١/ ٣٢٦) ، وقال الحافظ عند تفسير الآية : ١٧٣ من سورة آل عمران :« حديث جيد » .

وأسباط ، كلاهما عن مطرف ، به. ورواه من طريق أخرى ، عن العوفى ، عن ابن عباس، به[١] .

وقوله : ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ أى : شديد ، ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ أى : غير سهل عليهم . كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [القمر:٨] .

وقد روينا عن زُرَارة بن أوفى ــ قاضى البصرة ــ : أنه صلى بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلى قوله : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ : شَهِقَ شهقة ، ثم خر ميتا ، رحمه الله[٢] .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ .

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم الله ، وبدلها كفرا، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر. وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ أى : خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم رزقه الله، ﴿ مَالاً مَّمْدُودًا ﴾ أى : واسعا كثيراً . قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل: أرضا يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له ﴿ بَنِينَ شُهُودًا ﴾ ، قال مجاهد : لا يغيبون ، أى: حضورا عنده لا يسافرون فى التجارات ، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتَمَلَّى بهم.وكانوا ــ فيما ذكره السدى ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة ــ ثلاثة عشر . وقال ابن عباس ، ومجاهد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ فى النعمة [وهو إقامتهم عنده][٣].

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ أى : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ، ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أى : معاندا ، وهو الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله :﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ ، قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن دَرَّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٥) .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩) .

(٣) زيادة من م، أ.

ﷺ قال : « ويل : واد فى جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصَّعُود: جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » .

وقد رواه الترمذى عن عبد بن حُمَيد ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، به(١) . ثم قال : غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهيعة عن دراج . كذا قال . وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دَرّاج (٢) . وفيه غرابة ونكارة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة وعلى بن عبد الرحمن ـ المعروف بعلان المصرى (٣) ـ قال: حدثنا منْجاب ، أخبرنا شريك ، عن عمار الدُّهَنِىّ ، عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ ، قال : « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده ، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت » .

ورواه البزار وابن جرير ، من حديث شريك ، به(٤) .

وقال قتادة ، عن(٥) ابن عباس : صعود : صخرة [فى جهنم] (٦) عظيمة يسحب عليها الكافر على وجهه .

وقال السدى : صعودا : صخرة ملساء فى جهنم ، يكلف أن يصعدها .

وقال مجاهد : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ أى : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذابا لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ أى : إنما أرهقناه صعودا ، أى : قربناه من العذاب الشاق ؛ لبعده عن الإيمان ، لأنه فكر وقدر ، أى : تَرَوَّى ماذا يقول فى القرآن حين سُئل عن القرآن ، ففكر ماذا يختلق من المقال ، ﴿ وَقَدَّرَ ﴾ أى : تروى ، ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه ، ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ أى : أعاد النظرة (٧) والتروى ، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ أى : قبض بين عينيه وقطب ، ﴿ وَبَسَرَ ﴾ أى: كلح وكره ، ومنه قول توبة بن الحُمَير الشاعر :

وَقَـد رَابَنِى مِـنها صُـدُودٌ رَأيتُـه وَإعرَاضُها عَن حاجَتِى وبُسُورُها (٨)

وقوله : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ أى : صُرف عن الحق ،ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن، ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ أى : هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم؛ ولهذا قال : ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ أى : ليس بكلام الله .

(١) المسند (٣/ ٧٥) ، وسنن الترمذى برقم (٣١٦٤) .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٧) .
(٣) فى م :« البصرى » .
(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٧) ، ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤٠٩) « مجمع البحرين » من طريق منجاب بن الحارث به مرفوعاً . وقال الطبرانى :« لم يرفع هذا الحديث عن عمار الدهنى إلا شريك، ورواه سفيان بن عيينة عن عمار الدهنى فوافقه » .
(٥) فى م :« وقال » .
(٦) زيادة من م .
(٧) فى م :« النظر » .
(٨) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٨) .

وهذا المذكور فى هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومى ، أحد رؤساء قريش ـ لعنه الله ـ وكان من خبره فى هذا ما رواه العوفى ، عن ابن عباس قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله [١] عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبى كبشة. فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذْىٍ من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله . فلما سمع بذلك النفرُ من قريش ائتمروا فقالوا : والله لئن صبا الوليد لتصبُوَنَّ قريش . فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدَقة ؟ فقال : ألستُ أكثرهم مالا وولدا . فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد [٢] تحدث به عشيرتى ؟! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ، ولا عمر ، ولا ابن أبى كبشة ، وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ إلى قوله : ﴿لا تُبْقِى وَلا تَذَرُ﴾ .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلَى ، وما أشك أنه سحر . فأنزل الله : ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ الآية ، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ : قبض ما بين عينيه وكلح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن عَبَّاد بن منصور ، عن عكرمة : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ، فأتاه فقال : أى عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : يعطونكه ، فإنك أتيت محمداً تَتَعَرض لما قبله . قال : قد علمت قريش أنى أكثرها مالا. قال : فقل فيه قولا يعلم قومك أنك [٣] منكر لما قال ، وأنك كاره له . قال : فماذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار منى ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من ذلك . والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى .قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأثره عن غيره .فنزلت : ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ ، [قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيدا] [٤] حتى بلغ : ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [٥] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوا من هذا . وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفودُ العرب للحج ليصدّوهُم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٤٨] ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ، قال الله عز وجل: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أى : سأغمره فيها من جميع جهاته . ثم

(١) فى م ، أ : « يسأله » . (٢) فى أ : « أوقد » . (٣) فى م : « أنه » .
(٤) زيادة من تفسير الطبرى .
(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٩٨) .

قال : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر** ﴾ ؟ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم . ثم فسر ذلك بقوله : ﴿**لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ**﴾ أى : تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبَهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك ، وهم فى ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبو سِنان وغيرهما .

وقوله : ﴿ **لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ** ﴾ ، قال مجاهد : للجلد ، وقال أبو رَزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل. وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة : ﴿ **لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ** ﴾ أى : حراقة للجلد . وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان .

وقوله : ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر** ﴾ أى : من مُقَدّمى الزبانية ، عَظيم خَلْقهم ، غليظ خُلُقُهم .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبى زائدة ، أخبرنى حريث ، عن عامر ، عن البراء فى قوله : ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر** ﴾ ، قال : إن رهطا من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأخبر النبى ﷺ فنزل عليه ساعتئذ : ﴿ **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر** ﴾ ، فأخبر أصحابه وقال : « ادعهم ، أما إنى سائلهم عن تُربَة الجنة إن أتونى، أما إنها [١] دَرْمَكة بيضاء » . فجاؤوه فسألوه عن خزنة جهنم ، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام فى الثانية ، ثم قال : « أخبرونى عن تربة الجنة » . فقالوا: أخبرهم يا ابن سلام . فقال : كأنها خُبزَة بيضاء . فقال رسول الله ﷺ : « أما إن الخبز إنما يكون من الدّرمَك »[٢] .

هكذا وقع عند ابن أبى حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا منده ، حدثنا أحمد بن عَبدَة ، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا محمد ، غلبَ أصحابك اليوم . فقال : « بأى شىء ؟ » قال : سألتهم يَهُود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ . قال رسول الله ﷺ : « أفغلب قوم سُئلوا عما لا يدرون فقالوا : لا ندرى [٣] حتى نسأل نبينا ؟ علىَّ بأعداء الله ، لكن سألوا [٤] نبيهم أن يريهم الله جهرة». فأرسل إليهم فدعاهم . قالوا : يا أبا القاسم ، كم عدد خزنة أهل النار ؟ قال : « هكذا» ، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه ،مرتين ، وعقد واحدة ، وقال لأصحابه : « إن سُئلتم عن تُربة الجنة فهى الدَّرمك » . فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار ، قال لهم رسول الله ﷺ : « ما تربة الجنة؟» فنظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا : خبزة يا أبا القاسم . فقال: « الخبز من الدَّرمَك » .

وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبى عمر ، عن سفيان ، به[٥]. وقال هو والبزار :

---

(١) فى م :« إنها كأنها ».

(٢) ورواه البيهقى فى البعث برقم (٥٠٩) من طريق مسروق بن المرزبان، عن ابن أبى زائدة به ، وقال : « حديث ابن أبى مطر ــ أى حريث ــ ليس بالقوى ، وحديث جابر أصح » وهو الآتى بعده .

(٣) فى م : « قالوا لا نعلم » .

(٤) فى م ، أ : « لكنهم قد سألوا » .

(٥) سنن الترمذى برقم (٣٣٢٧) .

لا نعرفه (١) إلا من حديث مجالد . وقد رواه الإمام أحمد ، عن على بن المديني ، عن سفيان ، فقص الدرمك فقط (٢) .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ ﴾ أى : خُزَّانها ، ﴿ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أى : [زبانية][٣] غلاظا شدادا . وذلك رد على مشركى قريش حين ذكر عدد الخزنة ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم (٤) ؟ فقال الله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ أى : شديدى الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون . وقد قيل : إن أبا الأشدين ـ واسمه : كَلَدَة بن أسيد ابن خلف ـ قال : يا معشر قريش ، اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر ، إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه ، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه . قال السهيلى : وهو الذى دعا رسول الله ﷺ إلى مصارعته وقال : إن صرعتنى آمنت بك ، فصرعه النبى ﷺ مرارا، فلم يؤمن . قال : وقد نَسَب ابنُ إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب (٥).

قلت : ولا منافاة بين ما ذكراه ، والله أعلم .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى : إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعةَ عشرَ اختباراً منَّا للناس، ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى : يعلمون أن هذا الرسول حق ؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله .

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ أى : إلى إيمانهم . أى : بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ ، ﴿ وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أى : من المنافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾ ؟ أى : يقولون : ما الحكمة فى ذكر هذا هاهنا ؟ قال الله

---

(١) فى م: « لا يعرف » .

(٢) المسند (٣/ ٣٦١) .

(٣) زيادة من م .

(٤) فى أ : « فتغلبوهم » .

(٥) الروض الأنف للسهيلى (١/ ٢٠٠) .

تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ أى : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ، ويتزلزل عند آخرين ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة.

وقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أى : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ، لئلا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط ،كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين . ومن تابعهم [١] من الملتين الذين سمعوا هذه الآية ، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة ، التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهموا [٢] صدر الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ .

وقد ثبت فى حديث الإسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما . عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة : « فإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم »[٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن مورق ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء وحُقَّ لها أن تَئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، ولا تَلَذّذتم بالنساء على [٤] الفُرُشات ، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله عز وجل » . فقال أبو ذر : والله لوددتُ أنى شجرة تُعضَد .

ورواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث إسرائيل [٥] ، وقال الترمذى : حسن غريب ، ويروى عن أبى ذر موقوفاً .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا خير[٦] بن عرفة المصرى ، حدثنا عُرْوَة بن مروان الرقى ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم بن مالك ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم ، أو ملك ساجد ، أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : سبحانك ! ما عبدناك حَقَّ عبادتك ، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً » [٧] .

وقال محمد بن نصر المروزى فى « كتاب الصلاة » : حدثنا عمرو بن زرارة ، أخبرنا عبد الوهاب ابن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن مُحْرِز ، عن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : ما نسمع من شىء . فقال

---

(١) فى م :« ومن شايعهم » . (٢) فى أ : « فما فهموا » .

(٣) هذا جزء من حديث أنس الطويل فى الإسراء ، وهو فى صحيح البخارى برقم (٧٥١٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٦٢) . وهذا القدر قد وقع لمسلم من هذا الوجه ، وانظر أحاديث الإسراء عند تفسير أول سورة الإسراء .

(٤) فى أ :« فى » .

(٥) المسند (٥/ ١٧٣) ، وسنن الترمذى برقم (٢٣١٢) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤١٩٠) .

(٦) فى م :« حدثنا حسين » .

(٧) المعجم الكبير (٢/ ١٨٤) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٥٢) : « وفيه عروة بن مروان » . قلت : قال الدارقطنى : ليس بالقوى .

رسول الله ﷺ : « أسمع أطيط السماء وما تلام أن تَئطّ ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »[١] .

وقال أيضا : حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ [٢]، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوى ، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلى ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، يحدث عن مسروق بن الأجدع ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة : ﴿ **وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ » [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦] [٣] .

وهذا مرفوع[٤] غريب جدا رواه [٥] عن محمود بن آدم ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماءً ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائما ، ثم قرأ : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ [٦] .

ثم قال : حدثنا أحمد بن سيار : حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقى المعروف بابن أمه ، حدثنا المغيرة بن عثمان [٧] بن عطية من بنى عمرو بن عوف ، حدثنى سليمان بن أيوب [من بنى] [٨] سالم بن عوف . حدثنى عطاء بن زيد بن مسعود من بنى الحبلى ، حدثنى سليمان بن عمرو بن الربيع، من بنى سالم ،حدثنى عبد الرحمن بن العلاء ، من بنى ساعدة ، عن أبيه العلاء بن سعد ـ وقد شهد الفتح وما بعده ـ أن النبى ﷺ قال يوما لجلسائه : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : وما تسمع يا رسول الله ؟ قال : « أطَّت السماء وحقّ لها أن تَئط ، إنه ليس فيها موضع قَدَم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد ، وقالَ الملائكة : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ »[٩] وهذا إسناد غريب جداً .

ثم قال : حدثنا [محمد بن يحيى ، حدثنا] [١٠] إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفَروى ، حدثنا عبد الملك بن قدامة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر : أن عمر جاء والصلاة قائمة ، ونفر ثلاثة جلوس ، أحدهم أبو جحش الليثى ، فقال : قوموا فصلوا مع رسول الله . فقام اثنان وأَبَى أبو جحش أن يقوم ، وقال : لا أقوم حتى يأتى رجل هو أقوى منى ذراعين ، وأشد منى بطشاً فيصرعنى ، ثم يَدس وَجهى فى التراب . قال عمر : فصرعتهُ ودسستُ وجهه فى التراب ، فأتى عثمان بن عفان فحجزنى عنه ، فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال : « ما رأيَكَ يا أبا حفص ؟ » . فذكر له ما كان منه ، فقال رسول الله ﷺ :« إن رضى

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزى برقم (٢٤٨) .
(٢) فى م :« مهزاذ » .
(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٣) .
(٤) فى أ :« وهذا مرفوعا » وهو خطأ .
(٥) فى م :« ثم رواه » .
(٦) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٤) .
(٧) فى هـ :« عمر » .
(٨) زيادة من م .
(٩) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٥) .
(١٠) زيادة من تعظيم قدر الصلاة (٢٥٦) .

عمر رحمةٌ ، والله لوددْتُ أنك جئتنى برأس الخبيث» ، فقام عمر يُوجّهُ نحوه ، فلما أبعد ناداه فقال: « اجلس حتى أخبرك بغنى الرب عز وجل عن صلاة أبى جحش ، إن لله فى السماء الدنيا ملائكة خشوعاً [١] لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة . فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا : ربنا ، ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله فى السماء الثانية ملائكة سجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم ، وقالوا : سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر : وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال : « أما أهل السماء الدنيا فيقولون : سبحان ذى الملك والملكوت. وأما أهل السماء الثانية فيقولون : سبحان ذى العزة والجبروت . وأما أهل السماء الثالثة فيقولون : سبحان الحى الذى لا يموت . فقلها يا عمر فى صلاتك » . فقال عمر : يا رسول الله ، فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى ؟ فقال : « قل هذا مرة وهذا مرة » . وكان الذى أمره به أن يقول : « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخَطك ، وأعوذ بك منك ، جل وجهك»[٢] . وهذا حديث غريب جداً ، بل منكر نكارة شديدة ، وإسحاق الفروى روى عنه البخارى، وذكره ابن حبان فى الثقات ،وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى . وقال أبو حاتم الرازى : كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فرُبما لقن،وكتبه صحيحة. وقال مرة : هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى: تكلم فيه أيضا . والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عَرَّف بحاله ،ولا تعرض لضعف بعض رجاله ؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه . ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا،قريباً منه، ثم قال محمد بن نصر :

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ ، أخبرنا النضر ، أخبرنا عباد بن منصور قال : سمعت عدى ابن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال : سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تعالى ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى، وإن منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل ، قالوا : سبحانك ! ما عبدناك حق عبادتك » [٣] .

وهذا إسناد لا بأس به .

وقوله : ﴿ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ ، قال مجاهد وغير واحد : ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ أى : النار التى وصفت ، ﴿ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ .

---

(١) فى م ،أ :«خشوع» .

(٢) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٥٦) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٨٧) من طريق إسحاق الفروى به ،وقال :« حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبى . قلت : « منكر غريب ، وما هو على شرط البخارى ، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحى ضعيف ، تفرد به » .

(٣) تعظيم قدر الصلاة برقم (٢٦٠) .

ثم قال : ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أى : ولى ، ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أى : أشرق ، ﴿إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ أى : العظائم ، يعنى :النار ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ،وقتادة ،والضحاك ، وغير واحد من السلف : ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ أى : لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدى للحق ، أو يتأخر عنها ويولى ويردها .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً أن :﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ أى : معتقلة بعملها يوم القيامة ، قاله ابن عباس وغيره :﴿ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ ، فإنهم ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أى : يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ أى: ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ، ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ أى : نتكلم فيما لا نعلم . وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه ، ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ . حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يعنى: الموت. كقوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال رسول الله ﷺ : « أما هو ــ يعنى عثمان بن مظعون ــ فقد جاءه اليقين من ربه » (١).

قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ أى : من كان متصفاً بهذه (٢) الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا ، فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة ، خالداً فيها .

ثم قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ أى : فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين، ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ أى : كأنهم فى نفارهم عن الحق ،وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ،قاله أبو هريرة ، وابن عباس ــ فى رواية عنه ــ وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن . أو : رام ، وهو رواية (٣) عن

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (١٢٤٣) من حديث أم العلاء رضى الله عنها .
(٢) فى م :« بمثل هذه » . (٣) فى م :« وهما روايتان » .

ابن عباس ، وهو قول الجمهور .

وقال حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران [(١)] ، عن ابن عباس : الأسد، بالعربية ، ويقال له بالحبشية : قسورة ، وبالفارسية : شير [(٢)] ، وبالنبطية : أويا .

وقوله : ﴿ **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً** ﴾ أى : بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على النبى . قاله مجاهد وغيره ، كقوله : ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وفى رواية عن قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل .

فقوله : ﴿ **كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ** ﴾ أى : إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها ، وتكذيبهم بوقوعها .

ثم قال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ** ﴾ أى : حقاً إن القرآن تذكرة ، ﴿ **فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

وقوله : ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ أى : هو أهل أن يُخاف منه ، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد [(٣)] بن الحباب ، أخبرنى سهيل ـ أخو حزم[(٤)] ـ حدثنا ثابت البنانى ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ وقال : « قال ربكم : أنا أهل أن أتقى ، فلا يجعل معى إله ، فمن اتقى أن يجعل معى إلها كان أهلا أن أغفر له » .

ورواه الترمذى ، وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب ، والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سُهَيل بن عبد الله القُطَعى ، به[(٥)] . وقال الترمذى : حسن غريب ، وسهيل ليس بالقوى. ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه ، عن هُدْبَة بن خالد، عن سُهَيل ، به. وهكذا رواه أبو يعلى ، والبَزار ، والبَغَوى ، وغيرهم ، من حديث سُهَيل القُطَعى ، به [(٦)] .

آخر تفسير سورة « المدثر » ولله الحمد والمنة

[وحسبنا الله ونعم الوكيل][(٧)]

---

(١) فى أ : « يوسف بن ماهك» .
(٢) فى أ :« بتار » .
(٣) فى أ :« حدثنا يزيد » .
(٤) فى م:« أخو حمزة » .
(٥) المسند (٣/ ١٤٢) ، وسنن الترمذى برقم (٣٣٢٨) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٩٩) ، وتفسير النسائى (٢/ ٤٧٥) .
(٦) مسند أبى يعلى (٦/ ٦٦) ، ومعالم التنزيل للبغوى (٨/ ٢٧٦) .
(٧) زيادة من م .

تفسير سورة القيامة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾ .

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه متى كان منتفياً ، جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفى . والمقسوم عليه هاهنا هو إثبات الميعاد ، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ،قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة . وقال قتادة : بل أقسم بهما جميعاً . هكذا [١] حكاه ابن أبى حاتم . وقد حكى ابن جرير ، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ :« لأقسم [بيوم القيامة][٢]» ، وهذا يوجه قول الحسن ؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة . والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمه الله ، وهو المروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، واختاره ابن جرير.

فأما يوم القيامة فمعروف ، وأما النفس اللوامة ، فقال قرة بن خالد ، عن الحسن البصرى فى هذه الآية : إن المؤمن ــ والله ــ ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتى ؟ ما أردت بأكلتى ؟ ما أردت بحديث نفسى ؟ وإن الفاجر يمضى قُدُما ما يعاتب نفسه .

وقال جُوَيْبر : بلغنا عن الحسن أنه قال فى قوله : ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ ، قال : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن صالح بن[٣] مسلم ، عن إسرائيل ، عن سِماك : أنه سأل عكرِمة عن قوله : ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ قال : يلوم [٤] على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا .

---

(١) فى م :« كذا » . (٢) زيادة من م .

(٣) فى م : « عن» . (٤) فى م :« تلوم » .

ورواه ابن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن وَكيع عن إسرائيل [١] .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيج ، عن الحسن ابن مسلم، عن سعيد بن جبير فى : ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ ، قال : تلوم على الخير والشر .

ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك : فقال : هى النفس اللؤوم[٢] .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : تندم على ما فات وتلوم عليه .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : اللوامة : المذمومة .

وقال قتادة : ﴿ **اللَّوَّامَةِ** ﴾ : الفاجرة .

قال ابن جرير : وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى ، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التى تلوم صاحبها على الخير والشر ، وتندم على ما فات .

وقوله : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ** ﴾ أى : يوم القيامة ، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة؟ ﴿ **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ ، قال سعيد بن جُبَير والعَوفى، عن ابن عباس : أن نجعله [٣]خُفًّا أو حافراً . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جرير . ووجَّهه ابنُ جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك فى الدنيا .

والظاهر من الآية أن قوله : ﴿ **قَادِرِينَ** ﴾ ، حال من قوله : ﴿ **نَّجْمَعَ** ﴾ أى : أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بل سنجمعها قادرين على أن نُسَوِّى بنانه ، أى : قدرتنا صالحة لجمعها ، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان ، فنجعل بنانه ـ وهى أطراف أصابعه ـ مستوية . وهذا معنى قول ابن قتيبة ، والزجاج .

وقوله : ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾ ، قال سعيد ، عن ابن عباس : يعنى يمضى قدما .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ **لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾ يعنى : الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال : هو الكفر بالحق بين يدى القيامة .

وقال مجاهد : ﴿ **لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾ : يمضى أمامه راكبا رأسه . وقال الحسن : لا يلقى ابنُ آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُما قُدُما ، إلا من عصمه الله .

ورُوى عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسدى ، وغير واحد من السلف : هو الذى يَعجَل الذنوبَ ويُسوّف التوبة .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : هو الكافر يكذب بيوم الحساب . وكذا قال ابن زيد، وهذا هو الأظهر من المراد ؛ ولهذا قال بعده : ﴿ **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ ؟ أى : يقول متى يكون يوم

(١ ، ٢) تفسير الطبرى (١٠٩/٢٩) .

(٣) فى أ: « أن نحوله» .

القيامة ؟ وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه ، وتكذيب لوجوده ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٩، ٣٠] .

وقال تعالى هاهنا: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ ،قال أبو عمرو بن العلاء : ﴿ بَرِقَ ﴾ بكسر الراء ،أى : حار . وهذا الذى قاله شبيه بقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٣] ، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا ، لا يستقر لهم بصر على شىء ؛ من شدة الرعب .

وقرأ آخرون : « بَرَقَ » بالفتح ، وهو قريب فى المعنى من الأول . والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور .

وقوله : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ أى : ذهب ضوؤه ، ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ ، قال مجاهد : كُوِّرا. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ١، ٢] ورُوى عن ابن مسعود أنه قرأ : « وجُمع بين الشمس والقمر » .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ أى : إذا عاين ابنُ آدم هذه الأهوال يوم القيامة ، حينئذ يريد أن يفر ويقول : أين المفر ؟ أى : هل من ملجأ أو موئل ؟ قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ. إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ . قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف : أى لا نجاة .

وهذه كقوله : ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٧] أى : ليس لكم مكان تتنكرون فيه ، وكذا قال هاهنا :﴿ لَا وَزَرَ ﴾ أى : ليس لكم مكان تعتصمون فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أى : المرجع والمصير .

ثم قال تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ أى : يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]. وهكذا قال هاهنا : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ أى : هو شهيد على نفسه ،عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر، كما قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ يقول : سمعُه وبصرُه ويداه ورجلاه وجوارحُه .

وقال قتادة : شاهد على نفسه . وفى رواية قال : إذا شئت ـ والله ـ رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه ، وكان يقال : إن فى الإنجيل مكتوبا : يا ابن آدم ، تُبصر القَذَاة فى عين أخيك ، وتترك الجِذْل [1] فى عينك لا تبصره .

---

(١) فى م:« وتترك الجذع » .

وقال مجاهد : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَه ﴾ : ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَه ﴾ : ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه. وقال السدى : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَه ﴾: حجته . وكذا قال ابن زيد ، والحسن البصرى ، وغيرهم . واختاره ابن جرير .

وقال قتادة ، عن زرارة ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَه ﴾ ، يقول : لو ألقى ثيابه .

وقال الضحاك : ولو أرخى ستوره ، وأهل اليمن يسمون الستر : المعذار .

والصحيح قول مجاهد وأصحابه ، كقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وكقوله : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [المجادلة: ١٨] .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَه ﴾ هى الاعتذار[1] ، ألم تسمع أنه قال : ﴿لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [غافر: ٥٢] ، وقال : ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ ﴾ [النحل: ٨٧] ، ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨] ، وقولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) ﴾ .

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ فى كيفية تلقيه الوحى من الملك ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ، ويسابقُ المَلَكَ فى قراءته ، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له ، وتكفل له أن يجمعه فى صدره ، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذى ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه. فالحالة [2] الأولى جمعُه فى صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ؛ ولهذا قال : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ أى : بالقرآن ، كما قال : ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

ثم قال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾ أى : فى صدرك ، ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ أى : أن تقرأه ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ أى : إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل ،﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ أى :فاستمع له ، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ أى : بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن أبى عَوَانة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفتيه ــ قال : فقال لى ابن عباس : أنا أحرك شفتى[3] كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه . وقال

(١) فى أ :« هى الأعذار » .　(٢) فى م :« فالحال » .　(٣) فى أ :« أنا أحركهما ».

لى سعيد : وأنا أحرك شفتى كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه ـ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ ، قال : جمعه فى صدرك ، ثم تقرأه ، ﴿ **فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾ : فاستمع له وأنصت ، ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ . فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه [١] .

وقد رواه البخارى ومسلم ، من غير وجه ، عن موسى بن أبى عائشة ، به[٢] . ولفظ البخارى: فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التيمى ، حدثنا موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عُرِف فى تحريكه شفتيه ،يتلقى أوله ويحرك شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره ، فأنزل الله : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ .

وهكذا قال الشعبى ، والحسن البصرى ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد : إن هذه الآية نزلت فى ذلك .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ** ﴾ قال: كان لا يفتر من القراءة مخافة أن ينساه ، فقال الله : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا** ﴾ أن نجمعه لك ﴿**وَقُرْآنَهُ** ﴾ : أن نقرئك فلا تنسى.

وقال ابن عباس وعطية العوفى : ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ : تبيين حلاله وحرامه . وكذا قال قتادة.

وقوله : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ** ﴾ أى : إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحى الحق والقرآن العظيم : أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة ، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة .

ثم قال تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ ، من النضارة ، أى حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة ، ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ أى : تراه عيانا ، كما رواه البخارى ، رحمه الله ، فى صحيحه : « إنكم سترون ربكم عَيَانا » [٤] . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح ، من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبى سعيد وأبى هريرة ـ وما فى الصحيحين ـ : أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تُضَارُّون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب ؟ » قالوا : لا. قال : « فإنكم تَرَوْنَ ربكم كذلك»[٥] .وفى الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم تَرَون ربكم كما تَرَون هذا القمر ، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل

---

(١) المسند (١/ ٣٤٣) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٧،٤٩٢٨) ، وصحيح مسلم برقم (٤٤٨) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٢٩) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٥٤،٥٧٣،٤٨٥) من حديث جرير رضى الله عنه .

(٥) صحيح البخارى برقم (٧٤٣٧،٧٤٣٨) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٢) .

غروبها فافعلوا » [١] . وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : « جَنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضَّة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا ردَاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » [٢] .وفي أفراد مسلم ، عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنة » قال : « يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ » قال : « فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ،وهي الزيادة » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] [٣] .

وفي أفراد مسلم ، عن جابر في حديثه : « إن الله يَتَجلَّى للمؤمنين يضحك »[٤] ــ يعني في عرصات القيامة ــ ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون[٥] إلى ربهم عز وجل في العرصات ، وفي روضات الجنات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أبجر ، حدثنا ثُوَير[٦] بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه . وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » [٧] .

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن شَبابة ، عن إسرائيل،عن ثُوَير قال : « سمعت ابن عمر . . ». فذكره ، قال :« ورواه عبد الملك بن أبجر ، عن ثُوَير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قوله » . وكذلك رواه الثوري ، عن ثُوَير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، ولم يرفعه [٨]. ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضعَ من هذا التفسير ، وبالله التوفيق[٩] . وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ،كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهُدَاة الأنام .

ومن تأول ذلك بأن المراد بـ ﴿ إِلَى ﴾ مفرد الآلاء ، وهي النعم ،كما قال الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، فقال تنتظر الثواب من ربها . رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد . وكذا قال أبو صالح أيضا ــ فقد أبعد هذا القائل [١٠] النجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه . وأين هو من قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ؟ [المطففين:١٥]، قال الشافعي ، رحمه الله: ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلم أن الأبرار يرونه عز وجل . ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة ،وهي قوله:﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾. قال ابن جرير :

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٤ ، ٧٤٣٦) ، وصحيح مسلم برقم (٦٣٣) .
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٨٠) .
(٣) صحيح مسلم برقم (١٨١) .
(٤) صحيح مسلم برقم (١٩١) .
(٥) في م :« ينظروا » .
(٦) في م ، أ : « حدثنا يزيد » .
(٧) المسند (٢/١٣) .
(٨) سنن الترمذي برقم (٣٣٣٠) .
(٩) وانظر : كتاب النهاية في الفتن والملاحم للحافظ ابن كثير (٢/ ٣٠٠) فقد أطال في ذكر أحاديث الرؤية.
(١٠) في م :« الناظر » .

حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى، حدثنا آدم ، حدثنا المبارك، عن الحسن: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال: حسنة ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، قال: تنظر إلى الخالق ، وحُقّ لها أن تَنضُر وهى تنظر إلى الخالق [١] .

وقوله : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ : هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة . قال قتادة : كالحة . وقال السدى : تغير ألوانها . وقال ابن زيد : ﴿ بَاسِرَةٌ ﴾ أى : عابسة .

﴿ تَظُنُّ ﴾ أى : تستيقن ، ﴿ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ ، قال مجاهد: داهية. وقال قتادة : شر . وقال السدى : تستيقن أنها هالكة . وقال ابن زيد : تظن أن ستدخل النار .

وهذا المقام كقوله : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] ، وكقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس:٣٨ـ ٤٢]، وكقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ . لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية:٢ ـ ١٠] ، فى أشباه ذلك من الآيات والسياقات .

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾ .

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ـ ثبتنا الله هناك بالقول الثابت ـ فقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ، إن جعلنا ﴿ كَلَّا ﴾ رادعة فمعناها : لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به ، بل صار ذلك عندك عيانا . وإن جعلناها بمعنى (حقا) فظاهر ، أى : حقا إذا بلغت التراقى ، أى : انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقى : جمع ترقوة ، وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ، كقوله : ﴿ فَلَوْلَا [٢] إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[الواقعة : ٨٣ ـ ٨٧]. وهكذا قال هاهنا : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ، ويذكر هاهنا حديث بُسْر بن جِحَاش الذى تقدم فى سورة « يس » [٣]. والتراقى : جمع ترقوة ، وهى قريبة من الحلقوم .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/١١٩) .

(٢) فى أ :« كلا » وهو خطأ .

(٣) حديث بسر بن جحاش ، رواه الإمام أحمد فى المسند (٤/ ٢١٠) من طريق جبير بن نفير ، عن بسر بن جحاش : أن رسول الله ﷺ بصق يوماً فى كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : « قال الله تعالى : ابن آدم أنَّى تعجزنى وقد خلقتك مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك ، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت ،حتى إذا بلغت التراقى قلت : أتصدق وأنَّى أوان الصدقة ؟!» وقد سبق عند تفسير الآية : ٧٧من سورة يس .

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ قال : عكرمة ، عن ابن عباس : أى من راق يرقى ؟ وكذا قال أبو قلابة : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ أى : من طبيب شاف . وكذا قال قتادة ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا نصر بن على ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبى، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ قال : قيل : من يرقى بروحه : ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة .

وبهذا الإسناد ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ قال : التفت عليه الدنيا والآخرة . وكذا قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ، يقول : آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحم الله .

وقال عكرمة : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ : الأمر العظيم بالأمر العظيم . وقال مجاهد : بلاء ببلاء . وقال الحسن البصرى فى قوله : ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ ، هما ساقاك إذا التفتا [١] . وفى رواية عنه : ماتت رجلاه فلم تحملاه ، وقد كان عليهما جوالا. وكذا قال السدى ، عن أبى مالك .

وفى رواية عن الحسن : هو لفهما فى الكفن .

وقال الضحاك : ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ : اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه.

وقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ أى : المرجع والمآب ، وذلك أن الروح ترفع إلى السموات، فيقول الله عز وجل : ردوا عبدى إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى . كما ورد فى حديث البراء الطويل . وقد قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ . ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢] .

وقوله : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ . وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ : هذا إخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه ، متوليا عن العمل بقالبه ، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ، ولهذا قال : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ . وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ أى : جَذلا[٢] أشرا بَطرا كسلانا ، لا همة له ولا عمل ، كما قال : ﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: ٣٤] ، وقال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا . إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أى: يرجع ، ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾[الانشقاق: ١٣ــ ١٥].

وقال الضحاك : عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ [أى][٣] : يختال . وقال قتادة ، وزيد بن أسلم : يتبختر .

قال الله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ،وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر فى مشيته ، أى : يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك ، كما يقال

---

(١) فى أ : « إذا التقيا » .
(٢) فى م: « أى جزلان » .
(٣) زيادة من م .

فى مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:٤٩] ، وكقوله : ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ [المرسلات:٤٦] ، وكقوله : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥] ، وكقوله: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت: ٤٠] . إلى غير ذلك .

وقد قال ابن أبى حاتم :حدثنا أحمد بن سنان الواسطى،حدثنا عبد الرحمن ـ يعنى ابن مهدى ـ عن إسرائيل ، عن موسى بن أبى عائشة قال : سألت سعيد بن جبير قلت : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ؟ قال : قال النبى ﷺ لأبى جهل ، ثم نزل به القرآن .

وقال أبو عبد الرحمن النسائى : حدثنا إبراهيم بن يعقوب [١] ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عَوَانة ـ (ح) وحدثنا أبو داود : حدثنا محمد بن سليمان [٢] ، حدثنا أبو عوانة ـ عن موسى بن أبى عائشة ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ؟ قال: قاله رسول الله ﷺ [٣] ثم أنزله الله عز وجل [٤].

قال ابن أبى حاتم : وحدثنا أبى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا شعيب بن إسحاق ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ : وعيد على أثر وعيد ، كما تسمعون ، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نَبىّ الله بمجامع ثيابه ، ثم قال : « أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى » . فقال عدو الله أبو جهل : أتوعدنى يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا ، وإنى لأعز من مشى بين جبليها .

وقوله : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ قال السدى : يعنى : لا يبعث .

وقال مجاهد ، والشافعى ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعنى لا يؤمر ولا ينهى .

والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أى : ليس يترك فى هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منهى فى الدنيا ، محشور إلى الله فى الدار الآخرة . والمقصود هنا إثبات المعاد ، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد [٥]، ولهذا قال مستدلا على الإعادة بالبداءة فقال : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ؟ أى : أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين ، يمنى يراق من الأصلاب فى الأرحام . ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أى : فصار علقة ، ثم مضغة ، ثم شُكّل ونفخ فيه الروح ، فصار خلقا آخر سَوياً سليم الأعضاء ، ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره ؛ ولهذا قال : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ .

ثم قال : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ أى : أما هذا الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ وتناولُ القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة ، وإما مساوية على القولين فى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ

---

(١) فى م ، أ ، هـ :« يعقوب بن إبراهيم » والمثبت من سنن النسائى الكبرى (١١٦٣٨) .

(٢) فى م :« عن ابن سليمان ».   (٣) فى م : « قاله رسول الله ﷺ لأبى جهل » .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٣٨) .

(٥) فى أ :« والفساد » .

عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] . والأول أشهر كما تقدم فى سورة « الروم » بيانه وتقريره ، والله أعلم .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ،حدثنا شبابة ، عن شعبة ، عن موسى ابن أبى عائشة ، عن آخر : أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ قال : سبحانك اللهم فبلى .فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك .وقال أبو داود ، رحمه الله : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن موسى بن أبى عائشة قال : كان رجل يصلى فوق بيته ، فكان إذا قرأ : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ قال[١]: سبحانك ، فبلى ، فسألوه عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله ﷺ .

تفرد به أبو داود [٢]، ولم يسم هذا الصحابى ، ولا يضر ذلك .

وقال أبو داود أيضا : حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، حدثنا سفيان ، حدثنى إسماعيل بن أمية : سمعت أعرابيا يقول : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ ؟ فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فانتهى إلى : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ ؟ فليقل : بلى . ومن قرأ : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ فبلغ : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ فليقل: آمنا بالله» .

ورواه أحمد ، عن سفيان بن عيينة . ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عيينة[٣]. وقد رواه شعبة ، عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له : من حدثك ؟ قال رجل صدق ، عن أبى هريرة[٤] .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ،حدثنا يزيد ،حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ذُكرَ لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال : « سبحانك وبلى »[٥] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ،حدثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ ، قال : سبحانك ؛ فبلى .

آخر تفسير سورة « القيامة » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى م :« فقال » .

(٢) سنن أبى داود برقم (٨٨٤) ، ومن طريقه البيهقى فى السنن الكبرى (٢/ ٣١٠) .

(٣) سنن أبى داود برقم (٨٨٧) ، والمسند (٢/ ٢٤٩) ، وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٧) . وقد جاء تسمية هذا الأعرابى فى رواية الحاكم ، فرواه فى المستدرك (٢/ ٥١٠) من طريق يزيد بن عياض ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبى اليسع ، عن أبى هريرة بنحوه وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . قلت : يزيد بن عياض كذاب .

(٤) انظر : تحفة الأشراف للمزى(١١/ ١٠٥) ، وقد ذكر له متابعات أخرى .

(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢٥) .

تفسير سورة الإنسان

وهى مكية .

قد تقدم فى صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ . تَنزِيلُ ﴾ السجدة ، و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ ﴾ [١] .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد : أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه . فقال رسول الله ﷺ : « أخرج نفس [٢] صاحبكم ـ أو قال : أخيكم ـ الشوقُ إلى الجنة » . مرسل غريب [٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر [٤] ، لحقارته وضعفه ، فقال : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ؟

ثم بين ذلك فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أى : أخلاط . والمشج والمشيج : الشىء الخَليط [٥] ، بعضه فى بعض .

قال ابن عباس فى قوله : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

---

(١) تقدم حديث أبى هريرة عند تفسير أول سورة السجدة وخرجناه هناك ، أما حديث ابن عباس فلم يتقدم، وهو فى صحيح مسلم برقم (٨٧٩) .

(٢) فى أ : « روح » .

(٣) وقد جاء موصولاً ، فرواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) « مجمع البحرين » من طريق عفيف بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر : أن رجلاً من الحبشة ، فذكر قصة طويلة وفيها : أن نزلت هذه السورة وهو عند الرسول فقال : يا رسول الله ، هل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك ؟ فقال النبى : «نعم » فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه . وقال الطبرانى: «لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عفيف » . وسيأتى الحديث عند آخر السورة من رواية الطبرانى .

(٤) فى أ : « مذكوراً » .

(٥) فى م : « المختلط » .

وقوله : ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أى : نختبره ، كقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ٢] . ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ أى : جعلنا له سمعا وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ أى : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧] ، وكقوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] ، أى : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد ــ فى المشهور عنه ــ والجمهور .

ورُوى عن مجاهد ، وأبى صالح ، والضحاك ، والسدى أنهم قالوا فى قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ : يعنى خروجه من الرحم . وهذا قول غريب ، والصحيح المشهور الأول .

وقوله : ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ : منصوب على الحال من « الهاء » فى قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ تقديره : فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد ، كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم ، عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: « كل الناس يَغْدو ، فبائع نفسه فموبقها أو مُعْتقها»(١) . وتقدم فى سورة « الروم » عند قوله : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] ، من رواية جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعربَ عنه لسانه ، فإذا أعرب عنه لسانه ، فإما شاكراً وإما كفوراً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عثمان بن محمد ، عن المقبرى ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال : « ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان : رايةٌ بيد مَلَك، وراية بيد شَيطان ، فإن خرج لما يُحبّ اللهُ اتبعَه المَلَك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يُسخط الله اتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان ، حتى يرجع إلى بيته » (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله : أن النبى ﷺ قال لكعب بن عُجرَة : « أعاذك الله من إمارة السفهاء». قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : « أمراء يكونون من بعدى ، لا يهتدون بهداى ، ولا يستَنّونَ بسنتى، فمن صَدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا يَردُون على حوضى . ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم ، فأولئك منى وأنا منهم ، وسيردون على حوضى . يا كعب بن عُجرَة ، الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان ــ أو قال: برهان . يا كعبَ بنَ عجرَة ، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحْت ، النار أولى به . يا كعب ، الناس غَاديان ، فمبتاعُ نفسَه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » .

ورواه عن عفّان ، عن وُهَيب (٣) ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به (٤) .

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣) .
(٢) المسند (٢ / ٣٢٣) .
(٣) فى أ : « عن وهب » .
(٤) المسند (٣/ ٣٢١) .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيراً (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢) ﴾ .

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهيب والحريق فى نار جهنم ، كما قال : ﴿ **إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾ [غافر: ٧١ ، ٧٢] .

ولما ذكر ما أعده [(١)] لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً** ﴾ ، وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة .

قال الحسن : برد الكافور فى طيب الزنجبيل ؛ ولهذا قال : ﴿ **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ أى : هذا الذى مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويَرْوَوْنَ بها ؛ ولهذا ضمن يشرَب « يروى » حتى عداه بالباء ، ونصب ﴿ **عَيْنًا** ﴾ على التمييز .

قال بعضهم : هذا الشراب [(٢)] فى طيبه كالكافور . وقال بعضهم : هو من عين كافور . وقال بعضهم : يجوز أن يكون منصوباً بـ ﴿ **يَشْرَبُ** ﴾ . حكى هذه الأقوال الثلاثة ابنُ جرير .

وقوله : ﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ أى : يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم .

والتفجير هو الإنباع ، كما قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا** ﴾ [الإسراء: ٩٠] . وقال : ﴿ **وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً** ﴾ [الكهف: ٣٣] .

قال مجاهد : ﴿ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ : يقودونها حيث شاؤوا ، وكذا قال عكرمة ، وقتادة . وقال الثورى : يصرفونها حيث شاؤوا .

وقوله : ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً** ﴾ أى : يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من [فعل] [(٣)] الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر .

---

(١) فى أ: « أعده الله » . (٢) فى م: « الطعام » . (٣) زيادة من م، أ .

قال الإمام مالك ، عن طلحة بن عبد الملك الأيلى ، عن القاسم بن مالك ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يَعصى الله فلا يَعصِه » ، رواه البخارى من حديث مالك (١) .

ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذى شره مستطير ، أى : منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ الله .

قال ابن عباس : فاشياً . وقال قتادة : استطار ــ والله ــ شرّ ذلك اليوم حتى مَلأ السموات والأرض .

قال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع فى الزجاجة واستطال . ومنه قول الأعشى :

فَبَانَتْ وَقَد أسْأرت فى الفُـؤا ... د صَدْعاً ، على نَأيها ،مُستَطيراً (٢)

يعنى : ممتدا فاشيا .

وقوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ : قيل: على حب الله تعالى . وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه . والأظهر أن الضمير عائد على الطعام ، أى : ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، واختاره ابن جرير ، كقوله تعالى : ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [البقرة:١٧٧] ، وكقولـه تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

وروى البيهقى ، من طريق الأعمش ، عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا ــ أول ما جاء العنب ــ فأرسلت صفية ــ يعنى امرأته ــ فاشترت عنقوداً بدرهم ، فاتبع الرسولَ السائل ، فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع الرسولَ السائلُ ، فلما دخل قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه . فأرسلت صفية إلى السائل فقالت : والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيراً أبداً . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به (٣) .

وفى الصحيح : « أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح ، شحيح ، تـأمل الغنى ، وتخشى الفقر » (٤) ،أى :فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه؛ولهذا قال تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ . أما المسكين واليتيم،فقد تقدم بيانهما وصفتهما.وأما الأسير : فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، والضحاك : الأسير : من أهل القبلة . وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين . ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ، وهكذا قال سعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن، وقتادة .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢٩) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقى (٤/ ١٨٥) .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث ، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول : « الصلاةَ وما ملكت أيمانكم » (١) .

وقال عكرمة : هم العبيد ـ واختاره ابن جرير ـ لعموم الآية للمسلم والمشرك .

وقال مجاهد : هو المحبوس ، أى : يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ أى : رجاءَ ثواب الله ورضاه ، ﴿ **لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾ أى : لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب .

﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ أى : إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، فى اليوم العبوس القمطرير .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **عَبُوسًا** ﴾ : ضيقا ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ : طويلا .

وقال عكرمة وغيره ، عنه ، فى قوله : ﴿ **يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ أى : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطرَان .

وقال مجاهد : ﴿ **عَبُوسًا** ﴾ : العابس الشفتين ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ قال : تقبيض الوَجه بالبُسُور .

وقال سعيد بن جبير ، وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ : تقليص الجبين وما بين العينين ، من الهول .

وقال ابن زيد : العبوس : الشر . والقمطرير : الشديد .

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها ،وأعلاها وأولاها ـ قولُ ابن عباس ، رضى الله عنه .

قال ابن جرير : والقمطرير هو : الشديد ؛ يقال : هو يوم قمطرير ويوم قُماطِر ، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب ، وقد اقمطرّ اليومُ يقمطرّ اقمطرارا ، وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم :

بَنى عَمّنا ، هل تَذكُرونَ بَلاءنَا ؟ عَلَيكم إذَا مـا كَـانَ يَـومُ قُمَاطِرُ (٢)

قال الله تعالى : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ ، وهذا من باب التجانس البليغ ، ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ** ﴾ أى : آمنهم مما خافوا منه ، ﴿ **وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً** ﴾ أى : فى وجوههم ، ﴿ **وَسُرُورًا** ﴾ أى : فى قلوبهم . قاله الحسن البصرى ، وقتادة ، وأبو العالية ، والربيع ابن أنس . وهذه كقوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ** ﴾ [عبس:٣٨ ، ٣٩] . وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل : وكان رسول الله ﷺ

(١) رواه أحمد فى المسند (١/ ٧٨) من حديث على رضى الله عنه .
(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ١٣١) غير منسوب .

إذا سُرّ ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة [(١)] قَمَر [(٢)] . وقالت عائشةُ : دخل عَلَيّ رسول الله ﷺ مسرورا تَبرُقُ أسَاريرُ وَجْهه [(٣)] . الحديث .

وقوله : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ أى : بسبب صبرهم أعطاهم ونَوّلهم وبوّأهم ﴿ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ أى : منزلا رحبا ، وعيشا رَغَداً [(٤)] ، ولباساً حَسَناً .

وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام بن سليمان الدّارَانى قال : قرئ على أبى سليمان الداراني سورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ ﴾ ، فلما بلغ القارئ إلى قوله : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ، قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ، ثم أنشد :

كَم قَتيل بشَهوةٍ وأسيـر ... أفّ مِنْ مُشتَهِى خِلاف الجَميل

شَهوَاتُ الإنْسان تورثه الذُّل ... وتُـلْقيه فى البَلاء الطَّويل [(٥)]

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ .

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وما أسبغ عليهم من الفضل العَميم فقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ ﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة « الصافات » ، وذكر الخلاف فى الاتكاء : هل هو الاضطجاع ، أو التمرفق ، أو التربع ، أو التمكن فى الجلوس ؟ وأن الأرائك هى السُّرر تحت الحجال .

وقوله : ﴿ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴾ أى : ليس عندهم حَرّ مزعج ، ولا برد مؤلم ، بل هى مزاج واحد دائم سَرْمَدِىّ ، ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ [الكهف:١٠٨] .

---

(١) فى م : « كأنه فلقة » .

(٢) حديث توبة كعب بن مالك فى صحيح البخارى برقم (٣٩٥١، ٤٦٧٣) ، وفى صحيح مسلم برقم (٢٧٦٩) ، وتقدم عند تفسير الآية: ١١٨ من سورة « التوبة » .

(٣) حديث عائشة فى لحاق أسامة بأبيه زيد . رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٥٥٥) ، ومسلم فى صحيحه برقم (١٤٥٩) .

(٤) فى م : « رغيدا » .

(٥) انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٨٦/٢٧) ووقع صدره فيه :

كم قتيل لشهوةٍ وأسير

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا ﴾ أى : قريبة إليهم أغصانها ، ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا ﴾ أى : متى تعاطاه دنا القطْفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه ، كأنه سامع طائع ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] . وقال تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣] .

قال [١] مجاهد : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا ﴾ : إن قام ارتفعت بقَدْره ، وإن قعد تَدَلَّتْ [٢] له حتى ينالها ، وإن اضطجع تَدَلَّت [٣] له حتى ينالها ، فذلك قوله : ﴿ تَذْلِيلا ﴾ .

وقال قتادة : لا يرد أيديهم عنها شوكٌ ولا بُعدُ .

وقال مجاهد : أرض الجنة من وَرِق ، وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت ، والوَرَقُ والتمر بين ذلك . فمن أكل منها قائما لم يؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه .

وقوله : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أى : يطوف عليهم الخَدَم بأوانى الطعام ، وهى من فضة ، وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم .

وقوله [٤] : ﴿ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ ، فالأول منصوب بخبر « كان » أى : كانت قوارير . والثانى منصوب إما على البدلية [٥] ، أو تمييز ؛ لأنه بينه بقوله : ﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، وغير واحد : بياض الفضة فى صفاء الزجاج ، والقوارير لا تكون إلا من زجاج . فهذه الأكواب هى من فضة ، وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لا نظير له فى الدنيا .

قال ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أى : على قدر ريّهم ، لا تزيد عنه ولا تنقص ، بل هى مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب رىّ صاحبها . هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبى صالح ، وقتادة ، وابن أبزى ، وعبد الله بن عُبَيد بن عمير ، وقتادة ، والشعبى ، وابن زيد . وقاله ابن جرير وغير واحد . وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ : قدرت للكف . وهكذا قال الربيع بن أنس . وقال الضحاك : على قدر أكُفّ الخُدّام . وهذا لا ينافى القول الأول ، فإنها مقدرة فى القَدْر والرّى .

وقوله : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا [٦] زَنجَبِيلاً ﴾ أى : ويسقون ـ يعنى الأبرار أيضا ـ فى هذه الأكواب ﴿ كَأْسًا ﴾ أى : خمراً ، ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾ ، فتارة يُمزَج لهم الشراب بالكافور

---

(١) فى م: « وقال» . (٢ ، ٣) فى أ : « تذللت » . (٤) فى م ،أ : « وهذه » .
(٥) فى أ: « على البداية » . (٦) فى أ : «كان مزاجه » وهوخطأ .

وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفاً ، كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم فى قوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ، وقال ههنا : ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ أى : الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا .

قال عكرمة : اسم عين فى الجنة . وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها .

وقال قتادة : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً ﴾ : عين سَلِسَة مُستَقيد [1] ماؤها .

وحكى ابنُ جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحَلْق . واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه ، وهو كما قال .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ أى : يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أى : على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ فى آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك ؛ لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبيْر .

وقوله : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ أى : إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم ، وصباحة وجوههم ، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا . ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ، ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن .

قال قتادة ، عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم ، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ أى : وإذا رأيت يا محمد ، ﴿ ثَمَّ ﴾ أى : هناك [2] ، يعنى فى الجنة ونعيمها وسعَتَها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور ، ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ أى : مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطاناً باهراً .

وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا إليها : إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها .

وقد قَدّمنا [3] فى الحديث المَروىّ من طريق ثُوَير بن أبى فاختة ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى [4] سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » . فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة ، فما ظنك بما هو أعلى منزلة ، وأحظى عنده تعالى .

وقد روى الطبرانى هاهنا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن

---

(١) فى أ: « مستعذب » . (٢) فى أ : « أى هنالك » .

(٣) عند تفسير الآية :٢٣ من سورة « القيامة ».

(٤) فى أ : « مسيرة ألف ».

عمار الموصلى ، حدثنا عفيف [١] بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ : فقال له رسول الله : « سل واستفهم » . فقال: يا رسول الله ، فُضّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به ، إنى لكائن معكَ فى الجنة ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، إنه لَيُرَى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » . ثم قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عَهدٌ عند الله ، ومن قال : سبحان الله وبحمده ، كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة » . فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة ـ أو : نعَم الله ـ فتكاد تستنفد ذلك كله ، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته » . ونزلت هذه السورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ إلى قوله : ﴿ مُلْكًا كَبِيرًا ﴾ . فقال الحبشى : وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة ؟ قال: « نعم » . فاستبكى حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدليه فى حُفرَته بيده [٢] .

وقوله : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ أى : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلى الظاهر ، كما هو المعهود فى اللباس[٣] ، ﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج:٢٣] .

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال [٤] بعده : ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أى : طهر بواطنهم من الحَسَد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة ، كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب الله] [٥] ما فى بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ أى : يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كقوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤] ، وكقوله : ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:٤٣] .

وقوله : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ أى : جزاكم الله على القليل بالكثير .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً

(١) فى م ، أ ،هـ:« حدثنا عقبة » و المثبت من المعجم الأوسط للطبرانى.
(٢) المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) « مجمع البحرين » ، وقال :« لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عفيف » .
(٣) فى أ : « فى الملبس » . (٤) فى أ :« فقال » . (٥) مكانها فى هـ ، كلمة غير واضحة ، والمثبت من م ، أ .

(٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١) ﴾ .

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما نزّله عليه من القرآن العظيم تنزيلا : ﴿ **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ** ﴾ أى : كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك ، فاصبر على قضائه وقَدَره ، واعلم أنه سيُدَبرك بحسن تدبيره ، ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا** ﴾ أى: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدّك عما أنزل إليك [١] ، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وتوكل على الله ؛ فإن الله يعصمك من الناس . فالآثم هو الفاجر فى أفعاله ، والكفور هو الكافر بقلبه .

﴿ **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ أى : أولَ النهار وآخره . ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً** ﴾ ،كقوله :﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء:٧٩] ، وكقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ [المزمل: ١ ـ ٤] .

ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم فى حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها ، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم : ﴿ **إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً** ﴾ يعنى : يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ** ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى خَلْقَهم . ﴿ **وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً** ﴾ أى : وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة ، وبَدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا . وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة .

وقال ابن زيد ، وابن جرير : ﴿ **وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً** ﴾ [أى] [٢] : وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم ، كقوله : ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ [٣] قَدِيرًا** ﴾ [النساء:١٣٣] ، وكقوله : ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠ ، وفاطر ١٦ ، ١٧] .

ثم قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ** ﴾ يعنى : هذه السورة ﴿ **تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾ أى : طريقا ومسلكا ، أى: من شاء اهتدى بالقرآن ، كقوله : ﴿ **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

---

(١) فى أ :« عليك » .   (٢) زيادة من م.   (٣) فى أ : « وكان الله على كل شىء » وهو خطأ .

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩] .

ثم قال : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ أي : لا يقدر أحد أن يَهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان [١] ولا يجر لنفسه نفعاً ، ﴿ **إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ أي : عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسِّرها له ، ويقيض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ أي : يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، ومن يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

[آخر سورة « الإنسان »] [٢] [والله أعلم] [٣]

---

(١) فى م : « فى إيمان » .

(٢) زيادة من م ، أ .

(٣) زيادة من أ .

تفسير سورة والمرسلات

وهى مكية .

قال البخارى : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبى] (١) ، حدثنا الأعمش ، حدثنى إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : بينما نحن مع النبى ﷺ ، فى غار بمنى ، إذ نزلت عليه : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ ﴾ ، فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وَثَبت علينا حَيَّة ، فقال النبى ﷺ : « اقتلوها » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبى ﷺ : « وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شرّهَا » .

وأخرجه مسلم أيضا ، من طريق الأعمش(٢).

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة ، عن الزّهْرى ، عن عُبَيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سَمعَت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات عُرفاً (٣) .

وفى رواية مالك ، عن الزهرى ، عن عُبَيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعته يقرأ : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ ، فقالت : يا بنى ، ذكَّرتنى بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب .

أخرجاه فى الصحيحين ، من طريق مالك ، به (٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا زكريا بن سهل المروزى ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا الحسين بن واقد ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة : ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الملائكة .

---

(١) زيادة من م ، أ ، والبخارى .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٨٣٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٣٤) .

(٣) المسند (٦/٣٣٨) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٧٦٣) ، وصحيح مسلم برقم (٤٦٢) .

قال :ورُوى عن مسروق ،وأبى الضحى ، ومجاهد ــ فى إحدى الروايات ــ والسّدى ، والربيع ابن أنس ، مثلُ ذلك .

ورُوِىَ عن أبى صالح أنه قال : هى الرسل . وفى رواية عنه : هى الملائكة . وهكذا قال أبو صالح فى ﴿ الْعَاصِفَاتِ ﴾ و ﴿ النَّاشِرَاتِ ﴾ [و ﴿ الْفَارِقَاتِ ﴾] (١) و ﴿ الْمُلْقِيَاتِ ﴾ : أنها الملائكة .

قال الثورى ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن مُسلم البَطين ، عن أبى العُبَيدَين قال : سألت ابنَ مسعود عن ﴿ الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الريح . وكذا قال فى : ﴿ الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ : إنها الريح . وكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو صالح ــ فى رواية عنه ــ وتوقف ابن جرير فى ﴿الْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ﴾ ،هل هى الملائكة أرسلت بالعُرْف ، أو كعُرْف الفَرَس يتبع بعضهم بعضا ؟ أو : هى الريح إذا هَبَّت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا هى الرياح ، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه . وممن قال ذلك فى العاصفات أيضا : على بن أبى طالب (٢) ، والسدى، وتوقف فى ﴿ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ ، هل هى الملائكة أو الريح ؟ كما تقدم . وعن أبى صالح: أن الناشرات نشرا : المطر .

والأظهر أن :﴿ الْمُرْسَلاتِ ﴾ هى الرياح ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف:٥٧] ، وهكذا العاصفات هى : الرياح ، يقال : عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت ، وكذا الناشرات هى : الرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء ،كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا. فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا . عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ يعنى : الملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسّدى ، والثورى . ولا خلاف هاهنا ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغىّ ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق ، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ : هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام ، أى : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ، وبعث الأجساد ،وجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، إن هذا كله ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أى : لكائن لا محالة .

ثم قال : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أى : ذهب ضوؤها ،كقوله : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] .

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ أى: انفطرت وانشقت ، وتدلت أرجاؤها ، ووَهَت أطرافها .

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أى : ذُهِب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

---

(١) زيادة من أ .

(٢) فى أ : « على بن أبى طلحة » .

الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : جمعت . وقال ابن زيد : وهذه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال مجاهد : ﴿ أُقِّتَتْ ﴾ : أجلت .

وقال الثورى ، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿ أُقِّتَتْ ﴾: أوعدت. وكأنه يجعلها كقوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩].

ثم قال : ﴿ لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، يقول تعالى : لأى يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٧، ٤٨] . وهو يوم الفصل ، كما قال : ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ .

ثم قال معظما لشأنه : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : ويل لهم من عذاب الله غدا . وقد قدمنا فى الحديث أن «ويل» : واد فى جهنم . ولا يصح .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴾ ؟ يعنى : من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به ، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾ أى : ممن أشبههم ؛ ولهذا قال : ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾. قاله ابن جرير(١) .

ثم قال ممتنا على خلقه ومحتجا على الإعادة بالبَدَاءة : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ؟ أى : ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرَة البارى عز وجل ، كما تقدم فى سورة « يس» فى حديث بُسْر بن جِحَاش : « ابنَ آدم ، أنَّى تُعجزُنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (٢) .

---

(١) تفسير الطبرى (٢٩/١٤٤) .

(٢) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٢٦ من سورة «القيامة » .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعنى : جمعناه فى الرّحِم ،وهو قرار الماء من الرجل والمرأة ، والرحم معد لذلك ، حافظ لما أودع فيه من الماء .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يعنى : إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ؛ ولهذا قال : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ : قال ابن عباس : ﴿ كِفَاتًا ﴾ : كنًّا . وقال مجاهد : يُكفَتُ المَيت فلا يُرَى منه شيء . وقال الشعبى : بطنها لأمواتكم ،وظهرها لأحيائكم . وكذا قال مجاهد وقتادة .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ يعنى : الجبال ، أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب .

﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ : عذبا زُلالا من السحاب ، أو مما أنبعه الله من عيون الأرض .

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

﴿ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (٣٠) لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) ﴾ .

يقول تعالى مخاطبا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة : ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ . انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴾ يعنى : لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعَدَ معه دخان ، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ، ﴿ لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ أى : ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ، ولا يغنى من اللهب ، يعنى : ولا يقيهم حر اللهب .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ أى : يتطاير الشرر من لهبها كالقصر . قال[1] ابن مسعود: كالحصون . وقال ابن عباس وقتادة ، ومجاهد ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وغيرهم : يعنى أصول الشجر .

﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ أى : كالإبل السود . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .

وعن ابن عباس ،ومجاهد ، وسعيد بن جبير : ﴿ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ يعنى: حبال السفن . وعنه ـ

---

(١) فى م : « قاله » .

أعنى ابن عباس ــ : ﴿ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ : قطع نحاس[١] .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن على ،حدثنا يحيى ،أخبرنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن عابس قال : سمعت ابن عباس : ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ ، قال : كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك ، فنرفعه للشتاء ، فنسميه القَصَرَ ، ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالاتٌ صُفْرٌ ﴾ : حبال السفن ، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال [٢] ،﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ ﴾ أى : لا يتكلمون . ﴿ وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ أى : لا يقدرون على الكلام،ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامت عليهم الحجة ،ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات ، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة ، وعن هذه الحالة تارة ؛ ليدل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذ . ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ : وهذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ ﴾ يعنى : أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد ، يُسمعُهم الداعى ويَنفُذهُم البصر .

وقوله : ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ : تهديد شديد ووعيد أكيد ، أى : إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى ،وتَنجُوا من حكمى فافعلوا ، فإنكم لا تقدرون على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن:٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ [هود:٥٧] ، وفى الحديث : « يا عبادى ، إنكم لن تَبلُغوا نَفْعِى فتنفعونى ، ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن المنذر الطريقى الأودى ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا حُصَين بن عبد الرحمن ، عن[٣] حسان بن أبى المخارق ، عن أبى عبد الله الجَدَلى قال : أتيت بيت المقدس ، فإذا عُبادة بن الصامت ،وعبد الله بن عمرو ، وكعب الأحبار يتحدثون فى بيت المقدس،فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد ، ينفذهم البصر ويُسمعهم الداعى، ويقول الله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ ، اليوم لا ينجو منى جبار عنيد ، ولا شيطان مريد . فقال عبد الله بن عمرو [٤]: فإنا نحدث يومئذ أنه يخرج عُنُق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهرانى الناس نادت : أيها الناس ، إنى بُعثتُ إلى ثَلاثَة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبهم عنى وَزَر ، ولا تُخفيهم عنى خافية : الذى جعل مع الله إلها آخر ،وكلّ جبار عنيد ، وكلّ شيطان مريد . فتطوى عليهم فتقذف بهم فى النار قبل الحساب بأربعين سنة [٥] .

(١) فى م : « النحاس » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٣٣) .

(٣) فى م : « ابن » . (٤) فى م : « عمر » .

(٥) ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٣/ ١٧٠) عن محمد بن فضيل به نحوه .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين[١] الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات : أنهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون ، أى : بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه ، من ظل اليحموم ، وهو الدخان الأسود المنتن .

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أى : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا . **﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** أى : يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم .

ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً : **﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾** أى : هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ، **﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾** .

وقوله : **﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾** : خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرَهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : **﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا ﴾** أى : مدة قليلة قريبة قصيرة ، **﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾** أى : ثم تساقون إلى نار جهنم التى تقدم ذكرها ، **﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾** ، كما قال تعالى : **﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾** [لقمان:٢٤] ، وقال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ .مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾** [يونس:٦٩، ٧٠] .

وقوله : **﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾** أى : إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة ، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ؛ ولهذا قال : **﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾** .

ثم قال : **﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾** ؟ أى: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن ،فبأى كلام يؤمنون به؟! كقوله تعالى : **﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾** [الجاثية:٦] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية : سمعت رجلا أعرابيا بَدَويا يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ : **﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾** ، فقرأ : **﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾** ؟ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل .

وقد تقدم هذا الحديث فى سورة « القيامة » [٢] .

آخر تفسير سورة « والمرسلات » [ولله الحمد والمنة] [٣]

---

(١) فى أ : « المؤمنين » .

(٢) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية الأخيرة من سورة القيامة من رواية الترمذى وأبى داود .

(٣) زيادة من م ، أ .

تفسير سورة النبأ

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها : ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ** ﴾ أى : عن أى شىء يتساءلون ؟ عن أمر القيامة ، وهو النبأ العظيم ، يعنى : الخبر الهائل المفظع الباهر .

قال قتادة ، وابن زيد : النبأ العظيم : البعث بعد الموت . وقال مجاهد : هو القرآن . والأظهر الأول لقوله : ﴿ **الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** ﴾ يعنى : الناس فيه على قولين : مؤمن به وكافر .

ثم قال تعالى متوعداً لمنكرى القيامة : ﴿ **كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ** ﴾ ، وهذا تهديدٌ شديد ووعيد أكيد .

ثم شرع تعالى يُبَيِّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة ، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره ، فقال : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا** ﴾ ؟ أى : ممهدة للخلائق ذَلُولا لهم ، قارّةً ساكنة ثابتة ، ﴿ **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ أى : جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

ثم قال : ﴿ **وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا** ﴾ يعنى : ذكراً وأنثى ، يستمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل بذلك ، كقوله : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ [الروم: ٢١] .

وقوله : ﴿ **وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا** ﴾ أى : قَطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد [١] والسعى

---

(١) فى أ : « الاسترداد » .

فى المعايش [١] فى عرض النهار . وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة « الفرقان » [٢] .

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى : يغشى الناس ظلامه وسواده ، كما قال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [الشمس: ٤] ، وقال الشاعر [٣] :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيلَ ، أو حِينَ نَصَّبَتْ ... لـه مِـن خَـذا آذانِها وَهْـوَ جَـانِـحُ

وقال قتادة في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى : سكناً .

وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ أى: جعلناه مشرقا مُنيراً [٤] مضيئاً ،ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجىء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ يعنى : السموات السبع ، فى اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها ، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ يعنى : الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم .

وقوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾: الريح .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو داود الحَفَرى [٥]، عن سفيان ، عن الأعمش، عن المِنْهَال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ قال : الرياح . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ، والكلبى ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : إنها الرياح . ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ أى : من السحاب . وكذا قال عكرمة أيضا ، وأبو العالية ، والضحاك ،والحسن ،والربيع بن أنس ،والثورى . واختاره ابن جرير .

وقال الفراء : هى السحاب التى تَتَحَلَّب بالمطر ولم تُمطر بعدُ ، كما يقال : امرأة معصر ، إذا دنا حيضها ولم تحض .

وعن الحسن ، وقتادة : ﴿ مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ يعنى : السموات . وهذا قول غريب .

والأظهر أن المراد بالمعصرات :السحاب ، كما قال [الله] [٦] تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ [الروم:٤٨] أى : من بينه.

وقوله : ﴿ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ : قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس : ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ : منصبا . وقال الثورى : متتابعاً . وقال ابن زيد : كثيرا .

---

(١) فى م : « فى المعاش » .
(٢) عند تفسير الآية ٤٧ .
(٣) هو ذو الرمة ، والبيت فى تفسير الطبرى (٣٠ / ٣) .
(٤) فى أ : « نيرا » .
(٥) فى أ : « الجونى » .
(٦) زيادة من م .

قال ابن جرير : ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج ، وإنما الثج : الصب المتتابع . ومنه قول النبى ﷺ : « أفضلُ الحجّ العجّ والثجّ » . يعنى : صَبّ دماء البُدْن [١] . هكذا قال . قلت : وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ : « أنعت لك الكُرسُفَ » ــ يعنى : أن تحتشى بالقطن ــ : قالت [٢] : يا رسول الله ، هو أكثر من ذلك ، إنما أثج ثجاً [٣] . وهذا فيه دَلالة على استعمال الثَّج فى الصبّ المتتابع الكثير ، والله أعلم .

وقوله :﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أى : لنخرجَ بهذا الماء الكثير الطيب النافع المُبَارَك ﴿ حَبًّا ﴾ يدخر للأناسى والأنعام ، ﴿ وَنَبَاتًا ﴾ أى : خضراً يؤكل رطبا ، ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ أى : بساتين وحدائقَ من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذهلك [٤] فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ . قال ابن عباس ، وغيره : ﴿أَلْفَافًا ﴾: مجتمعة . وهذه كقوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ الآية [الرعد: ٤] .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل ، وهو يوم القيامة ، أنه مؤقت بأجل معدود ، لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل ، كما قال : ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٤] .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ : قال مجاهد : زُمَراً [٥] . قال ابن جرير : يعنى تأتى كل أمة مع رسولها ، كقوله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٣١] [٦] .

وقال البخارى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ : حدثنا محمد ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما بين النفختين أربعون ».

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٥) ، وهذا الحديث جاء من حديث ابن عمر ، وأبى بكر ، وجابر ، وابن مسعود رضى الله عنهم ،وانظر تخريجها والكلام عليها فى : نصب الراية للإمام الزيلعى (٣/٣٣ ــ ٣٥) .

(٢) فى أ :« فقالت ».

(٣) حديث المستحاضة هو حديث حمنة بنت جحش ، وقد رواه الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٤٣٩) ، وأبو داود فى السنن برقم (٢٨٧) ، والترمذى فى السنن برقم (١٢٨) .

(٤) فى م ، أ :« ذلك » .

(٥) فى م :« زمرا زمرا ».

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ٦٠) .

قالوا : أربعون يوماً ؟ قال : « أبيتُ » . قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال :« أبيت ».قال : « ثم يُنزلُ الله من السماء ماء فينبتُونَ كما ينبتُ البقلُ ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلَى ، إلا عظماً واحدا ، وهو عَجْبُ الذنَب ، ومنه يُركَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة » [١] .

﴿ **وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا** ﴾ أى : طرقا ومسالك لنزول الملائكة ، ﴿ **وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ [النمل:٨٨] ، وكقوله : ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ** ﴾ [القارعة:٥] .

وقال هاهنا : ﴿ **فَكَانَتْ سَرَابًا** ﴾ أى : يخيل إلى الناظر أنها شىء ، وليست بشىء ، وبعد هذا تَذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر ، كما قال : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا** ﴾ [طه: ١٠٥ ــ ١٠٧] ، وقال : ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً** ﴾ [الكهف:٤٧] .

وقوله : ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا** ﴾ أى : مرصدة مُعَدّة ، ﴿ **لِلطَّاغِينَ** ﴾ وهم : المَرَدة العصاة المخالفون للرسل ، ﴿ **مَآبًا** ﴾ أى : مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونُزُلا . وقال الحسن ، وقتادة فى قوله : ﴿ **إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا** ﴾ يعنى: أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار ، فإن كان معه جواز نجا، وإلا احتبس . وقال سفيان الثورى : عليها ثلاث قناطر .

وقوله : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ أى : ماكثين فيها أحقابا ، وهى جمع « حُقب » ، وهو : المدة من الزمان . وقد اختلفوا فى مقداره ، فقال ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مِهْران ، عن سفيان الثورى ، عن عَمَّار الدّهنى ، عن سالم بن أبى الجعد قال : قال على بن أبى طالب لهلال الهَجَرى : ما تجدونَ الحُقْبَ فى كتاب الله المنزل ؟ قال : نجده ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة [٢] .

وهكذا رُوِىَ عن أبى هُرَيرة ، وعبد الله بن عَمرو ، وابن عباس ، وسعيد بن جُبَير ، وعَمرو بن ميمون ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن والسّدى أيضا : سبعون سنة كذلك . وعن عبد الله بن عمرو : الحُقبُ أربعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهما ابن أبى حاتم .

وقال بُشَير [٣] بن كعب : ذُكر لى أن الحُقب الواحد ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً[٤] ، كل يوم ألف سنة . رواه ابن جرير [٥] ، وابن أبى حاتم .

ثم قال ابن أبى حاتم : ذكر عن عُمَر بن على بن أبى بكر الأسْفَذْنى[٦]: حدثنا مروان بن معاوية الفَزَارى ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ **لابِثِينَ**

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٣٥) .
(٢) تفسير الطبرى (٨/٣٠) .
(٣) فى أ:« وقال بشر » .
(٤) فى م :« كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما » .
(٥) تفسير الطبرى (٨/٣٠) .
(٦) فى أ :« الأسعدى » .

فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ ، قال : فالحقب [ألف] [(١)] شهر ، الشهر ثلاثون يوما ، والسنة اثنا عشر شهرا ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة [(٢)] . وهذا حديثٌ منكر جداً ، والقاسم والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك .

وقال البزار :حدثنا محمد بن مِرْدَاس ، حدثنا سليمان بن مسلم أبو المُعَلَّى قال : سألت سليمان التيمى : هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثنى نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ أنه قال : «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » . قال : والحُقْب : بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون [(٣)] .

ثم قال : سليمان بن مسلم بصرى مشهور .

وقال السّدى : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ : سبعمائة حُقب ، كل حُقب سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، كل يوم كألف سنة مما تعدون .

وقد قال مقاتل بن حيّان : إن هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ **فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا** ﴾ .

وقالد خالد بن مَعْدان : هذه الآية وقوله : ﴿ **إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [هود:١٠٧] فى أهل التوحيد . رواهما ابن جرير .

ثم قال : يحتمل أن يكون قوله : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ متعلقاً بقوله : ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا** ﴾ ، ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر . ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها ، كما قال قتادة والربيع بن أنس . وقد قال قبل ذلك :

حدثنى محمد بن عبد الرحيم البَرْقى ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير ، عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ قال : أما الأحقاب فليس لها عِدّة إلا الخلود فى النار ، ولكن ذكروا أن الحُقبَ سبعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون .

وقال سعيد ، عن قتادة : قال الله تعالى : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ وهو : ما لا انقطاع له ، وكلما مضى حُقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقْب ثمانون سنة .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾ ، لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحُقْب الواحد ثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم كألف سنة مما تعدون . رواهما أيضا ابن جرير [(٤)] .

---

(١) زيادة من إتحاف المهرة للبوصيرى .

(٢) ورواه ابن أبى عمر العدنى فى مسنده كما فى إتحاف المهرة للبوصيرى (ق ٢١٨ سليمانية) عن مروان ، عن جعفر بن الزبير بنحوه ، ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٨/ ٢٩٢) من طريق يعقوب بن كعب ، عن مروان ، عن جعفر ، عن القاسم ، عن أبى أمامة مرفوعا : «الحقب الواحد : ثلاثون ألف سنة » .

(٣) مسند البزار برقم (٢٢٤٩) « كشف الأستار » ورواه الديلمى فى مسند الفردوس برقم (٧٠٢٩) من طريق زياد بن أبى زيد ،عن سليمان بن مسلم به نحوه ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٩٥) :« فيه سليمان بن مسلم الخشاب ، وهو ضعيف جداً ».

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/٩) .

وقوله : ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴾ أى : لا يجدون فى جَهَنَّم برداً لقلوبهم ، ولا شرابا طيبا يتغذون به . ولهذا قال : ﴿ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ . قال أبو العالية : استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق . وكذا قال الربيع بن أنس .

فأما الحميم : فهو الحار الذى قد انتهى حره وحُموه . والغَسَّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطاع من برده ، ولا يواجه من نتنه . وقد قدمنا الكلام على الغساق فى سورة « ص » [١] بما أغنى عن إعادته ، أجارنا الله من ذلك ، بمنه وكرمه .

قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله:﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ يعنى : النوم ، كما قال الكندى :

بَرَدت مَرَاشفها عَلَىّ فصدّنى   عنها وَعَنْ قُبُلاتها ، البَرْدُ

يعنى بالبرد : النعاس والنوم [٢] . هكذا ذكره ولم يَعزُه إلى أحد . وقد رواه ابن أبى حاتم ، من طريق السدى ، عن مرة الطيب . ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوى عن أبى عُبَيدة ، والكسائى أيضا .

وقوله : ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ أى : هذا الذى صاروا إليه من هذه العقوبة وَفق أعمالهم الفاسدة التى كانوا يعملونها فى الدنيا . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد .

ثم قال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أى : لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ، ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ أى : وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسله ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة .

وقوله :﴿ كِذَّابًا ﴾ أى : تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سُمع أعرابى يستفتى الفَرّاءَ على المروة : الحلقُ أحبّ إليك أو القِصار ؟ وأنشد بعضهم [٣] :

لَقَد طالَ ما ثَبَّطتنِى عَن صَحَابَتِى   وعن حوج قضاؤها من شفَائيا

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ أى : وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم ، وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ أى : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه ، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه ، ﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص:٥٨] .

قال قتادة : عن أبى أيوب الأزدى ، عن عبد الله بن عمرو قال :لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ . قال : فهم فى مزيد من العذاب أبدا .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصورى ، حدثنا خالد بن عبد

---

(١) انظر تفسير الآية : ٥٧ من سورة «ص» .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٩) .

(٣) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/ ١١) .

الرحمن، حدثنا جَسر [١] بن فَرقد ، عن الحسن قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية فى كتاب الله على أهل النار . قال : سمعتُ رسول الله ﷺ قرأ : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ ، فقال: « هلك القوم بمعاصيهم الله عزّ وجل » [٢] .

جسرُ [٣] بن فَرقد : ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ . قال ابن عباس والضحاك : متنزها . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا ، فنجوا من النار. والأظهر هاهنا قولُ ابن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿ حَدَائِقَ ﴾،وهى البساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا. وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ أى : حوراً كواعب . قال ابن عباس ومجاهد ،وغير واحد : ﴿كَوَاعِبَ﴾ أى : نواهد ، يعنون أن ثُدُيَّهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عُرُب أتراب ، أى : فى سن واحدة ، كما تقدم بيانه فى سورة « الواقعة » .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدّشتكىّ ، حدثنى أبى ، عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد رب بن تيم اليشكرى ، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث ، عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم الدمشقى ، عن أبى أمامة : أنه سمعه يحدث عن النبى ﷺ أنه قال : « إن قُمُص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله ، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة ، ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب » [٤] .

وقوله : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ ، قال ابن عباس : مملوءة متتابعة . وقال عكرمة : صافية . وقال مجاهد ، والحسن وقتادة ، وابن زيد : ﴿ دِهَاقًا ﴾ : الملأى المترعة . وقال مجاهد [٥] ، وسعيد بن جبير : هى المتتابعة .

وقوله : ﴿ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴾ ، كقوله : ﴿ لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾ [الطور:٢٣] أى: ليس فيها كلام لاغٍ عَارٍ عن الفائدة ، ولا إثم كذب ، بل هى دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص .

---

(١) فى أ:« حدثنا حسن » .

(٢) ورواه البيهقى فى البعث برقم (٦٣٥) من طريق محمد بن غالب ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن جسر بن فرقد به ،فذكره موقوفا ، ورواه ابن مردويه فى تفسيره كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ١٤٥) من طريق جعفر بن جسر بن فرقد ، عن أبيه ، عن الحسن به،ورواه الثعلبى فى تفسيره كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ١٤٥) من طريق مهدى بن ميمون ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، عن أبى برزة مرفوعاً بنحوه .

(٣) فى أ: « حسن » .

(٤) ورواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان (١/ ١٩٥) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ، عن أبى سفيان ــ عبد الرحمن بن عبد رب بن تيم اليشكرى به .

(٥) فى م :« وقال قتادة » .

وقوله : ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ أى : هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه ، بفضله ومنِّه وإحسانه ورحمته ؛ ﴿ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ أى : كافياً وافراً شاملاً كثيراً ؛ تقول العرب : «أعطانى فأحسبنى » أى : كفانى . ومنه « حسبى الله » ، أى : الله كافىّ .

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾ .

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وأنه الرحمن الذى شملت رحمته كل شيء .

وقوله : ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ أى : لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ، كقوله : ﴿مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، وكقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [هود:١٠٥] .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ ﴾ ، اختلف المفسرون فى المراد بالروح هاهنا، ما هو ؟ على أقوال :

أحدها : رواه العوفى ، عن ابن عباس : أنهم أرواح بنى آدم .

الثانى : هم بنو آدم . قاله الحسن ، وقتادة ، وقال قتادة : هذا [(١)] مما كان ابن عباس يكتمه .

الثالث : أنهم خَلق من خلق الله ، على صُور بنى آدم ، وليسوا بملائكة ولا ببشر ، وهم يأكلون ويشربون . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو صالح والأعمش .

الرابع : هو جبريل . قاله الشعبى ، وسعيد بن جبير ، والضحاك . ويستشهد لهذا القول بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٣ ، ١٩٤] . وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف الملائكة ، وأقرب إلى الرب عز وجل ، وصاحب الوحى .

والخامس : أنه القرآن . قاله ابن زيد ، كقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ الآية [الشورى: ٥٢] .

والسادس : أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات ؛ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: قوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن خلف العسقلانى ، حدثنا رَوّاد [(٢)] بن الجراح ، عن أبى

---

(١) فى م:« وهذا » .

(٢) فى أ :« حدثنا داود » .

حمزة ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن ابن مسعود قال : الروح : فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة مَلَكاً من الملائكة يجىء يوم القيامة صفاً وحده [(١)] ، وهذا قول غريب جداً .

وقد قال الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله بن عرْس المصرى ، حدثنا وهب [الله بن رزق أبو هريرة ، حدثنا بشر بن بكر] [(٢)] ، حدثنا الأوزاعى ، حدثنى عطاء ، عن عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« إن لله ملكا لو قيل له : التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة ، لفعل ، تسبيحه : سبحانك حيث كنت » [(٣)] .

وهذا حديث غريب جداً ، وفى رفعه نظر ، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات ، والله أعلم .

وتَوَقَّفَ ابنُ جرير فلم يقطَع بواحد من هذه الأقوال كلها ، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدم .

وقوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾ ، كقوله : ﴿ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [هود: ١٠٥] . وكما ثبت فى الصحيح : « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » .

وقوله : ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ أى : حقا ، ومن الحق : « لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح ، وعكرمة .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ أى : الكائن لا محالة ، ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا [(٤)] ﴾ أى : مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ يعنى : يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا ، لأن كل ما هو آت آت .

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ أى : يعرض عليه جميع أعماله ، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها ، كقوله : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩] ، وكقوله : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣].

﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ أى : يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ، ولم يكن خُلِقَ ، ولا خرج إلى الوجود . وذلك حين عاين عذاب الله ، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سُطِّرت عليه بأيدى الملائكة السَّفَرة الكرام البَرَرة . وقيل : إنما يود ذلك حين يحكم الله بين

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٥) .

(٢) زيادة من م، أ .

(٣) المعجم الكبير (١١/ ٩٥) ، والمعجم الأوسط برقم (٦٦) « مجمع البحرين» ، وقال فى الأوسط :« لم يروه عن الأوزاعى إلا بشر ، تفرد به وهب » ، ووهب لم أر من ترجم له .

(٤) فى م :« سبيلا » وهوخطأ.

الحيوانات التى كانت فى الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور ، حتى إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كونى ترابا ، فتصير ترابا . فعند ذلك يقول الكافر : ﴿**يَا لَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا**﴾ أى : كنت حيوانا فأرجع إلى التراب . وقد ورد معنى هذا فى حديث الصّور المشهور (١) ، وورد فيه آثار عن أبى هُرَيرة ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما .

[آخر تفسير سورة « عم » (٢)] (٣)

(١) حديث الصور تقدم بطوله عند تفسير الآية : ٧٣ من سورة « الأنعام » .

(٢) فى م : « النبأ » . (٣) زيادة من م، أ .

تفسير سورة النازعات

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) ﴾ .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبير ، وأبو صالح ، وأبو الضحى ، والسُّدى : ﴿ النَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ : الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فَتُغرق فى نزعها ، و [منهم] (١) مَن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط ، وهو قوله : ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾، قاله ابن عباس .

وعن ابن عباس : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ : هى أنفس الكفار ، تُنزَع ثم تُنشَط ، ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبى حاتم .

وقال مجاهد : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ : الموت . وقال الحسن ، وقتادة : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ : هى النجوم .

وقال عَطَاءُ بنُ أبى رَبَاح فى قوله : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ و ﴿ النَّاشِطَاتِ ﴾ : هى القسىّ فى القتال . والصحيح الأول ، وعليه الأكثرون .

وأما قوله : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ ، فقال ابن مسعود : هى الملائكة . ورُوى عن على ، ومجاهد ،وسعيد بن جُبَير ، وأبى صالح مثلُ ذلك .

وعن مجاهد : ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ : الموت . وقال قتادة : هى النجوم . وقال عطاء بن أبى رباح : هى السفن .

وقوله : ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ : رُوى عن على ، ومسروق ، ومجاهد ،وأبى صالح ، والحسن البصرى : يعنى الملائكة ؛ قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتصديق به . وعن مجاهد : الموت . وقال قتادة : هى النجوم . وقال عطاء : هى الخيل فى سبيل الله .

---

(١) زيادة من م.

وقوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ، قال على ، ومجاهد ، وعطاء ، وأبو صالح ، والحسن ، وقتادة، والربيع بن أنس ، والسدى : هى الملائكة ـ زاد الحسن : تدبر الأمر من السماء إلى الأرض. يعنى : بأمر ربها عز وجل . ولم يختلفوا فى هذا ، ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شىء من ذلك ، إلا أنه حكى فى ﴿ الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ : أنها الملائكة ، ولا أثبت ولا نفى .

وقوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ ، قال ابن عباس: هما النفختان الأولى والثانية. وهكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ،وغير واحد .

وعن مجاهد : أما الأولى ـ وهى قوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ ـ فكقوله جلت عظمته : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ [المزمل: ١٤] ، والثانية ـ وهى الرادفة ـ فهى كقوله : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الحاقة: ١٤] .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبى بن كعب ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » . فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ؟ قال : «إذاً يكفيك الله ما أهمَّك من دنياك وآخرتك » .

وقد رواه الترمذى ، وابن جرير، وابن أبى حاتم ، من حديث سفيان الثورى ،بإسناده مثله [(١)]، ولفظ الترمذى وابن أبى حاتم : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أيها الناس، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ».

وقوله : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ : قال ابن عباس : يعنى خائفة . وكذا قال مجاهد ، وقتادة .

﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ أى : أبصار أصحابها .وإنما أضيف إليها ؛ للملابسة ، أى : ذليلة حقيرة ؛ مما عاينت من الأهوال .

وقوله : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ ؟ يعنى : مشركى قريش ومن قال بقولهم فى إنكار المعاد ، يستبعدون وقوعَ البعث بعد المصير إلى الحافرة ، وهى القبور ، قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ؛ ولهذا قالوا : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ ؟ وقرئ : « ناخرة ».

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : أى بالية . قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلى ودَخَلت الريح فيه .﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ .

وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبى مالك ، والسدى ، وقتادة : الحافرة : الحياة بعد الموت . وقال ابن زيد : الحافرة : النار . وما أكثر أسماءها ! هى النار، والجحيم ،وسقر ،وجهنم ، والهاوية ، والحافرة ، ولظى ، والحُطَمة .

وأما قولهم : ﴿ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ ، فقال محمد بن كعب : قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن .

---

(١) المسند (٥/١٣٦) ، وسنن الترمذى برقم (٢٤٥٧) ، وتفسير الطبرى (٣٠/ ٢١) .

قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾ أى : فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا الناس قيام ينظرون ، وهو أن يأمر تعالى إسرافيلَ فينفخ فى الصور نفخةَ البعث ، فإذا الأولون والآخرون قيامٌ بين يَدَى الربّ عز وجل ينظرون ، كما قال : ﴿ **يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء:٥٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ [القمر:٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** ﴾ [النحل:٧٧].

قال مجاهد : ﴿ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ : صيحة واحدة .

وقال إبراهيم التيمى : أشد ما يكون الرب غَضَباً على خلقه يوم يبعثهم .

وقال الحسن البصرى : زجرة من الغضب . وقال أبو مالك ، والربيع بن أنس : زجرة واحدة : هى النفخة الآخرة .

وقوله : ﴿ **فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾ ، قال ابن عباس : ﴿ **السَّاهِرَةِ** ﴾ : الأرض كلها . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وقتادة ، وأبو صالح .

وقال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن زيد : ﴿ **السَّاهِرَةِ** ﴾ : وجه الأرض .

وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها . قال : و ﴿**السَّاهِرَةِ** ﴾ : المكان المستوى .

وقال الثورى : ﴿**السَّاهِرَةِ** ﴾ : أرض الشام ، وقال عثمان بن أبى العاتكة : ﴿ **السَّاهِرَةِ** ﴾ : أرض بيت المقدس . وقال وهب بن مُنَبه : ﴿ **السَّاهِرَةِ** ﴾ : جبل إلى جانب بيت المقدس . وقال قتادة أيضا: ﴿ **السَّاهِرَةِ** ﴾ : جهنم .

وهذه أقوال كلها غريبة ، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا خَزَر بن المبارك الشيخ الصالح ، حدثنا بشر ابن السرى ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد الساعدى : ﴿ **فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾ قال : أرض بيضاء عفراء كالخُبزَة النَقىّ .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ** ﴾ ، يقول الله عز وجل : ﴿ **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [إبراهيم:٤٨] ، ويقول : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا**﴾ [طه:١٠٥،١٠٦] . وقال:﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً** ﴾ [الكهف:٤٧] : وبرزت الأرض التى عليها الجبال ، وهى لا تعد من هذه الأرض ، وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ، ولم يَهرَاق عليها دم .

﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ**

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) ﴾ .

يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ عن عبده ورسوله موسى ، عليه السلام ، أنه ابتعثه إلى فرعون ، وأيده بالمعجزات ، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه ، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ؛ ولهذا قال في آخر القصة: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ .

فقوله : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ** ﴾ ؟ أي : هل سمعت بخبره ؟ ﴿ **إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ** ﴾ أي : كلمه نداء، ﴿ **بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ** ﴾ أي : المطهر ، ﴿ **طُوًى** ﴾ : وهو اسم الوادي على الصحيح ، كما تقدم في سورة «طه» . فقال له : ﴿ **اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ** ﴾ أي : تجبر وتمرد وعتا ، ﴿ **فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ** ﴾ ؟ أي : قل له : هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تَزَكَّى به ، أي : تسلم وتطيع. ﴿ **وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ** ﴾ أي : أدلك إلى عبادة ربك ، ﴿ **فَتَخْشَىٰ** ﴾ أي : فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشياً بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير . ﴿ **فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ** ﴾ يعني : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قويةً، ودليلا واضحا على صدق ما جاءه به من عند الله ، ﴿ **فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ** ﴾ أي: فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة . وحاصلُه أنه كفَرَ قلبُه فلم ينفعل [1] لموسى بباطنه ولا بظاهره ، وعلمُهُ بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علمُ القلب ، والإيمان عمله ،وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله : ﴿ **ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ** ﴾ أي : في مقابلة الحق بالباطل ، وهو جَمْعُهُ السحرةَ ليقابلوا ما جاء به موسى ، عليه السلام ، من المعجزة الباهرة ، ﴿ **فَحَشَرَ فَنَادَىٰ** ﴾ أي : في قومه ، ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ** ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله : ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي** ﴾ [القصص:٣٨] بأربعين سنة.

قال الله تعالى : ﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ** ﴾ أي : انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا ،﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ** ﴾ [هود:٩٩] ، كما قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ** ﴾ [القصص:٤١] . هذا هو الصحيح في معنى الآية، أن المراد بقوله : ﴿ **نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ** ﴾ أي : الدنيا والآخرة ، وقيل : المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية . وقيل : كفره وعصيانه . والصحيح الذي لا شك فيه الأول .

وقوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ أي : لمن يتعظ وينزجر .

---

(١) في أ : « فلم يفعل » .

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٣) ﴾ .

يقول تعالى محتجاً على منكرى البعث فى إعادة الخلق بعد بدئه : ﴿ أَأَنتُمْ ﴾: أيها الناس ﴿ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ﴾ ؟ يعنى: بل السماءُ أشدّ خلقاً منكم ، كما قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر:٥٧] ، وقال : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (١) ﴾ [يس:٨١] ، فقوله : ﴿ بَنَاهَا ﴾، فسره بقوله : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ أى :جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ،مستوية الأرجاء ،مكللة بالكواكب فى الليلة الظلماء.

وقوله : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أى : جعل ليلها مظلماً أسود حالكا ،ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا .

قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وجماعة كثيرون .

﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أى : أنار نهارها .

وقوله : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ، فسره بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ . وقد تقدم فى سورة « حم السجدة » (٢) أن الأرض خلقت قبل السماء ، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل . وهذا معنى قول ابن عباس ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقى ، حدثنا عبيد الله ــ يعنى ابن عمرو ــ عن زيد بن أبى أنيسة ، عن المِنْهال بن عَمْرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿دَحَاهَا ﴾ : وَدَحْيها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وشقق [فيها] (٣) الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام ، فذلك قوله : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ . وقد تقدم تقرير ذلك هنالك.

وقوله : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أى :قررها وأثبتها وأكَّدها فى أماكنها ، وهو الحكيم العليم ، الرؤوف بخلقه الرحيم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حَوشب ، عن سليمان بن أبى سليمان ، عن أنس بن مالك ، عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله الأرض جعلت تَميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها ، فاستقرت ، فتعجبت الملائكةُ من خلق الجبال فقالت : يا ربِ ، فهل من

---

(١) فى م ، أ :« بلى إنه على كل شىء قدير » وهو خطأ .

(٢) عند تفسير الآية : ٩.

(٣) زيادة من أ .

خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم ، الحديد .قالت: يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار . قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء . قالت: يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال : نعم ، الريح. قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم ،ابن آدم ، يتصدق بيمينه يخفيها من [(١)] شماله» [(٢)] .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابنُ حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن السّلميّ ، عن علي قال : لما خلق الله الأرض قمصت وقالت : تخلق عَلَيّ آدم وذريته ، يلقون على نتنهم ويعملون عَلَيّ بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال ، فمنها ما ترون ،ومنها ما لا ترون ، وكان أول قَرَار الأرض كلحم الجزور إذا نحر ، يختلج لحمه . غريب [(٣)] .

وقوله : ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ أى : دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ،وثبت جبالها ، لتستقر بأهلها ويقر قرارها ، كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التى يأكلونها ويركبونها مدةَ احتياجهم إليها فى هذه الدار إلى أن ينتهى الأمد ، وينقضى الأجل .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ : وهو يوم القيامة . قاله ابن عباس ، سميت بذلك لأنها تَطُم على كل أمر هائل مفظع ، كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٦] .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴾ أى : حينئذ يتذكرُ ابنُ آدم جميع عمله خيره وشره ، كما قال : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر:٢٣] .

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴾ أى : أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا ،﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ أى : تَمَرّد وعتا ،﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى : قدمها على أمر دينه وأخراه ، ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أى: فإن مصيرَه إلى الجحيم ،وإن مطعمه من الزقوم ،ومشربه من الحميم . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

---

(١) فى أ :« عن » .

(٢) المسند (٣/ ١٢٤) ، ورواه الترمذى فى السنن برقم (٣٣٦٩) عن محمد بن بشار ، عن يزيد بن هارون به ، وقال الترمذى : « هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٣٠) .

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أى : خاف القيام بين يدى الله عز وجل ، وخاف حُكْمَ الله فيه ، ونهى نفسه عن هواها ، وردَها إلى طاعة مولاها ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ أى : منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء.

ثم قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ أى : ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق ، بل مَردها ومَرجعها إلى الله عز وجل ، فهو الذى يعلم وقتها على التعيين ، ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف:١٨٧] ، وقال هاهنا : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ . ولهذا [١] لما سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ عن وقت الساعة قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » [٢] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ أى : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه [٣] ،فمن خشى الله وخاف مقامه[٤] ووعيده ،اتبعك فأفلح وأنجح ،والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك.

وقوله: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أى:إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مُدّة الحياة الدنيا ،حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضُحى من يوم .

قال جُويْبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾، أما عَشِيَّة : فما بين الظهر إلى غروب الشمس ،﴿ أَوْ ضُحَاهَا ﴾ : ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

وقال قتادة : وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

[آخر تفسير سورة « النازعات »] [٥] [ولله الحمد والمنة] [٦]

(١) فى م:« وهذا » .
(٢) هذا جزء من حديث جبريل الطويل وهو فى صحيح مسلم برقم(٨) .
(٣) فى م :« وعقابه » . (٤) فى م: « وخاف عقابه » .
(٥) زيادة من م،أ . (٦) زيادة من م.

تفسير سورة عبس

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ .

ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطبُ بعض عظماء قريش ، وقد طَمع فى إسلامه ، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم ــ وكان ممن أسلم قديما ــ فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شىء ويلح عليه ، وودّ النبى ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل ؛ طمعا ورغبة فى هدايته . وعَبَس فى وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل على الآخر ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴾** ؟ أى : يحصل له زكاة وطهارة فى نفسه ، **﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾** أى : يحصل له اتعاظ وانزجار عن المحارم ، **﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴾** أى : أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى ، **﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾** ؟ أى : ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة . **﴿ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾** أى : يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له ، **﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾** أى : تتشاغل . ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله ﷺ ألا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغنى ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة .

قال الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا محمد ــ هو ابن مهدى ــ حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة [عن أنس][1] فى قوله : **﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾** ، جاء ابن أم مكتوم إلى النبى ﷺ وهو يكلم أبى بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله : **﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾** ، فكان النبى ﷺ بعد ذلك يكرمه .

قال قتادة : وأخبرنى أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء ــ

(١) تنبيه : ما بين المعقوفين ليس فى أصل مسند أبى يعلى وتفسير عبد الرزاق . وهو من النسخ ،وأظنه مقحماً . والله أعلم .

يعنى ابن أم مكتوم [١] .

وقال أبو يعلى وابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، حدثنى أبى ،عن هشام بن عروة مما عرضه عليه عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : أنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ فى ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدنى . قالت : وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين. قالت : فجعل النبى ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : « أترى بما أقول بأسا ؟ » . فيقول: لا . ففى هذا أنزلت : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ [٢].

وقد روى الترمذى هذا الحديث ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، بإسناده ، مثله ، ثم قال : وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : أنزلَت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ فى ابن أم مكتوم ، ولم يذكر فيه عن عائشة [٣].

قلت : كذلك هو فى الموطأ [٤] .

ثم روى ابن جرير وابن أبى حاتم أيضا من طريق العوفى ، عن ابن عباس قوله : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ. أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ ﴾ ، قال : بينا رسولُ الله ﷺ يناجى عتبةَ بن ربيعة ، وأبا جهل بنَ هشام ، والعباس بن عبد المطلب ــ وكان يتصدى لهم كثيرا ، ويحرص [٥] عليهم أن يؤمنوا ــ فأقبل إليه رجل أعمى ــ يقال له عبد الله بن أم مكتوم ــ يمشى وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقرئ النبى ﷺ آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، علمنى مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وعبس فى وجهه ، وتولى وكَرِهَ كَلامَه ، وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ نجواه ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره ، ثم خَفَق برأسه ،ثم أنزل الله : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ . فلما نزل فيه ما نزل ، أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له النبى ﷺ : « ما حاجتك ؟ هل تريد من شىء ؟ » وإذا ذهب من عنده قال: «هل لك حاجة فى شىء ؟ » . وذلك لما أنزل الله تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ. وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ [٦] .

فيه غرابة ونكارة ، وقد تُكُلّم فى إسناده .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرّمادى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث، حدثنى يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر :

---

(١) مسند أبى يعلى (٥/ ٤٣١) ، وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٨٢) .

(٢) مسند أبى يعلى (٨/ ٢٦١) ، وتفسير الطبرى (٣٠/ ٣٢) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٢٨) .

(٤) الموطأ (١/ ٢٠٣) .

(٥) فى أ :« ويجعل » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ٣٢) ، ووجه غرابته ما نقله السهيلى فى الروض الأنف عن شيخه ابن العربى قال :« قول المفسرين فى الذى شغل النبى ﷺ أنه الوليد بن المغيرة ، وأمية بن خلف ، والعباس كله باطل ، فإن أمية والوليد كانا بمكة ،وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما، ولا حضرا معه وماتا كافرين ، أحدهما قبل الهجرة والآخر فى بدر ، ولم يقصد أمية المدينة قط ، ولا حضر عنده مفردا ولا مع آخر » انتهى .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بلالا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » . وهو الأعمى الذى أنزل الله فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ ، وكان يؤذن مع بلال . قال سالم : وكان رَجُلاً ضريرَ البصر ، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس ـ حين ينظرون إلى بزوغ الفجر ـ : أذِّن[١] .

وهكذا ذكر عروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلف : أنها نزلت [٢] فى ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله ، ويقال: عمرو . والله أعلم .

وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أى : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس فى إبلاغ العلم من[٣] شريفهم ووضيعهم .

وقال قتادة والسدى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ يعنى : القرآن ، ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أى : فمن شاء ذكر الله فى جميع أموره . ويحتمل عود الضمير على الوحى ؛ لدلالة الكلام عليه .

وقوله : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أى : هذه السورة أو العظة ، وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ أى : معظمة موقرة ﴿ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ أى : عالية القدر ، ﴿مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أى : من الدنس والزيادة والنقص .

وقوله : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن زيد : هى الملائكة.

وقال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد ﷺ ،وقال قتادة : هم القراء . وقال ابن جريج ، عن ابن عباس : السفرة بالنبطية : القراء .

وقال ابن جرير : الصحيح أن السفرة الملائكة ، والسفرة يعنى بين الله وبين خلقه ، ومنه يقال: السفير : الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير ، كما قال الشاعر :

وَما أَدَعُ السِّفَارَةَ بَين قَومى ... وَما أَمْشى بغش إن مَشَيتُ [٤]

وقال البخارى : سَفَرَةٌ : الملائكة . سَفرت : أصلحت بينهم . وجعلت الملائكةُ إذا نَزَلت بوَحْى الله وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم[٥] .

وقوله : ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ أى : خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة . ومن هاهنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن زُرَارة بن أوفى ، عن سعد ابن هشام ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السَّفَرَة الكرام البَرَرَة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق له أجران » .

---

(١) أصل الحديث فى صحيح مسلم برقم (١٠٩٢) .

(٢) فى م : «أنها أنزلت » . (٣) فى أ : « بين » .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ٣٥) .

(٥) صحيح البخارى (٨/ ٦٩١) « فتح » .

أخرجه الجماعة من طريق قتادة ، به [١] .

﴿ قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾ .

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم : ﴿ قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ . قال الضحاك، عن ابن عباس : ﴿ قُتِلَ الإنسَانُ ﴾ : لعن الإنسان . وكذا قال أبو مالك . وهذا لجنس الإنسان المكذب ؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند ،بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم .

قال ابن جرير [٢] : ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ : ما أشد كفره ! وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد : أى شىء جعله كافراً ؟ أى : ما حمله على التكذيب بالمعاد [٣] .

وقال قتادة ــ وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبى ــ : ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ : ما ألعنه .

ثم بين تعالى له كيف خلَقه الله من الشىء الحقير ،وأنه قادر على إعادته كما بدأه ، فقال: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ أى : قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد . ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ ، قال العوفى ، عن ابن عباس : ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه . وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وقتادة ، والسدى ، واختاره ابن جرير [٤] .

وقال مجاهد : هذه كقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣] أى : بيّنا [٥] له ووَضّحناه وسَهلنا عليه علمه [٦]، وهكذا قال الحسن ، وابن زيد .وهذا هو الأرجح ،والله أعلم.

وقوله : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى : إنه بعد خلقه له ﴿ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى : جعله ذا قبر . والعرب تقول : « قبرتُ الرجل » : إذا ولَى ذلك منه ، وأقبره الله . وعَضبتُ قرن الثور ، وأعضبه الله ، وبترت ذنب البعير وأبتره الله . وطردت عنى فلاناً ، وأطرده الله ، أى : جعله طريدا ، قال الأعشى :

لَو أَسْنَدَتْ مَيتاً إلى نَحْرِها [٧] عَاش ، ولَم يُنقَل إلى قَابِرِ [٨]

---

(١) المسند (٦/٤٨) وصحيح البخارى برقم (٤٩٣٧) وصحيح مسلم برقم (٧٩٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٥٤) وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٤٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٧٩).

(٢) فى أ:« ابن جريح » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٣٥) ، وقد تصرف الحافظ هنا فى كلامه .

(٤) تفسير الطبرى(٣٠/٣٦) .

(٥) فى أ :« أى بيناه » .

(٦) فى أ:« عمله » .

(٧) فى م ، أ :« إلى صدرها» .

(٨) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/٣٦) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أى : بعثه بعد موته ، ومنه يقال : البعث والنشور ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠] ، ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [البقرة:٢٥٩] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أصبغُ بنُ الفَرَج ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث : أن دراجا أبا السمح أخبره ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ قال : « يأكل الترابُ كلَّ شىء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبه [١] » . قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « مثل حبة خردل منه ينشؤون » [٢] .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيح من رواية الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، بدون هذه الزيادة ، ولفظه : « كل ابن آدم يَبْلى إلا عَجْبُ الذَّنَب ، منه خلق وفيه يُركَّب »[٣] .

وقوله : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ ، قال ابن جرير : يقول : كلا ، ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ؛ من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله ، ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ يقول : لم يُؤد ما فُرض عليه من الفرائض لربه عز وجل .

ثم روى ــ هو وابن أبى حاتم ــ من طريق ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ قال : لا يقضى أحد أبدا كل ما افتُرض عليه . وحكاه البغوى ، عن الحسن البصرى، بنحو من هذا . ولم أجد للمتقدمين فيه كَلاماً سوى هذا . والذى يقع لى فى معنى ذلك ــ والله أعلم ــ أن المعنى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ أى : بعثه ،﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ [أى] [٤] : لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة،ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب تعالى[٥] له أن سيُوجَدُ منهم،ويخرج إلى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كونا وقدرا ، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

وقد روى ابنُ أبى حاتم ، عن وهب بن مُنَبّه قال : قال عُزَير ، عليه السلام : قال الملك الذى جاءنى : فإن القبور هى بطنُ الأرض ، وإن الأرض هى أم الخلق ، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق ، وتمت هذه القبورُ التى مَدّ الله لها ، انقطعت الدنيا ومات من عليها ، ولفظت الأرض ما فى جوفها ، وأخرجت القبورُ ما فيها ، وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ أعلم بالصواب .

وقال[٦] : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ : فيه امتنان ، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا ،﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ أى : أنزلناه من السماء على الأرض ، ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ أى : أسكناه فيها فَدَخل فى تُخُومها وتَخَلَّل فى

(١) فى أ:« إلا عجز الذنب » .

(٢) ورواه الحاكم فى المستدرك (٤/٦٠٩) من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب به ، وقال :« حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » قلت: دراج عن أبى الهيثم ضعيف .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٨١٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥) .

(٤) زيادة من م ، أ. (٥) فى م :« ممن كتب الله » . (٦) فى أ :« وقوله » .

أجزاء الحب المودَع فيها ، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ، ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ ، فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : الفِصْفِصة التى تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها : القَتّ أيضا . قال ذلك ابن عباس ،وقتادة ،والضحاك ، والسدى .

وقال الحسن البصرى : القضب : العلف .

﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ : وهو معروف ، وهو أُدْمٌ وعصيره أدم ، ويستصبح به ، ويدهن به . ﴿وَنَخْلًا ﴾ يؤكل بلحا بسرا ، ورطبا ، وتمرا ، ونيئا ، ومطبوخا ،ويعتصر منه رُبٌّ وخل . ﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ أى: بساتين . قال الحسن ، وقتادة : ﴿ غُلْبًا ﴾ : نخل غلاظ كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : «الحدائق» : كل ما التف واجتمع . وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ غُلْبًا [١] ﴾: الشجر الذى يستظل به. وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾ أى : طوال . وقال عكرمة : ﴿غُلْبًا﴾ أى : غلاظ الأوساط . وفى رواية : غلاظ الرقاب [٢]، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب . رواه ابن أبى حاتم ، وأنشد ابن جرير للفرزدق :

عَوَى فَأثَارَ أغلبَ ضَيْغَمياً فَويلَ ابن المَراغَة ما استَثَارا [٣]

وقوله : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ : أما الفاكهة فهو ما يتفكه به من الثمار . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطبا . والأبّ ما أنبتت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ـ وفى رواية عنه : هو الحشيش للبهائم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك : الأب : الكلأ . وعن مجاهد، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبنى آدم . وعن عطاء : كل شىء نبت على وجه الأرض فهو أبٌّ . وقال الضحاك : كل شىء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو أبٌّ.

وقال ابن إدريس ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأب : نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق ، عن ابن إدريس ، ثم قال : حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب قالا : حدثنا ابن إدريس ،حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير قال : عدّ ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام .هذا لفظ أبى كريب ، وقال أبو السائب : ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : الأب : الكلأ والمرعى . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة، وابن زيد ، وغير واحد .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا العوام بن حَوشَب ، عن إبراهيم التَّيمى قال : سُئِلَ أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، عن قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى إن قلتُ فى كتاب الله ما لا أعلم [٤] .

---

(١) فى م :« الغلب » . (٢) فى م :« الأرقاب » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٣٧) .

(٤) فضائل القرآن لأبى عبيد (ص٢٢٧) ، وسبق الكلام عليه فى مقدمة التفسير .

وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿عبس وتولّىٰ ﴾ ،فلما أتي على هذه الآية : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ قال : عرفنا ما الفاكهة ، فما الأب ؟ فقال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف [1].

فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس ، به . هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله : ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ .

وقوله : ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ أى : عيشة لكم ولأنعامكم فى هذه الدار إلى يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾ : اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحَذّره عباده .

قال ابن جرير : لعله اسم للنفخة فى الصور . وقال البَغَوىّ : ﴿ الصَّاخَّةُ ﴾ : يعنى صيحة القيامة؛ سميت بذلك لأنها تَصُخّ الأسماع ، أى : تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تُصمّها [2] .

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ أى : يراهم ، ويفر منهم ، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم ، والخطب جليل .

قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه ، أىّ بعل كنتُ لك ؟ فتقول : نعم البعل كنتَ ! وتثنى بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإنى أطلبُ إليك اليومَ حسنةً واحدةً تهبينها [3] لى لعلى أنجو مما ترين . فتقول له : ما أيسر ما طلبتَ ، ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول : يا بنى ، أىّ والد كنتُ لك ؟ فيثنى بخير . فيقولُ له : يا بنى ، إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ، ما أيسر ما طلبت ، ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا. يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ .

وفى الحديث الصحيح ــ فى أمر الشفاعة ــ : أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق ، يقول : نفسى نفسى ، لا أسأله اليوم إلا نفسى ، حتى إن عيسى ابن مريم يقول :

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٣٨) ، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (٧/ ١٨٠) من طريق يزيد به ، وتقدم الكلام عليه فى مقدمة التفسير .

(٢) فى أ: « تصخها » . (٣) فى أ :« تهبيها » .

لا أسأله اليومَ إلا نفسى ، لا أسأله مريم التى ولدتنى . ولهذا قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴾ (١).

قال قتادة : الأحب فالأحبَ ، والأقرب فالأقربَ ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ أى : هو فى شُغُل شاغل عن غيره .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا الوليد بن صالح ، حدثنا ثابت أبو زيد العبادانى ، عن هلال بن خَبَّاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: « تحشرون حفاة عراة مشاة غُرلاً » . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أوَ يرى (٢) بعضنا عورة بعض ؟ قال : « ﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ ». أو قال : « ما أشغله عن النظر ».

وقد رواه النسائى منفردا به ، عن أبى داود ، عن عارم ، عن ثابت بن يزيد ــ وهو أبو زيد الأحول البصرى ، أحد الثقات ــ عن هلال بن خَبَّاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به(٣) . وقد رواه الترمذى عن عَبد بن حُمَيد ، عن محمد بن الفضل ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال ابن خَبَّاب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : « تُحشَرون حُفاة عُرَاة غُرْلاً » . فقالت امرأة : أيبصر ــ أو : يرى ــ بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ، ﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ » (٤) . ثم قال الترمذى : وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن ابن عباس ، رضى الله عنه (٥).

وقال النسائى : أخبرنى عمرو بن عثمان ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنا الزبيدى ، أخبرنى الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلا » . فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟ فقال : « ﴿ **لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ » (٦).

انفرد به النسائى من هذا الوجه .

ثم قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أزهر بن حاتم ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن عائذ ابن شُرَيح ، عن أنس بن مالك قال : سألت عائشة ، رضى الله عنها ، رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنتَ به . فقال : « إن كان عندى منه علم » . قالت : يا نبى الله ، كيف يُحشر الرجال ؟ قال : « حفاة عراة » . ثم انتظَرتْ ساعة فقالت : يا نبى الله ، كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة عراة » . قالت : واسوأتاه من يوم القيامة ! قال : «وعن أى ذلك تسألين؟ إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون ».

---

(١) أحاديث الشفاعة سبقت عند تفسير أول سورة الإسراء .

(٢) فى م :« يا رسول الله ، ننظر أو يرى » .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤٧) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٣٣٢) .

(٥) فى أ :« رضى الله تعالى عنهما » .

(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤٨) .

قالت : أيةُ آية هى يا نبى الله ؟ قال : « ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ »[١] .

وقال البغوى فى تفسيره : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشّريحى ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى ، أخبرنى الحسين بن عبد الله ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن عبد العزيز ،حدثنا ابن أبى أويس ، حدثنا أبى ، عن محمد بن أبى عياش ، عن عطاء بن يسار ، عن سودة زوج النبى ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة غُرلا قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان » . فقلت : يا رسول الله ، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : «قد شُغل الناس ، ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ »[٢] .

هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عمار الحسين بن حريث المروزى ، عن الفضل بن موسى ، به[٣] . ولكن قال أبو حاتم الرازى : عائذ بن شريح ضعيف ، فى حديثه ضعف[٤] .

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أى : يكون الناس هنالك فريقين : ﴿ وُجُوهٌ مُّسْفِرَةٌ ﴾ أى : مستنيرة ، ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أى : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم ، قد ظهر البشر على وجوههم ، وهؤلاء أهل الجنة . ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى : يعلوها ويغشاها[٥] قترة ، أى : سواد .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا سهل بن عثمان العسكرى ، حدثنا أبو على محمد مولى جعفر بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « يلجم الكافرَ العرقُ ثم تقع الغُبْرة على وجوههم » . قال : فهو قوله : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾[٦] .

وقال ابن عباس : ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ أى : يغشاها سواد الوجوه .

وقوله : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ أى : الكفرة قلوبهم ، الفجرة فى أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح :٢٧] .

آخر تفسير سورة « عبس » ولله الحمد والمنة

---

(١) ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ٣٩) ، عن الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى به .

(٢)معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٤٠) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥١٤) من طريق إسماعيل بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى أويس به نحوه . وقال :« هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ» .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٣٩) .

(٤) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٧/ ١٦) .

(٥) فى م :« تعلوها وتغشاها » .

(٦) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٤٢٤) ، وله شاهد من حديث ابن مسعود : رواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٥٨٢) «موارد» من طريق شريك ،عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود مرفوعا :« إن الكافر ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : أرحنى ولو إلى النار » .

تفسير سورة التكوير

وهى مكية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص : أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى أخبره : أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « من سَرَّه أن ينظر إلىّ يوم القيامة كأنه رأىُ عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ » .

وهكذا رواه الترمذى ، عن العباس بن عبد العظيم العَنْبَرىّ ، عن عبد الرزاق ، به [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾ .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى : أظلمت . وقال العوفى ، عنه : ذهبت ، وقال مجاهد : اضمحلّت وذَهَبت . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : غُوِّرت .

وقال الربيع بن خُثَيم : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى : رمى بها .

وقال أبو صالح : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : ألقيت . وعنه أيضا : نكست . وقال زيد بن أسلم : تقع فى الأرض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جَمعُ الشىء بعضه إلى [٢] بعض، ومنه تكوير العمامة [وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكاره ، وهى] [٣] جمع الثياب بعضها إلى[٤] بعض ، فمعنى قوله : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها [٥] .

---

(١) المسند (٢/٢٧) ، وسنن الترمذى برقم (٣٣٣٣) ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .

(٢) فى م :« على » .

(٣) زيادة من تفسير الطبرى .

(٤) فى م :« على » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/٤١) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بَجِيلة ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال :يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ، ويبعث الله ريحا دبوراً فتضرمها نارا . وكذا قال عامر الشعبى . ثم قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا أبو صالح ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبى مريم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، قال : « كورت فى جهنم » [١] .

وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا موسى بن محمد بن حَيَّان ، حدثنا دُرُسْتُ بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشى ، حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشمس والقمر ثوران [٢] عقيران فى النار » [٣] .

هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشى ضعيف ، والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخارى :

حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد الله الداناجُ ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » [٤] .

انفرد به البخارى وهذا لفظه ، وإنما أخرجه فى كتاب « بدء الخلق » ، وكان جديراً أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هى عادته فى أمثاله ! وقد رواه البزار فَجَوّد إيراده فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى ، حدثنا يونس بن محمد ،حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد ــ مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فَحدّث قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الشمس والقمر نوران فى النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : أحسبه قال : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروى عن أبى هُرَيرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث .

وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى : انتثرت ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] ، وأصل الانكدار : الانصباب .

قال الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ

---

(١) ورواه الديلمى فى مسنده ، كما فى الدر المنثور للسيوطى (٨/ ٤٢٦) .

(٢) فى م ،أ ، هـ :« نوران » ، والصواب بالثاء .

(٣) مسند أبى يعلى (١٤٨/٧) ، ورواه ابن حبان فى المجروحين (١/ ٢٩٣) من طريق درست بن زياد به ، وقال فى درست بن زياد : «كان منكر الحديث جداً ،لا يحل الاحتجاج بخبره.وروى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ، فذكر هذا الحديث » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٣٢٠٠) .

وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم فى بعض : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ قال : اختلطت ، ﴿ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ﴾ قال : أهملها أهلها ، ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجَّجُ ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

رواه ابن جرير [١] ــ وهذا لفظه ــ وابن أبى حاتم ، ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خُثَيم [٢] ، والحسن البصرى ، وأبو صالح ، وحماد بن أبى سليمان ، والضحاك فى قوله : ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ أى : تناثرت .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ أى : تغيرت . وقال يزيد ابن أبى مريم عن النبى ﷺ : ﴿ **وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ** ﴾ قال : « انكدرت فى جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو فى جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رضيا أن يُعبَدا لدخلاها » . رواه ابن أبى حاتم بالإسناد المتقدم .

وقوله : ﴿ **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ** ﴾ أى: زالت عن أماكنها ونُسِفت، فتركت الأرض قاعا صفصفا .

وقوله :﴿ **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** ﴾. قال عكرمة ، ومجاهد: عشار الإبل .قال مجاهد:﴿ **عُطِّلَتْ**﴾: تركت وسُيِّبت .

وقال أبى بن كعب ، والضحاك : أهملها أهلها : وقال الربيع بن خُثَيم [٣] : لم تحلب ولم تُصَرّ، تخلى منها أربابها .

وقال الضحاك : تركت لا راعى لها .

والمعنى فى هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل ــ وهى : خيارها والحوامل منها التى قد وَصَلَت فى حملها إلى الشهر العاشر ، واحدها [٤] : عُشَراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ــ قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شىء فيها ، بما دَهَمَهم من الأمر العظيم المُفظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل يكون ذلك يوم القيامة ، يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها . وقد قيل فى العشار : إنها السحاب يُعطَّل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا . و[قد] [٥] قيل : إنها الأرض التى تُعشَّر . وقيل : إنها الديار التى كانت تسكن تُعطَّل لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبى فى كتابه « التذكرة » ،ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلى أكثر الناس [٦] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٤١) .

(٢ ، ٣) فى أ :« خيثم » . (٤) فى م :« واحدتها » . (٥) زيادة من م .

(٦) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢١٢،٢١٣) .

قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ أى : جمعت . كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٨]. قال ابن عباس : يحشر كل شىء حتى الذباب . رواه ابن أبى حاتم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم [١] والسّدىّ ، وغير واحد . وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية : إن هذه الخلائق [موافية] [٢] فيقضى الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها : موتها .

وقال ابن جرير : حدثنى على بن مسلم الطوسى ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ قال : حَشرُ البهائم : موتها ، وحشر كل شىء الموت غيره [٣] الجن والإنس ، فإنهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ،عن أبى يعلى ،عن الربيع بن خُثَيم[٤]: ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ قال : أتى عليها أمر الله . قال سفيان : قال أبى : فذكرته لعكرمة ، فقال: قال ابن عباس : حشرها : موتها .

وقد تقدم عن أبىّ بن كعب أنه قال : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ : اختلطت .

قال ابن جَرير : والأولى قَولُ من قال : ﴿ **حُشِرَتْ** ﴾ : جُمعت ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً** ﴾ [ص:١٩] ، أى : مجموعة .

وقوله : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ ، قال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب قال : قال على ، رضى الله عنه ، لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال: البحر . فقال : ما أراه إلا صادقا . ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾ [الطور:٦] ، ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ﴾ [مُخَفَّفة][٥] [٦] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل الله عليها الدّبور فتسعرها ، وتصير ناراً تأجج ، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر ، حدثنى عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط ــ شيخٌ صَالح يُشبهُ مالكَ بن أنس ــ عن معاوية بن سعيد قال : إن هذا البحر بركة ــ يعنى بحر الرُّوم ــ وسط الأرض ، والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

---

(١) فى أ :« خيثم » . (٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م:« غير » .
(٤) فى أ :« خيثم » .
(٥) زيادة من تفسير الطبرى .
(٦) تفسير الطبرى (٣٠/٤٣) .

وهذا أثر غريب عجيب . وفى سنن أبى داود : « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا » الحديث ، وقد تقدم الكلام عليه فى سورة « فاطر » (١) .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ سُجِّرَت ﴾ : أوقدت . وقال الحسن : يبست . وقال الضحاك ، وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضا : ﴿ سُجِّرَت ﴾ فجرت . وقال السدى: فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خُثَيم (٢) : ﴿ سُجِّرَت ﴾ : فاضت .

وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن الصباح البزار ، حدثنا الوليد بن أبى ثور ، عن سِمَاك ، عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : الضرباء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٧ ــ ١٠] ، قال : هم الضرباء (٣) .

ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق أخر ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير أن عُمَر خطب الناس فقرأ : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فقال : تَزَوّجها : أن تؤلف (٤) كل شيعة إلى شيعتهم . وفى رواية : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار (٥) .

وفى رواية عن النعمان قال : سئل عمر عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فقال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ،ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار ، فذلك تزويج الأنفس .

وفى رواية عن النعمان أن عمر قال للناس : ما تقولون فى تفسير هذه الآية : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ؟ فسكتوا . قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ .

وقال العوفى ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : الأمثال من الناس جمع

---

(١) لم يتقدم الكلام على الحديث فى سورة « فاطر » ،وهو فى سنن أبى داود برقم (٢٤٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٢) فى أ : « خيثم » .

(٣) ورواه ابن مردويه فى تفسيره ، كما فى الدر المنثور (٨/ ٤٢٩) .

(٤) فى أ : « أن يؤلف الله » .

(٥) ورواه أبو بكر بن حمدان كما فى مسند عمر (٢/ ٦٢٠) للمؤلف من طريق خلف بن الوليد ، عن إسرائيل عن سماك بنحوه ،ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٢٨٤،٢٨٥) ،عن الثورى ، عن سماك ، عن النعمان ، وعن إسرائيل ،عن سماك ، عن النعمان ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥١٥) من طريق سفيان عن سماك ، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

بينهم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم [١] والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

قول آخر فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن أشعث [بن سوار] [٢] ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عاما ، فينبت منه كل خلق بلى ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض . قد نبتوا ، ثم تُرسَل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول الله تعالى [٣] : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبى ، والحسن البصرى أيضا فى قوله: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى : زوجت بالأبدان . وقيل : زوج المؤمنون بالحور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبى فى « التذكرة » [٤] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، هكذا قراءة الجمهور : ﴿ سُئِلَتْ ﴾ . والموؤودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموؤودة على أى ذنب قتلت ،ليكون ذلك تهديداً لقاتلها ، فإذا [٥] سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟ !

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت ﴾ أى : سألت . وكذا قال أبو الضحى : « سألت » أى : طلبت بدمها . وعن السدى ، وقتادة ، مثله[٦] .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموؤودة ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، حدثنى أبو الأسود ــ وهو : محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ــ عن عروة ، عن عائشة ، عن جُدَامة بنت وهب ــ أخت عكاشة ــ قالت حضرتُ رسولَ الله ﷺ فى ناس وهو يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلَة ، فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يُغيلُونَ أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا » . ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك الوأد الخفى ، وهو الموؤودة سئلت » .

ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ ــ وهو عبد الله بن يزيد ــ عن سعيد بن أبى أيوب[٧] . ورواه أيضا ابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن إسحاق السيلحينى ، عن يحيى بن أيوب[٨] . ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى، والنسائى ، من حديث مالك بن

---

(١) فى أ : « خيثم » .

(٢) زيادة من م .

(٣) فى م ، أ :« قول الله عز وجل » .

(٤) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٢١٣) .

(٥) فى م :« فإنه إذا » .

(٦) انظر : تفسير الطبرى (٣٠/ ٤٥) ، والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٤٣٣) .

(٧) المسند (٦/ ٤٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٤٢) .

(٨) سنن ابن ماجة برقم (٢٠١١) .

أنس ، ثلاثتهم عن أبى الأسود ، به[١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدى ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجُعْفى قال : انطلقتُ أنا وأخى إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، إن أمنا مليكة كانت تَصل الرحم وتقرى الضيف ، وتفعل [وتفعل][٢] هلكت فى الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : « لا » . قلنا : فإنها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية ، فهل ذلك نافعُها شيئا ؟ قال : « الوائدةُ والموؤودةُ فى النار ، إلا أن يدركَ الوائدةَ الإسلامُ ، فيعفو الله عنها » .

ورواه النسائى ،من حديث داود بن أبى هند ، به[٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى[٤]، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة وأبى الأحوص ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «الوائدة والموؤودة فى النار » [٥] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثتنى حسناء[٦] ابنة معاوية الصُّرَيمية ، عن عمها قال : قلت : يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال : « النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والموؤودة فى الجنة » [٧] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : قيل : يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال : « الموؤودة فى الجنة » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومنهم من قبله .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنى أبو عبد الله الظهرانى ، حدثنا حفص بن عمر العدنى ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين فى الجنة ، فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل[٨] : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ . قال ابن عباس: هى المدفونة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن سمَاك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب فى قوله: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . [بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] [٩] ﴾ ، قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية ، فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » . قال : يا رسول الله ، إنى صاحب إبل ؟ قال : « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » .

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٤٢) ، وسنن أبى داود برقم (٣٨٨٢) وسنن الترمذى برقم (٢٠٧٧) وسنن النسائى (٦/١٠٦) .

(٢) زيادة من م، أ والمسند .

(٣) المسند (٣/٤٧٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤٩) .

(٤) فى أ :« التبريذى » .

(٥) ورواه أبو داود فى السنن برقم (٤٧١٧) من طريق أبى إسحاق ، عن عامر ، عن علقمة ،عن ابن مسعود به ، ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ١١٤) من طريق أبى إسحاق ،عن الشعبي عن علقمة ،عن ابن مسعود ، به .

(٦) فى م، أ :« خنساء ».

(٧) المسند (٥/٥٨) .

(٨) فى م : « الله تعالى » .

(٩) زيادة من أ.

قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه إلا عن الحسين بن مهدى ، عنه[١] .

وقد رواه ابن أبى حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الظهرانى[٢] ـ فيما كتب إلى ـ قال : حدثنا عبد الرزاق . . . فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : « وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية » . وقال فى آخره : « فأهد إن شئت عن كل واحدة[٣] بدنة » . ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حُصَين قال : قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى وأدتُ اثنتى عشرة ابنةً لى فى الجاهلية ـ أو : ثلاث عشرة ـ قال[٤] : « اعتق عددهن نَسَما » . قال : فأعتق عددهن نسما ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال : يا رسول الله ، هذه صدقة قومى على أثر ما صنعت بالمسلمين . قال على بن أبى طالب : فكنا نريحها ، ونسميها القيسية [٥] .

وقوله : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ : قال الضحاك : أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله .

وقال قتادة : [صحيفتك] [٦] يا ابن آدم، تُملى فيها ، ثم تطوى ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر[٧] رجل ماذا يملى فى صحيفته .

وقوله : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ : قال مجاهد : اجتذبت . وقال السدى : كشفت . وقال الضحاك : تنكشط فتذهب .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ : قال السدى : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ : قال الضحاك ، وأبو مالك ، وقتادة ، والربيع بن خُثَيم[٨] أى: قربت إلى أهلها .

وقوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ ، هذا هو الجواب ، أى : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] . وقال تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن مُطَرِّف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، قال عمر : لما بلغ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ قال : لهذا أجرِىَ الحديثُ .

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٨٠) « كشف الأستار » .

(٢) فى م ، أ : « الطبرانى » . (٣) فى م : « واحدة منهن » . (٤) فى م : « فقال » .

(٥) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣٣٨/١٨) من طريق يحيى الحمانى، عن قيس بن الربيع به نحوه، والحمانى ضعيف لكنه توبع هنا.

(٦) زيادة من تفسير الطبرى (٤٦/٣٠) . مستفاداً من هامش ط . الشعب .

(٧) فى م : « فينظر » . (٨) فى أ : « خيثم » .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ .

روى مسلم فى صحيحه ، والنسائى فى تفسيره عند هذه الآية ، من حديث مِسْعر بن كِدَام ، عن الوليد بن سَرِيع ، عن عمرو بن حُرَيث قال : صليت خلف النبى ﷺ الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (١) .

ورواه النسائى عن بندار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبى الأسود ، عن عمرو بن حُرَيث ، به نحوه (٢) .

قال ابن أبى حاتم وابن جرير ، من طريق الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن على : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت خالد بن عرعرة ، سمعت عليا وسئل عن: ﴿لا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ فقال: هى النجوم ، تخنس بالنهار وتكنس بالليل (٣) .

وحدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن خالد ، عن علىّ قال : هى النجوم .

وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعرة ، وهو السهمى الكوفى ، قال أبو حاتم الرازى : روى عن على ، وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيبانى (٤) . ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا ، والله أعلم .

وروى يونس ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن على : أنها النجوم . رواه ابن أبى حاتم . وكذا رُوى عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسّدى ، وغيرهم : أنها النجوم .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هَوذة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن بكر بن عبد الله فى قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ قال :هى النجوم الدرارىّ ، التى تجرى تستقبل المشرق .

---

(١) صحيح مسلم برقم (٤٥٦) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥١) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٠) .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٤٧) .

(٤) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ٣٤٣) .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم : « الخنس » ، أى : فى حال طلوعها ، ثم هى جوار فى فلكها ، وفى حال غيبوبتها يقال لها : « كُنَّس » من قول العرب: أوى الظبى إلى كنَاسة: إذا تغيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ** ﴾ قال : بقر الوحش .

وكذا قال الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس** ﴾ ، ما هى يا عمرو ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرى ذلك .

وكذا روى يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسى ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: ﴿ **الْجَوَارِ الْكُنَّس** ﴾ قال : البقر [الوحش] (١) تكنس إلى الظل . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : هى الظباء . وكذا قال سعيد أيضا ، ومجاهد ، والضحاك .

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هى الظباء والبقر .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا مغيرة (٢) ، عن إبراهيم ومجاهد : أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس** ﴾ ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت. قال : فقال مجاهد : كنا نسمع فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس فى حُجْرتها . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على علىّ ، هذا كما رووا عن على أنه ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل .

وتوقف ابن جرير فى قوله : ﴿ **الْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس** ﴾ ، هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادا .

وقوله : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** ﴾ ، فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصرى : إذا غَشى الناس . وكذا قال عطية العوفى .

وقال على بن أبى طلحة ، والعوفى عن ابن عباس : ﴿ **إِذَا عَسْعَس** ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿ **إِذَا عَسْعَس** ﴾ أى : إذا ذهب فتولى .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البَخْتَرى ، سمع أبا عبد الرحمن السلمى قال : خرج علينا على ، رضى الله عنه ، حين ثَوّب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس** ﴾ ؟ هذا حين أدبر حسن .

---

(١) زيادة من م . (٢) فى أ: « سفيان » .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ : إذا أدبر . قال لقوله : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر [١] أيضا :

حَتّى إذا الصُّبحُ له تَنَفَّسا ... وانجابَ عَنها لَيلُها وعَسعَسَا

أى : أدبر . وعندى أن المراد بقوله: ﴿ عَسْعَسَ ﴾ : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله فى الإدبار ، لكن الإقبال هاهنا أنسب ؛ كأنه أقسم تعالى بالليل [٢] وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١ ، ٢]، وقال : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ١ ، ٢] ، وقال : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سكنا ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وغير ذلك من الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة « عسعس » تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن « عسعس » : دنا من أوله وأظلم. وقال الفراء : كان أبو البلاد [٣] النحوى يُنشد بيتاً :

عَسعَس حَتَّى لو يشاء ادّنا ... كانَ له من ضَوئه مَقبس

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال فى الدال . وقال الفراء : وكانوا يَـرَون أن هذا البيت مصنوع [٤] .

وقوله : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروى عن على ، رضى الله عنه .

وقال ابن جرير : يعنى : وَضَوءُ النهار إذا أقبل وتَبَيَّن .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعنى : إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم ، أى : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهى المنظر ، وهو جبريل ، عليه الصلاة والسلام . قاله ابن عباس ، والشعبى، وميمون بن مِهْران ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ كقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ [فَاسْتَوَىٰ] [٥] ﴾ [النجم: ٥ ، ٦] ، أى : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أى : له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح فى قوله : ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ قال : جبريل يدخل فى سبعين حجاباً من

(١) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٠) منسوبا إلى علقمة بن قرط.

(٢) فى م : « بالفجر » .

(٣) فى أ : « أبو التلاد » .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٠) .

(٥) زيادة من أ .

نور بغير إذن ، ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى .

قال قتادة : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : فى السموات ، يعنى : ليس هو من أفناء الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، مُعتَنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة .

وقوله :﴿ أَمِينٍ ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمداً ﷺ بقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ .

قال الشعبى ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ يعنى : محمداً ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ يعنى : ولقد رأى محمدٌ جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ أى : البين ، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء ، وهى المذكورة فى قوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٥ ــ ١٠] ، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره . والدليلُ أن المرادَ بذلك جبريل ، عليه السلام . والظاهر ــ والله أعلم ــ أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم: ١٣ ــ ١٦] ، فتلك إنما ذكرت فى سورة « النجم » ، وقد نزلت بعد [سورة] (١) الإسراء .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ أى : وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين ، أى : بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد ، أى : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عُيينة : ظنين وضنين سواء ، أى : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيبا ، فأنزله الله على محمد ، فما ضَنّ به على الناس ، بل بَلَّغه ونشره وبذله لكل من أراده . وكذا قال عكرمة ، وابن زيد، وغير واحد. واختار ابنُ جرير قراءة الضاد (٢).

قلت : وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ أى : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أى : لا يقدر على حمله ، ولا يريده، ولا ينبغى له . كما قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ــ ٢١٢] .

---

(١) زيادة من م .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٣) .

وقوله : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ ؟ أى : فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه جاء [١] من عند الله عز وجل ، كما قال الصديق ، رضى الله عنه ، لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة ، فقال : ويحكم ، أين يُذهَب بعقولكم [٢] ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ ، أى : من إله .

وقال قتادة : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ أى : عن كتاب الله وعن طاعته .

وقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أى : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون، ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ أى : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين ﴾ أى : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين .

قال سفيان الثورى ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل الله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين ﴾ [٣] .

آخر تفسير سورة « التكوير » ولله الحمد [والمنة] [٤]

---

(١) فى م « حقا » .
(٢) فى م : « أين تذهب عقولكم » .
(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (٥٣/٣٠) .
(٤) زيادة من م .

تفسير سورة الانفطار

وهى مكية .

قال النسائى : أخبرنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن محارب بن دثَار ، عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطوّل ، فقال النبى ﷺ : « أفتان يا معاذ ؟ ! [أفتان يا معاذ؟!] [١] أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ؟! » [٢] .

وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين[٣] ، ولكن ذُكرَ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ فى [٤] أفراد النسائى . وتقدم من رواية عبد الله بن عمر ، عن النبى ﷺ قال : « من سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى القيامة رأى عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ » [٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ .

يقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ أى : انشقت . كما قال : ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل:١٨] .

﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ أى : تساقطت .

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : فجر الله بعضها فى بعض . وقال الحسن : فجر الله بعضها فى بعض ، فذهب ماؤها . وقال قتادة : اختلط مالحها بعذبها . وقال الكلبى : ملئت .

﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾: قال ابن عباس : بُحِثَت. وقال السدى: تُبَعثر : تُحرّك فيخرج من فيها .

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ أى : إذا كان هذا حَصَل هذا .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ؟ : هذا تهديد ، لا كما يتوهمه بعض الناس

---

(١) زيادة من سنن النسائى .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٢) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٧٠٠،٧١١) وصحيح مسلم برقم (٤٦٥) .

(٤) فى م ،أ :« من» .

(٥) تقدم تخريج الحديث عند تفسير سورة التكوير ، وهو فى سنن الترمذى برقم (٣٣٣٣) .

من أنه إرشاد إلى الجواب ؛ حيث قال : ﴿ **الْكَرِيمِ** ﴾ ، حتى يقول قائلهم : غره كرمه . بل المعنى فى هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم ـ أى : العظيم ـ حتى أقدمت على معصيته ، وقابلته بما لا يليق ؟ كما جاء فى الحديث : « يقول الله يوم القيامة : ابن [١] آدم ، ما غرك بى ؟ ابن آدم ، ماذا أجبتَ المرسلين ؟ » .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان : أن عمر سمع رجلا يقرأ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ ، فقال عمر : الجهل [٢] .

وقال أيضا : حدثنا عمر بن شَبَّة ، حدثنا أبو خلف ، حدثنا يحيى البكاء ، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ قال ابن عمر: غره ـ والله ـ جهله.

قال : ورُوى عن ابن عباس ، والربيع بن خُثَيم [٣] ، والحسن ، مثلُ ذلك .

وقال قتادة : ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ : شىءٌ ، ما غرَّ ابن آدم غير هذا العدو الشيطان .

وقال الفضيل بن عياض : لو قال لى: « ما غرك بى [٤] » ، لقلت : سُتُورك المُرخاة .

وقال أبو بكر الوراق : لو قال لى: ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ لقلت : غرنى كرم الكريم .

قال البغوى : وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال: ﴿ **بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة[٥] .

وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل ؛ لأنه إنما أتى باسمه ﴿ **الْكَرِيم** ﴾ ؛ لينبه [٦] على أنه لا ينبغى أن يُقَابَل الكريم بالأفعال القبيحة ، وأعمال السوء .

و[قد] [٧] حكى البغوى ، عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية فى الأسود بن شَرِيق، ضرب النبى ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الراهنة ، فأنزل الله: ﴿ **مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾ ؟ [٨].

وقوله : ﴿ **الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ أى : ما غرك بالرب الكريم ﴿ **الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾ أى : جعلك سَوِيا معتدل القامة منتصبها ، فى أحسن الهيئات والأشكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا حَرِيزُ ، حدثنى عبد الرحمن بن مَيسرة ، عن جُبير ابن نُفَير ، عن بُسْر بن جِحَاش القرشى : أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه ، فوضع عليها إصبعه، ثم قال : « قال الله عز وجل : ابن [٩] آدم ، أنَّى تُعجِزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى

---

(١) فى م :« يا ابن » .

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٤٣٩) وعزاه لابن المنذر وسعيد بن منصور أيضا .

(٣) فى أ : « خيثم » .

(٤) فى أ :« بربك » .

(٥) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٥٦) .

(٦) فى أ : « للتنبيه » .

(٧) زيادة من م .

(٨) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٥٦) .

(٩) فى م : « يا ابن » .

إذا سَوّيتك وعدلتك ، مشيت بين بردين وللأرض منك وَئِيدٌ ، فجَمَعت ومَنعت ، حتى إذا بلغت التراقى قلتَ : أتصدقُ ، وأنَّى أوانُ الصدقة » .

وكذا رواه ابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن حَريز بن عثمان ، به [(١)] .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزِّى : وتابعه يحيى بن حمزة ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن ميسرة [(٢)] .

وقوله: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾: قال مجاهد : فى أى شَبَه أب أو أم أو خال أو عم ؟

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن سنان القزاز ، حدثنا مُطَهَّر بن الهيثم ، حدثنا موسى بنُ عُلَىِّ ابن رَبَاح ، حدثنى أبى ، عن جدى : أن النبى ﷺ قال له : « ما ولد لك ؟» قال : يا رسول الله، ما عسى أن يُولَد لى ؟ إما غلام وإما جارية . قال : « فمن يشبه ؟» . قال : يا رسول الله ، من عسى أن يشبه ؟ إما أباه وإما أمه . فقال النبى ﷺ عندها : « مه . لا تقولَنَّ هكذا ، إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ » [(٣)] قال : سَلَكك [(٤)] .

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى ، من حديث مُطهر بن الهيثم ، به [(٥)] . وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ، ولكن إسناده ليس بالثابت ؛ لأن « مُطَهَّر بن الهيثم » قال فيه أبو سعيد بن يونس : كان متروك الحديث . وقال ابن حبان : يُرْوى عن موسى بن على وغيره ما لا يُشبهُ حَديثَ الأثبات . ولكن فى الصحيحين عن أبى هُرَيرة أن رَجُلاً قال : يا رسول الله ، إن امرأتى وَلَدت غُلاماً أسودَ ؟ . قال : «هل لك من إبل ؟ » . قال : نعم . قال : « فما ألونها ؟ » قال : حُمر . قال : « فهل فيها من أورَق ؟ » قال : نعم . قال : « فأنى أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نَزَعة عِرْق . قال : «وهذا عسى أن يكون نزعة عرق » [(٦)] .

وقد قال عكرمة فى قوله : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ : إن شاء فى صورة قرد ، وإن شاء فى صورة خنزير . وكذا قال أبو صالح : إن شاء فى صورة كلب ، وإن شاء فى صورة حمار ، وإن شاء فى صورة خنزير .

وقال قتادة : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ ، قال : قادر ــ والله ــ ربنا على ذلك . ومعنى هذا القول عند هؤلاء : أن الله، عز وجل، قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات

(١) المسند (٤/ ٢١٠) وسنن ابن ماجة برقم (٢٧٠٧) وقال البوصيرى فى الزوائد (٢/ ٣٦٥) : « إسناد صحيح رجاله ثقات » .

(٢) تحفة الأشراف للمزى (٢/ ٩٧) .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٥) .

(٤) فى م : «شكلك » .

(٥) المعجم الكبير (٥/ ٧٤) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٣٠٥) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٠) .

المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام ، حَسَن المنظر والهيئة .

وقوله : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ أى : بل إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصى، تكذيب فى قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعنى : وإن عليكم لملائكةً حَفَظَة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح ، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطُّنَافسىّ ، حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ومِسْعَر ، عن علقمة بن مَرْثَد ، عن مجاهد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائط أو ببعيره ، أو ليستره أخوه » .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار ، فوصله بلفظ آخر ، فقال : حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن حفص بن سليمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم عن التعرِّى ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم ، الكرام الكاتبين ، الذين لا يُفَارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط ، والجنابة ، والغسل . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه ، أو بجرم حائط ، أو ببعيره » .

ثم قال : حفص بن سليمان لين الحديث ، وقد روى عنه ، واحتمل حديثه (١) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا مُبَشّر بن إسماعيل الحلبى ، حدثنا تمام ابن نَجِيح ، عن الحسن ــ يعنى البصرى ــ عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من حافظين يرفعان إلى الله، عز وجل، ما حفظا فى يوم ، فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفار إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » .

ثم قال : تفرد به تمام بن نجيح ، وهو صالح الحديث (٢).

قلت : وثقه ابن معين وضعفه البخارى ، وأبو زُرْعة ، وابن أبى حاتم والنسائى ، وابن عدى . ورماه ابن حبان بالوضع . وقال الإمام أحمد : لا أعرف حقيقة أمره .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالقُلُوسِى (٣) ، حدثنا بيان بن حمران (٤) ، حدثنا سلام ، عن منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ :« إن لله ملائكة (٥) يعرفون بنى آدم ــ وأحسبه قال :ويعرفون أعمالهم ــ فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسَمَّوه ، وقالوا : هلك الليلة فلان » .

---

(١) مسند البزار برقم (٣١٧) « كشف الأستار » .

(٢) مسند البزار برقم (٣٢٥٢) « كشف الأستار » .

(٣) فى مسند البزار :« الفلوسى » نسبة إلى الفلوس .

(٤) فى أ: « عمران » .

(٥) فى م:« إن ملائكة الله » .

ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائنى ، وهو لين الحديث [١] .

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) ﴾ .

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ،ولم يقابلوه بالمعاصى .

وقد روى ابن عساكر فى ترجمة « موسى بن محمد » ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس بن أبى إسحاق ، عن عبيد الله ، عن محارب ، عن ابن عمر ، عن النبى ﷺ قال : « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بَروا الآباء والأبناء » [٢] .

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ؛ ولهذا قال : **﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾** أى: يوم الحساب والجزاء والقيامة ، **﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾** أى : لا يغيبون عن العذاب ساعةً واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يوما واحدا .

وقوله : **﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾** تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكده بقوله : **﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾** ، ثم فسره بقوله : **﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾** أى: لا يقدر واحد [٣] على نفع أحد ولا خَلاصه مما هو فيه ، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

ونذكر هاهنا حديث : « يا بنى هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، لا أملك لكم من الله شيئا ». وقد تقدم فى آخر تفسير سورة « الشعراء » ؛ ولهذا قال : **﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾** ، كقوله : **﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾** [غافر:١٦] ، وكقوله : **﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾** [الفرقان:٢٦]، وكقوله: **﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾** [الفاتحة:٤] .

قال قتادة : **﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾** ، والأمر ــ والله ــ اليوم لله ، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد .

آخر تفسير سورة «الانفطار » ولله الحمد

---

(١) مسند البزار برقم (٢١٩٥) « كشف الأستار » .

(٢) تاريخ دمشق (١٧/ ٤٠٠ « المخطوط») .

(٣) فى أ :« أحد » .

تفسير سورة المطففين

وهى مدنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾.

قال النسائى وابن ماجة : أخبرنا محمد بن عقيل ـ زاد ابن ماجة : وعبد الرحمن بن بشر ـ قالا : حدثنا على بن الحسين بن واقد ، حدثنى أبى ، عن يزيد ـ هو ابن أبى سعيد النحوى ، مولى قريش ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم نبى الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، فحسَّنوا الكيلَ بعد ذلك [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا جعفر بن النضر بن حماد ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن هلال بن طلق قال : بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت : من أحسن الناس هيئةً وأوفاه كيلا ؟ أهل مكة أو المدينة ؟ قال : حق لهم ، أما سمعت الله يقول : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن عبد الله المكتب ، عن رجل ، عن عبد الله قال : قال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إن أهل المدينة ليوفون الكيل . قال : وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ حتى بلغ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

فالمراد بالتطفيف هاهنا : البَخْس فى المكيال والميزان ، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس ، وإما بالنقصان إن قَضَاهم . ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخَسَار والهَلاَك وهو الويل ، بقوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ أى : من الناس ﴿ يَسْتَوْفُونَ ﴾ أى : يأخذون حقهم بالوافى والزائد، ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ أى : ينقصون .والأحسن أن يجعل « كالوا » و«وزنوا» متعديا، ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضميرا مؤكدا للمستتر فى قوله :«كالوا »و « وزنوا»، ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه ، وكلاهما متقارب .

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٤) وسنن ابن ماجة برقم (٢٢٢٣) .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/٥٨) .

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بالوفاء فى الكيل والميزان ، فقال : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٣٥] ، وقال : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام:١٥٢] ، وقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٩] . وأهلك الله قوم شعيب ودَمَّرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى المكيال والميزان .

ثم قال تعالى متوعدا لهم : ﴿ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ؟ أى : أما يخافُ أولئك من البعث والقيام بين يَدَى من يعلم السرائر والضمائر ، فى يوم عظيم الهول ، كثير الفزع ، جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى : يقومون حفاة عراة غُرلاً ، فى موقف صعب حَرِج ضيق ضَنك على المجرم ، ويغشاهم من أمر الله ـ ما تَعْجزُ القوى والحواس عنه .

قال الإمام مالك : عن نافع ، عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » .

رواه البخارى ، من حديث مالك وعبد الله بن عون ، كلاهما عن نافع ، به [(١)] . ورواه مسلم من الطريقين أيضا . وكذلك رواه صالح [وثابت بن كيسان] [(٢)] وأيوب بن يحيى ، وعبد الله وعبيد الله ابنا عمر ، ومحمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر ، به [(٣)] .

ولفظ الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : لعظَمة الرحمن عز وجل يوم القيامة، حتى إن العرقَ ليُلجِمُ الرجالَ إلى أنصاف آذانهم» [(٤)] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق ،حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنى سليم بن عامر ، حدثنى المقداد ـ يعنى ابن الأسود الكندى ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا كان يومُ القيامة أدنيَت الشمس من العباد ، حتى تكون قيدَ ميل أو ميلين ، قال : فتصهرهم الشمس ، فيكونون فى العَرق كقَدْر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عَقِبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ،ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيه ، ومنهم من يلجمه إلجاما » .

رواه مسلم ، عن الحكم بن موسى ، عن يحيى بن حمزة ـ والترمذى ، عن سويد ، عن ابن المبارك ـ كلاهما عن ابن جابر ، به [(٥)] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن سوَّار ، حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية

---

(١) صحيح البخارى برقم (٢٨٦٢،٦٥٣١) .

(٢) زيادة من أ .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٢) .

(٤) المسند (٢/ ٣١) .

(٥) المسند (٦/ ٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٤) وسنن الترمذى برقم (٢٤٢١) .

ابن صالح : أن أبا عبد الرحمن حدثه ،عن أبى أمامة : أن رسول الله ﷺ قال :« تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ، ويزاد فى حرها كذا وكذا ، تغلى منها الهوام كما تغلى القدور ، يُعرَقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » . انفرد به أحمد (١) .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لَهِيعة ، حدثنا أبو عُشَّانة حَى بن يُؤمِنُ ، أنه سمع عقبة بن عامر يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عَقِبيه ، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ، ومنهم من يبلغ العَجُز ، ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه ــ وأشار بيده فألجمها فاه ، رأيت رسول الله ﷺ يشير هكذا ــ ومنهم من يغطيه عرقه». وضرب بيده إشارة . انفرد به أحمد (٢) .

وفى حديث : أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون . وقيل : يقومون ثلاثمائة سنة . وقيل : يقومون أربعين ألف سنة . ويقضى بينهم فى مقدار عشرة (٣) آلاف سنة ، كما فى صحيح مسلم عن أبى هُرَيرة مرفوعا : «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٤) .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ،حدثنا أبو عون الزيادى ، أخبرنا عبد السلام بن عَجْلان ، سمعت أبا يزيد المدنى ، عن أبى هريرة (٥) قال : قال النبى (٦) ﷺ لبشير(٧) الغفارى : « كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين ، من أيام الدنيا ، لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر ؟ » . قال بشير :المستعان الله .قال : « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كَرْب يوم القيامة ،وسوء الحساب » .

ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام ، به (٨).

وفى سنن أبى داود : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة (٩) .

وعن ابن مسعود : يقومون أربعين سنة رافعى رؤوسهم إلى السماء ، لا يكلمهم أحد ، قد ألجم العرق بَرّهم وفاجرهم .

وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة . رواهما ابن جرير (١٠) .

وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجة ، من حديث زيد بن الحباب ، عن معاوية بن صالح ،

---

(١) المسند (٥/ ٢٥٤) .

(٢) المسند (١٥٧/٤) .

(٣) فى أ:«عدة » .

(٤) صحيح مسلم برقم(٩٨٧) .

(٥) فى م :« عن أبى هريرة مرفوعا » . (٦) فى م ، أ : « قال رسول الله » . (٧) فى أ :« لبشر » .

(٨) تفسير الطبرى (٥٩/٣٠) .

(٩) سنن أبى داود برقم (٧٦٦) من حديث عائشة رضى الله عنها .

(١٠) تفسير الطبرى (٥٩/٣٠) .

عن أزهر بن سعيد الحوارى ، عن عاصم بن حميد ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ، ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : « اللهم اغفر لى واهدنى ، وارزقنى وعافنى » . ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة [(١)] .

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) ﴾ .

يقول : حقا ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ أى : إن مصيرهم ومأواهم لفى سجين ـ فعيل من السِّجن ، وهو الضيق ـ كما يقال : فسّيق وشرّيب وخمّير وسكّير ، ونحو ذلك . ولهذا عظم أمره فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ؟ أى : هو أمر عظيم ، وسجن مقيم وعذاب أليم .

ثم قد قال قائلون : هى تحت الأرض السابعة . وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب ، فى حديثه الطويل : يقول الله عز وجل فى روح الكافر : اكتبوا كتابه فى سجين .

وسجين : هى تحت الأرض السابعة . وقيل : صخرة تحت السابعة خضراء . وقيل : بئر فى جهنم .

وقد روى ابن جرير فى ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطى، حدثنا مسعود بن موسى بن مُشكان الواسطى ، حدثنا نَصر بن خُزَيمة الواسطى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « الفلق : جب فى جهنم [(٢)] مغطى ، وأما سجين فمفتوح » [(٣)] .

والصحيح أن « سجينا » مأخوذ من السِّجن ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق ،وكل ما تعالى منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها ، حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة . ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل السافلين ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [التين:٥،٦] . وقال هاهنا : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ، وهو يجمع الضيق والسفول ، كما قال :

---

(١) سنن أبى داود برقم (٧٦٦) وسنن النسائى (٣/٢٠٨) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٥٦) .

(٢) فى م :« فى وادى جهنم » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٦١) .

﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٣] .

وقوله : ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ ليس تفسيرا لقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ ، وإنما هو تفسير (١) لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أى : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد ؛ قاله محمد بن كعب القرظى .

ثم قال : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السِّجن والعذاب المهين . وقد تقدم الكلام على قوله :﴿ وَيْلٌ ﴾ بما أغنى عن إعادته ، وأن المراد من ذلك (٢) الهلاك والدمار ، كما يقال : ويل لفلان .وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بَهْز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدة ، عن أبيه ، عن جده قال :قال رسول الله ﷺ : « ويل للذى يُحَدِّث فيكذب ، ليضحكَ الناس ،ويل له ، ويل له »(٣) .

ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة : ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى : لا يصدقون بوقوعه ، ولا يعتقدون كونه ،ويستبعدون أمره . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أى : معتد فى أفعاله ؛ من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح والأثيم (٤) فى أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ أى : إذا سمع كلام الله من الرسول ، يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين ﴾ [النحل: ٢٤] ، وقال : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفرقان: ٥] ، قال الله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أى : ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّيْن الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. والرين يعترى قلوبَ الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجة من طرق ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب منها صُقِل قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » (٥) .

وقال الترمذى : حسن صحيح. ولفظ النسائى : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكت فى قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه ، فهو الران الذى قال

(١) فى م : « تقرير » . (٢) فى أ :« ذلك أنه » .
(٣) المسند (٥/ ٥، ٧) وسنن أبى داود برقم (٤٩٩٠) وسنن الترمذى برقم (٢٣١٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٥) .
(٤) فى أ: « والإثم ».
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٦٢) وسنن الترمذى برقم (٣٣٣٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٨) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٤) .

الله : ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » .

وقال أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، أخبرنا ابن عَجْلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه ، فإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ » [١] .

وقال الحسن البصرى : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب ، فيموت . وكذا قال مجاهد ابن جبر وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أى : لهم يوم القيامة مَنزلٌ ونزل سجين ، ثم هم يوم القيامة مع [٢] ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

قال الإمام أبو عبد الله الشافعى : [فى] [٣] هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ [٤] .

وهذا الذى قاله الإمام الشافعى ، رحمه الله ، فى غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] . وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح [٥] المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار فى عَرَصات القيامة ، وفى روضات الجنات الفاخرة .

وقد قال ابن جرير [محمد بن عمار الرازى] [٦] : حدثنا أبو معمر المِنْقَرىّ ، حدثنا عبد الوارث ابن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن فى قوله: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ، قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون . كُلّ يوم غدوة وعشية ـ أو كلاما هذا معناه .

قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴾ أى : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ، ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى : يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ ، والتصغير والتحقير .

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ

(١) المسند (٢/ ٢٩٧) .
(٢) فى م:« بعد » .
(٣) زيادة من م ، أ .
(٤) رواه البيهقى فى مناقب الشافعى (١/ ٤١٩) .
(٥) فى م : « الصحيحة » .
(٦) زيادة من م ، أ .

الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾ .

يقول تعالى : حقا ﴿ **إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ** ﴾ وهم بخلاف الفجار ، ﴿ **لَفِي عِلِّيِّينَ** ﴾ أى : مصيرهم إلى عليين ، وهو بخلاف سجين .

فال الأعمش ، عن شَمِر بن عطية ، عن هلال بن يَسَاف قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين ، قال : هى الأرض السابعة ، وفيها أرواح الكفار . وسأله عن علّيين فقال : هى السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين . وهكذا قال غير واحد : إنها السماء السابعة .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ** ﴾ يعنى : الجنة .

وفى رواية العَوفى ، عنه : أعمالهم فى السماء عند الله . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : عليون : ساق العرش اليمنى . وقال غيره : عليون عند سدرة المنتهى .

والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشىء وارتفع عظم واتسع ؛ ولهذا قال معظما أمره ومفخما شأنه : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ** ﴾ . ثم قال مؤكدا لما كتب لهم : ﴿**كِتَابٌ مَّرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ ، وهم الملائكة ، قاله قتادة .

وقال العَوْفى ، عن ابن عباس : يشهده من كل سماء مقربوها .

ثم قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾ أى : يوم القيامة هم فى نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل عميم ، ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ** ﴾ وهى : السرر تحت الحِجَال ، ﴿ **يَنظُرُونَ** ﴾ قيل : معناه : ينظرون فى مُلكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذى لا ينقضى ولا يبيد . وقيل : معناه ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ إلى الله عز وجل . وهذا مقابلة [1] لما وُصف به أولئك الفجار : ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم ، كما تقدم فى حديث ابن عمر : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله فى اليوم مرتين » [2] .

وقوله : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ أى : تعرف إذا نظرت إليهم فى وجوههم نضرة النعيم ، أى : صفة الترافة والحشمة والسرور والدِّعة والرياسة ؛ مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله : ﴿ **يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ** ﴾ أى : يسقون من خمر من الجنة . والرحيق : من أسماء الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ،والحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن سعد [3] أبى المجاهد الطائى ، عن عطية بن سعد العوفى ، عن أبى سعيد الخدرى ــ أراه قد رفعه إلى النبى ﷺ ــ قال : « أيما مؤمن سقى

---

(١) فى أ : « مقابل » .

(٢) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ من سورة القيامة .

(٣) فى أ : « عن سعيد » .

مؤمنا شربة [١] على ظمأ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم . وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة . وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عُرى ، كساه الله من خُضر الجنة» [٢].

وقال ابن مسعود فى قوله : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أى : خلطه مسك .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شىء جعل فيها مسك ، خُتِم بمسك . وكذا قال قتادة والضحاك .

وقال إبراهيم والحسن : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أى : عاقبته مسك .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن أبى الدرداء : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال : شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم. ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها [٣].

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال : طيبه مسك .

وقوله : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ أى : وفى مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون ، وليتباهى ويكاثر [٤] ويستبق إلى مثله المستبقون. كقوله: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦١].

وقوله : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ أى : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم ، أى : من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه . قاله أبو صالح والضحاك ؛ ولهذا قال : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أى : يشربها المقربون صِرْفاً، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين مَزجاً . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وقتادة ، وغيرهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾ .

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا فى الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أى : يستهزئون بهم ويحتقرونهم [٥] ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أى : محتقرين لهم ، ﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ أى : إذا انقلب ، أى : رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ،

---

(١) فى م : « شربة ماء » .

(٢) المسند (٣/ ١٣) وعطية العوفى ضعيف .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٦٨) .

(٤) فى م ، أ : « ويتكاثر » .

(٥) فى أ : « يحقرونهم ».

أى : مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ، ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أى : لكونهم على غير دينهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ أى : وما بُعث هؤلاء المجرمون [١] حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٨ـ١١١].

ولهذا قال هاهنا : ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يعنى : يوم القيامة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ أى : فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك ، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ أى : إلى الله عز وجل ، فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ،ليسوا بضالين ، بل هم من أولياء الله المقربين ، ينظرون إلى ربهم فى دار كرامته .

وقوله : ﴿ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ؟ أى : هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعنى : قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

آخر [تفسير سورة] [٢] « المطففين »

---

(١) فى أ : « المجرمين » وهو خطأ .

(٢) زيادة من أ .

تفسير سورة الانشقاق

وهى مكية .

قال مالك ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبى سلمة : أن أبا هريرة قرأ بهم : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها . رواه مسلم والنسائى ، من طريق مالك ، به [(١)] .

وقال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبى رافع قال : صليت مع أبى هُرَيرة العتمة فقرأ : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ ، فسجد ،فقلت له ، قال :سجدتُ خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه [(٢)] .

ورواه أيضا عن مسدد ، عن معتمر ، به . ثم رواه عن مسدد ، عن يزيد بن زُرَيع ، عن التيمى، عن بكر ، عن أبى رافع ، فذكره[(٣)] . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى من طرق ، عن سليمان بن طِرْخان التيمى ، به [(٤)] . وقد روى مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عُيَينة ـ زاد النَّسائى : وسفيان الثورى ـ كلاهما عن أيوب بن موسى ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبى هريرة قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ فى ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ و ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ** ﴾ [(٥)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ وذلك يوم القيامة ، ﴿ **وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا** ﴾ أى : استمعت لربها

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٠) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٧٦٦) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٧٦٨) .

(٤) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٨) وسنن النسائى (٢/ ١٦١) .

(٥) صحيح مسلم برقم (٥٧٨) وسنن أبى داود برقم (١٤٠٧) وسنن الترمذى برقم (٥٧٣) وسنن النسائى (٢/ ١٦٢) .

وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أى : وحق لها أن تطيع أمره ؛ لأنه العظيم الذى لا يُمانَع ولا يغالب ،بل قد قهر كل شىء وذل له كلّ شىء .

ثم قال : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى : بُسطت وفرشت وَوُسِّعَت .

قال ابن جرير ، رحمه الله : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن [١] ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن على بن الحسين : أن النبى ﷺ قال : « إذا كان يومُ القيامة مَدَّ الله الأرض مَدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها ، فأقول : يا رب ،إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى ؟ فيقول الله عز وجل: صدق. ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك فى أطراف الأرض . قال : وهو المقام المحمود » [٢] .

وقوله : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أى : ألقت ما فى بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ،وسعيد ، وقتادة ، ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ كما تقدم .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أى : ساع إلى ربك سعيا ، وعامل عملا ، ﴿ فَمُلاقِيهِ ﴾ ، ثم إنك ستلقى ما عملتَ من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسى ، عن الحسن بن جعفر ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « قال جبريل : يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه،واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» [٣].

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله: ﴿ رَبِّكَ﴾ أى : فملاق [٤] ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك . وعلى هذا فكلا القولين متلازم .

قال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ يقول : تعمل عملا تلقى الله به ،خيرا كان أو شرا .

وقال قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ : إن كدحك ــ يا ابن آدم ــ لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ أى : سهلا بلا تعسير ، أى: لا يحقق عليه جَميعُ دقائق أعماله ؛ فإن من حوسب كذلك يهلك [٥] لا محالة .

---

(١) فى أ : « حدثنا أبو » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٢) ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (١/ ٣٢٨) ومن طريقه الطبرى فى تفسيره (١٥/ ٩٩) عن معمر ، عن الزهرى، عن على بن الحسين به مرسلاً ، ورواه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ١٤٥) من طريق محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى، عن على بن الحسين ، عن رجل من أهل العلم به ، وقال : « صحيح تفرد بهذه الألفاظ على بن الحسين لم يروه عنه إلا الزهرى ولا عنه إلا إبراهيم بن سعد ، وعلى بن الحسين هو أفضل وأتقى من أن يروه عن رجل لا يعتمده فينسبه إلى العلم ويطلق القول به». وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/ ٤٠٠) : « رجاله ثقات ، وهو صحيح إن كان الرجل صحابياً » . لكن الحديث له علة وهى الاختلاف على الزهرى فى اسم الصحابى ، فرواه الحاكم فى المستدرك (٥/ ٥٧٠) من طريق إبراهيم بن حمزة الزبيرى ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن على بن حسين ، عن جابر مرفوعاً بنحوه ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) مسند الطيالسى برقم (١٧٥٥) .

(٤) فى م : « أى ملاق » .

(٥) فى م ، أ : « كذلك هلك » .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نُوقش الحساب عُذِّب » . قالت : فقلت : أليس قال الله : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ ، قال : « ليس ذاك بالحساب ،ولكن ذلك العَرْض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » .

وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير ، من حديث أيوب السختيانى ، به[١] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وَكيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو عامر الخَزَاز ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :« إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » . فقلت : أليس الله يقول : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ ، قال : « ذاك العرض ، إنه من نُوقش الحساب عُذب » ، وقال بيده على إصبعه كأنه يَنكُتُ .

وقد رواه أيضا عن عمرو بن على ، عن ابن أبى عدى ، عن أبى يونس القُشَيرى ، عن ابن أبى مُلَيْكة ، عن القاسم ، عن عائشة ، فذكر الحديث [٢] . أخرجاه من طريق أبى يونس القُشَيرى ، واسمه حاتم بن أبى صغيرة [٣]، به [٤] .

قال ابن جرير : حدثنا نصر بن على الجهضمى ، حدثنا مسلم ، عن الحريش بن الخَرِّيت أخى الزبير ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة قالت : من نُوقِش الحساب ــ أو : من حُوسِب ــ عُذِّبَ . قال : ثم قالت : إنما الحسابُ اليسيرُ عَرَض على الله عز وجل وهو يراهم [٥] .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى عبد الواحد بن حمزة بن [٦] عبد الله بن الزبير ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نُوقِش الحسابَ يا عائشةُ يومئذ هَلَكَ » . صحيح على شرط مسلم [٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى : ويرجع إلى أهله فى الجنة . قاله قتادة ، والضحاك ، ﴿ مَسْرُورًا ﴾ أى : فرحانَ مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل .

وقد روى الطبرانى عن ثوبان ــ مولى رسول الله ﷺ ــ أنه قال : إنكم تعملون أعمالا لا تعرف، ويوشك العازب [٨] أن يثوب إلى أهله ، فمسرور ومكظوم[٩] .

---

(١) المسند (٦/ ٤٧) وصحيح البخارى برقم (٤٩٣٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦) وسنن الترمذى برقم (٣٣٣٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٩) وتفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .

(٣) فى أ : « صفرة » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٣٩) وصحيح مسلم برقم (٢٨٧٦) .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٧٤) .

(٦) فى م : « عن » .

(٧) المسند (٦/ ٤٨) .

(٨) فى م ، أ، هـ : « العارف » والمثبت من المعجم الكبير .

(٩) المعجم الكبير (٢/ ٩٤) من طريق يحيى الحمانى ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عبد الله الشامى ، عن عائذ الله ، عن ثوبان به مرفوعاً ، ويحيى الحمانى ضعيف .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ أى : بشماله من وراء ظهره ، تُثْنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ، ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ أى: خسارا وهلاكا ، ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أى : فرحا لا يفكر فى العواقب ،ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أى : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحَوْرُ : هو الرجوع . قال الله : ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ يعنى : بلى سيعيده الله كما بدأه ،ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه ﴿ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ أى : عليما خبيرا .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) ﴾ .

رُوى عن على ، وابن عباس ، وعُبادة بن الصامت ، وأبى هُرَيرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، ومحمد بن على بن الحسين ، ومكحول ،وبكر بن عبد الله المزنى ، وبُكَيْر [(١)] بن الأشج ، ومالك ، وابن أبى ذئب ، وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجَشُون أنهم قالوا : الشفق : الحمرة .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم [(٢)] ، عن ابن لبيبة ، عن أبى هُرَيرة قال : الشفق: البياض [(٣)] .

فالشفق هو : حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس ــ كما قاله مجاهد ــ وإما بعد غروبها ــ كما هو معروف[(٤)] عند أهل اللغة .

قال الخليل بن أحمد : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فإذا ذهب قيل : غاب الشفق .

وقال الجوهرى : الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرتُها فى أول الليل إلى قريب من العَتَمَة .

وكذا قال عكرمة : الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء .

وفى صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وقت المغرب ما لم يغب الشفق » [(٥)] .

ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه

(١) فى أ : « وبكر » . (٢) فى أ : « خيثم » .
(٣) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٢) .
(٤) فى م : « كما هو المعروف » .
(٥) صحيح مسلم برقم (٦١٢) .

قال فى هذه الآية : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ : هو النهار كله. وفى رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق : الشمس . رواهما ابن أبى حاتم .

وإنما حمله على هذا قَرْنهُ بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أى : جمع . كأنه أقسم بالضياء والظلام .

وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبراً ، وبالليل مقبلا . قال ابن جرير : وقال آخرون : الشفق اسم للحمرة والبياض . وقالوا : هو من الأضداد [١].

قال ابن عباس ، ومجاهد ،والحسن ،وقتادة : ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ : وما جمع . قال قتادة : وما جمع من نجم ودابة .واستشهد ابن عباس بقول الشاعر [٢] :

مُستَوسقات لو تَجِدْنَ سَائقا

قد قال عكرمة : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه .

وقوله : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ : قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومسروق ، وأبو صالح ،والضحاك ،وابن زيد .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ : إذا استوى . وقال الحسن : إذا اجتمع ،إذا امتلأ . وقال قتادة : إذا استدار .

ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلا لليل وما وسق .

وقوله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : قال البخارى : أخبرنا سعيد بن النضر ، أخبرنا هُشَيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال ـ قال هذا نبيكم ﷺ .

هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ [٣] ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى ﷺ ، كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم ﷺ ، فيكون قوله : « نبيكم » مرفوعا على الفاعلية من « قال » وهو الأظهر ، والله أعلم ، كما قال أنس: لا يأتى عام إلا والذى بعده شَرٌّ منه ، سمعته من نبيكم ﷺ .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب بن إبراهيم ،حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ؛ أن ابن عباس كان يقول : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : يعنى نبيكم ﷺ ، يقول : حالا بعد حال . هذا لفظه [٤] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٧٦) .

(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/٧٦) وقد ذكره المبرد فى الكامل :

إن لنا قلائصاً حقائقاً   مستوسقات لو يجدن سائقاً

وهو منسوب لابن صرمة .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٠) .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/٧٨) .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومُرَة الطّيِّب ، ومجاهد ، والحسن ، والضحاك [ومسروق وأبو صالح] [١] .

ويحتمل أن يكون المراد : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال . قال : هذا ، يعنى المراد بهذا نبيكم ﷺ ، فيكون مرفوعا على أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبرا ، والله أعلم . ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة ،كما قال أبو داود الطيالسى وغُنْدَر : حدثنا شعبة، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : محمد ﷺ . ويؤيد هذا المعنى قراءةُ عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعامة أهل مكة والكوفة : « لَتَرْكَبَنّ» بفتح التاء والباء .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ،حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : لتركَبن يا محمد سماء بعد سماء . وهكذا رُوى عن ابن مسعود، ومسروق ، وأبى العالية : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : سماء بعد سماء .

قلت : يعنون ليلة الإسراء .

وقال أبو إسحاق ، والسدى [٢] ، عن رجل ، عن ابن عباس : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : منزلا على منزل . وكذا رواه العوفى ، عن ابن عباس مثله ـ وزاد :«ويقال : أمرا بعد أمر ،وحالا بعد حال».

وقال السدى نفسُه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل .

قلت : كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : « لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، حَذْو القُذَّة بالقُذَّة ، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه » . قالوا: يا رسول الله،اليهود والنصارى؟ قال:« فمن؟ » [٣] . وهذا محتمل .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا ابن جابر ،أنه سمع مكحولا يقول فى قول الله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : فى كل عشرين سنة ،تحدثون أمرا لم تكونوا عليه .

وقال الأعمش : حدثنى إبراهيم قال : قال عبد الله : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : السماء تنشق ثم تحمر ،ثم تكون لونا بعد لون .

وقال الثورى ، عن قيس بن وهب ، عن مرة ، عن ابن مسعود : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : السماء مَرةً كالدهان ، ومرة تنشق .

وروى البزار من طريق جابر الجعفى ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ ، يا محمد ، يعنى حالا بعد حال . ثم قال : ورواه جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

---

(١) زيادة من م . (٢) فى م : « عن السدى » .

(٣) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ٣٤ من سورة التوبة .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : قوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا فى الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا فى الدنيا ،فاتضعوا فى الآخرة .

وقال عكرمة :﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ : حالا بعد حال ، فطيماً بعد ما كان رضيعاً ، وشيخاً بعد ما كان شاباً .

وقال الحسن البصرى : ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ يقول : حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ،وسَقَما بعد صحة .

وقال ابن أبى حاتم :ذكر عن عبد الله بن زاهر :حدثنى أبى ، عن عمرو بن شَمر ، عن جابر ــ هو الجعفى ــ عن محمد بن على ،عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن ابن آدم لفى غفلة مما خُلِقَ له ؛ إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه مَلَكا فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حَضَره الموتُ ارتفع ذانك الملكان ،وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح فى جسده ، ثم ارتفع ملك الموت ، وجاءه مَلَكا القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ، ثم حضرا معه : واحدٌ سائقا وآخر شهيدا » ، ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ [ق:٢٢] . قال رسول الله ﷺ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ قال : « حالا بعد حال » . ثم قال النبى ﷺ : « إن قدامكم لأمرا عظيما لا تَقدرُونه ، فاستعينوا بالله العظيم » (١) .

هذا حديث منكر ،وإسناده فيه ضعفاء ،ولكن معناه صحيح ،والله ــ سبحانه وتعالى ــ أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس فى هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لَتَرْكَبَنّ أنت ــ يا محمد ــ حالا بعد حال وأمراً بعد أمر من الشَّدَائد . والمراد بذلك ــ وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ مُوَجَّها (٢) ــ جَميعَ الناس ، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً (٣) .

وقوله : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ ﴾ أى : فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن (٤) وكلامه ــ وهو هذا القرآن ــ لا يسجدون إعظاما وإكراماً واحتراما ؟

وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ أى : من سجيتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ : قال مجاهد وقتادة : يكتمون فى صدورهم .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٧/ ٦٠٠) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبى حاتم وأبو نعيم فى الحلية .

(٢) فى م : « متوجهاً » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٠) .

(٤) فى أ : « آيات الله » .

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى: فأخبرهم ــ يا محمد ــ بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما .

وقوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ : هذا استثناء منقطع ، يعنى لكن الذين آمنوا ــ أى : بقلوبهم ــ وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أى : فى الدار الآخرة .

﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : قال ابن عباس : غير منقوص . وقال مجاهد ،والضحاك : غير محسوب .

وحاصل قولهما أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] . وقال السدى : قال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : غير منقوص . وقال بعضهم : ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة ،وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم ، فله عليهم المنة دائما سرمداً ، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

آخر تفسير سورة « الانشقاق » ولله الحمد

تفسير سورة البروج

وهى مكية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا رُزَيق بن أبى سلمى ، حدثنا أبو المهزّم ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق [(١)] .

وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد ـ مولى بنى [(٢)] هاشم ـ حدثنا حماد بنُ عباد السدوسى ، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات فى العشاء [(٣)] . تفرد به أحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ .

يقسم الله بالسماء وبروجها ، وهى : النجوم العظام ، كما تقدم بيان ذلك فى قوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى : البروج : النجوم . وعن مجاهد أيضا : البروج التى فيها الحرس .

وقال يحيى بن رافع : البروج : قصور فى السماء . وقال المِنْهَال بن عمرو : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ : الخلق الحسن .

واختار ابن جرير أنها : منازل الشمس والقمر ، وهى اثنا عشر برجا ، تسير الشمس فى كل واحد منها شهراً ، ويسير القمر فى كل واحد يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة [(٤)] ، ويستسرّ ليلتين .

---

(١) المسند (٢/٣٢٦) .

(٢) فى م : « مولى ابن » .

(٣) المسند (٢/٣٢٧) .

(٤) فى م : « منزلاً » .

وقوله: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ :اختلف المفسرون فى ذلك،وقد قال ابن أبى حاتم:

حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى [١] ، حدثنا عُبَيد الله ــ يعنى ابن موسى ــ حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَشَاهِدٍ ﴾ يوم الجمعة . وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه ، ﴿ وَمَشْهُودٍ ﴾ يوم عرفة » [٢] .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خُزَيمة ، من طرق عن موسى بن عُبَيدة الربذى ــ وهو ضعيف الحديث ــ وقد روى موقوفا على أبى هريرة ، وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت على بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار ــ مولى بنى هاشم ــ عن أبى هريرة ــ أما علىّ فرفعه إلى النبى ﷺ ، وأما يونس فلم يَعْدُ أبا هريرة ــ أنه قال فى هذه الآية : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال : يعنى الشاهدَ يومُ الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة [٣] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس ، سمعت عماراً ــ مولى بنى هاشم ــ يحدث عن أبى هريرة وأنه قال فى هذه الآية : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة [٤] .

وقد رُوى عن أبى هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون فى ذلك ، ولله الحمد .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثنى أبى ، حدثنا ضَمْضَم بن زُرْعَة ، عن شُرَيح بن [٥] عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا» [٦] .

ثم قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازى ، حدثنا ابن أبى فُدَيْك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسَيَّب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهدُ ، والمشهود يوم عرفة » [٧] .

---

(١) فى أ : « المقرئ ».

(٢) ورواه الترمذى فى السنن برقم (٣٣٣٩) من طريق روح بن عبادة وعبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة به نحوه ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف فى الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره » .

(٣) المسند (٢/٢٩٨) ووقع فيه : « يعنى الشاهد يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة » .

(٤) المسند (٢/٢٩٨،٢٩٩) .

(٥) فى أ : « عن » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٢) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣/٢٩٨) عن هاشم بن مرثد ، عن محمد بن إسماعيل به ، وفيه ضعف وانقطاع ، وقد تقدم هذا الإسناد مراراً .

(٧) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٢) .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيَّب ، ثم قال ابن جرير :

حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف المكى ، عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [هود:١٠٣] [١] .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك قال : سأل رجل الحسن بن على عن: ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ قال :سألت أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ . ثم قرأ : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء:٤١] ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [٢] .

وهكذا قال الحسن البصرى . وقال سفيان الثورى ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : ﴿**وَمَشْهُودٍ** ﴾ يوم القيامة .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك : الشاهد : ابن آدم ، والمشهود : يوم القيامة .

وعن عكرمة أيضا : الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم الجمعة .

[وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الشاهد : الله ، والمشهود : يوم القيامة] [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن ، حدثنا سفيان ، عن أبى يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ قال : الشاهد : الإنسان . والمشهود : يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، عن ابن عباس : ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة .

وبه عن سفيان ــ هو الثورى ــ عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة ، يعنى الشاهد والمشهود .

قال ابن جرير : وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة . ورووا فى ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنى عمى عبد الله بن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نُسَىّ ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا علىَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة » [٤] .

وعن سعيد بن جبير : الشاهد : الله ، وتلا ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:٧٩] ، والمشهود :

(١ ، ٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٣) .

(٣) زيادة من م ، أ ، والطبرى .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٤) .

نحن . حكاه البغوى ، وقال : الأكثرون على أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وقوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ أى : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه : أخاديد ، وهى الحفير فى الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ، عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحفروا لهم فى الأرض أخدُوداً وأججوا فيه نار ، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقذفوهم فيها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أى: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه ، المنيع الحميد فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قَدّر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس .

ثم قال : ﴿ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى : لا يغيب عنه شىء فى جميع السموات والأرض ، ولا تخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة ، من هم . فعن على ، رضى الله عنه، أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج [١] المحارم ، فامتنع عليه علماؤهم ، فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم .

وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخدُّوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها .

وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة ، واحدهم [٢] حَبَشىٌّ .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ قال : ناس من بنى إسرائيل ، خَدّوا أخدوداً فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعُرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

وهكذا قال الضحاك بن مُزَاحم ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن [٣] عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صُهَيب : أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إنى قد كبرت سنِّى وحضر أجلى ، فادفع إلى غلاما أعلمه السحر . فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب ، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه

(١) فى أ : « تزوج » . (٢) فى م ، أ : « ونبيهم » . (٣) فى أ : « بن » .

وقالوا: ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل : حبسنى أهلى . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسنى الساحر .

قال : فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر . قال : فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس . ورماها فقتلها ، ومضى الناس . فأخبر الراهب بذلك فقال : أىْ بُنَى ، أنت أفضل منى ، وإنك ستُبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان جليس للملك فعمى ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفنى ولك ما ههنا أجمعُ . فقال: ما أنا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله، عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك . فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من رَدّ عليك بصرك؟ فقال : ربى ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ، ربى وربك الله . قال : ولك رب غيرى ؟ قال : نعم ، ربى وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه فقال : أىْ بُنَى ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ قال : ما أشفى أنا أحداً ، إنما يشفى الله، عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله . فأخذه أيضا بالعذاب ، فلم يزل به حتى دل على الراهب ، فأتى بالراهب فقال : ارجع عن دينك ، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ،وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال : إذا بلغتم ذروته،فإن رجع عن دينه وإلا فَدَهدهوه [من فوقه] (١) فذهبوا به ، فلما علوا به الجبل قال : اللهم ، افكنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال: كافنيهم الله . فبعث به مع نفر فى قُرقُور فقال : إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرِّقوه فى البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلى . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتى ثم قل : « بسم الله رب الغلام » ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. ففعل ، ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه ، وقال: « باسم الله رب الغلام». فوقع السهم فى صدغه،فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد ــ والله ــ نزل بك ، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فَخُدّت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران ، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع فى النار ، فقال الصبى : اصبرى يا أماه ، فإنك على الحق » .

(١) زيادة من المسند .

وهكذا رواه مسلم فى آخر الصحيح عن هُدْبَة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به نحوه [١] . ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة[٢] . ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن ثابت ، به واختصروا أوله . وقد جوّده الإمام أبو عيسى الترمذى ، فرواه فى تفسير هذه السورة عن محمود بن غَيلانَ وعَبد بن حُمَيد ــ المعنى واحد ــ قالا : أخبرنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ثابت البُنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صُهَيب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر هَمَس ــ والهَمس فى قول بعضهم : تحريك شفتيه كأنه يتكلم ــ فقيل له: إنك ــ يا رسول الله ــ إذا صليت العصر همست ؟ قال : « إن نبيا من الأنبياء ، كان أُعجب بأمته فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختاروا النقمة ، فسلَّط عليهم الموت ، فمات منهم فى يوم سبعون ألفا » . قال : وكان إذا حَدّث بهذا الحديث ، حَدّث بهذا الحديث الآخر قال : كان مَلك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن تكهن له، فقال الكاهن : انظروا لى غلاماً فَهِماً ــ أو قال: فطناً لَقِناً ــ فأعلّمه علمى هذا . . . فذكر القصة بتمامها ، وقال فى آخره [٣] : « يقول الله عز وجل : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ » حتى بلغ : ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ . قال : فأما الغلام فإنه دفن قال : فيذكر أنه أخرج فى زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه على صُدْغه كما وضعها حين قتل . ثم قال الترمذى : حسن غريب [٤] .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبى ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزّى : فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيب الرومى ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يَسَار هذه القصة فى السيرة بسياق آخر،فيها مخالفة لما تقدم فقال:

حدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ــ وحدثنى أيضاً بعض أهل نجران ، عن أهلها ــ : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران ــ ونجران هى القرية العظمى التى إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد ــ ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فَيمُون [٥] ــ ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها ــ ابتنى [٦] خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتى أسلم فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخى، إنك لن تحمله ؛ أخشى ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى أقداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدْح،

(١) المسند (٦/١٦) وصحيح مسلم برقم (٣٠٠٥) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦١) .

(٣) فى أ : « فى أواخره » .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٣٤٠) .

(٥) فى أ : « ميمون » .

(٦) فى م : « فابتنى » .

وكل اسم فى قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدْحا قدْحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدْحه ، فوثب القدْح حتى خرج منها لم يضره شىء ، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى كتمه فقال : وما هو : قال : هو كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . قال : أى ابن أخى ، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحدُ الله وتدخلُ فى دينى وأدعو الله لك فيعافيكَ مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم . فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فيَشفَى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت علىّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأُمثلنّ بك . قال: لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل ، فَيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه نجران ، بُحور لا يلقى فيها شىء إلا هلك ، فيلقى به فيها ، فيخرج ليس به بأس .فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: إنك ــ والله ــ لا تقدر على قتلى حتى تُوَحّدَ الله فَتُؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت سُلّطتَ علىّ فقتلتنى. قال: فوحّدَ الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر ــ وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، من الإنجيل وحُكمه ــ ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أىّ ذلك كان .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده أنزل الله ، عز وجل ، على رسوله ﷺ : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [(١)] .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس ، واسمه : زرعة ، ويسمَّى فى زمان مملكته بيوسف ، وهو ابن تبَان أسعد أبى كَرِب ، وهو تُبَّع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة ، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، فكان تَهَوّد من تَهَوّد من أهل اليمن على يديهما ، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطاً ، فقتل ذو نواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له : دوس ذو ثُعلبان ، ذهب فارسا ، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه ، فذهب إلى قيصر ملك الشام ، فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود ، وذهب ذو نواس هارباً

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٤) .

فَلَجَّج فى البحر ، فغرق . واستمر مُلْكُ الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف ابن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى ، لما استجاش بكسرى ملك الفرس ، فأرسل معه من فى السجون ، وكانوا قريباً من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ، ورجع الملك إلى حمير . وسنذكر طرفاً من ذلك ــ إن شاء الله ــ فى تفسير سورة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أنه حُدِّث : أن رجلاً من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب ، حَفَر خَربَة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن فيها قاعدا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ دما ، وإذا أرسلت يده رُدّت عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : ربى الله . فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره ، فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله ، وردّوا عليه الدّفنَ الذى كان عليه . ففعلوا [١] .

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا ، رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعرى ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، حدثنى بعض أهل العلم : أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط ، ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحته رجلاً صالحاً . فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائماً معه سيف ، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، نقمت على أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسى ، وبنى الحائط ، فثبت.

قلت: هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمى ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت [٢] بن إسماعيل بن إبراهيم ، وَوَلَدُ الحارث هذا هو : عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة ، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن ، وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام [٣] إنه أول شعر قاله العرب :

كَـأن لَم يكُنْ بَين الحَجُون إلى الصّفَـا ... أَنِيسٌ ، ولـم يَسمُـر بمكَّـةَ سَـامِـرُ
بَلَـى ، نَحـنُ كُنَّـا أهلَـهَـا فـأبـادَنَـا ... صُروفُ اللَّيالى والجُدودُ العَـوَاثِـرُ

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل ، عليه السلام ، بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمان الفترة التى بين عيسى ومحمد، عليهما من الله السلام ، وهو أشبه ، والله أعلم .

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً ، كما قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود فى اليمن زمان تبع ، وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتّونا ، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد . وفى العراق فى أرض بابل بختنصر ، الذى وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحباه :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٣٦/١) .

(٢) فى م : « ثابت » .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١١٥/١) .

عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله عليهما برداً وسلاما ، وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدى فى قوله : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود** ﴾ قال : كانت الأخدود ثلاثة : خَدّ بالعراق ، وخَدّ بالشام ، وخَدّ باليمن . رواه ابن أبى حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن ، والأخرى بالشام ، والأخرى بفارس ، أما التى بالشام فهو انطنانوس الرومى ، وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس . فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآنا ، وأنزل فى التى كانت بنجران .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتَكى ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ــ هو ابن أنس ــ فى قوله : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود** ﴾ قال : سمعنا أنهم كانوا قوماً فى زمان الفترة فلما رأوا ما وقع فى الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً ، ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون:٥٣،الروم:٣٢] ، اعتزلوا إلى قرية سكنوها ، وأقاموا على عبادة الله ﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البينة:٥]، وكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين ، وحُدّث حديثهم ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا (١) ، وأنهم أبوا عليه كلّهم وقالوا : لا نعبد إلا الله وحده ، لا شريك له . فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدتُ فإنى قاتلكم . فأبوا عليه ، فخَدَّ أخدودا من نار ، وقال لهم الجبار ــ وَوَقفهم عليها ــ : اختاروا هذه أو الذى نحن فيه . فقالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء وذرية، ففزعت الذرية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حَرّها ، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم الله بها ، ففى ذلك أنزل الله، عز وجل : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد . الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ .

ورواه ابن جرير : حُدِّثت عن عمار ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، به نحوه (٢) .

وقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات** ﴾ أى : حَرقوا (٣) . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبْزَى .

﴿ **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا** ﴾ أى : لم يقلعوا عما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا .

﴿ **فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق** ﴾ ، وذلك أن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

---

(١) فى أ : « التى اتخذوها » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٨) .

(٣) فى م : « حرقوا بالنار » .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ .

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ [١] ﴾ ، بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ .

ثم قال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كَذَّبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوى ؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين ، الذى ما شاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر ، أو هو أقرب ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أى : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه ، بلا ممانع ولا مدافع . ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ أى : يغفر ذنب من تاب إليه وخَضَع لديه ، ولو كان الذنب من أى شىء كان .

والودود ــ قال ابن عباس وغيره ــ : هو الحبيب ، ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ [أى : صاحب العرش] [٢] المعظم [٣] العالى على جميع الخلائق .

و ﴿ الْمَجِيدُ ﴾ فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب ،عز وجل . والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح .

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أى : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله ، كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له ــ وهو فى مرض الموت ــ : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال :قال لى : إنى فعال لما أريد .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ أى : هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد ؟

وهذا تقرير لقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديدا ، أخذ عزيز مقتدر .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطَّنَافِسِىّ ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على امرأة تقرأ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ ، فقام يسمع [٤] ، فقال : « نعم ، قد جاءنى » [٥] .

---

(١) فى أ بعدها : « خالدين فيها » . (٢) زيادة من أ . (٣) فى أ : « العظيم » .
(٤) فى أ : « يستمع » . (٥) وهذا مرسل .

وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ ﴾ أى : هم فى شك وريب وكفر وعناد ، ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ أى : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ، ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد ﴾ أى : عظيم كريم ، ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ أى : هو فى الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا قُرَّة بن سليمان ، حدثنا حرب بن سُرَيج [١] ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك فى قوله : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد. فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد. فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾، فى جبهة إسرافيل [٢].

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو صالح ،حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأعْيَس ــ هو عبد الرحمن بن سَلْمَان ــ قال : ما من شىء قضى الله ــ القرآن فما قبله وما بعده ــ إلا وهو فى اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ بين عينى إسرافيل ، لا يؤذن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصرى : إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

وقد روى البغوى من طريق إسحاق بن بشر [٣] : أخبرنى مقاتل وابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إنه فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ، أدخله الجنة . قال : واللوح لوح من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله فى حجر ملك [٤] .

قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قَلَمه نور وكتابه نور ، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيى ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ ، ويفعل ما يشاء » [٥] .

آخر تفسير سورة « البروج » ولله الحمد [٦]

---

(١) فى أ : « شريح » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٩٠) .
(٣) فى أ : « بشير » .
(٤) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٨٩) .
(٥) المعجم الكبير (١٢/ ٧٢) وزياد وليث بن أبى سليم ضعيفان ، وقد جاء موقوفاً على ابن عباس ، رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ٣١٦) من طريق بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .
(٦) فى أ : « والله أعلم » .

تفسير سورة الطارق

وهى مكية .

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن محمد ــ قال : عبد الله وسمعته أنا منه ــ حدثنا مروان بن معاوية الفزارى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى ، عن عبد الرحمن ابن خالد بن أبى جَبَل [١] العُدْوانى ، عن أبيه : أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مُشرّق ثَقيف وهو قائم على قوس ــ أو : عصا ــ حين أتاهم يبتغى عندهم النصر ، فسمعته يقول : ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ ، حتى ختمها ــ قال : فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها فى الإسلام ــ قال : فدعتنى ثقيف فقالوا: ماذا سمعت [٢] من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه [٣] .

وقال النسائى : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسْعَر ، عن محارب بن دِثَار ، عن جابر قال : صلى معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبى ﷺ : « أفتان يا معاذ ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا ؟ » [٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ ۝١٠ ﴾ .

يقسم [٥] تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ؛ ولهذا قال : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ ثم قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ ، ثم فسره بقوله : ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ .

قال قتادة وغيره : إنما سمى النجم طارقا ؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار . ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح : نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا [٦] ، أى : يأتيهم فجأة بالليل . وفى

---

(١) فى أ : « جهل » .

(٢) فى م : « ما سمعت » .

(٣) المسند (٤/ ٣٣٥) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٦) : « عبد الرحمن ذكره ابن أبى حاتم ولم يخرجه أحد وبقية رجاله ثقات » .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٤) .

(٥) فى أ : « أقسم » .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٥٢٤٣) من حديث جابر ، رضى الله عنه .

الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » [١] .

وقوله : ﴿ الثَّاقِبُ ﴾ : قال ابن عباس : المضيء . وقال السدى : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة : هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : ﴿ إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ أى : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ،كما قال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ الآية [الرعد:١١] .

وقوله : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذى خُلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ؛ لأن من قدر على البَدَاءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] .

وقوله : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ يعنى : المنى ؛ يخرج دَفقاً من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد بإذن الله ، عز وجل[٢] ؛ ولهذا قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ يعنى : صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ : صلب الرجل وترائب المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جُبَير ، وعكرمة ،وقتادة والسُّدِّى ،وغيرهم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مِسْعَر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ قال: هذه الترائب. ووضع يده على صدره.

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تَريبة المرأة موضُع القلاَدة . وكذا قال عكرمة ،وسعيد ابن جُبَير . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين ثدييها .

وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر . وعنه أيضا : الترائب أسفل من التراقى .

وقال سفيان الثورى : فوق الثديين . وعن سعيد بن جُبَير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل .

وعن الضحاك : الترائب بين الثديين والرجلين والعينين .

وقال الليث بن سعد عن مَعْمَر بن أبى حبيبة [٣] المدنى : أنه بلغه فى قول الله عز وجل : ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ قال : هو عصارة القلب ، من هناك يكون الولد .

وعن قتادة : ﴿ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ : من بين صلبه ونحره .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ ، فيه قولان :

أحدهما : على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذى خرج منه لقادر على ذلك . قاله مجاهد ،

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٤١٩/٣) من حديث عبد الرحمن بن خنبش ، رضى الله عنه .

(٢) فى أ : « بإذن الله تعالى » . (٣) فى أ : « حبة » .

وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثانى : إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق ، أى : إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر ؛ لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة .

وقد ذكر الله ،عز وجل ،هذا الدليل فى القرآن فى غير ما موضع،وهذا القول قال به الضحاك، واختاره ابن جرير ، ولهذا قال : ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ أى : يوم القيامة تبلى فيه السرائر، أى : تظهر وتبدو ، ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا .وقد ثبت فى الصحيحين ، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال :« يرفع لكل غادر لواء عند استه [١] ، يقال : هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان » [٢].

وقوله : ﴿ **فَمَا لَهُ** ﴾ أى : الإنسان يوم القيامة ﴿ **مِن قُوَّةٍ** ﴾ أى : فى نفسه ﴿ **وَلا نَاصِرٍ** ﴾ أى : من خارج منه ، أى : لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)** ﴾ .

قال ابن عباس : الرجع : المطر . وعنه : هو السحاب فيه المطر . وعنه : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾ : تمطر ثم تمطر.

وقال قتادة : ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم .

وقال ابن زيد : ترجع نجومها وشمسها وقمرها ، يأتين من هاهنا .

﴿ **وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ** ﴾ : قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات . وكذا قال سعيد بن جُبَير، وعكرمة ،وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى ، وغير واحد .

وقوله : ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** ﴾ : قال ابن عباس : حق . وكذا قال قتادة .

وقال آخر : حكم عدل .

﴿ **وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ** ﴾ أى : بل هو حق جد .

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله ، فقال : ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا** ﴾ أى: يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن .

ثم قال : ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ** ﴾ أى : أنظرهم ولا تستعجل لهم ، ﴿ **أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ أى : قليلا . أى : وترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك ، كما قال : ﴿ **نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ** ﴾ [لقمان: ٢٤] .

آخر تفسير سورة « الطارق » ولله الحمد [٣]

---

(١) فى أ : « عند رأسه » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٣١٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٧٣٥) .

(٣) فى أ : « والله أعلم » .

تفسير سورة سبح

وهى مكية .

والدليلُ على ذلك ما رواه البخارى : حدثنا عبدان : أخبرنى أبى ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبى ﷺ مصعب بن عمير وابنُ أمّ مكتوم ، فجعلا يُقرئاننا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين. ثم جاء النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ فى سُوَر مثلها [١] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثُوَيْر بن أبى فاختَةَ ، عن أبيه ، عن على قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة: ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ . تفرد به أحمد [٢] .

وثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صَلّيت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » [٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير : أن رسول الله ﷺ قرأ فى العيدين بـ ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ ، و ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا [٤] .

هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم ــ فى صحيحه ــ وأبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث أبى عَوَانة وجرير وشعبة ، ثلاثتهم عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، به [٥]. قال الترمذى : « وكذا رواه الثورى ومسعر ، عن إبراهيم ــ قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم ــ عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه » .

وقد رواه ابن ماجة عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المنتشر ، عن أبيه عن حبيب بن سالم ، عن النعمان به [٦] . كما رواه الجماعة ،والله أعلم .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٤١) .

(٢) المسند (١/ ٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٦) : « فيه ثوير بن أبى فاختة وهو متروك » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٧٠٥) وصحيح مسلم برقم (٤٦٥) .

(٤) المسند (٤/ ٢٧١) .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨٧٨) وسنن أبى داود برقم (١١٢٢) وسنن الترمذى برقم (٥٣٣) وسنن النسائى (٣/ ١١٢) .

(٦) سنن ابن ماجة برقم (١٢٨١) .

ولفظ مسلم وأهل السنن: كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾، و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ ، وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبْزَى ، وعائشة أم المؤمنين : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ـ زادت عائشة : والمعوذتين [(١)] .

وهكذا رُوى هذا الحديث ـ من طريق ـ جابر وأبى أمامَة صُدَىّ بن عجلان ، وعبد الله بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهم [(٢)] . ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر من أسانيد ذلك ومتونه ولكن فى الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ① الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ⑤ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ⑥ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ⑦ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ⑨ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ⑩ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ⑪ الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ⑫ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ⑬ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى ـ يعنى ابن أيوب الغافقى ـ حدثنا عمى إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهنى لما نزلت : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤ ، ٩٦] ، قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها فى ركوعكم » . فلما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ قال : « اجعلوها فى سجودكم » .

ورواه أبو داود وابن ماجة ، من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب ، به [(٣)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ،حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، قال: « سبحان ربى الأعلى » .

وهكذا رواه أبو داود عن زُهَير بن حرب ، عن وكيع ، به [(٤)]. وقال : « خولف فيه وكيع ،

---

(١) حديث أبى بن كعب فى المسند (٥/ ١٢٣) وحديث ابن عباس فى المسند (١/ ٢٩٩) وحديث ابن أبزى فى المسند (٣/ ٤٠٦) وحديث عائشة فى المسند (٦/ ٢٢٧) .

(٢) وقد توسع الحافظ ابن حجر فى ذكر طرق هذا الحديث والكلام عليها فى كتابه تلخيص الحبير (٢/ ١٩) .

(٣) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (٨٦٩) وسنن ابن ماجة برقم (٨٨٧) .

(٤) المسند (١/ ٢٣٢) وسنن أبى داود برقم (٨٨٣) .

رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفا » .

وقال الثورى ، عن السدى ، عن عبد خير قال : سمعت عليا قرأ [(١)] : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ، فقال : سبحان ربى الأعلى .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حُمَيد ، حدثنا حكَّام عن عَنْبَسة ، عن أبى إسحاق الهَمْدانى : أن ابن عباس كان إذا قرأ : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، يقول: سبحان ربى الأعلى ، وإذا قرأ : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة:١] فأتى على آخرها : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٤٠] يقول : سبحانك وبلى [(٢)] .

وقال قتادة : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ : ذُكِرَ لنا أن نَبِىّ الله ﷺ كان إذا قرأها ، قال : «سبحان ربى الأعلى » .

وقوله : ﴿ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أى : خلق الخليقة وسَوّى كل مخلوق فى أحسن الهيئات .

وقوله : ﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ : قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها .

وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون : ﴿رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: ٥٠] أى : قدر قدرا ، وهدى الخلائق إليه ،كما ثبت فى صحيح مسلم ، عن عبد الله ابن عَمرو : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » [(٣)] .

وقوله : ﴿ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أى : من جميع صنوف النباتات والزروع ، ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ : قال ابن عباس : هشيما متغيرا . وعن مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد ، نحوه .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب [(٤)] يرى أن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذى أخرج المرعى أحوى ، أى : أخضر إلى السواد ، فجعله غثاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب ؛لمخالفته أقوال أهل التأويل.

وقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ أى : يا محمد ﴿ فَلا تَنسَىٰ ﴾ . وهذا إخبار من الله، عز وجل ،ووعد منه له ، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها ، ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ فَلا تَنسَى ﴾ : طلب ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من

(١) فى أ : « يقرأ » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/٩٦) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) .
(٤) فى أ : « بكلام العربية » .

النسخ، أى : لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفعه ؛ فلا عليك أن تتركه .

وقوله : ﴿ **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ** ﴾ أى : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شىء .

وقوله تعالى : ﴿ **وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ** ﴾ أى : نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ،ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر .

وقوله : ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ** ﴾ أى : ذكِّر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا [١] يؤخذ الأدب فى نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين على ، رضى الله عنه : ما أنت بمحدِّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدِّث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّب اللهُ ورسوله ؟!

وقوله : ﴿**سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ** ﴾ أى : سيتعظ بما تبلغه ــ يا محمد ــ من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ، ﴿ **وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى . الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ** ﴾ أى : لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه ،بل هى مضرة عليه ؛ لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، عن سليمان ــ يعنى التيمى ــ عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها لا[٢] يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفعاء [٣] ، فيأخذ الرجلُ أنصاره فينبتهم ــ أو قال : ينبتون ــ فى نهر الحياء ــ أو قال : الحياة ــ أو قال : الحيوان ــ أو قال: نهر الجنة فينبتون ــ نبات الحبَّة فى حميل السيل » . قال : وقال النبى ﷺ : « أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء أو قال : تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » .قال : فقال بعضهم : كأن النبى ﷺ كان بالبادية [٤] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسماعيل، حدثنا سعيد بن يزيد ،عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس ــ أو كما قال ــ تصيبهم النار بذنوبهم ــ أو قال : بخطاياهم ــ فيميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة ، فجىء بهم ضبائر ضبائر ، فَنَبتوا على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، اقبضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية .

ورواه مسلم فى حديث بشر بن المفضل [٥] وشعبة ، كلاهما عن أبى مَسْلَمة سعيد بن زيد ، به

---

(١) فى م : « ومن هذا » . (٢) فى أ : « فإنهم لا » . (٣) فى أ : « الشفاعة » .
(٤) المسند (٣/ ٥) .
(٥) فى أ : « الفضل » .

مثله [١]. ورواه أحمد أيضا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد، عن النبى ﷺ قال : « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتى يصيروا فحماً ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة ، أو : يرش [٢] عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبَّة فى حَميل السيل» [٣] .

وقد قال الله إخبارا عن أهل النار : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [الزخرف:٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦] . إلى غير ذلك من الآيات فى هذا المعنى .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ أى : طهَّر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله على رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ أى : أقام الصلاة فى أوقاتها ؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا عباد بن أحمد العرزمى ، حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ،عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبى ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أنى رسول الله » ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ قال : « هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » .

ثم قال[٤]: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه [٥] .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثنى عَمرو بن عبد الحميد الآملى [٦] ، حدثنا مروان بن معاوية ،عن أبى خلدة قال: دخلت على أبى العالية فقال لى : إذا غدوت غداً إلى العيد فمرّ بى . قال : فمررت به فقال: هل طعمت شيئا ؟ قلت: نعم. قال: أفضت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم . قال : فأخبرنى ما فعلت بزكاتك ؟ قلت : وكأنك قُلت : قد وَجّهتهَا ؟ قال : إنما أردتك لهذا . ثم قرأ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾. وقال:إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

(١) المسند (٣/ ١١) وصحيح مسلم برقم (١٨٥) .
(٢) فى م : « فيرش » .
(٣) المسند (٣/ ٢٠) .
(٤) فى م : « وقال » .
(٥) مسند البزار برقم (٢٢٨٤) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٣٧) :« رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمى وهو متروك » .
(٦) فى أ : « الأيلى » .

قلت : وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفطر، ويتلو هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ .

وقال أبو الأحوص : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدى صلاته زكاته ، فإن الله يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ .

وقال قتادة فى هذه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ :زكى ماله وأرضى خالقه.

ثم قال تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى : تقدمونها على أمر الآخرة ، وتبدونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم فى معاشهم ومعادهم ، ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أى : ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، فإن الدنيا دنيَّة فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ، ويهتم بما يزول عنه قريبا ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟!

قال الإمام أحمد : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا ذُوَيد ، عن أبى إسحاق ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا دَارُ من لا دارَ له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » [(١)] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عَرْفَجة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ فلما بلغ : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزُويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل [(٢)] .

وهذا منه على وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث [(٣)] هو ، والله أعلم.

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمى ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرنى عمرو بن أبى عمرو ، عن المطلب بن عبد الله ، عن أبى موسى الأشعرى : أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومَن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه ، فآثروا ما يبقَى على ما يفنى » . تفرد به أحمد .

وقد رواه أيضا عن أبى سلمة الخزاعى ، عن الدراوردى ، عن عمرو بن أبى عمرو ، به مثله سواء [(٤)] .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ : قال الحافظ أبو بكر البزار :

---

(١) المسند (٦/ ٧١) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٨٨) : « رجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٠٠) .

(٣) فى أ : « من جنسه » .

(٤) المسند (٤/ ٤١٢) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٤٧٣) « موارد » من طريق يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبى عمرو به .

حدثنا نصر بن على ، حدثنا مُعتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ قال النبى ﷺ: « كان كل هذا ــ أو : كان هذا ــ فى صحف إبراهيم وموسى » [١] .

ثم قال : لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير [٢] هذا، وحديثا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائى : أخبرنا زكريا بن يحيى ، أخبرنا نصر بن على ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال : كلها فى صحف إبراهيم وموسى ، فلما نزلت : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ ﴾ [النجم: ٣٧] قال : وفَّى ﴿ أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٨] [٣] .

يعنى أن هذه الآية كقوله فى سورة « النجم »: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰ . أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ . وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ : ٤٢] . . . الآيات إلى آخرهن. وهكذا قال عكرمة ــ فيما رواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مِهْران ، عن سفيان الثورى ، عن أبيه ، عن عكرمة ــ فى قوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ، يقول : الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة فى الصحف الأولى .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا ﴾ إشارة إلى قوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ، ثم قال : ﴿إِنَّ هَذَا ﴾ أى : مضمون هذا الكلام ﴿ لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [٤] .

وهذا اختيار حسن قوى . وقد رُوِى عن قتادة وابن زيد ، نحوُه . والله أعلم .

آخر تفسير سورة « سبح » ولله الحمد والمنة

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦٨) .

(٢) فى أ : « نحو » .

(٣) مسند البزار برقم (٢٢٨٥) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (١٣٧/٧) : « فيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٤) تفسير الطبرى (١٠١/٣٠) .

تفسير سورة الغاشية

وهى مكية .

قد تقدم عن النعمان بن بَشير : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة .

وقال الإمام مالك ، عن ضَمْرَة بن سعيد ، عن عُبَيد الله بن عبد الله : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير : بم كان رسول الله ﷺ يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ .

رواه أبو داود عن القَعْنَبى ، والنسائى عن قتيبة ، كلاهما عن مالك ، به [(١)] . ورواه مسلم وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن ضمرة بن سعيد ، به [(٢)] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) ﴾ .

الغاشية : من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد ؛ لأنها تغشى الناس وتَعُمّهم . وقد قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطَّنَافسىّ ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ فقام يستمع ويقول : « نعم ، قد جاءنى » [(٣)] .

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ أى : ذليلة . قاله قتادة . وقال ابن عباس : تخشع ولا ينفعها عملها .

وقوله : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ أى : قد عملت عملاً كثيراً ، ونَصبت فيه ، وصَلِيت يوم القيامة ناراً حامية .

وقال الحافظ أبو بكر البرقانى : حدثنا إبراهيم بن محمد المُزَكّى ، حدثنا محمد بن إسحاق

---

(١) الموطأ (١/ ١١١) وسنن أبى داود برقم (١١٢٣) وسنن النسائى (٣/ ١١٢) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٧٨) وسنن ابن ماجة برقم (١١١٩) .

(٣) وهذا مرسل وقد تقدم .

وقال الحافظ أبو بكر البرقانى : حدثنا إبراهيم بن محمد المُزَكّى ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا سيار [١] ، حدثنا جعفر قال : سمعت أبا عمران الجَونى يقول: مر عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، بدير راهب ، قال : فناداه : يا راهب [يا راهب] [٢]. فأشرف . قال : فجعل عمر ينظر إليه ويبكى . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ما يبكيك من هذا ؟ قال: ذكرت قول الله ،عز وجل، فى كتابه: ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾، فذاك الذى أبكانى [٣].

وقال البخارى : قال ابن عباس : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ : النصارى .

وعن عكرمة، والسدى: ﴿ عَامِلَةٌ ﴾ فى الدنيا بالمعاصى ﴿ نَّاصِبَةٌ ﴾ فى النار بالعذاب والأغلال [٤].

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ أى : حارة شديدة الحر ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ أى : قد انتهى حرّها وغليانها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسّدى .

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ : قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : شجر من نار .

وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحجارة .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وقتادة : هو الشِّبرِقُ . قال قتادة : قريش تسميه فى الربيع الشِّبرِقُ ، وفى الصيف الضريع . قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض .

وقال البخارى : قال مجاهد : الضريعُ نبتٌ يقال له : الشِّبرِقُ ، يسميه أهل الحجاز : الضريعَ إذا يبس ، وهو سم [٥] .

وقال مَعْمَر ، عن قتادة : ﴿ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ : هو الشِّبرِقُ ، إذا يبس سُمّى الضريع .

وقال سعيد ، عن قتادة : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ : من شر الطعام وأبشعه وأخبثه .

وقوله : ﴿ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ يعنى : لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) ﴾ .

---

(١) فى أ : « حدثنا يسار » .

(٢) زيادة من م ، أ .

(٣) ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٢٩٩) عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران به ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥٢٢) من طريق الخضر بن أبان ، عن سيار ، عن جعفر به ، وقال الحاكم :« هذه حكاية فى وقتها ، فإن أبا عمران الجونى لم يدرك زمان عمر » .

(٤) فى م : « والإهلاك » .

(٥) صحيح البخارى (٨/ ٧٠٠) « فتح » .

لما ذكر حال الأشقياء ، ثنى بذكر السعداء فقال : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ** ﴾ أى : يوم القيامة ﴿ **نَّاعِمَةٌ** ﴾ أى : يعرف النعيم فيها . وإنما حَصَل لها ذلك بسعيها .

وقال سفيان : ﴿ **لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** ﴾ : قد رضيت عملها .

وقوله : ﴿ **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾ أى : رفيعة بهية فى الغرفات آمنون ، ﴿ **لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً** ﴾ أى : لا يسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو. كما قال : ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا** ﴾ [مريم:٦٢] ، وقال : ﴿ **لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ** ﴾ [الطور:٢٣] . وقال : ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا** ﴾ [الواقعة:٢٥ ، ٢٦] .

﴿ **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ** ﴾ أى : سارحة . وهذه نكرة فى سياق الإثبات ، وليس المراد بها عينا واحدة، وإنما هذا جنس ، يعنى : فيها عيون جاريات .

وقال ابن أبى حاتم : قُرِئَ على الربيع بن سليمان : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قُرَّة ، عن عبد الله بن ضَمْرة ، عن أبى هُرَيرة قال : قال النبى ﷺ : « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال ــ أو : من تحت جبال ــ المسك »[١] .

﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ** ﴾ أى : عالية ناعمة كثيرة الفرش ، مرتفعة السَّمْك ، عليها الحور العين . قالوا: فإذا أراد وَلِىُّ الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له ، ﴿ **وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ** ﴾ يعنى: أوانى الشرب معدة مُرصدة[٢] لمن أرادها من أربابها ، ﴿ **وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ** ﴾: قال ابن عباس : النمارق : الوسائد . وكذا قال عكرمة، وقتادة ، والضحاك ، والسدى ، والثورى ، وغيرهم .

وقوله : ﴿ **وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ﴾ : قال ابن عباس : الزرابى: البسط . وكذا قال الضحاك ، وغير واحد .

ومعنى مبثوثة ، أى : هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

ونذكر هاهنا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبى ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافرى ، عن سليمان بن موسى : حدثنى كُرَيْب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل من مُشَمِّر للجنة ، فإن الجنة لا خَطَر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحُلَل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دارٍ سليمة ،وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال : « قولوا : إن شاء الله » . قال القوم : إن شاء الله .

ورواه ابن ماجة عن العباس بن عثمان الدمشقى ، عن الوليد بن مسلم[٣] ، عن محمد بن

---

(١) ورواه ابن حبان فى صحيحه برقم (٢٦٢٢) « موارد » من طريق القراطيسى ، عن أسد بن موسى به .

(٢) فى م : « موضوعة » . (٣) فى أ : « سلمة » .

مهاجر ، به [1] .

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾ .

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ؟ فإنها خَلق عجيب ، وتركيبها غريب ، فإنها فى غاية القوة والشدة ، وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل ، وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها . ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح القاضى يقول : اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ؟ أى : كيف رفعها الله ، عز وجل ، عن الأرض هذا الرفع العظيم ، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦] .

﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أى : جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ؟ أى : كيف بسطت ومدت ومهدت ، فنبَّه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه ، والسماء التى فوق رأسه ، والجبل الذى تجاهه، والأرض التى تحته ــ على قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك ، وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه . وهكذا أقسم « ضِمَام » فى سؤاله على رسول الله ﷺ ، كما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شىء ، فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، إنه أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تَزعُم أن الله أرسلك . قال : « صدق » . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : « الله » . قال : فمن خلق الأرض؟ قال : « الله » . قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : « الله » . قال : فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ، آللهُ أرسلك ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولُك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا . قال : « صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟

(١) البعث لابن أبى داود برقم (٧١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/ ٣٢٥) : « هذا إسناد فيه مقال ، الضحاك المعافرى ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الذهبى فى طبقات التهذيب : « مجهول » . وسليمان بن موسى مختلف فيه وباقى رجال الإسناد ثقات » .

قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ . قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا حَجّ البيت من استطاع إليه سبيلا . قال : «صدق» . قال : ثم ولى فقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن شيئا . فقال النبى ﷺ : «إن صدق ليدخُلَنّ الجنة » .

وقد رواه مسلم،عن عمرو الناقد،عن أبى النضر هاشم بن القاسم،به[١]. وعَلّقه البخارى،ورواه الترمذى والنسائى ، من حديث سليمان بن المغيرة به[٢]. ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجة من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد المقبرى ، عن شريك ابن عبد الله بن أبى نمر ،عن أنس ، به بطوله [٣] ، وقال فى آخره :« وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل ، معها ابن لها ترعى غنما ، فقال لها ابنها : يا أمه ، من خلقك ؟ قالت :الله . قال :فمن خلق أبى ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقنى ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : الله . قال : إنى لأسمع لله شأنا . وألقى نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحدثنا هذا .

قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيراً ما يحدثنا بهذا [٤] .

فى إسناده ضعف ، وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ، ضَعّفه ولده الإمام على بن المدينى وغيره .

وقوله : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ أى : فذكر ــ يا محمد ــ الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ؛ ولهذا قال:﴿ **لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما: لست عليهم بجبار .

وقال ابن زيد : لست بالذى تكرههم على الإيمان .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكِيع ، عن سفيان ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » . ثم قرأ : ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ .

---

(١) المسند (٣/١٤٣) وصحيح مسلم برقم (١٢) .

(٢) صحيح البخارى (١/١٤٨) « فتح » وسنن الترمذي برقم (٦١٩) وسنن النسائي الكبرى برقم (٢٤٠١) .

(٣) المسند (٣/١٦٨) وصحيح البخارى برقم (٦٣) وسنن أبي داود برقم (٤٨٦) وسنن النسائي الكبرى برقم (٢٤٠٢) وسنن ابن ماجة برقم (١٤٠٢) .

(٤) ورواه ابن عدى فى الكامل (٤/١٧٨) عن أبى يعلى به مثله . وقال : « غير محفوظ ، لا يحدث به عن ابن دينار غير عبد الله بن جعفر » .

وهكذا رواه مسلم فى كتاب « الإيمان » ، والترمذى والنسائى فى كتابى[1] « التفسير » من سننيهما ، من حديث سفيان بن سعيد الثورى ، به بهذه الزيادة [2] . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة ، بدون ذكر هذه الآية [3] .

وقوله : ﴿ إلا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَر ﴾ أى : تولى عن العمل بأركانه ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذه كقوله : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ . وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]. ولهذا قال: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴾ . قال الإمام أحمد :

حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن على بن خالد[4] : أن أبا أمامة الباهلى مَرّ على خالد بن يزيد بن معاوية ، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شَرَد على الله شَراد البعير على أهله » .

تفرد [5] بإخراجه الإمام أحمد [6] ، وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ،ولم يزد على ما هاهنا : « روى عن أبى أمامة ، وعنه سعيد بن أبى هلال » [7].

وقوله : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أى : مرجعهم ومنقلبهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ أى : نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

آخر تفسير سورة « الغاشية » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى أ : « فى كتاب » .

(٢) المسند (٣/ ٣٠٠) وصحيح مسلم برقم (٢١) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤١) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧٠) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٢٩٤٦) وصحيح مسلم برقم (٢١) .

(٤) فى أ : « على بن أبى خالد » والمثبت من «م» والمسند .

(٥) فى م : « انفرد » .

(٦) المسند (٥/ ٢٥٨) .

(٧) الجرح والتعديل (٦/ ١٨٤) وقد ذكر الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٤٠٣) « أنه ثقة » .

تفسير سورة الفجر

وهى مكية .

قال النسائى : أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم ، أخبرنى يحيى بن سعيد ، عن سليمان ، عن محارب بن دِثار وأبى صالح ، عن جابر قال : صلى معاذ صلاةً ، فجاء رجل فصلى معه فطَوّل ، فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذا فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى، فقال : يا رسول الله ، جئت أصلى معه فَطَوّل عَلَىّ ، فانصرفت وصليتُ فى ناحية المسجد ، فعلفت ناضحى . فقال رسول الله ﷺ : « أفتّان يا معاذ ؟ أين أنت من ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ و﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ و ﴿ الْفَجْرِ﴾ و ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ » [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ .

أما الفجر فمعروف ،وهو : الصبح . قاله على ،وابن عباس ، ومجاهد ،وعكرمة ، والسدى .

وعن مسروق ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالى العشر .

وقيل : المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده ، كما قاله عكرمة .

وقيل : المراد به جميع النهار . وهو رواية عن ابن عباس .

والليالى العشر : المراد بها عشر ذى الحجة . كما قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف . وقد ثبت فى صحيح البخارى ، عن ابن عباس مرفوعا :« ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » ــ يعنى عشر ذى الحجة ــ قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد فى سبيل الله ، إلا رجلا خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشىء » [٢] .

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧٣) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٩٦٩) .

وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد [(١)] .

وقد روى أبو كُدَيْنة ، عن قابوس بن أبى ظِبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ قال : هو العشر الأول من رمضان .

والصحيح القول الأول ؛ قال الإمام أحمد :

حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عَيَّاش بن عقبة ، حدثنى خَير بن نُعَيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر، عن النبى ﷺ قال : « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ،والشفع يوم النحر » .

ورواه النسائى عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله ، كل منهما عن زيد بن الحباب ، به [(٢)] . ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من حديث زيد بن الحباب ، به [(٣)] . وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم ، وعندى أن المتن فى رفعه نكارة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ : قد تقدم فى هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر . وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضا .

قول ثان : وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنى عقبة بن خالد ، عن واصل ابن السائب قال : سألت عطاء عن قوله : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قلتُ : صلاتنا وترنا هذا ؟ قال : لا، ولكن الشفع يوم عرفة ، والوتر ليلة الأضحى .

قول ثالث : قال ابن أبى حاتم : حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهانى ، حدثنى أبى ، عن النعمان ــ يعنى ابن عبد السلام ــ عن أبى سعيد بن عوف ، حدثنى بمكة قال : سمعتُ عبدَ الله ابن الزبير يخطبُ الناس ، فقام إليه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرنى عن الشفع والوتر . فقال: الشفع قول الله ، عز وجل : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ ، والوتر قوله : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:٢٠٣] .

وقال ابن جريج : أخبرنى محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام [(٤)] التشريق ، والوتر آخر أيام التشريق .

وفى الصحيحين من رواية أبى هُرَيرة ، عن رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » [(٥)] .

قول رابع : قال الحسن البصرى ، وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ، ووتر ، أقسم تعالى بخلقه . وهو رواية عن مجاهد ، والمشهور عنه الأول .

(١) فى أ : « إلى واحد » .
(٢) المسند (٣/٣٢٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧١) .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/١٠٨) .
(٤) فى أ : « الشفع الأيام من » .
(٥) صحيح البخارى برقم (٦٤١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٧) .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قال : الله وتر واحد ، وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب .

قول خامس : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل .

وقال أبو عبد الله ، عن مجاهد : الله الوتر ، وخلقه الشفع ، الذكر والأنثى .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد قوله : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ : كل شىء خلقه الله شفع ، السماء والأرض ، والبر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ، ونحو هذا . ونحا مجاهد فى هذا ما ذكروه فى قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٩] أى : لتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

قول سادس : قال قتادة ، عن الحسن : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ : هو العدد ، منه شفع ومنه وتر .

قول سابع : فى الآية الكريمة رواه ابنُ أبى حاتم وابنُ جَرير من طريق ابن جريج ،ثم قال ابن جرير : ورُوى عن النبى ﷺ خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن أبى الزبير : حدثنى عَبد الله بن أبى زياد القطوانى ، حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرنى عياش بن عقبة ، حدثنى خير [(١)] بن نُعَيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر : أن رسول الله ﷺ قال : « الشفع اليومان ، والوتر اليوم الثالث » [(٢)] .

هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ فى رواية أحمد والنسائى وابن أبى حاتم ، وما رواه هو أيضا ، والله أعلم .

قال أبو العالية ، والربيع بن أنس ، وغيرهما : هى الصلاة ، منها شفع كالرباعية والثنائية ، ومنها وتر كالمغرب ، فإنها ثلاث ، وهى وتر النهار . وكذلك صلاة الوتر فى آخر التهجد من الليل .

وقد قال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ قال: هى الصلاة المكتوبة ، منها شفع ومنها وتر . وهذا منقطع وموقوف ، ولفظه خاص بالمكتوبة . وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبى ﷺ ولفظه عام ، قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود ــ هو الطيالسى ــ حدثنا همام ، عن قتادة ،عن عمران بن عصام : أن شيخا [(٣)] حدثه من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين : أن رسول الله ﷺ سُئِل عن الشفع والوتر ، فقال: « هى الصلاة ، بعضها شفع ، وبعضها وتر » [(٤)] .

هكذا وقع فى المسند ،وكذا رواه ابن جرير عن بُنْدَار ، عن عفان وعن أبى كُرَيْب ، عن عبيد الله بن موسى ، كلاهما عن همام ــ وهو ابن يحيى ــ عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن

(١) فى أ : « حدثنى القطرانى » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/١٠٩) .

(٣) فى أ : « أن جبيرا » .

(٤) المسند (٤/٤٣٧) .

شيخ، عن عمران بن حصين [١] . وكذا رواه أبو عيسى الترمذى ، عن عمرو بن على ، عن ابن مَهْدِىّ وأبى داود ، كلاهما عن همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن رجل من أهل البصرة، عن عمران بن حصين ، به . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة [٢] .

وقد روى عن عمران بن عصام ، عن عمران نفسه ، والله أعلم .

قلت : ورواه ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا همام [٣] ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام الضبعى ــ شيخ من أهل البصرة ــ عن عمران بن حصين ، عن النبى ﷺ فذكره ، هكذا رأيته فى تفسيره ، فجعل الشيخ البصرى هو عمران بن عصام [الضبعى] [٤] .

وهكذا رواه ابن جرير : حدثنا نصر بن على ،حدثنى أبى ، حدثنى خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبى ﷺ فى الشفع والوتر قال : « هى الصلاة منها شفع ، ومنها وتر » [٥] .

فأسقط ذكر الشيخ المبهم ، وتفرد به عمران بن عصام الضبعى أبو عمارة البصرى ، إمام مسجد بنى ضُبَيعة وهو والد أبى جَمْرَة [٦] نصر بن عمران الضبعى . روى عنه قتادة ، وابنه أبو جمرة [٧] ، والمثنى بن سعيد ، وأبو التياح يزيد بن حميد . وذكره ابن حبَّان فى كتاب الثقات [٨] ، وذكره خليفة ابن خيَاط فى التابعين [٩] من أهل البصرة ، وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ، ثم قتله يوم الزاوية سنة ثلاث [١٠] وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث ، وليس له عند الترمذى سوى هذا الحديث الواحد . وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه ،والله أعلم .

ولم يجزم ابن جرير بشىء من هذه الأقوال فى الشفع والوتر .

وقوله : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** [١١] ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : أى إذا ذهب .

وقال عبد الله بن الزبير : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ** ﴾ : حتى يذهب بعضه بعضا .

وقال مجاهد ، وأبو العالية ،وقتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم وابن زيد : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**﴾ إذا سار .

وهذا يمكن حمله على ما قاله ابن عباس ، أى : ذهب . ويحتمل أن يكون المراد إذا سار ،

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٠٩) .
(٢) سنن الترمذى برقم (٣٣٤٢) .
(٣) فى أ : « أخبرنا هشام » .
(٤) زيادة من أ .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/١٠٩) .
(٦،٧) فى أ : « أبى حمزة » .
(٨) الثقات (٥/٢٣٤) .
(٩) فى أ : « المتابعين » .
(١٠) فى م: « سنة ثنتين » .
(١١) فى م : « يسرى » .

أي: أقبل . وقد يقال : إن هذا أنسب ؛ لأنه في مقابلة قوله :﴿وَالْفَجْرِ ﴾ ، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حمل قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (١) ﴾ ، على إقباله كان قَسَماً بإقبال الليل وإدبار النهار ، وبالعكس ، كقوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير:١٧ ،١٨] . وكذا قال الضحاك : ﴿ [وَاللَّيْلِ] (٢) إِذَا يَسْرِ ﴾ أي : يجرى .

وقال عكرمة : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ يعنى : ليلة جَمْع . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، يقول في قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ قال : اسر يا سار ولا تبين إلا بجَمْع .

وقوله : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ أي: لذى عقل ولب وحجا [ودين] (٣) ،وإنما سمى العقل حجْراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطى ما لا يليق به من الأفعال والأقوال ،ومنه حجْرُ البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي .ومنه حجر اليمامة ،وحَجَرَ الحاكم على فلان :إذا منعه التصرف ، ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان:٢٢]،كل هذا من قبيل واحد ،ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة ،وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها [إليه عباده] (٤) المتقون المطيعون له،الخائفون منه،المتواضعون لديه،الخاشعون لوجهه الكريم .

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين ، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله ، جاحدين لكتبه . فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم ،وجعلهم أحاديث وعبرا ، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ وهؤلاء عاد الأولى ، وهم أولاد عاد بن إرم بن عَوص بن سام بن نوح ، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً ، عليه السلام ، فكذبوه وخالفوه ، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم بريح صرصر عاتية ، ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٧، ٨] .وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون .

فقوله تعالى : ﴿ إِرَمَ (٥) ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : عطف بيان ؛ زيادة تعريف بهم .

وقوله : ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ : لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشَّعر التى ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم (٦) خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكَّرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذى خلقهم ، فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] (٧) ﴾ [الأعراف:٦٩]. وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا

---

(١) في م : « يسرى » . (٢) زيادة من م ، أ . (٣) زيادة من م .
(٤) زياة من م ، أ . (٥) في م : « بعاد إرم » . (٦) في م : « زيادتهم » .
(٧) في م ، أ ، هـ : « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » والصواب ما أثبتناه .

عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] ، وقال هاهنا : ﴿ **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ** ﴾ أي : القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم ، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم .

قال مجاهد : إرم : أمة قديمة . يعنى : عادا الأولى ، كما قال قتادة بن دعامة ، والسُّدِّيُّ : إن إرم بيت مملكة عاد . وهذا قول حسن جيد قوى .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والكلبى فى قوله : ﴿ **ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ : كانوا أهل عمود لا يقيمون .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : إنما قيل لهم :﴿ **ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ لطولهم .

واختار الأول ابنُ جرير ، ورد الثانى فأصاب .

وقوله : ﴿ **الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ** ﴾ : أعاد ابن زيد الضميرَ على العماد ؛ لارتفاعها ، وقال: بنوا عُمُدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد . وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة، أى : لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد ، يعنى فى زمانهم . وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التى لم يعمل مثلها فى البلاد، وإنما قال: ﴿ **لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ** ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثنى معاوية بن صالح ، عمن حدثه ، عن المقدام ، عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال : « كان الرجل منهم يأتى على صخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » (١) .

ثم قال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن ثور بن زيد الديلى . قال : قرأت كتابا ــ قد سمى حيث قرأه ــ : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذى رفعت العماد ، وأنا الذى شددت بذراعى نظر واحد ، وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع ، لا يخرجه إلا أمة محمد ﷺ .

قلت : فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم ــ فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع ، المقرونون بثمود كما هاهنا ، والله أعلم . ومن زعم أن المراد بقوله : ﴿ **إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ مدينة إما دمشق ، كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة ، أو اسكندرية كما رُوى عن القُرَظى (٢)، أو غيرهما ، ففيه نظر ، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ ، إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذى لا يُرَد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم .

---

(١) ورواه ابن مردويه فى تفسيره كما فى فتح البارى لابن حجر (٨/٧٠١) .

(٢) فى أ : « القرطبى » .

وإنما نبهت على ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها [١] لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها [٢] وأبوابها تَصفُر ، ليس بها داع ولا مجيب . وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ــ فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك .

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب ــ وهو عبد الله بن قِلابة ــ في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت ، فبينما هو يتيه فى ابتغائها ، إذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب ، فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى تقدم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذى قال فلم يروا شيئا .

وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ هاهنا مطولة جداً ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهَوَس والخبال[٣] ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج ، وليس كذلك . وهذا مما يقطع بعدم صحته . وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين ، من وجود مطالب تحت الأرض ، فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت [٤] واللآلئ والإكسير الكبير ، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل فى صرفها فى بخاخير وعقاقير ، ونحو ذلك من الهذيانات ، ويَطْنزُون بهم . والذى يجزم به أن فى الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزاً كثيرة ، من ظفر بشىء منها أمكنه تحويله [٥] ، فأما على الصفة التى زعموها فكذب وافتراء وبهت ، ولم يصح فى ذلك شىء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب .

وقولُ ابن جرير : يحتمل أن يكون المراد بقوله :﴿ إِرَمَ ﴾ قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تُصرَف فيه نظر ؛ لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ، ولهذا قال بعده : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ يعنى : يقطعون الصخر بالوادى . قال ابن عباس : ينحتونها ويخرقونها . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد . ومنه يقال : « مُجتابى النّمار » . إذا خرقوها ، واجتاب الثوب : إذا فتحه . ومنه الجيب أيضا . وقال الله تعالى:﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٩] .

وأنشد ابن جرير وابن أبى حاتم هاهنا قولَ الشاعر :

---

(١) فى أ : « وأن حصباؤها » وهو خطأ .
(٢) فى م : « وسررها » .
(٣) فى م : « والخيال » .
(٤) فى م : « والياقوت » .
(٥) فى م : « تحويلها » .

ألا كُلّ شىء ـ ما خَلا الله ـ بائدٌ كَما بَاد حَيٌّ من شنيف ومارد
هُم ضَرَبُوا فى كُـلِّ صَمَّاء صَعْـدة بأيد شِدَاد أيّدات السَّواعد [١]

وقال ابن إسحاق : كانوا عربا ، وكان منزلهم بوادى القرى . وقد ذكرنا قصة « عاد » مستقصاة فى سورة « الأعراف » بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتَاد﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره . ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حَديد يعلقهم بها . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد . وهكذا قال سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدى . قال السدى: كان يربط الرجل ،كل قائمة من قوائمه فى وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشدخه [٢] .

وقال قتادة : بلغنا أنه كانت له مَطَالٌ وملاعب ، يلعب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

وقال ثابت البنانى ، عن أبى رافع : قيل لفرعون﴿ ذِى الأَوْتَاد ﴾ ؛ لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت .

وقوله :﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلاد . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ أى : تمردوا وعتوا وعاثوا فى الأرض بالإفساد والأذيَّة للناس ، ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى : أنزل عليهم رجزاً من السماء ، وأحل بهم عقوبة لا يَرُدّها عن القوم المجرمين .

وقوله :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ : قال ابن عباس : يسمع ويرى . يعنى : يرصد [٣] خلقه فيما يعملون ، ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والأخرى ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه ، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلا بما يستحقه . وهو المنزه عن الظلم والجور .

وقد ذكر ابن أبى حاتم هاهنا حديثاً غريباً جداً ـ وفى إسناده نظر وفى صحته ـ فقال : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى ، حدثنا يونس الحذاء ، عن أبى حمزة البيسانى ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، إن المؤمن لدى الحق أسير . يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يُخَلَّف جسر جهنم خلف ظهره . يا معاذ ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته ، وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله ، عز وجل ، فالقرآن دليله ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه ، عز وجل ، من وراء ذلك كله بالمرصاد » [٤] .

قال ابن أبى حاتم : يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة عن معاذ مرسل . ولو كان عن أبى حمزة لكان حسناً . أى : لو كان من كلامه لكان حسناً . ثم قال ابن أبى حاتم :

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١١٣) .

(٢) فى أ : « فشخده » . (٣) فى أ : « يراصد » .

(٤) ورواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/ ٣١) من طريق إسحاق بن أبى حسان ، عن أحمد بن أبى الحوارى به ، ورواه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٦) من طريق عبد الملك بن أبى كريمة ، عن أبى حاجب ، عن عبد الرحمن، عن معاذ مرفوعاً بنحوه .

حدثنا أبى ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعى : أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : إن لجهنم سبع قناطر ـ قال : والصراط عليهن، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى ، فيقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، قال : فيحاسبون على الصلاة ويُسألون عنها ، قال : فيهلك فيها من هلك ، وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسبوا على الأمانة كيف أدوها ، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرحم كيف وَصَلُوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا . قال : والرحم يومئذ متدلية إلى الهُوِىّ فى جهنم تقول : اللهم من وصلنى فَصِلْه ،ومن قطعنى فاقطعه . قال :وهى التى يقول الله عز وجل :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ .

هكذا أورد هذا الأثر ، ولم يذكر تمامه .

﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ﴾ .

يقول تعالى منكراً على الإنسان فى اعتقاده إذا وسع الله عليه فى الرزق ليختبره فى ذلك ، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك ، بل هو ابتلاء وامتحان . كما قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦] . وكذلك فى الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضَيَّق عليه فى الرزق ، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له . قال الله : ﴿ كَلاَّ ﴾ أى : ليس الأمر كما زعم ، لا فى هذا ولا فى هذا ، فإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق على من يحب ومن لا يحب ، وإنما المدار فى ذلك على طاعة الله فى كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك ، وإذا كان فقيراً بأن يصبر .

وقوله : ﴿ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ فيه أمر بالإكرام له ، كما جاء فى الحديث الذى رواه عبد الله ابن المبارك ، عن سعيد بن أبى أيوب ، عن يحيى بن سليمان ، عن زيد بن أبى عتاب [١] ، عن أبى هُريرة ، عن النبى ﷺ : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » ثم قال بأصبعه : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » [٢] .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان ، أخبرنا عبد العزيز ـ يعنى ابن أبى حازم ـ حدثنى أبى ، عن سهل ـ يعنى ابن سعد ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » . وقرن [٣] بين إصبعيه : الوسطى والتى تلى الإبهام [٤] .

(١) فى م : « غياث » .

(٢) الزهد لابن المبارك برقم (٦٥٤) ورواه ابن ماجة فى السنن برقم (٣٦٧٩) من طريق ابن المبارك ، وقال البوصيرى فى الزوائد (١٦٥/٣) : « هذا إسناد ضعيف ، يحيى بن سليمان ــ أبو صالح ــ قال فيه البخارى : منكر ، وقال أبو حاتم : مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان فى الثقات » .

(٣) فى أ : « وفرق » .

(٤) سنن أبى داود برقم (٥١٥٠) وهو فى صحيح البخارى برقم (٦٠٠٥) من طريق ابن أبى حازم به .

﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ يعني : لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم على بعض في ذلك ، ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ ﴾ يعني : الميراث ﴿ أَكْلًا لَمًّا ﴾ أي : من أي جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام ، ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي : كثيراً ـ زاد بعضهم : فاحشا .

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ .

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة ، فقال : ﴿ كَلَّا ﴾ أي : حقا ﴿ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي : وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ يعني : لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون [١] إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد ﷺ ، بعدما يسألون أولى العزم من الرسل واحداً بعد واحد ، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم ، حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ [٢] فيقول : « أنا لها ، أنا لها » . فيذهب فيشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله في ذلك ، وهي أول الشفاعات ، وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة «سبحان» [٣] ،فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفا .

وقوله : ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ : قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا عمر بن حفص بن [٤] غياث ، حدثنا أبي ، عن العلاء بن خالد الكاهلي ، عن شقيق ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يجرونها » .

وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، عن عمر بن حفص ، به [٥]، ورواه أيضا عن عبد بن حُمَيد ، عن أبي عامر ، عن سفيان الثوري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق ابن سلمة ـ وهو أبو وائل ـ عن عبد الله بن مسعود ، قوله ولم يرفعه [٦] . وكذا رواه ابن جرير ، عن الحسن بن عرفة ، عن مَروان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قوله [٧] .

(١) في أ : « يشفعون » .
(٢) في م : « صلوات الله وسلامه عليه » .
(٣) عند تفسير الآية : ٧٩ .
(٤) في أ : « نبأنا » .
(٥) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥٧٣) .
(٦) سنن الترمذي برقم (٢٥٧٣) .
(٧) تفسير الطبري (٣٠/ ١٢٠) .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ ﴾ أى : عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه ، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ أى : وكيف تنفعه الذكرى ؟ ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ يعنى : يندم على ما كان سلف منه من المعاصى ــ إن كان عاصيا ــ ويود لو كان ازداد من الطاعات ــ إن كان طائعا ــ كما قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا على بن إسحاق ، حدثنا عبد الله ــ يعنى ابن المبارك ــ حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن محمد بن أبى عَميرة ــ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ــ قال : لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هَرماً فى طاعة الله ، لَحَقَرَه يوم القيامة ، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب .

ورواه بَحِيرُ بنُ سَعد ، عن خالد بن مَعْدانَ ، عن عتبة بن عبد ، عن رسول الله ﷺ [١] .

قال الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ أى : ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه ، ﴿ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ أى : وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم ، عز وجل ، هذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين [٢] . فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ أى : إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته ، ﴿ رَاضِيَةً ﴾ أى : فى نفسها ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ أى : قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها ، ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أى : فى جملتهم ، ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفى يوم القيامة أيضا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك هاهنا .

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية ، فروى الضحاك ، عن ابن عباس : نزلت فى عثمان ابن عفان . وعن بُرَيدة بن الحُصَيب : نزلت فى حمزة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ ، يعنى : صاحبك ، وهو بدنها الذى كانت تعمره فى الدنيا ، ﴿ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ .

وروى عنه أنه كان يَقرؤها : « فادخلى فى عبدى وادخلى جنتى ».وكذا [٣] قال عكرمة والكلبى، واختاره ابن جرير ، وهو غريب ، والظاهر الأول ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾ [الأنعام:٦٢]، ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا [٤] إِلَى اللَّهِ ﴾ [غافر:٤٣] أى : إلى حكمه والوقوف بين يديه .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتَكِي، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى

---

(١) المسند (٤/ ١٨٥) .

(٢) فى أ : « والعالمين » . (٣) فى م : « وكذلك » .

(٤) فى م : « وأن مصيرنا » وهو خطأ .

قوله : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ، قال : نزلت وأبو بكر جالس ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا . فقال : « أما إنه سيقال لك هذا » (١).

ثم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي ﷺ : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ، فقال أبو بكر ، رضي الله عنه : إن هذا حسن . فقال له النبي ﷺ : « أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » .

وكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كُرَيْب ، عن ابن يمان ، به . وهذا مرسل حسن (٢) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مَرْوان بن شجاع الجزري ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير على خَلْقه (٣) ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تُليت هذه الآية على شفير القبر ، ما يدرى من تلاها : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ .

رواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، عن مَرْوان بن شجاع ، عن سالم بن عجلان الأفطس ، به فذكره (٤) .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي ـ المعروف بشكَّر ـ في كتاب « العجائب » بسنده عن قُبَاث بن رزين أبي هاشم قال : أسرتُ في بلاد الروم ، فجمعنا الملك وعَرَض علينا دينه ، على أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وألقى رأسه في نهر هناك ، فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان ـ يناديهم بأسمائهم ـ قال الله تعالى في كتابه : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ . ثم غاص في الماء ، [قال] (٥) ، فكادت النصارى أن يسلموا ، ووقع سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام . قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي ، عن أبيها : حدثني سليمان بن حبيب المحاربي ، حدثني أبو أمامة : أن رسول الله ﷺ قال لرجل : « قل : اللهم ، إني أسألك نفساً بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك » (٦) .

ثم روى عن سليمان بن زَبْر أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمّه .

آخر تفسير سورة « الفجر » ولله الحمد [والمنة] (٧)

---

(١) ورواه ابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة كما في الدر المنثور (٨/ ٥١٣) .

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ١٢٢) ورواه عبد بن حميد وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية كما في الدر المنثور (٨/ ٥١٣) .

(٣) في م : « على خلقته » .

(٤) المعجم الكبير (١٠/ ٢٩٠) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٨٥) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٥) زيادة من م .

(٦) تاريخ دمشق (ص ١٠٠) « تراجم النساء » ط ـ المجمع العربي بدمشق ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١١٨) من طريق عبد الرحمن بن عبد الغفار ، عن رواحة بنت عبد الرحمن به .

(٧) زيادة من م ، أ .

تفسير سورة البلد

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾ .

هذا قسم من الله عز وجل [١] بمكة أم القرى فى حال كون الساكن فيها حالا ؛ لينبه على عظمة قَدرها فى حال إحرام أهلها .

قال خَصِيف ، عن مجاهد : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ : لا رد عليهم ؛ أقسم بهذا البلد .

وقال شَبيب بن بشر ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ يعنى : مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت ــ يا محمد ــ يحل لك أن تقاتل به . وكذا رُوى عن سعيد بن جُبَير، وأبى صالح ، وعطية، والضحاك ، وقتادة ، والسدى ، وابن زيد .

وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك .

وقال قتادة : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت به من غير حَرَج ولا إثم .

وقال الحسن البصرى : أحلها الله له ساعة من نهار .

وهذا المعنى الذى قالوه قد ورَد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حَرَامٌ بحُرمَة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعضَد شجره ولا يختلى خلاه . وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» . وفى لفظ [آخر] [٢] : « فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » [٣] .

وقوله: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾: قال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ : الوالد : الذى يلد ، وما ولد: العَاقر الذى لا يولد له .

---

(١) فى أ : « تعالى » . (٢) زيادة من م .

(٣) الحديث فى صحيح البخارى برقم (١٠٤، ١٠٥، ١٨٣٢، ٤٢٩٥) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

ورواه [ابن جرير و] (١) ابن أبى حاتم ، من حديث شريك ــ وهو ابن عبد الله القاضى ــ به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذى يلد . رواه ابن أبى حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثورى ، وسعيد بن جبير ، والسدى ،والحسن البصرى،وخُصيف،وشرحبيل بن سعد وغيرهم:يعنى بالوالد آدم ،وما ولد ولده .

وهذا الذى ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ قوى ؛ لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهى المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجونى : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام فى كل والد وولده . وهو محتمل أيضا .

وقوله: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ : رُوى عن ابن مسعود،وابن عباس ، وعكرمة، ومجاهد، وإبراهيم النخعى ، وخَيْثَمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعنى منتصبا ــ زاد ابن عباس فى رواية عنه ــ فى (٢) بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنى هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويا مستقيما كقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ [الانفطار:٦،٧]، وكقوله : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [التين:٤] .

وقال ابن [أبى نجيحُ] (٣) جريج وعطاء(٤)، عن ابن عباس : فى كبد ، قال : فى شدّة خُلق، ألم تر إليه . . . وذكر مولده ونبات أسنانه .

قال مجاهد : ﴿ **فِي كَبَدٍ** ﴾ : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد فى الخلق ــ قال مجاهد : وهو كقوله : ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا** ﴾ [الأحقاف:١٥]، وأرضعته كرها ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك.

وقال سعيد بن جبير : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ : فى شدة وطَلَب معيشة . وقال عكرمة : فى شدة وطول . وقال قتادة : فى مشقة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن على أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله :﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ قال : فى قيامه واعتداله . فلم يُنكر عليه أبو جعفر .

وروى من طريق أبى مودود: سمعت الحسن قرأ هذه الآية : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ قال:يكابد أمرا من أمر الدنيا ،وأمرا من أمر الآخرة ــ وفى رواية :يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

---

(١) زيادة من أ . (٢) فى م ، أ : « منتصبا فى » . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م ، أ : « عن عطاء » .

وقال ابن زيد : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ قال : آدم خلق فى السماء ، فسمى ذلك الكبد.

واختار ابن جرير أن المراد [بذلك] (١) مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ : قال الحسن البصرى : يعنى أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله .

وقال قتادة : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ قال : ابن آدم يظن أن لن يسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟

وقال السدى : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿ يقول أهلكت مالاً لبدًا ﴾ أى : يقول ابن آدم : أنفقت مالا لبدا ، أى : كثيرا . قاله مجاهد [والحسن] (٢) ، وقتادة ، والسدى ، وغيرهم .

﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ : قال مجاهد : أى أيحسب أن لم يره الله عز وجل . وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ أى : يبصر بهما ، ﴿ ولسانًا ﴾ أى : ينطق به ، فيعبر عما فى ضميره ، ﴿ وشفتين (٣) ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالاً لوجهه وفمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى الربيع الدمشقى ، عن مكحول قال: قال النبى ﷺ: « يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعماً عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاءً ، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما . وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك وأحللتُ لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فَأَرْخِ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطى ، ولا تطيق انتقامى » (٤) .

﴿وهديناه النجدين ﴾: قال سفيان الثورى،عن عاصم،عن زرّ،عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال : الخير والشر . وكذا رُوى عن على ، وابن عباس ، ومجاهد، وعكرمة ، وأبى وائل ، وأبى صالح ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراسانى فى آخرين .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » (٥) .

---

(١) زيادة من م . (٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م : ﴿ ولسانا وشفتين ﴾ .

(٤) تاريخ دمشق (٤٦/١٩ « المخطوط ») .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣٥٦/٣) من طريق ابن وهب .

تفرد به سنان بن سعد ــ ويقال : سعد بن سنان ــ وقد وثقه ابن معين . وقال الإمام أحمد والنسائى والجوزجانى : منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ، ما أعرف منها حديثا واحدا . يشبه حديثه حديثَ الحسن ــ يعنى البصرى ــ لا يشبه حديثَ أنس .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء قال : سمعت الحسن يقول: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ قال : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول : « يا أيها الناس ، إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » [١] .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد ، ويونس بن عبيد ، وأبو وهب ، عن الحسن مرسلا . وهكذا أرسله قتادة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا عيسى ابن عقال [٢] ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ قال : الثديين .

وروى عن الربيع بن خُثَيم [٣] ، وقتادة وأبى [٤] حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب ، عن وكيع ، عن عيسى بن عقَّال ، به . ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر فى قوله : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ قال : جبل فى جهنم .

وقال كعب الأحبار : ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ : هو سبعون درجة فى جهنم . وقال الحسن البصرى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ ، قال: عقبة فى جهنم . وقال قتادة : إنها قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة [٥] : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ . ثم أخبر عن اقتحامها فقال: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٢٨) .

(٢) فى أ : « عفان » . (٣) فى أ : « خيثم » . (٤) فى م : « وابن » .

(٥) فى جميع النسخ : « وقال قتادة :وقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾». وحذفنا « وقوله » ليستقيم المعنى. مستفادا من هامش ط . الشعب .

وقال ابن زيد : ﴿ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير . ثم بينها فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَة . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ .

قرئ: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا [(١)] القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد :حدثنا على [(٢)] بن إبراهيم،حدثنا عبد الله ــ يعنى ابن سعيد [(٣)] بن أبى هند ــ عن إسماعيل بن أبى حكيم ــ مولى آل الزبير ــ عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب منها إربا منه من النار ، حتى إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج » . فقال على بن الحسين : أنتَ سَمِعتَ هذا من أبى هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال على بن الحسين لغلام له ــ أفْرَهَ غلمانه ــ : ادعُ مطْرَفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حُر لوجه الله.

وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى،من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به [(٤)]. وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مَعدانَ بن أبى طلحة ، عن أبى نَجيح [(٥)] قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أيما مسلم أعتقَ رَجُلا مسلما ، فإن الله جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة ، فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » .

رواه ابن جرير هكذا [(٦)] . وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عَبَسَةَ السلمى ، رضى الله عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ،حدثنى بَحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن عمرو بن عَبَسَة [(٧)] : أنه حدثهم : أن النبى ﷺ قال : « من بنى مسجدا ليذكر الله فيه ، بنى الله له بيتا فى الجنة . ومن أعتق نفساً مسلمة ، كانت فديته من جهنم . ومن شاب شيبة فى الإسلام ، كانت له نورا يوم القيامة » [(٨)] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا حَريز ؛ عن سُليم بن عامر : أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسَة [(٩)] : حَدِّثنا حديثاً ليس فيه تَزَيّد ولا نسيان . قال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار ، عُضْوا بعضو . ومن

(١) فى م : « وكلا » . (٢) فى م : « حدثنا مكى » . (٣) فى م : « سعد » .

(٤) المسند (٢/ ٤٢٢) وصحيح البخارى برقم (٦٧١٥،٢٥١٧) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٩) وسنن الترمذى برقم (١٥٤١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٧٥) .

(٥) فى أ : « عن ابن أبى نجيح » .

(٦) تفسير الطبرى (١٢٩/٣٠) ورواه النسائى فى السنن الكبرى برقم (٤٨٧٩) من طريق قتادة .

(٧) فى أ : « ابن عنبسة » .

(٨) المسند (٣٨٦/٤) .

(٩) فى أ : « عنبسة » .

شاب شيبة فى سبيل الله ، كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ ، كان كمعتق رقبة من بنى إسماعيل » (١) .

وروى أبو داود ، والنسائى بعضه (٢) .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الفرج ،حدثنا لقمان ، عن أبى أمامة ، عن عمرو بن عَبَسَةَ (٣) : قال السلمى(٤) : قلت له : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وَهم . قال: سمعته يقول : « من وُلد له ثلاثة أولاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنْثَ ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رَمى بسهم فى سبيل الله ، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له عتق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله الله من أى باب شاء منها » (٥) .

وهذه أسانيد جيدة قوية ، ولله الحمد [والمنة] (٦) .

حديث آخر : قال أبو داود : حدثنا عيسى بن محمد الرملى ، حدثنا ضَمْرة ، عن ابن أبى عَبلَة، عن الغريف بن الديلمى قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا حَديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق فى بيته ،فيزيد وينقص. قلنا :إنما أردنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ .قال: أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ـ يعنى النار ـ بالقتل ، فقال : « أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار » .

وكذا رواه النسائى من حديث إبراهيم بن أبى عَبلة ، عن الغَريف بن عياش الديلمى ، عن واثلة، به(٧) .

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذامى ، عن عقبة بن عامر الجهنى: أن رسول الله ﷺ قال:« من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » (٨).

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذُكِر أن قيسا الجذامى حَدّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة فهى فكاكه من النار » (٩) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسى بن عبد

(١) المسند (٤/ ١١٣) .
(٢) سنن أبى داود برقم (٣٩٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٨٥، ٤٨٨٦) .
(٣) فى أ : « عنبسة » . (٤) فى م : « السلمى قال » .
(٥) المسند (٤/ ٣٨٦) .
(٦) زيادة من أ .
(٧) سنن أبى داود برقم (٣٩٦٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٩٠، ٤٨٩١) .
(٨) المسند (٤/ ١٥٠) .
(٩) المسند (٤/ ١٤٧) .

الرحمن البجلى ــ من بنى بجيلة ــ من بنى سليم ــ عن طلحة ــ قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف ــ عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، علمنى عملا يدخلنى الجنة . فقال : « لئن كنت أقصرتَ الخطبة لقد أعرضت المسألة . أعتق النسمة ، وفك الرقبة » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : « لا ، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى عتقها . والمنحة الوكوف ، والفيء على ذى الرحم الظالم ؛ فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائعَ ، واسقِ الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير »[١] .

وقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾: قال ابن عباس : ذى مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسَّغَب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النَّخَعِى : فى يومٍ الطعامُ فيه عزيزٌ .

وقال قتادة : فى يوم يُشتهى فيه الطعام .

وقوله : ﴿ يَتِيمًا ﴾ أى : أطعم فى مثل هذا اليوم يتيما ، ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أى : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك ،والسدى .كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين ،عن سليمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الصدقة على المسكين [٢] صدقة ، وعلى ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » .

وقد رواه الترمذى والنسائى [٣] ، وهذا إسناد صحيح .

وقوله : ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى : فقيرا مُدقعاً لاصقا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضا .

قال ابن عباس : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ هو المطروح فى الطريق [٤]، الذى لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب ــ وفى رواية : هو الذى لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء ــ وفى رواية عنه : هو البعيد التربة .

قال ابن أبى حاتم : يعنى الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

وقال سعيد بن جبير : هو الذى لا أحد له .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال .

وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا [٥] ﴾ أى : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة [٦] ،

---

(١) المسند (٤/٢٩٩) .

(٢) فى أ : « على المسلمين » .

(٣) المسند (٤/٢١٤) وسنن الترمذى برقم (٦٥٨) وسنن النسائى (٥/٩٢) وقال الترمذى : « حديث سلمان بن عامر حديث حسن » .

(٤) فى م : « بالطريق » . (٥) فى م : « آمنوا وعملوا الصالحات » . (٦) فى أ : « الظاهرة » .

مؤمنٌ بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩] وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الآية [١] [النحل:٩٧] .

وقوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أى : كان من المؤمنين العاملين صالحا ، المتواصين بالصبر على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم . كما جاء فى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » [٢] . وفى الحديث الآخر : « لا يَرْحَم اللهُ من لا يَرْحَم الناس» [٣] .

وقال أبو داود :حدثنا [أبو بكر] [٤] بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن ابن عامر[٥]، عن عبد الله بن عَمْرو ــ يرويه ــ قال : « من لم يَرْحم صغيرنا ويَعْرِف حَقَّ كبيرنا ،فليس منا » [٦] .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أى : أصحاب الشمال ، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظى ، وعطية العوفى ، والحسن ، وقتادة ، والسدى : ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة ــ قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش : أى أغلقه .

وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ .

وقال الضحاك :﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ : حيط لا باب له .

وقال قتادة : ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجونى : إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس فى الدنيا شره ، فأوثقوا فى الحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم ، ثم أوصدوها عليهم ، أى: أطبقوها ــ قال : فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ، ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غَمْض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم .

آخر تفسير سورة « البلد » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى م : « الآيات » .

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند (٢/ ١٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٣١٩) من حديث جرير رضى الله عنه .

(٤) زيادة من أ . (٥) فى أ : « جابر » .

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٩٤٣) .

تفسير سورة والشمس وضحاها

وهى مكية .

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ و ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ أى : وضوئها . وقال قتادة : ﴿ وَضُحَاهَا ﴾: النهار كله .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ؛ لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار [١] .

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ : قال مجاهد : تبعها . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ قال : يتلو النهار. وقال قتادة : ﴿ إِذَا تَلاهَا ﴾ ليلة الهلال ،إذا سقطت الشمس رؤى الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ، ثم هى تتلوه . وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر .

وقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ : قال مجاهد : أضاء . وقال قتادة : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ : إذا غشيها النهار .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : والنهار إذا جلا الظلمة ، لدلالة الكلام عليها .

قلت : ولو أن هذا القائل تأول [ذلك] [٢] بمعنى ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ أى : البسيطة ، لكان أولى ، ولصح [تأويله فى] [٣] قول الله [٤] : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ ، فكان أجود وأقوى ، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ إنه كقوله : ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ٢] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٣) .

(٢، ٣) زيادة من م ، أ .

(٤) فى م ، أ : « قوله » .

وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس ، لجريان ذكرها . وقالوا فى قوله : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ يعنى : إذا يغشى الشمس حين تغيب ، فتظلم الآفاق .

وقال بَقِيَّة بن الوليد ، عن صفوان ، حدثنى يزيد بن ذى حمامة [١] قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله : غشى عبادى خلقى العظيم ، فالليل يهابه ، والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ : يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية ، بمعنى : والسماء وبنائها . وهو قول قتادة ، ويحتمل أن تكون بمعنى « مَن » يعنى : والسماء وبانيها . وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم ، والبناء هو الرفع ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أى : بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ . وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧ ، ٤٨] .

وهكذا قوله : ﴿ وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ : قال مجاهد : ﴿ طَحَاهَا ﴾ : دحاها . وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿وَمَا طَحَاهَا ﴾ أى : خلق فيها .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿طَحَاهَا ﴾ : قسمها .

وقال مجاهد ، وقتادة والضحاك ، والسُّدِّى ، والثورى ، وأبو صالح ،وابن زيد :﴿ طَحَاهَا ﴾: بسطها .

وهذا أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى: طحوته مثل دحوته ، أى : بسطته .

وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أى : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] . وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جَمْعَاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » .

أخرجاه من رواية أبى هريرة [٢] .

وفى صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعى ، عن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : إنى خلقت عبادى حُنَفَاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » [٣] .

وقوله : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أى : فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أى : بين لها ذلك، وهداها إلى ما قدر لها .

قال ابن عباس : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة، والضحاك ، والثورى .

---

(١) فى أ : « ذى حماية » .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٣٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) .

وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا عَزْرَة بن ثابت ، حدثنى يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يَعْمَر ، عن أبى الأسود الدِّيلى [(١)] قال : قال لى عمران بن حصين : أرأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قَدَر قد سبق ، أو فيما يُستَقبَلُون مما أتاهم به نبيهم ﷺ ، وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شىء قضى [(٢)] عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعت منه فزعاً شديداً ، قال : قلت له : ليس شىء إلا وهو خَلقُه ومِلْك يَده ، لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون . قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر [(٣)] عقلك، إن رجلا من مُزَينة ــ أو جهينة ــ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قَدر قد سبق ، أم شىء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ، وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل شىء قد قضى [(٤)] عليهم » . قال : ففيم نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يُهَيِّئه لها ، وتصديق ذلك فى كتاب الله : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ » .

رواه أحمد ومسلم ، من حديث عَزْرَة بن ثابت به [(٥)] .

وقوله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، أى : بطاعة الله ــ كما قال قتادة ــ وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . ويُروَى نحوه عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير . وكقوله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ** ﴾ [الأعلى: ١٤ ، ١٥] .

﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ أى : دسسها ، أى : أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهُدَى ، حتى ركب المعاصى وترك طاعة الله عز وجل .

وقد يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دَسَّى الله نفسه ، كما قال [(٦)] العوفى وعلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى وأبو زُرْعَة قالا : حدثنا سهل [(٧)] بن عثمان ، حدثنا أبو مالك ــ يعنى عمرو بن هشام ــ عن جُوَيبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قول الله : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ قال النبى ﷺ : « أفلحت نفس زكاها الله » [(٨)] .

ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى مالك ، به . وجويبر [هذا] [(٩)] : هو ابن سعيد ، متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

---

(١) فى أ : « الديلمى » . (٢) فى أ : « شىء قد قضى » . (٣) فى م : « إنما سألتك لأختبر » .

(٤) فى م : « قضى الله » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٣٥) والمسند (٤/٤٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٠) .

(٦) فى م : « كما قاله » . (٧) فى أ : « سهيل » .

(٨) ورواه الديلمى فى مسند الفردوس برقم (٤٦٠٠) من طريق جويبر به .

(٩) زيادة من م .

وقال الطبرانى :حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبى ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ وقف،ثم قال:«اللهم آت نفسى تقواها،أنت وليها ومولاها ،وخير من زكاها »[١] .

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدنى ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموى ، حدثنا مَعْن بن محمد الغفارى ، عن حنظلة بن على الأسلمى ، عن أبى هريرة قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ : ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ قال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » [٢] . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن نافع ـ يعنى ابن عمر ـ عن صالح بن سُعَيد ، عن عائشة : أنها فَقَدت النبى ﷺ من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت [٣] عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ، أعط نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » [٤] تفرد به .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم ، إنى أعوذ بك من العجز والكَسَل والهرم ، والجُبن والبخل وعذاب القبر . اللهم ، آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم ، إنى أعوذ بك من قَلْب لا يخشع ، ومن نَفْس لا تشبع ، وعِلْم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » . قال زيد : كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكوهن .

رواه مسلم من حديث أبى معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ـ وأبى عثمان النهدى ، عن زيد بن أرقم ، به [٥] .

﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)** ﴾ .

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغى .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **بِطَغْوَاهَا** ﴾ أى : بأجمعها .

والأول أولى ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكذيباً فى قلوبهم بما جاءهم به

---

(١) المعجم الكبير (١١/١٠٦) وزاد : « عن عمرو بن دينار وعطاء بن أبى رباح » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/١٣٨) : « إسناد حسن ».

(٢) ورواه ابن أبى عاصم فى السنة برقم (٣١٨) عن يعقوب بن حميد به .

(٣) فى م : « فوثبت » .

(٤) المسند (٦/٢٠٩) .

(٥) المسند (٤/٣٧١) وصحيح مسلم برقم (٢٧٢٢) .

رسولهم من الهدى واليقين .

﴿ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ أى : أشقى القبيلة ، هو قُدَار بن سالف عاقرُ الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذى قال تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴾ [القمر:٢٩] . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم، شريفاً فى قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : « ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ : انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه ، مثل زمعة » .

ورواه البخارى فى التفسير ، ومسلم فى صفة النار ، والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما [١] ، وكذا ابن جرير وابن أبى حاتم [من طرق] [٢] عن هشام بن عروة ، به [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنى يزيد بن محمد بن خُثَيم [٤] ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خُثَيم [٥] أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلى : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟» . قال : بلى : قال : « رجلان ؛ أحيمر ثمود الذى عَقَر الناقة ، والذى يضربك يا علىّ عَلَى هذا ــ يعنى قَرنه ــ حتى تبتل منه هذه » يعنى : لحيته [٦] .

وقوله : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ يعنى : صالحاً ، عليه السلام : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ أى : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ، ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ أى : لا تعتدوا عليها فى سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أى : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ ﴾ أى: غضب عليهم ، فدمّر عليهم ، ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أى : فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء .

قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ،وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم فى عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم [٧] فسواها .

وقوله : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ : وقرئ : « فلا يخاف عقباها » .

---

(١) فى م : « من سننيهما » .

(٢) زيادة من م .

(٣) المسند (٤/١٧) وصحيح البخارى برقم (٤٩٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٥) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧٥) وتفسير الطبرى (٣٠/١٣٧) .

(٤،٥) فى أ : « خيثم » .

(٦) ورواه البخارى فى التاريخ الكبير (١/٧١) عن إبراهيم بن موسى به ، ورواه أبو نعيم فى الدلائل (ص٤٨٥) من طريق محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق به ، وقال البخارى : « هذا إسناد لا يعرف سماع يزيد من محمد ولا محمد بن كعب من ابن خثيم ولا ابن خثيم من عمار » .

(٧) فى م ، أ : « بذنبهم » .

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وبكر بن عبد الله المزنى ، وغيرهم .

وقال الضحاك والسدى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أى : لم يخف [1] الذى عقرها عاقبة ما صنع .

والقول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

آخر تفسير « والشمس وضحاها »

---

(١) فى أ : « لم يخف الله » .

تفسير سورة الليل[١]

وهى مكية .

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ : « فهلا صليت بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ ، و ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ، و ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) ﴾ .

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة: أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق ، فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ، ارزقنى جليساً صالحاً . قال : فجلس إلى أبى الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت؟ قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ ؟ قال علقمة : «والذكر والأنثى ». فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله ﷺ، فما زال هؤلاء حتى شككونى . ثم قال : ثم ألم يكن فيكم صاحب الوساد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره ، والذى أجير من الشيطان على لسان النبى ﷺ ؟ [٢] .

وقد رواه البخارى هاهنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء ، فطلبهم فوجدهم ، فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا ،قال: أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة ، فقال : كيف سمعته يقرأ : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ؟ قال : «والذكر والأنثى ».قال : أشهد أنى سَمعت رسولَ الله ﷺ يقرأ هكذا ، وهؤلاء يريدونى أن أقرأ : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ ، والله لا أتابعهم [٣] .

هذا لفظ البخارى:هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء ــ ورفعه أبوالدرداء ــ وأما الجمهور فقرؤوا ذلك كما هو مُثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق :﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾،

---

(١) فى أ : « تفسير سورة والليل إذا يغشى » .

(٢) المسند (٦/ ٤٤٩) وتكملة الحديث « وصاحب الوساد : ابن مسعود ، وصاحب السر : حذيفة ، والذى أجير من الشيطان : عمار ».

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٤) وصحيح مسلم برقم (٨٢٤) .

فأقسم تعالى بـ ﴿ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أى : إذا غَشىَ الخليقةَ بظلامه ، ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أى : بضيائه وإشراقه ، ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾، كقوله : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ:٨] ، وكقوله : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩] .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضادا؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أى : أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة ، فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا ، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى ﴾ أى : أعطى ما أمر بإخراجه ، واتقى الله فى أموره ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالمجازاة على ذلك ــ قاله قتادة ، وقال خَصيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ،وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن السلمى ، والضحاك : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بلا إله إلا الله . وفى رواية عن عكرمة : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بما أنعم الله عليه . وفى رواية عن زيد بن أسلم : ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ قال : الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : وصدقة الفطر .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا زُهَير بن محمد ، حدثنى مَن سَمِع أبا العالية الرياحى يُحدث عن أبى بن كعب قال : سألت رسولَ الله ﷺ عن الحسنى قال : « الحسنى : الجنة » [١] .

وقوله : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾:قال ابن عباس: يعنى للخير . وقال زيد بن أسلم :يعنى للجنة.

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة[٢] الحسنةُ بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئةُ بعدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ أى : بما عنده ، ﴿وَاسْتَغْنَى ﴾ : قال عكرمة ، عن ابن عباس : أى بخل بماله ، واستغنى عن ربه ، عز وجل . رواه ابن أبى حاتم .

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أى : بالجزاء فى الدار الآخرة ، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ أى : لطريق الشر، كما قال تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠] ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله ، عز وجل ، يُجازى من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان . وكل ذلك بقدر مُقدّر ، والأحاديثُ الدالة على هذا المعنى كثيرة :

رواية أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا على بن عَيَّاش ، حدثنى العطاف بن خالد ، حدثنى رجل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال:« بل على أمر قد فُرغ منه».

---

(١) ورواه الطبرى فى تفسيره (٦٩/١٥) ط ــ المعارف ، من طريق عمرو بن أبى سلمة عن زهير به .

(٢) فى أ : « عن ثواب الحسنى » .

قال : ففيم العملُ يا رسول الله ؟ قال : « كل ميسر لما خلق له » [١] .

رواية على ، رضى الله عنه : قال البخارى ، حدثنا أبو نعيم : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعد [٢] بن عبيدة ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، عن على بن أبى طالب قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى بَقِيع الغَرْقَد فى جنازة ، فقال :« ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل ؟ فقال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له». قال : ثم قرأ: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ ،إلى قوله: ﴿ **لِلْعُسْرَى** ﴾ [٣] .

وكذا رواه من طريق شعبة ووكِيع ، عن الأعمش ، بنحوه [٤] . ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة، عن جرير ، عن منصور ، عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن ، عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد ،فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخْصَرَةٌ فَنَكَسَ فجعل ينكُت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحد ــ أو : ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال : « أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » . ثم قرأ : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾ الآية [٥] .

وقد أخرجه بقية الجماعة ، من طرق ، عن سعد بن عبيدة ، به [٦].

رواية عبد الله بن عمر : وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال : سمعتُ سالم بنَ عبد الله يُحدث عن ابن عُمرَ : قال : قال عمر : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفى أمر قد فُرِغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : « فيما قد فُرِغَ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب ، فإن كُلا مُيَسَّر ، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء » .

ورواه الترمذى فى القدر ، عن بُندار ، عن ابن مَهْدِى ، به [٧] وقال : حسن صحيح .

حديث آخر من رواية جابر : قال ابن جرير : حدثنى يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى عمرو ابن الحارث ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : يا رسول الله ، أنعمل لأمر قد فرغ

---

(١) المسند (١/ ٥) .

(٢) فى م : « سعيد » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٥) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٦، ٤٩٤٧) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٨) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٤٧) وسنن أبى داود برقم (٤٦٩٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٧٨) وسنن ابن ماجة برقم (٧٨) .

(٧) المسند (٢/ ٥٢) وسنن الترمذى برقم (٢١٣٥) .

منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال : « لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقة : ففيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « كل عامل مُيَسَّر لعمله » .

ورواه مسلم عن أبى الطاهر ، عن ابن وهب ، به [١] .

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثنى يونس ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق ابن حبيب ، عن بشير [٢] بن كعب العدوى قال : سأل غلامان شابان النبى ﷺ فقالا : يارسول الله، أنعمل فيما جَفَّت به الأقلام وجَرَتْ به المقادير ، أو فى شىء يستأنف ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقلام ، وجرت به المقادير » . قالا : ففيم العمل إذاً ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى خلق له » . قالا : فالآن نجد ونعمل [٣] .

رواية أبى الدرداء : قال الإمام أحمد : حدثنا هَيْثَم [٤] بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمى ، عن يونس بن ميسرة بن حَلْبس ، عن أبى إدريس ، عن أبى الدرداء قال : قالوا : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل ، أمر قد فُرغ منه أم شىء نستأنفه ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا: فكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال : « كل امرئ مهيأ لما خلق له » [٥] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر : قال ابن جرير : حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كَبْشَة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، حدثنى خُلَيد العَصرى ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجَنْبَتَيْهَا ملكان يناديان بصوت يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً » . وأنزل الله فى ذلك القرآن : **﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾** [٦] .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبى كبشة ، بإسناده مثله .

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنى أبو عبد الله الطهرانى ، حدثنا حفص بن عُمرَ العَدَانى، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رجلا كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلى [٧] دار رجل صالح فقير ذى عيال ، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ الثمر من نخلته ، فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الفقير فنزل من نخلته فَنَزَع [٨] الثمرة من أيديهم ،وإن أدخل أحدهم

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٨) .

تنبيه : لم يقع ذكر سراقة فى رواية الطبرى ولا فى رواية أبى الطاهر فى صحيح مسلم ، وإنما وقع فى صحيح مسلم من طريق آخر .

(٢) فى أ : « بشر » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٤) .

(٤) فى أ : « حدثنا هشيم » .

(٥) المسند (٦/ ٤٤١) .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٢) .

(٧) فى م ، أ : « فى » . (٨) فى أ : « فينزع » .

الثمرة فى فمه أدخل أصبعه فى حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجلُ إلى النبى ﷺ، وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبى ﷺ : « اذهب » . ولقى النبى ﷺ صاحب النخلة ، فقال له النبى ﷺ : « أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة» فقال له : لقد أعطيت ، ولكن يعجبنى ثمرها ، وإن لى لنخلا كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها. فذهب النبى ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة . فقال الرجل : يا رسول الله ، إن أنا أخذت النخلة فصارت لى النخلة فأعطيتها أتعطينى بها ما أعطيته بها نخلة فى الجنة ؟ قال : « نعم » . ثم إن الرجل لقى صاحب النخلة ، ولكلاهما نخل، فقال له : أخبرك أن محمداً، [قد] [١] أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة ، فقلت ، له : قد أعطيتُ ولكن يعجبنى ثمرها . فسكت عنه الرجلُ ، فقال له : أتُراك إذا بعتها ؟ قال: لا ، إلا أن أعطى بها شيئاً ، ولا أظننى أعطاه . قال : وما مناك بها [٢] ؟ قال : أربعون نخلة. فقال الرجل : لقد جئتَ بأمر عظيم،نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟! ثم سكتا وأنشأ فى كلام [آخر][٣] ، ثم قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة ، فقال : أشهِدْ لى إن كنت صادقاً . فأمر بأناس فدعاهم فقال : اشهدوا أنى قد أعطيته من نخلى أربعين نخلة بنخلته التى فرعها فى دار فلان ابن فلان . ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد رضيت .ثم قال بعدُ : ليس بينى وبينك بيع لم تفترق قال[٤] له: قد أقالك الله ، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة . فقال صاحب النخلة: قد رضيتُ على أن تعطينى الأربعين على ما أريد .قال : تعطينيها على ساق . ثم مكث ساعة، ثم قال : هى لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق ، فتفرقا ، فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن النخلة المائلة فى دار فلان قد صارت لى، فهى لك . فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعيالك » . قال عكرمة : قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ إلى قوله :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ إلى آخر السورة [٥] .

هكذا رواه ابن أبى حاتم ، وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : حدثنى هارون ابن إدريس الأصم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بنى ، أراك تعتق أناساً ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالا جُلدَاء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! فقال: أىْ أبَت ، إنما أريد ــ أظنه قال ــ ما عند الله : قال : فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية

(١) زيادة من م .
(٢) فى م ، أ : « فيها » .
(٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « فقال » .
(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٣٢) وقال : « أخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس » .

أنزلت فيه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [١] .

وقوله : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ : قال مجاهد : أى إذا مات . وقال أبو صالح ، ومالك عن زيد بن أسلم : إذا تردى فى النار .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى (١٥) الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾ .

قال قتادة : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾أى : نبين الحلالَ والحرامَ . وقال غيره : من سَلك طريق الهدى وَصَل إلى الله. وجعله كقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل:٩]. حكاه ابن جرير .

وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴾ أى : الجميع ملكنا [٢]وأنا المتصرف فيهما .

وقوله : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ : قال مجاهد : أى توهج .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يخطب يقول : « أنذركم النار [أنذرتكم النار، أنذرتكم النار] [٣] » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامى هذا. قال : حتى وقعت خَميصة كانت على عاتقه عند رجليه [٤] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ،حدثنا شعبة ،حدثنى أبو إسحاق : سمعت النعمان ابن بشير يخطب ويقول : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منها دماغه » .

رواه البخارى [٥] .

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ،عن أبى إسحاق ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يَغلى منهما دماغه كما يَغْلى المِرْجَل،ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً،وإنه لأهونهم عذابا»[٦] .

وقوله :﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ أى :لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى. ثم فسره فقال : ﴿ الَّذِى كَذَّبَ ﴾ أى : بقلبه ، ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أى : عن العمل بجوارحه وأركانه .

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٢) .
(٢) فى م : « ملكاً » .
(٣) زيادة من م ، أ ، والمسند .
(٤) المسند (٤/ ٢٧٢) .
(٥) المسند (٤/ ٢٧٤) وصحيح البخارى برقم (٦٥٦١،٦٥٦٢) .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعة ، حدثنا عبد ربه[١] بن سعيد ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل النار إلا شقى » . قيل : ومن الشقى ؟ قال : « الذى لا يعمل بطاعة ،ولا يترك لله معصية » [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس وسُريج قالا : حدثنا فُلَيح، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلامن أبى » . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » .

ورواه البخارى عن محمد بن سنان ، عن فُلَيح ،به [٣] .

وقوله : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾ أى : وسيُزَحزح عن النار التقى النقى الأتقى . ثم فسره بقوله : ﴿الَّذى يُؤْتِى مَالَهُ يتزكَّىٰ ﴾ أى : يصرف ماله فى طاعة ربه ؛ ليزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ، ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ أى :ليس بَذْله حاله [٤] فى مكافأة من أسدى إليه معروفاً، فهو يعطى فى مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾ أى : طمعاً فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ أى : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك.ولا شك أنه داخل فيها ،وأولى الأمة [٥] بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذي يُؤْتِي مَالَهُ يتزكَّىٰ . وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾،ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فإنه كان صديقاً تقياً كريما جواداً بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله ، فكم من دراهم [٦] ودنانير [٧] بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود ــ وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية ــ : أما والله لولا يد لك كانت عندى لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال:﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين فى سبيل الله دَعَته خَزَنَةُ الجنة : يا عبد الله ، هذا خير»، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما على من يُدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : «نعم، وأرجو أن تكون منهم »[٨] .

آخر تفسير سورة « الليل » ولله الحمد والمنة [٩]

---

(١) فى أ : « حدثنا عبد الله » .
(٢) المسند (٢/٣٤٩) .
(٣) المسند (٢/٣٦١) وصحيح البخارى برقم (٧٢٨٠) .
(٤) فى أ : « ماله » .
(٥) فى أ : « الآية » .
(٦) فى م ، أ : « من درهم » .
(٧) فى أ : « ودينار » .
(٨) صحيح البخارى برقم (٢٨٤١) وصحيح مسلم برقم (١٠٢٧) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٩) فى أ : « ولله الحمد والمنة والثناء الحسن الجميل » .

تفسير سورة الضحى

وهى مكية .

روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بَزَةَ المقرئ قال : قرأت على عكرمة بن سليمان ، وأخبرنى أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عبَّاد ، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَى﴾ قالا لى: كَبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك. وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك. وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك [١].

فهذه سُنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى ، من ولد القاسم بن أبى بزة ، وكان إماماً فى القراءات ، فأما فى الحديث فقد ضَعَّفَه أبو حاتم الرازى وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلى قال : هو منكر الحديث . لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير فى الصلاة ، فقال له : أحسنت وأصبت السنة . وهذا يقتضى صحة هذا الحديث .

ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من آخر ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ . وقال آخرون : من آخر ﴿ وَالضُّحَى ﴾ . وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر .

وذكر الفراء فى مناسبة التكبير من أول سورة « الضحى » : أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة [ثم][٢] جاءه الملك فأوحى إليه : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ السورة بتمامها، كبر فرحاً وسروراً . ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فالله أعلم [٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ

---

(١) ورواه الحافظ الذهبى فى ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥) ثم قال: « هذا حديث غريب ، وهو مما أنكر على البزى ، قال أبو حاتم : هذا منكر » .

(٢) زيادة من م .

(٣) والصواب أن هذا مما لم يصح فيه شيء عن النبى ﷺ ولا عن صحابته ، رضى الله عنهم ، وما روى فيها مما لا تقوم به الحجة ، وشيخ الإسلام ــ ابن تيمية ــ قد تكلم على هذا التكبير كلاماً شديداً فى الفتاوى (١٣/ ٤١٧ــ٤١٩) ، وانظر : الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣١٠) ومرويات دعاء ختم القرآن لبكر أبو زيد (ص٦) ومن كتابه استفدت هذا ، فجزاه الله خيراً .

ضَالاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن الأسود بن قيس قال : سمعت جُنْدُبا يقول : اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين ، فأتت امرأة فقالت : يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ [١] .

رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، من طرق ، عن الأسود بن قيس ، عن جُنْدُب ــ هو ابن عبد الله البَجلى ثم العَلَقى [٢] به [٣] ، وفى رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس : سمع جندباً قال : أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ ، فقال المشركون: وُدِّع محمد . فأنزل الله : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ [٤] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله [٥] الأودى قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنى سفيان ، حدثنى الأسود بن قيس ، أنه سمع جندباً يقول : رمى رسول الله ﷺ بحجر فى أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت ؟

قال : فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم ، فقالت له امرأة : ما أرى شيطانك إلا قد تركك [٦] . فنزلت : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ . والسياق لأبى سعيد .

قيل : إن هذه المرأة هى : أم جميل امرأة أبى لهب ، وذكر أن إصبعه ، عليه السلام ، دميت . وقوله ــ هذا الكلام الذى اتفق أنه موزون ــ ثابت فى الصحيحين [٧]،ولكن الغريب هاهنا جعله سبباً لتركه القيام ، ونزول هذه السورة . فأما ما رواه ابن جرير :

حدثنا ابن أبى الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيبانى ، عن عبد الله ابن شداد : أن خديجة قالت للنبى ﷺ:ما أرى ربك إلا قد قلاك . فأنزل الله : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ .

وقال أيضا : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه قال : أبطأ جبريل على النبى ﷺ ، فجزع جزعاً شديداً ، فقالت خديجة : إنى أرى ربك قد قلاك مما نَرى من جزعك. قال : فنزلت : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ إلى آخرها [٨] .

---

(١) المسند (٤/ ٣١٢) .

(٢) فى أ : « العلقمى » .

(٣) صحيح البخارى برقم (١١٢٤، ١١٢٥، ٤٩٨٣، ٤٩٥٠، ٤٩٥١) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٧) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨١) وسنن ابن ماجة برقم (٣٢٥٠) .

(٤) هذه الرواية فى مسلم والترمذى .

(٥) فى أ : « وعمرو بن عبد الله بن عبد الله الأودى » .

(٦) فى م : « قد تركك » .

(٧) صحيح البخارى برقم (٢٨٠٢) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٦) .

(٨) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٤٨) .

فإنه حديث مرسل من [هذين الوجهين] [(١)] ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ،أو قالته على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم .

وقد ذكر بعض السلف ـ منهم ابن إسحاق ـ أن هذه السورة هى التى أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ ، حين تبدى له فى صورته التى خلقه الله عليها ، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح، ﴿ **فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ** ﴾ [النجم: ١٠]. قال : قال له هذه السورة : ﴿ **وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴾ .

قال العوفى ، عن ابن عباس : لما نَزَلَ على رسول الله ﷺ القرآن ، أبطأ عنه جبريل أياما ، فتغير بذلك ، فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾ .

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ** ﴾ أى : سكن فأظلم وادلَهَم . قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا ، كما قال : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ** ﴾ [الليل: ١ ، ٢] ،وقال : ﴿ **فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [الأنعام: ٩٦] .

وقوله : ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ** ﴾ أى : ما تركك ، ﴿ **وَمَا قَلَى** ﴾ أى : وما أبغضك ، ﴿ **وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى** ﴾ أى : والدار الآخرة خير لك من هذه الدار . ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس فى الدنيا ، وأعظمهم لها إطراحاً ، كما هو معلوم [بالضرورة] [(٢)] من سيرته . ولما خُيِّرَ ، عليه السلام ، فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة ،وبين الصيرورة إلى الله عز وجل ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودى ، عن عمرو بن مرة ، عن إبراهيم النَّخعِى ، عن علقمة ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير ، فأثر فى جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله ،ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما لى وللدنيا ؟ ! ما أنا والدنيا ؟ ! إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظَلّ تحت شجرة ، ثم راح وتركتها [(٣)] » .

ورواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث المسعودى به [(٤)] . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقوله : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ أى : فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته ، وفيما أعدَّه له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، وطينه [من][(٥)] مسك أذفر ، كما سيأتى .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعى ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر المخزومى ، عن

---

(١) زيادة من م ، أ . (٢) زيادة من م . (٣) فى أ : « وتركها » .

(٤) المسند (١/ ٣٩١) وسنن الترمذى برقم (٢٣٧٧) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٠٩) .

(٥) زيادة من أ .

على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : عرض على رسول الله ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزاً كنزاً، فسر بذلك ، فأنزل الله : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ فأعطاه فى الجنة ألف ألف قصر ، فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم . رواه ابن جرير [١] من طريقه ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس : ومثلُ هذا ما يقال إلا عن توقيف .

وقال السدى ، عن ابن عباس : من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وقال الحسن : يعنى بذلك الشفاعة . وهكذا قال أبو جعفر الباقر .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا معاويةُ بن هشام ، عن على بن صالح ، عن زيد بن أبى زياد، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّا أهلُ بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ » [٢] .

ثم قال تعالى يعدد نعَمه على عبده ورسوله محمد ، صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى** ﴾ ، وذلك أن أباه تُوفّى وهو حَملٌ فى بطن أمه ، وقيل : بعد أن ولد ، عليه السلام ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين . ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب ، إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب . ثم لم يزل يحوطه وينصره ويَرفع من قَدره ويُوقّره ، ويكفّ عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحُسن تدبيره ، إلى أن تُوفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل ، فأقدم عليه سفهاء قريش وجُهالهم ، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجرى الله سُنَّته على الوجه الأتم والأكمل . فلما وصل إليهم أوَوه ونَصَرُوه وحاطوه وقاتلوا بين يديه ، رضى الله عنهم أجمعين ، وكل هذا من حفظ الله له وكَلاءته وعنايته به .

وقوله : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى** ﴾ كقوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى: ٥٢] ومنهم من قال [إن] [٣] المراد بهذا أنه ، عليه السلام ، ضل فى شعاب مكة وهو صغير ، ثم رجع . وقيل : إنه ضل وهو مع عمه فى طريق الشام ، وكان راكباً ناقة فى الليل ، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق ، فجاء جبريل ، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق . حكاهما البغوى .

---

(١) فى أ : « رواه ابن جرير وابن أبى حاتم » .

(٢) ورواه البغوى فى شرح السنة (١٤/٢٤٨) من طريق ابن أبى شيبة فذكره دون الآية ، ورواه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٥/٢٣٦) بهذا الطريق ولم يذكر الآية ، ولعل ذكرها وقع فى كتاب التفسير ، ورواه ابن ماجة فى السنن برقم (٤٠٨٢) عن عثمان بن أبى شيبة ، عن معاوية بن هشام به ، وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/٢٦٢) : « هذا إسناد فيه يزيد بن أبى زياد الكوفى مختلف فيه » .

(٣) زيادة من م .

وقوله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ أى : كنت فقيراً ذا عيال ، فأغناك الله عمن سواه ، فجمع له بين مقامى ، الفقير الصابر والغنى الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقال قتادة فى قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ قال: كانت هذه منازل الرسول ﷺ قبل أن يبعثه الله ، عز وجل . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وفى الصحيحين ــ من طريق عبد الرزاق ــ عن مَعْمَر ،عن همام بن مُنَبّه قال : هذا ما حَدّثنا أبو هُرَيرة قال :قال رسول الله ﷺ:« ليس الغنى عن كثرة العَرَض،ولكن [1] الغنى غنى النفس» [2].

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً ، وقنعه [3] الله بما آتاه » [4] .

ثم قال : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَر ﴾ أى : كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم ، أى : لا تذله وتنهره وتهنه ، ولكن أحسِنْ إليه ، وتلطف به .

قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم.

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَر ﴾ أى :وكما كنت ضالاً فهداك الله ،فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَر ﴾ أى : فلا تكن جباراً ، ولا متكبراً ، ولا فَحَّاشا ، ولا فَظّا على الضعفاء من عباد الله .

وقال قتادة : يعنى رَد المسكين برحمة ولين .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ أى : وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله ، فحدث بنعمة الله عليك ، كما جاء فى الدعاء المأثور النبوى:« واجعلنا شاكرين لنعمتك [5] مثنين بها ، قابليها ، وأتمها علينا » .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيّة ، حدثنا سعيد بن إياس الجُرَيرى ، عن أبى نضرة قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدّث بها .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا منصور بن أبى مزاحم ، حدثنا الجراح بن مَليح ، عن أبى عبد الرحمن ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ على المنبر : « من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله . والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر . والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » [6] إسناد ضعيف .

---

(١) فى م : « وإنما » .

(٢) لم أقع عليه فى الصحيحين من هذا الطريق ، وقد جاء فيهما من طرق أخر عن أبى هريرة ، انظر : صحيح البخارى برقم (٦٤٤٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٥١) .

(٣) فى أ : « ومتعه » .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤) .

(٥) فى أ : « لنعمك » .

(٦) زوائد المسند (٤/٢٧٨) .

وفى الصحيحين ، عن أنس ، أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب الأنصار بالأجر كله . قال : « لا ، ما دعوتم الله لهم ، وأثنيتم عليهم » [١] .

وقال أبو داود : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد ، عن ابن المبارك ، عن الربيع بن مسلم [٢] ، وقال : صحيح .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن الجراح ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، عن النبى ﷺ قال : « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » . تفرد به أبو داود [٣] .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا بشر[٤] ، حدثنا عمارة بن غَزْية ، حدثنى رجل من قومى، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعطَى عَطاء فَوَجَد فَلَيَجزْ به ، فإن لم يجد فَلُيثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » . قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب، عن عُمارة بن غَزية ،عن شرحبيل عن جابر ـ كرهوه فلم يسموه . تفرد به أبو داود [٥].

وقال مجاهد : يعنى النبوة التى أعطاك ربك . وفى رواية عنه : القرآن .

وقال ليث ، عن رجل ، عن الحسن بن على : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ قال : ما عملت من خير فَحَدث إخوانك .

وقال محمد بن إسحاق : ما جاءك الله [٦] من نعمة وكرامة من النبوة فحدّث بها واذكرها ، وادع إليها . وقال : فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فصلى .

آخر تفسير سورة « الضحى » [ولله الحمد] [٧]

---

(١) لم أقع عليه فى الصحيحين ، ورواه الإمام أحمد فى المسند (٣/ ٢٠٠) .

(٢) سنن أبى داود برقم (٤٨١١) وسنن الترمذى برقم (١٩٥٤) .

(٣) سنن أبى داود برقم (٤٨١٤) .

(٤) فى أ : « بشير » .

(٥) سنن أبى داود برقم (٤٨١٣) .

(٦) فى م : « ما جاءك من الله » .

(٧) زيادة من أ .

تفسير سورة ألم نشرح

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧ ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ يعنى : أما شرحنا لك صدرك ، أى : نورناه وجعلناه فَسيحاً رحيباً واسعاً كقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الأنعام:١٢٥] ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شَرْعه فسيحا واسعاً سمحاً سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ : شرح صدره ليلة الإسراء ، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة [(١)] ، وقد أورده الترمذى هاهنا . وهذا وإن كان واقعاً ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذى فُعِل بصدره ليلة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوى أيضاً ، والله أعلم .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنى محمد بن عبد الرحيم [(٢)] أبو يحيى البزاز[(٣)] ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن محمد بن أبى بن كعب ، حدثنى أبى محمد بن معاذ ، عن معاذ ، عن محمد ، عن أبى بن كعب : أن أبا هريرة كان جريّاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ، ما أولُ ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال : « لقد سألتَ يا أبا هريرة ، إنى لفى الصحراء ابنَ عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسى ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال:نعم] [(٤)] فاستقبلانى بوجوه لم أرها [لخلق] [(٥)] قط ،وأرواح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط . فأقبلا إلى يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدى ، لا أجد لأحدهما مسا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأضجعانى بلا قَصْر ولا هَصْر . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره . فهوى أحدهما إلى صدرى ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ،فقال له : أخرج الغِلّ والحَسَد . فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فإذا مثل الذى أخرج شبهُ الفضة ، ثم هز

---

(١) تقدم تخريج الحديث عند تفسير أول سورة الإسراء .

(٢) فى أ : « محمد بن عبد الرحمن » .

(٣) فى م ، أ : « البزار » .

(٤،٥) زيادة من المسند .

إبهام رجلي اليمنى فقال : اغدُ واسلم. فرجعت بها أعدو ، رقة على الصغير ، ورحمةً للكبير »[١] .

وقوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ بمعنى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ : الإنقاض : الصوت . وقال غير واحد من السلف في قوله : ﴿ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أي : أثقلك حمله .

وقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ :قال مجاهد: لا أُذكرُ إلا ذُكِرتَ معي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

وقال قتادة : رفع اللهُ ذكرَه في الدنيا والآخرة ،فليس خطيب ولا مُتشهد ولا صاحبُ صلاة إلا ينادي بها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دَراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إنّ ربي وربك يقول : كيف رفعت ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي » ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى ، به ، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لَهِيعة ، عن دَرَّاج[٢] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا أبو عُمر الحَوضي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي مسألة وَدَدْتُ أني لم أكن سألته ، قلت : قد كانت قبلي أنبياء ، منهم من سخرت له الريح [٣] ، ومنهم من يحيي الموتى . قال : يا محمد ، ألم أجدك يتيما فآويتك ؟ قلت : بلى يا رب . قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قلت : بلى يا رب . قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ قال : قلت : بلى يا رب . قال ألم أشرح[٤] لك صدرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت : بلى يا رب »[٥] .

وقال أبو نعيم في « دلائل النبوة » : حدثنا أبو أحمد الغطريفي ، حدثنا موسى بن سهل الجَوْني، حدثنا أحمد بن القاسم بن بَهْرام الهيتي ، حدثنا نصر بن حماد ،عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلت : يا رب ، إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته ، جعلت إبراهيم خليلا ، وموسى كليما ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أني لا أذكر إلا ذُكِرْتَ معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً ،ولم أعطها أمة ، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »[٦] .

---

(١) زوائد المسند (٥/ ١٣٩) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢٢) : « رجاله ثقات وثقهم ابن حبان » .

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥١) .

(٣) في أ : « البحر » . (٤) في أ : « ألم نشرح » .

(٥) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٦) من طريق أحمد بن سلمة ، عن عبد الله بن الجراح ، عن حماد بن زيد به ، وقال : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

(٦) وذكره المؤلف في البداية والنهاية (٦/ ٢٨٨) ثم قال : « وهذا إسناد فيه غرابة ، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم بن منيع البغوي ، عن سليمان بن داود المهراني ، عن حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه ».

وحكى البغوى ، عن ابن عباس ومجاهد : أن المراد بذلك : الأذان . يعنى :ذكره فيه ، وأورد من شعر حسان بن ثابت :

أغَرّ ، عَلَيه للنبوة خاتَم ... مِنَ الله من نُور يَلوحُ وَيشْهَد

وَضمَّ الإلهُ اسم النبى إلى اسمه ... إذا قَالَ فى الخَمْس المؤذنُ : أشهدُ

وَشَقّ لَهُ مِن اسمه ليُجِلَّه ... فَذُو العَرشِ محمودٌ وهَذا مُحَمَّدُ(١)

وقال آخرون : رفع الله ذكره فى الأولين والآخرين ،ونوه به ، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به ، وأن يأمروا أممهم (٢) بالإيمان به ، ثم شهر ذكره فى أمته فلا يُذكر الله إلا ذُكر معه .

وما أحسن ما قال الصرصرى ، رحمه الله :

لا يَصِحُّ الأذانُ فى الفَرْضِ إلا ... باسمِه العَذْب فى الفم المرْضى

وقال أيضاً :

[أَلَـم تَـر أَنَّا لاَ يَصِـحُّ أذانُـنَـا ... وَلا فَرْضُنا إنْ لم نُكَرِرْه فيهما] (٣)

وقوله : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ : أخبر تعالى أن مع العسر يوجَدُ اليسر ، ثم أكد هذا الخبر .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا حُميد بن حماد بن خَوَار أبو الجهم ، حدثنا عائذ بن شُرَيح قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كان النبى ﷺ جالساً (٤) وحياله حجر ، فقال : « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فَإِن (٥) مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٦) .

ورواه أبو بكر البزار فى مسنده عن محمد بن مَعْمَر ، عن حُميد بن حماد ،به ولفظه : « لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه » ثم قال : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، ثم قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح (٧) .

قلت : وقد قال فيه أبو حاتم الرازى : فى حديثه ضعف ، ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة، عن رجل ، عن عبد الله بن مسعود موقوفا .

---

(١) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٤٦٤) .

(٢) فى أ : « أمتهم » . (٣) زيادة من م ، أ . (٤) فى أ : « جالسٌ » وهو خطأ .

(٥) كذا فى م ، أ ، هـ : « إن » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٦) ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٥٥) من طريق محمود بن غيلان به ، وقال الحاكم : « هذا حديث عجيب غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح » . وقال الذهبى : « تفرد حميد بن حماد ،عن عائذ ، وحميد منكر الحديث كعائذ » .

(٧) مسند البزار برقم (٢٢٨٨) « كشف الأستار » ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤١٦) من طريق محمد بن معمر به .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو قَطَن[١]، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : كانوا يقولون : لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن [٢] ثور ، عن مَعْمَر ، عن الحسن قال : خرج النبى ﷺ يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ، وهو يقول : « لن يَغْلِب عُسْر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين ، فإن [٣] مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً » .

وكذا رواه من حديث عوف الأعرابى ويونس بن عبيد ، عن الحسن مرسلا [٤] .

وقال سعيد ، عن قتادة : ذُكِرَ لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال : « لن يغلب عسر يسرين » .

ومعنى هذا : أن العسر معرف فى الحالين ، فهو مفرد ،واليسر منكر فتعدد ؛ ولهذا قال : « لن يغلب عسر يسرين» ، يعنى قوله : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ ، فالعسر الأول عين[٥] الثانى ، واليسر تعدد .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا يزيد بن صالح ،حدثنا خارجة ،عن عباد بن كثير ، عن أبى الزناد ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: « نزل [٦] المعونة من السماء على قدر المؤونة ،ونزل الصبر على قدر المصيبة » [٧] .

ومما يروى عن الشافعى ،رضى الله عنه ، أنه قال :

صَبرا جَميلا ما أقربَ الفَرجا ... مَن رَاقَب الله فى الأُمور نَجَا
مَن صدَقَ الله لَم يَنَلْه أذَى ... وَمَن رَجَاه يكون حَيثُ رَجَا

وقال ابن دُرَيد : أنشدنى أبو حاتم السجستانى :

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ ... وضاق لما به الصدر الرحيبُ
وأوطأت المكاره واطمأنت ... وأرست فى أماكنها الخطوبُ
ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا أغنى بحيلته الأريبُ

---

(١) فى أ : « مطر » . (٢) فى أ : « حدثنا أبو » .

(٣) كذا فى م ، أ ، هـ : « إن » وهو خطأ . من ابن جرير (٣٠/ ١٥١) .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٥١) ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٣٠٩) عن معمر ، عن الحسن به مرسلاً ، وقد جاء موقوفاً على ابن مسعود ، رواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٣٠٩) من طريق ميمون عن إبراهيم النخعى عنه ، وجاء مرفوعاً عن جابر، رواه ابن مردويه فى تفسيره ، وقال الحافظ ابن حجر: « إسناده ضعيف ».

(٥) فى م : « هو » .

(٦) فى أ : « نزلت » .

(٧) ورواه البزار فى مسنده برقم (١٥٠٦) « كشف الأستار » وابن عدى فى الكامل (٤/ ١١٥) من طريق عبد العزيز الدراوردى عن طارق وعباد بن كثير ، عن أبى الزناد به . وقال البزار : « لا نعلمه عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد » . وقال ابن عدى : « وطارق بن عمار يعرف بهذا الحديث » . والحديث معلول . انظر : العلل لابن أبى حاتم (٢/ ١٢٦، ١٣٣) والكامل لابن عدى (٦/ ٢٣٨، ٢٠٤، ٢/ ٣٧، ٤/ ١١٥) .

أتاك على قُنوط منك غَوثُ يمن به اللطيف المستجيبُ
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر :

وَلَرُب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا ،وعند الله منها المخرج
كملت ، فلما استحكمت حلقاتها فرجت ، وكان يظنها لا تفرج

وقوله : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ أى : إذا فَرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها ، فانصب فى العبادة ، وقم إليها نشيطا فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . ومن هذا القبيل قوله ﷺ فى الحديث المتفق على صحته : « لا صلاة بحضرة طعام ،ولا وهو يدافعه الأخبثان »[(١)]. وقوله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء ، فابدؤوا بالعَشَاء »[(٢)] .

قال مجاهد فى هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة ، فانصب لربك ،وفى رواية عنه : إذا قمت إلى الصلاة فانصب فى حاجتك ،وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل . وعن ابن عياض نحوه . وفى رواية عن ابن مسعود : ﴿ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ يعنى : فى الدعاء .

وقال زيد بن أسلم ، والضحاك : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ أى : من الجهاد ﴿فَانصَبْ﴾ أى: فى العبادة.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ : قال الثورى : اجعل نيتك ورغبتك إلى الله ، عز وجل .

آخر تفسير سورة « ألم نشرح » ولله الحمد

(١) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٥٦٠) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٥٤٦٥) من حديث عائشة ، رضى الله عنها .

تفسير سورة والتين والزيتون

وهى مكية .

قال مالك وشعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبى ﷺ يقرأ فى سَفَر فى إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة فى كتبهم [1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨) ﴾ .

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة فقيل : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هى نفسها. وقيل : الجبل الذى عندها .

وقال القرطبى : هو مسجد أصحاب الكهف [2] .

وروى العَوفى ، عن ابن عباس : أنه مسجد نوح الذى على الجودى .

وقال مجاهد : هو تينكم هذا .

﴿ وَالزَّيْتُونِ ﴾ : قال كعب الأحبار ،وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا الزيتون الذى تعصرون .

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ : قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى .

﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ يعنى : مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النَّخَعِى ، وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف فى ذلك .

وقال بعض الأئمة : هذه مَحَالٌ ثلاثة ، بعث الله فى كل واحد منها نبياً مرسلا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى ابن مريم . والثانى : طور سينين ، وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمنا ، وهو الذى أرسل فيه محمداً ﷺ.

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٥٢) وصحيح مسلم برقم (٤٦٤) وسنن أبى داود برقم (١٢٢١) وسنن الترمذى برقم (٣١٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٢) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣٤،٨٣٥) .

(٢) تفسير القرطبى (٢٠/١١١) عن محمد بن كعب .

قالوا : وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء ــ يعنى الذى كلم الله عليه موسى [ابن عمرن] (١) ـ وأشرق من ساعيرَ ـ يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى ـ واستعلن من جبال فاران ـ يعنى : جبال مكة التى أرسل الله منها محمداً ـ فذكرهم (٢) على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ،ثم بالأشرف منهما .

وقوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة ، سَوِىّ الأعضاء حسنها .

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين ﴾ أى : إلى النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم . ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ﴾ .

وقال بعضهم : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين ﴾ أى : إلى أرذل العمر . رُوِى هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ــ حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حَسُن استثناء المؤمنين من ذلك ؛ لأن الهَرَم قد يصيبُ بعضهم ،وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ [العصر: ١ــ٣].

وقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى : غير مقطوع ، كما تقدم .

ثم قال : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ يعنى : يا ابن آدم ﴿ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾ ؟ أى : بالجزاء فى المعاد وقد علمت البدأة ، وعرفت أن من قدر على البدأة ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأى شىء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور قال: قلت لمجاهد : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين ﴾ عنى به النبى ﷺ قال: مَعَاذ الله ! عنى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره .

وقوله : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ أى : أما هو أحكم الحاكمين ، الذى لا يجور ولا يظلم أحداً ، ومن عَدْله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم فى الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا فى حديث أبى هريرة مرفوعاً : « فإذا قرأ أحدكم ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فأتى على آخرها :﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِ ﴾ فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين » (٣).

آخر تفسير [سورة] (٤) « والتين والزيتون» ، ولله الحمد

(١) زيادة من م .	(٢) فى م : « مخبراً عنهم » .

(٣) انظر : تفسير الآية الأخيرة من سورة القيامة .

(٤) زيادة من م ، أ .

تفسير سورة اقـرأ

وهى أول شىء نزل من القرآن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ــ وهو : التعبد ــ الليالى ذواتَ العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فَتُزَوِّد [١] لمثلها حتى فَجَأه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله ﷺ : « فقلت : ما أنا بقارئ » . قال : «فأخذنى فَغَطَّنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى ، فقال: اقرأ . فقلت :ما أنا بقارئ . فَغَطَّنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال: **﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾** حتى بلغ : **﴿ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾** » قال : فرجع بها تَرجُف بَوادره [٢] حتى دخل على خديجة فقال: « زملونى زملونى ». فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع. فقال : يا خديجة ، ما لى : فأخبرها الخبر وقال : « قد خشيت على » . فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به وَرَقة بن نوفل بن أسَد بن عبد العُزى ابن قُصى ــ وهو ابن عم خديجة ، أخى أبيها ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، وكتب بالعربية من الإنجيل [٣] ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِىَ ــ فقالت خديجة : أىّ ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابنَ أخى ، ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى [٤] ، ليتنى [٥] فيها جَذعا أكونُ حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أومخرجىَّ هُم ؟ » . فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به [٦] إلا عودى ، وإن يُدركنى يومك أنصُرْكَ نصراً مُؤزراً . [ثم] [٧] لم ينشَب وَرَقة أن تُوُفِّى ، وفَتَر الوحى فترة حتى حَزِن رسول الله ﷺ ــ فيما بلغنا ــ حزناً غدا منه مرارا كى يَتَردى من رؤوس شَوَاهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه ، تبدى له

---

(١) فى م ، أ : « فتزوده » . (٢) فى أ : « يرجف فؤاده » . (٣) فى م ، : « وكتب من الإنجيل بالعربية » .
(٤) فى أ : « على عيسى » . (٥) فى م : « يا ليتنى » . (٦) فى أ : « بمثل ما جئت به » .
(٧) زيادة من م ، أ ، والمسند .

جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسولُ الله حقاً . فيسكن بذلك جأشه ، وتَقَرُّ نفسه فيرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك .

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث الزهرى [(١)] ، وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه فى أول شرحنا للبخارى مستقصى ، فمن أراده فهو هناك محرر ، ولله الحمد والمنة .

فأول شيء [نزل] [(٢)] من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات [(٣)] ، وهُنَّ أول رحمة رَحم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم . وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، وأن من كَرَمه تعالى أن عَلّم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون فى الأذهان ، وتارة يكون فى اللسان ، وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ، ذهنى ولفظى ورسمى ، والرسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا قال : ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ . وفى الأثر : قيدوا العلم بالكتابة [(٤)] . وفيه أيضاً : « من عمل بما علم رزقه [(٥)] الله علم ما لم يكن [يعلم] [(٦)] » .

﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) ﴾ .

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان ، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله . ثم تَهدده وتوعده ووعظه فقال : ﴿ **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ** ﴾ أى : إلى الله المصير والمرجع ، وسيحاسبك على مالك : من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟

قال ابن أبى حاتم : حدثنا زيد بن إسمعيل الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو عُمَيس، عن عون قال : قال عبد الله : مَنهومان لا يشبعان ، صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ،

---

(١) المسند (٦/ ٢٣٢) وصحيح البخارى برقم (٣، ٤، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢، ٤٩٥٥، ٣٣٩٢) وصحيح مسلم برقم (١٦٠) .

(٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م : « المباركة » .

(٤) جاء عن عمر ــ رضى الله عنه ــ موقوفاً ، رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ١٠٦) وابن أبى شيبة فى المصنف (٩/ ٤٩) والدارمى فى السنن برقم (٥٠٣) . وعن أنس موقوفاً ، رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ١٠٦) والرامهرمزى فى المحدث الفاصل (ص٣٦٨) ، وجاء مرفوعاً من حديث أنس ، رواه الخطيب فى تقييد العلم (ص٧٠) والرامهرمزى فى المحدث الفاصل (ص٣٦٨) . ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ١٠٦) وابن عبد البر فى جمع بيان العلم (١/ ٧٣) والموقوف أصح.

(٥) فى م : « أورثه » . (٦) زيادة من م ، أ .

فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان . قال : ثم قرأ عبد الله : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ﴾ . وقال للآخر : ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر:٢٨] .

وقد رُوى هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا » (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ** ﴾ : نزلت فى أبى جهل ،لعنه الله ، توعد النبى ﷺ على الصلاة عند البيت ، فوعظه الله تعالى بالتى هى أحسن أولا ، فقال : ﴿ **أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾ أى : فما ظنك إن كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى فعله ، أو ﴿ **أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ** ﴾ بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ؛ ولهذا قال :﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** ﴾ أى : أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء .

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً : ﴿ **كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ** ﴾ أى : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿ **لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ** ﴾ أى : لَنَسِمَنَّها سوادا يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ **نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ** ﴾ يعنى : ناصية أبى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى فعَالها .

﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ** ﴾ أى : قومه وعشيرته ، أى : ليدعهم يستنصر بهم ، ﴿ **سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾ : وهم ملائكة العذاب ، حتى يعلم من يغلبُ : أحزبُنا أو حزبه .

قال البخارى : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن عبد الكريم الجَزَرى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عُنُقه . فبَلَغَ النبى ﷺ ، فقال : « لئن فعله لأخذته الملائكة » . ثم قال : تابعه عمرو بن خالد ، عن عبيد الله ــ يعنى ابن عمرو ــ عن عبد الكريم (٢) .

وكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما من طريق عبد الرزاق ، به (٣) . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبى كُرَيْب ، عن زكريا بن عَدِىّ ، عن عبيد الله بن عمرو ، به (٤) .

وروى أحمد ، والترمذى (٥) ، وابن جرير ــ وهذا لفظه ــ من طريق داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يصلى عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ، ألم أنهك عن هذا ؟ ــ وتَوعَّده ــ فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال :يا محمد ،

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٩٢) من طريق قتادة ، عن أنس به مرفوعاً ، ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ٢٢٣) من طريق زيد بن وهب ، عن ابن مسعود به مرفوعاً ، وفى إسناده ضعيف .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٥٨) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٤٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٥) .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٥) .

(٥) فى م ، أ : « والترمذى والنسائى » .

بأى شىء تهددنى ؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادى نادياً ! فأنزل الله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته [(١)]. وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن زيد أبو يزيد ،حدثنا فُرَات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت رسول الله يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال: فقال: « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تَمَنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يُبَاهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » [(٢)] .

وقال ابن جرير أيضا :حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبى إسحاق، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل: لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه . فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . [خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ] [(٣)] ﴾ ، حتى بلغ هذه الآية: ﴿ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾. فجاء النبى ﷺ فصلى[(٤)] فقيل : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودّ ما بينى وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه [(٥)] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبى هند ، عن أبى حازم ، عن أبى هُرَيرة قال : قال أبو جهل :هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته [(٦)] ، ولأعفِّرن وجهه فى التراب ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصَلى ليطأ على رقبته ، قال : فما فَجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه ، قال : فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بينى وبينه خَنْدقا من نار وهَولا وأجنحة. قال : فقال رسول الله : « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال : وأنزل الله ــ لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا ــ : ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴾ إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد بن حنبل ،ومسلم، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، من حديث معتمر بن سليمان، به [(٧)] .

وقوله : ﴿ كَلاَّ لا تُطِعْه ﴾ يعنى : يا محمد ، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها ، وصلِّ حيث شئت ولا تباله ؛ فإن الله حافظك وناصرك ، وهو يعصمك من الناس ، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ ، كما ثبت فى الصحيح ــ عند مسلم ــ من طريق عبد الله بن وهب ، عن

(١) المسند (١/ ٣٢٩) وسنن الترمذى برقم (٣٣٤٩) وتفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٤) .
(٢) المسند (١/ ٢٤٨) .
(٣) زيادة من أ . (٤) فى أ : « يصلى » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٥) .
(٦) فى م : « على عنقه » .
(٧) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٥) والمسند (٢/ ٣٧٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٣) .

عمرو بن الحارث ، عن عمارة بن غزية ، عن سُمَىّ ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » (١) .

وتقدم أيضاً : أن رسول الله ﷺ كان يسجد فى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ و ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ .

آخر تفسير سورة « اقرأ » (٢)

---

(١) صحيح مسلم برقم (٤٨٢) .

(٢) فى م ، أ : « آخر تفسيرها » .

تفسير سورة القدر [1]

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ .

يخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهى الليلة المباركة التى قال الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣] وهى ليلة القدر ، وهى من شهر رمضان ، كما قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

قال ابن عباس وغيره :أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ .

ثم قال تعالى مُعَظِّما لشأن ليلة القدر ، التى اختصها بإنزال القران العظيم فيها ، فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسى، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّانى [2] ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال : سَوّدتَ وجوهَ المؤمنين ـ أو : يا مسود وجوه المؤمنين ـ فقال : لا تؤنبنى ،رحمك الله ؛ فإن النبى ﷺ أرِىَ بنى أمية على منبره ، فساءه ذلك ، فنزلت : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ يا محمد ، يعنى نهراً فى الجنة ،ونزلت: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . قال القاسم : فعددنا فإذا هى ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً [3] .

ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدى. قال : وشيخه يوسف بن سعد ـ ويقال : يوسف بن مازن ـ رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى مستدركه ، من طريق القاسم [4] بن الفضل ، عن يوسف بن

(١) فى أ : « سورة ليلة القدر » .

(٢) فى أ : « الجذامى » .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٠) .

(٤) فى أ : « من حديث الحاكم ».

مازن ، به [١] . وقول الترمذى : إن يوسف هذا مجهول ــ فيه نظر ؛ فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد . وقال فيه يحيى بن معين : هو مشهور، وفى رواية عن ابن معين [قال] [٢] : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسى بن مازن ، كذا قال ، وهذا يقتضى اضطراباً فى هذا الحديث ، والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً ، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزّى : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحُدّانى [٣] : إنه حسب مُدّة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص ، ليس بصحيح ؛ فإنّ معاويةَ بن أبى سفيان ، رضى الله عنه ، استقل بالملك حين سلّم إليه الحسن بن على الإمرة سنَة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير فى الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين ، لكن لم تَزُل يدهم عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة فى الحساب ، والله أعلم .

ومما يدلّ على ضَعف هذا الحديث أنَّه سِيقَ لذم دولة بنى أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ؛ فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذَم أيامهم، فإنّ ليلة القدر شريفة جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر ، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة ، بمقتضى هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

أَلَم تَرَ أنّ السيف ينقُصُ قَدْرُه ... إذا قِيل إنّ السيف أمضَى من العَصَا

وقال آخر :

إذا أنتَ فَضَّلتَ امرأ ذا بَرَاعَة ... عَلَى نَاقص كَانَ المديحُ منَ النَّقص

ثم الذى يفهم من ولاية [٤] الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها ؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته ، والله أعلم [٥] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا مسلم ــ يعنى ابن خالد ــ عن ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد : أن النبى ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لَبس السلاح فى

(١) المستدرك (٣/ ١٧٠) ومن طريقه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٥٠٩) .
(٢) زيادة من م .
(٣) فى أ : « الجذامى » . (٤) فى م : « ثم من الذى يفهم من الآية أن » .
(٥) وانظر : البداية والنهاية (٦/ ٢٤٣، ٢٤٤) فقد توسع أيضا فى الكلام على هذا الحديث .

سبيل الله ألف شهر ، قال : فَعَجب المسلمون من ذلك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر [١] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حَكَّام بن سَلْم ، عن المثنى بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل [٢] .

وقال ابن أبى حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنى مسلمة بن عُلَىّ ، عن على بن عروة قال : ذكر رسول الله ﷺ يوما أربعة من بنى إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عاماً ، لم يَعْصوه طرفة عين : فذكر أيوب ، وزكريا ، وحزْقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون ــ قال : فعجب [٣] أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، عَجِبَتْ أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة ، لم يَعْصُوه طرفة عين ؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك . فقرأ عليه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك . قال : فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والناس معه [٤] .

وقال سفيان الثورى : بَلَغنى عن مجاهد : ليلةُ القدر خير من ألف شهر . قال : عَمَلها ، صيامها وقيامها خير من ألف شهر .رواه ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبى زائدة ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس فى تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعى ، وغير واحد .

وقال عمرو بن قيس الملائى : عمل فيها خير من عمل ألف شهر .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ــ وليس فيها ليلة القدر ــ هو اختيارُ ابن جرير . وهو الصواب لا ما عداه ، وهو كقوله ﷺ : « رِباطُ ليلة فى سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » . رواه أحمد [٥] . وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة : « أنه يُكتَبُ له عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبى قِلابَة ، عن أبى هُريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله

---

(١) ورواه الثعلبى فى تفسيره والواحدى فى أسباب النزول كما فى تخريج الكشاف للزيلعى (٤/ ٢٥٣) من طريق مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد به مرسلاً .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٦٧) .

(٣) فى أ : « فتعجب » .

(٤) وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٦٩) وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) المسند (١/ ٦٢) من حديث عثمان ، رضى الله عنه .

عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِم خَيرَها فقد حُرِم » .

ورواه النسائى ، من حديث أيوب ، به (١) .

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه » (٢) .

وقوله : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أى : يكثر تَنَزُّلُ الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له .

وأما الروح فقيل : المراد به هاهنا جبريل ، عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام . وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم فى سورة « النبأ ». والله أعلم .

وقوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ : قال مجاهد : سلام هى من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد فى قوله : ﴿سَلامٌ هِيَ ﴾ قال : هى سالمة ، لا يستطيع الشيطان (٣) أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى .

وقال قتادة وغيره : تقضى فيها الأمور ، وتقدر الآجال والأرزاق ، كما قال تعالى :﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤] .

وقوله : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ : قال سعيد بن منصور : حدثنا هُشَيْم ، عن أبى إسحاق ، عن الشعبى فى قوله تعالى : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قال : تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى يطلع الفجر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ: « من كل امرئ . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وروى البيهقى فى كتابه « فضائل الأوقات » عن علىٍّ أثراً غريباً فى نزول الملائكة ، ومرورهم على المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار أثراً غريباً عجيباً مطولاً جداً ، فى تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل ، عليه السلام ، إلى الأرض ، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات (٤) .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا عمران ــ يعنى القطان ــ عن قتادة ، عن أبى ميمونة ، عن أبى هُريرة : أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة ــ أو : تاسعة ــ وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » (٥) .

---

(١) المسند (٢/ ٢٣٠) وسنن النسائى (٤/ ١٢٩) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٩٠١) وصحيح مسلم برقم (٧٦٠) .

(٣) فى أ : « الشياطين » .

(٤) سيأتى إيراد الأثر عند تفسير آخر السورة .

(٥) مسند الطيالسى برقم (٢٥٤٥) .

وقال الأعمش ، عن المِنهَال ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ ﴾ قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد فى قوله : ﴿ سَلَامٌ هِىَ ﴾ يعنى [(١)] : هى خير كلها ، ليس [(٢)] فيها شر إلى مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا حَيْوَة [(٣)] بن شُرَيح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنى بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدَان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر فى العشر البواقى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن ، فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهى ليل وتر : تسع أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة » . وقال رسول الله ﷺ : « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بَلْجَة ، كأن فيها قمراً ساطعاً ، ساكنة سجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب يُرمَى به فيها حتى تصبح . وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » [(٤)] .

وهذا إسناد حسن ، وفى المتن غرابة ، وفى بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسى ، حدثنا زَمْعَة ، عن سلمة بن وَهْرام ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصبح شمس [(٥)] صبيحتها ضعيفة حمراء » [(٦)] .

وروى ابن أبى عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : « إنى رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهى فى العشر الأواخر ، من لياليها ليلة [(٧)] طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمراً ، لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » [(٨)] .

فصل

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة ، أو هى من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين :

قال أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى : حدثنا مالك :أنه بلغه : أن رسول الله ﷺ أُرى أعمار الناس قبله ـ أو : ما شاء الله من ذلك ـ فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر[(٩)] . وقد أسند من وجه آخر .

---

(١) فى م : « قال » . (٢) فى م : « لا تحدث » . (٣) فى أ : « حدثنا عبدة » .

(٤) المسند (٥/ ٣٢٤) .

(٥) فى م : « وتصبح شمسها » .

(٦) مسند الطيالسى برقم (٢٦٨٠) وفيه : « صفيقة » بدل : « ضعيفة » .

(٧) فى أ : « لياليها وهى ليلة » .

(٨) عزاه إليه صاحب الكنز (٨/ ٥٤٠) برقم (٢٤٠٦٩) ولم أقع عليه فى السنة ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه برقم (٢١٩٠) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بنحوه .

(٩) الموطأ برواية الزهرى برقم (٨٨٩) .

وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العُدّة » أحد أئمة الشافعية من جمهور العلماء ، فالله أعلم . وحكى الخطابى عليه الإجماع [ونقله الرافعى جازماً به عن المذهب] (١) ، والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضين كما هى فى أمتنا .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عكرمة بن عمار : حدثنى أبو زُمَيل سِمَاك الحَنَفى : حدثنى مالك بن مَرْثَد بن عبد الله ، حدثنى مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أخبرنى عن ليلة القدر ، أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : « بل هى فى رمضان » . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : « بل هى إلى يوم القيامة » . قلت : فى أى رمضان هى ؟ قال : « التمسوها فى العشر الأول ، والعشر الأواخر » . ثم حَدّثَ رسولُ الله ﷺ وحَدّث ، ثم اهتبلت غفلته قلت : فى أى العشرين هى ؟ قال : « ابتغوها فى العشر الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » . ثم حدّث رسول الله ﷺ ، ثم اهتبلت غفلته فقلت : يارسول الله ، أقسمت عليك بحقى عليك لَمَا أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته ، وقال : « التمسوها فى السبع الأواخر ، لا تسألنى عن شىء بعدها » .

ورواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى بن سعيد القطان ، به (٢) .

ففيه دلالة على ما ذكرناه ،وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة [بعد النبى ﷺ] (٣)، لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية ، على ما فهموه من الحديث الذى سنورده بعدُ من قوله ، عليه السلام : « فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم » ؛ لأن المراد رفعُ عِلْم وقتها عيناً . وفيه دلالة على أنها ليلة القدر يختص (٤) وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور ، لا كما رُوى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة ، من أنها توجد فى جميع السنة ، وترجى فى جميع الشهور على السواء .

وقد ترجم أبو داود فى سننه على هذا فقال : « باب بيان أن ليلة القدر فى كل رمضان » : حدثنا حُمَيد بن زَنْجُويه النسائى (٥) ، أخبرنا سعيد بن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير، حدثنى موسى بن عقبة ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن عبد الله بن عمر قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر ، فقال : « هى فى كل رمضان » (٦) .

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال : رواه شعبة وسفيان عن أبى إسحاق فأوقفاه .

وقد حكى عن أبى حنيفة ، رحمه الله ، رواية أنها ترجى (٧) فى جميع شهر رمضان . وهو وجه [حكاه] (٨) الغزالى ، واستغربه الرافعى جداً .

---

(١) زيادة من م .

(٢) المسند (٥/ ١٧١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٢٧) .

(٣) زيادة من أ . (٤) فى م : « مختص » . (٥) فى م : « الشامى » .

(٦) سنن أبى داود برقم (١٣٨٧) .

(٧) فى م : « أنها ترتجى » . (٨) زيادة من م ، أ .

فصل

ثم قد قيل : إنها فى أول ليلة من شهر رمضان ، يحكى هذا عن أبى رَزِين . وقيل : إنها تقع ليلة سبع عشرة . وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود . وروى موقوفاً عليه ، وعلى زيد بن أرقم ، وعثمان بن أبى العاص .

وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعى ، ويحكى عن الحسن البصرى . ووجهوه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هى السابعة عشرة [١] من شهر رمضان ، وفى صبيحتها كانت وقعة بدر ، وهو اليوم الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال :٤١] .

وقيل : ليلة تسع عشرة ، يحكى عن على وابن مسعود أيضاً ، رضى الله عنهما .

وقيل : ليلة إحدى وعشرين ؛ لحديث أبى سعيد الخدرى قال : اعتكف رسولُ الله ﷺ [فى] [٢] العشر الأوَل من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك . فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : [إن] [٣] الذى تطلب أمامك . ثم قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معى فليرجع ، فإنى رأيت ليلة القدر ، وإنى أنسيتها ، وإنها [٤] فى العشر الأواخر فى وِتْر ، وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء ». وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نَرى فى السماء شيئاً ، فجاءت قَزَعَة فَمُطرنا ، فصلى بنا النبى ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه . وفى لفظ : « فى صبح إحدى وعشرين » أخرجاه فى الصحيحين [٥] .

قال الشافعى : وهذا الحديث أصح الروايات .

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ؛ لحديث عبد الله بن أنيس [٦] فى « صحيح مسلم » [٧] وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد ، فالله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسى : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجُرَيرى ، عن أبى نَضْرَة ، عن أبى سعيد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [٨] . إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبى حَبِيب ، عن أبى الخير، عن الصنابحى ، عن بلال قال : قال رسول الله ﷺ :« ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » [٩].

---

(١) فى أ : « فى السابع عشر » .
(٢) زيادة من م .
(٣) زيادة من م ، أ .
(٤) فى م : « ثم إنها » .
(٥) صحيح مسلم برقم (١١٦٧) .
(٦) فى أ : « أويس » .
(٧) صحيح مسلم برقم (١١٦٨) .
(٨) مسند الطيالسى برقم (٢١٦٧) .
(٩) المسند (٦/١٢) .

ابن لهيعة ضعيف . وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن أبى عبد الله الصنابحى قال : قال : أخبرنى بلال ــ مؤذنُ رسول الله ﷺ ــ أنها أول السبع من العشر الأواخر ، فهذا الموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا رُوى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر ، والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب: أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم فى سورة « البقرة » (١) حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ؛ لما رواه البخارى ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » . فَسَّره كثيرون بليالى الأوتار ، وهو أظهر وأشهر . وحمله آخرون على الإشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد ، أنه حمله على ذلك . والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين ؛ لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب ، عن رسول الله ﷺ : « إنها ليلة سبع وعشرين » .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصماً ، عن زِرّ : سألت أبىّ بن كعب قلت: أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يُقِم الحَولَ يُصبْ ليلة القدر . قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها فى شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال: بالعلامة ــ أو : بالآية ــ التى أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعنى الشمس (٢) .

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعى ، عن عبدة ، عن زِرّ ، عن أبى ، فذكره ، وفيه : فقال : والله الذى لا إله إلا هو ، إنها لفى رمضان ــ يحلف بما يستثنى ــ والله إنى لأعلم أى ليلة القدر هى التى أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها ، هى ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها (٣) .

وفى الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم (٤) ، عن رسول الله ﷺ : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجَادّة من مذهب أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وهو رواية عن أبى حنيفة أيضاً . وقد حُكِىَ عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : ﴿ هِىَ ﴾ لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبرى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب

---

(١) عند تفسير الآية : ١٨٥ .

(٢) المسند (٥/ ١٣٠) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٦٢) .

(٤) وانظر هذه الأحاديث وغيرها فى : الدر المنثور للسيوطى (٨ / ٥٧٠ ــ ٥٨٠) .

أصحاب محمد [(١)] ﷺ ، فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إنى لأعلم ــ أو: إنى لأظن ــ أى ليلة القدر هى ؟ فقال عمر : أى ليلة هى؟ [فقلت] [(٢)] : سابعة تمضى ــ أو : سابعة تبقى ــ من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمى الجمار سبع . . . لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنا له . وكان قتادة يَزيد عن ابن عباس فى قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : ﴿ **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا [وَقَضْبًا]** [(٣)] ﴾ الآية [عبس: ٢٧، ٢٨] [(٤)] .

وهذا إسناد جيد قوى ، ونصٌ [(٥)] غريب جداً ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . قال أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عُمرَ بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ، فقال رسول الله ﷺ : « فى رمضان ، فالتمسوها فى العشر الأواخر ، فإنها فى وتْر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، [أو تسع وعشرين] [(٦)] ، أو فى آخر ليلة» [(٧)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ــ وهو : أبو داود الطيالسى ــ حدثنا عمران القطان، عن قتادة ، عن أبى ميمونة [(٨)]، عن أبى هريرة. أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر:«إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » [(٩)] .

تفرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون فى آخر ليلة ،لما تقدم من هذا الحديث آنفاً [(١٠)]، ولما رواه الترمذى والنسائى، من حديث عُيَينة بن عبد الرحمن،عن أبيه ،عن أبى بكرة ،أن رسول الله ﷺ قال:«فى تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة » . يعنى : التمسوا ليلة القدر [(١١)] .

(١) فى أ : « أصحاب رسول الله » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) زيادة من المعجم الكبير (٣٢٢/١٠) .
(٤) المعجم الكبير (٣٢٢/١٠) .
(٥) فى م : « ومتن » .
(٦) زيادة من أ ، والمسند .
(٧) المسند (٣٢١/٥) .
(٨) فى أ : « عن أبى معاوية » .
(٩) المسند (٥١٩/٢) .
(١٠) فى أ : « أيضاً » .
(١١) سنن الترمذى برقم (٧٩٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٣٤٠٤) .

وقال الترمذى :حسن صحيح . وفى المسند من طريق أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ فى ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » (١) .

فصل

قال [الإمام] (٢) الشافعى فى هذه الروايات: صدرت من النبى ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له : ألتمس ليلة القدر فى الليلة الفلانية ؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة مُعَيَّنة : لا تنتقل . نقله الترمذى عنه بمعناه . وروى عن أبى قِلابَة أنه قال : ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر (٣) .

وهذا الذى حكاه عن أبى قلابة نص عليه مالك ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزنى ، وأبو بكر بن خُزَيمة ، وغيرهم . وهو محكى عن الشافعى ــ نقله القاضى عنه ، وهو الأشبه ــ والله أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين ، عن عبد الله بن عُمر : أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان مُتحريها فَلْيَتَحرها فى السبع الأواخر » (٤) .

وفيها أيضاً عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « تَحَرَّوْا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » (٥) . ولفظه للبخارى .

ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى فى صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فَتَلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فَرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » (٦) .

وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة، إذا (٧) لو كانت تنتقل لما علموا تَعيُّنها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء فى الحديث : « إن العبد ليُحرَم الرزقَ بالذَّنْبِ يُصِيبه » .

وقوله : « فرفعت » أى : رفع علم تَعينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله

---

(١) لم أقع عليه فى المسند ، وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٧٢) وعزاه لأحمد ، ولعلى أستدركه فيما بعد .

(٢) زيادة من أ .

(٣) سنن الترمذى (٣/ ١٥٩) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠١٥) وصحيح مسلم برقم (١١٦٥) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠١٧) وصحيح مسلم برقم (١١٦٩) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٣) .

(٧) فى أ : « إذ » .

جهلة الشيعة ؛ لأنه قد قال بعد هذا : « فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعنى : عدم تعينها لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طُلابها فى ابتغائها فى جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا [(١)] عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ، ويكون الاجتهاد فى العشر الأواخر [(٢)] أكثر . ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله ، عز وجل . ثم اعتكف أزواجهُ من بعده . أخرجاه من حديث عائشة [(٣)] .

ولهما عن ابن عمر : كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان [(٤)] .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر . أخرجاه [(٥)] .

ولمسلم عنها [(٦)]: كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره [(٧)] .

وهذا معنى قولها : « وشد المئزر » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا سُرَيج ، حدثنا أبو مَعْشَر ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بقى عشر من رمضان شَدَّ مئزره ، واعتزل نساءه . انفرد به أحمد [(٨)] .

وقد حكى عن مالك ، رحمه الله ، أن جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يترجح منها ليلة على أخرى : رأيته فى شرح الرافعى ، رحمه الله .

والمستحب الإكثار من الدعاء فى جميع الأوقات ، وفى شهر رمضان أكثر ، وفى العشر الأخير منه ، ثم فى أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عَفُوٌّ تحب العفو ، فاعف عنى » ؛ لما رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ــ هو ابن هارون ــ حدثنا الجريرى [(٩)] ــ وهو سعيد بن إياس ــ عن عبد الله بن بُريدة ، أن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال : « قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو ، فاعف عنى » [(١٠)] .

---

(١) فى أ : « إذا عملوا » .

(٢) فى أ : « الأخير » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٦) وصحيح مسلم برقم (١١٧٢) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٥) وصحيح مسلم برقم (١١٧١) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٢٠٢٤) وصحيح مسلم برقم (١١٧٤) .

(٦) فى م : « عنهما » .

(٧) صحيح مسلم برقم (١١٧٥) .

(٨) المسند (٦/ ٦٦) .

(٩) فى م : « الجوهرى » .

(١٠) المسند (٦/ ١٨٢) .

وقد رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طريق كَهْمَس بن الحسن ، عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمْتُ أى ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : «قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » [١] .

وهذا لفظ الترمذى ، ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين » [٢] . ورواه النسائى أيضاً من طريق سفيان الثورى ، عن علقمة بن مَرثَد ، عن سليمان بن بُرَيدة عن عائشة قالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن وافقتُ ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللهم ، إنك عَفُو تحب العفو ، فاعف عنى » [٣] .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن أبى زياد القَطوانى ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسى بن سعيد ـ يعنى الراسبى ـ عن هلال أبى جبلة ، عن أبى عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة ، مما يلى الجنة ، فهى على حَدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة ، عُلوها فى الجنة ، وعروقها وأغصانها من تحت الكرسى ، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم [٤] إلا الله ، عز وجل ، يعبدون الله ، عز وجل ، على أغصانها فى كل موضع شعرة منها ملك . ومقام جبريل، عليه السلام ، فى وسطها ، فينادى الله جبريل أن ينزل فى كل ليلة قَدْر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فينزلون على[٥] جبريل فى ليلة القدر ، حين تغرب الشمس ، فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التى تطرحون فيها الخَبَث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مُسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس مُعلّق ، أو مبولة ، أو مكان فيه كساحة البيت ، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين [٦] إلا صافحه ، وعلامة ذلك مَن اقشعر جلدهُ ورقّ قلبه ودَمعَت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أنه من قال فى ليلة القدر : « لا إله إلا الله » ، ثلاث مرات ، غَفَر الله له بواحدة، ونجا من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقاً ؟ فقال كعب [٧] : وهل يقول : « لا إله إلا الله » فى ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذى نفسى بيده ، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق ، حتى كأنها على ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الأفق الأعلى من الشمس، فيبسط جناحيه ـ

(١) سنن الترمذى برقم (٣٥١٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٨٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٠) .
(٢) المستدرك (١/ ٥٣٠) .
(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٧١٣) .
(٤) فى م ، أ : « عددهم » .
(٥) فى أ : « مع » .
(٦) فى أ : « من الناس » .
(٧) فى م : « كعب الأحبار » .

وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا فى تلك الساعة ـ فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو مَلَكاً (١) فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل ، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتساباً ، ودعا لمن حَدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله . فإذا أمسوا (٢) دخلوا السماء الدنيا ، فيجلسون حلقاً [حلقا] (٣) ، فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة (٤) ، فيحدثونهم حتى يقولوا : ماذا فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العامَ ؟ فيقولون : وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعا ، ووجدنا فلانا مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال : فيكفون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون على الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ، ووجدنا فلاناً راكعاً ، وفلاناً ساجداً، ووجدناه تاليا لكتاب الله . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتى يصعدون إلى السماء الثانية ، ففى كل سماء يوم وليلة ، حتى ينتهوا مكانهم من (٥) سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : يا سكانى ، حدثونى عن الناس وسموهم لى . فإن لى عليكم حقاً ، وإنى أحبُّ من أحبَّ الله . فذكر كعب أنهم يَعدُون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول : أخبرنى بما أخبرك (٦) سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، اللهم عجِّلهم إلىَّ ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، فيلهمه الله فيقول : وجدت فلاناً ساجداً فاغفر له . فيغفر له ، فيسمعُ جبريلُ جميعَ حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، ومغفرته (٧) لفلان ، ويقول(٨) : يا رب ، وجدت عبدك فلاناً الذى وجدته عام أول على السُنّة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثاً وتولى عما أمر به . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعتبنى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل: لك الحمد إلهى ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسموات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال : وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان ألا يعصى الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة « ليلة القدر » [ولله الحمد والمنة] (٩)

---

(١) فى م : « ملكا ملكا » . (٢) فى أ : « فإذا استووا » . (٣) زيادة من م .
(٤) فى م : « عن رجل عن رجل وعن امرأة عن امرأة » . (٥) فى أ : « فى » .
(٦) فى أ : « بما أخبروك » . (٧) فى م : « ومغفرة » . (٨) فى أ : « ويقولون » .
(٩) زيادة من م .

تفسير سورة لم يكن

وهى مدنية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ــ وهو ابن سلمة ــ أخبرنا على ــ هو ابن زيد ــ عن عمار بن أبى عمار قال : سمعت أبا حَيَّة البدرى ــ وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصارى ــ قال : لما نزلت : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ إلى آخرها ،قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أُبياً . فقال النبى ﷺ لأُبى : « إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة » . قال أبى : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قال : فبكى أبى [١] .

حديث آخر : وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لأبى بن كعب : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ » قال : وسمانى لك ؟ قال : « نعم » . فبكى .

ورواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، من حديث شعبة ، به [٢].

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا مُؤَمَّل ، حدثنا سفيان ، حدثنا أسلم المنقرى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أَبْزَى ، عن أبيه ، عن أبى بن كعب قال : قال لى رسول الله ﷺ : « إنى أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » . قلت : يا رسول الله ، وقد ذُكرتُ هناك ؟ قال : « نعم» . فقلت له : يا أبا المنذر ، فَفَرِحت بذلك . قال : وما يمنعنى والله يقول : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨] . قال مؤمل : قلت لسفيان : القراءة فى الحديث؟ قال : نعم . تفرد به من هذا الوجه [٣] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، عن عاصم بن بَهْدَلَة ، عن زر بن حبيش ، عن أبى بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ قال لى : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن » . قال : فقرأ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ، قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال ، فأعطيه [٤] ، لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه [٥] لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب . وإن ذلك الدين عند الله الحنيفية ، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلن يكفره .

---

(١) المسند (٣/ ٤٨٩) .

(٢) المسند (٣/ ١٣٠) وصحيح البخارى (٤٩٥٩) وصحيح مسلم برقم (٧٩٩) وسنن الترمذى برقم (٣٧٩٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩١) .

(٣) المسند (٥/ ١٢٣) .

(٤ ، ٥) فى أ : « فأعطيته » .

ورواه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى ، عن شعبة ، به [١]. وقال : حسن صحيح .

طريق أخرى : قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن خليد الحلبى ،حدثنا محمد بن عيسى الطباع ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبى بن كعب ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر ، إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن » . قال : بالله آمنت ، وعلى يدك أسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبى ﷺ القول . [قال] [٢] : فقال : يارسول الله ، أذكرت هناك ؟ قال : « نعم ، باسمك ونسبك فى الملأ الأعلى » . قال : فاقرأ إذاً يارسول الله [٣] .

هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم . وإنما قرأ عليه النبى ﷺ هذه السورة تثبيتاً له ، وزيادة لإيمانه ، فإنه ــ كما رواه أحمد والنسائى ،من طريق أنس ، عنه[٤]، ورواه أحمد وأبو داود ، من حديث سليمان بن صُرَد عنه [٥] ، ورواه أحمد عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عنه [٦]، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى ، من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عنه [٧] ، كان قد أنكر على إنسان ،وهو : عبد الله بن مسعود ، قراءة شىء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبى ﷺ فاستقرأهما ، وقال ، لكل منهما : « أصبت » . قال أبى : فأخذنى من الشك ولا إذ كنت فى الجاهلية . فضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، قال أبى : فَفِضْتُ عَرَقاً ، وكأنما أنظر إلى الله فرقاً . وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف . فقلت :« أسأل الله معافاته ومغفرته ». فقال : على حرفين . فلم يزل حتى قال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف . كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وألفاظه فى أول التفسير . فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها: ﴿ **رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ** ﴾، قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الأسئلة ، وكان فيما قال : أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» . قال : لا ، قال : « فإنك آتيه ، ومُطوِّف به » . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله على النبى ﷺ سورة « الفتح » ، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** ﴾ الآية [الفتح:٢٧] ، كما تقدم .

وروى الحافظ أبو نُعَيم فى كتابه «أسماء الصحابة» من طريق محمد بن إسماعيل الجعفرى المدنى:

(١) المسند (٥/ ١٣١) وسنن الترمذى برقم (٣٧٩٣) .

(٢) زيادة من م ، أ .

(٣) المعجم الكبير (١/ ٢٠٠) .

(٤) المسند (٥/ ١٢٢) وسنن النسائى (٢/ ٥٤) .

(٥) المسند (٥/ ١٢٤) وسنن أبى داود برقم (١٤٧٧) .

(٦) المسند (٥/ ١١٤).

(٧) المسند (٥/ ١٢٧) وصحيح مسلم برقم (٨٢٠) وسنن أبى داود برقم (١٤٧٨) وسنن النسائى (٢/ ١٥٣) .

حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم ، عن ابن شهاب ، عن إسماعيل بن أبى حكيم المدنى ، حدثنى فُضَيل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ليسمع قراءة ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا ﴾ ، فيقول : أبشر عبدى، فوعزتى لأمكننه [١] لك فى الجنة حتى ترضى » .

حديث غريب جداً . وقد رواه الحافظ أبو موسى المدينى وابن الأثير ، من طريق الزهرى ، عن إسماعيل بن أبى حكيم ، عن نَظير المزنى ـ أو : المدنى ـ عن النبى ﷺ: « إن الله ليسمع قراءة ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ ويقول : أبشر عبدى ، فوعزتى لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى » [٢].

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ .

أما أهل الكتاب فهم : اليهود والنصارى ، والمشركون : عَبَدَةُ الأوثان والنيران ، من العرب ومن العجم. وقال مجاهد : لم يكونوا ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ يعنى: منتهين حتى يتبين لهم الحق . وكذا قال قتادة.

﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أى : هذا القرآن ؛ ولهذا قال تعالى :﴿لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ . ثم فسر البينة بقوله : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ يعنى : محمداً ﷺ ، وما يتلوه من القرآن العظيم ، الذى هو مكتتب فى الملأ الأعلى ، فى صحف مطهرة كقوله: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٣ـ ١٦] .

وقوله : ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ : قال ابن جرير : أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة : عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ؛ لأنها من عند الله ، عز وجل .

قال قتادة : ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ : يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء.

وقال ابن زيد : ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ : مستقيمة معتدلة .

وقوله : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ كقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا

---

(١) فى م : « لأملأن » ، وفى أ : « لأمكنن » .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (٤/ ٥٤٩) وذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة (٣/ ٥٢٨) من طريق أبى موسى ، وهى من طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر ، عن عبد الله بن سلمة ، عن الزهرى به ، وقال: « عبد الله بن سلمة واهى الحديث » .

كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥] يعنى بذلك : أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا ، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراده الله من كتبهم ، واختلفوا اختلافاً كثيراً ، كما جاء فى الحديث المروى من طرق : «إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا واحدة ». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابى » [١].

وقوله : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ كقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون** ﴾ [الأنبياء:٢٥] ؛ ولهذا قال : حنفاء ، أى : متحنفين عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت** ﴾ [النحل:٣٦] ، وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة « الأنعام» [٢] بما أغنى عن إعادته هاهنا .

﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾ وهى أشرف عبادات البدن، ﴿ **وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ وهى الإحسان إلى الفقراء [٣] والمحاويج .﴿ **وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ أى : الملة القائمة العادلة ، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة .

وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهرى والشافعى ، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة فى الإيمان ؛ ولهذا قال : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ .

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)** ﴾ .

يخبر تعالى عن مآل الفجار ، من كفرة أهل الكتاب ، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة : أنهم يوم القيامة ﴿ **فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ أى : ماكثين ، لا يحولون عنها ولا يزولون ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴾ أى : شر الخليقة التى برأها الله وذرأها .

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار ــ الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم ــ بأنهم خير

---

(١) جاء هذا الحديث من حديث أبى هريرة ، وأنس ، وسعد بن أبى وقاص ، ومعاوية ، وعمرو بن عوف المزنى ، وعوف بن مالك ، وأبى أمامة ، وجابر بن عبد الله ــ رضى الله عنهم ــ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هو حديث صحيح مشهور » وانظر : تخريج أحاديث الكشاف للزيلعى (١/٤٤٧ ــ ٤٥٠) .

(٢) عند تفسير الآية : ١٦١ .

(٣) فى أ : « الفقير » .

البرية .

وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، على تفضيل المؤمنين من البرية [١] على الملائكة ؛ لقوله : ﴿ **أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ .

ثم قال : ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ أى : يوم القيامة ، ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ أى : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ .

﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ : ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم ، ﴿ **وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ فيما منحهم من الفضل العميم .

وقوله : ﴿ **ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ أى : هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، قد علم أنه إن لم يره فإنه يراه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا أبو معشر ، عن أبى وهب ــ مولى أبى هريرة ــ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما كانت هَيْعَة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « رجل فى ثُلَّة من غنمه ، يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة . ألا أخبركم بشر[٢] البرية ؟ » . قالوا: بلى . قال : « الذى يَسأل بالله،ولا يُعطى به » [٣] .

آخر تفسير سورة « لم يكن » [٤]

---

(١) فى أ : « من البشر » . (٢) فى أ : « بخير » .

(٣) المسند (٢/٣٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع (٥/٢٧٩) : « أبو معشر ــ نجيح ــ ضعيف ، وأبو معشر (كذا فيه ، والصواب : أبو وهب) مولى أبى هريرة لم أعرفه » .

(٤) فى م : « آخر تفسيرها » .

تفسير سورة إذا زلزلت

وهى مكية.

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسى ابن هلال الصَّدفى ،عن عبد الله بن عمرو قال:أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أقرئنى يا رسول الله . قال [١] له : « اقرأ ثلاثا من ذات الر » . فقال له الرجل : كبر سنى واستد [٢] قلبى ، وغَلُظ لسانى . قال : « فاقرأ من ذات [٣] حم » ،فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثا من المسبحات » ، فقال مثل مقالته . فقال الرجل : ولكن أقرئنى ـ يا رسول الله ـ سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ حتى إذا فرغ منها قال الرجلُ : والذى بعثك بالحق ، لا أزيد عليها أبداً . ثم أدبر الرجل ،فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ! أفلح الرويجل ! » ثم قال : «عَلَىّ به » . فجاءه فقال له : « أمِرْتُ بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » . فقال له الرجل : أرأيت إن لم أجد إلا مَنيحَة أنثى فأضحى بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقلم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عانتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله ، عز وجل » .

وأخرجه أبو داود والنسائى ، من حديث أبى عبد الرحمن المقرئى [٤] ، به [٥] .

وقال الترمذى : حدثنا محمد بن موسى الحَرَشى البصرى : حدثنا الحسن بن سلْم [٦] بن صالح العجلى ،حدثنا ثابت البُنانى ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ:« من قرأ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ ،عدلَت له بنصف القرآن» . ثم قال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن سَلْم [٧] [٨] .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشى ، عن الحسن بن سلم [٩]، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثلث القرآن ، و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعدلُ ربع القرآن » . هذا لفظه .

وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حُجْر ، حدثنا يزيد بن هارون ،حدثنا يمان بن المغيرة العنزى، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تَعْدلُ نصف القرآن،و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ تعدل ربع القرآن » . ثم قال : غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة [١٠] .

---

(١) فى م : « فقال » . (٢) فى م : « واشتد » . (٣) فى أ : « من ذوات » .
(٤) فى أ : « المقبرى » .
(٥) المسند (٢/١٦٩) وسنن أبى داود برقم (١٣٩٩) وسنن النسائى (٧/ ٢١٢) .
(٦) فى أ : « مسلم » . (٧) فى م ، أ : « مسلم » .
(٨) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٣) .
(٩) فى م ، أ : « مسلم » .
(١٠) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٤) .

وقال أيضاً : حدثنا عقبة بن مُكَرَّم العَمّى البصرى ، حدثنى ابن أبى فُدَيْك ، أخبرنى سلمة بن وردان ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان؟» قال : لا ، والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج ؟! قال: « أليس معك ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾؟ ». قال: بلى . قال: « ثلث القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ﴾ ؟». قال : بلى . قال : « ربع القرآن ». قال : « أليس معك ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ ﴾ ؟ ». قال : بلى . قال : « ربع القرآن » تزوج ، [تزوج] [(١)] » . ثم قال : هذا حديث حسن [(٢)] .

تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى ، لم يروهن غيره من أصحاب الكتب .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ .

قال ابن عباس : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ أى : تحركت من أسفلها . ﴿ وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ يعنى : ألقت ما فيها من الموتى .قاله غير واحد من السلف . وهذه كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج : ١] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣، ٤] .

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فُضَيل ، عن أبيه ، عن أبى حازم ،عن أبى هُرَيرة قال: قال رسول الله ﷺ : « تَقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجىء القاتل فيقول : فى هذا قَتَلْتُ ، ويجىء القاطع فيقول : فى هذا قَطَعتُ رحمى ، ويجىء السارق فيقول : فى هذا قُطعت يدى ، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً » [(٣)] .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾ أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه، ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ أى : تحدث بما عمل العاملون على ظهرها .

---

(١) زيادة من سنن الترمذى .

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٥) .

(٣) صحيح مسلم برقم (١٠١٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك ــ وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى، واللفظ له : حدثنا سُوَيد بن نصر ، أخبرنا عبد الله ــ هو ابن المبارك ــ عن سعيد بن أبى أيوب ، عن يحيى بن أبى سليمان ، عن سعيد المقْبُرِى ، عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها » [1] .

ثم قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لَهِيعة : حدثنى الحارث بن يزيد ــ سمع ربيعة الجُرَشى ــ : أن رسول الله ﷺ قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً ، إلا وهى مُخبرة » [2] .

وقوله : ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ : قال البخارى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد [3]. وكذا قال ابن عباس : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أوحى إليها .

والظاهر أن هذا مُضَمَّن [بمعنى] [4] أذن لها .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال : قال لها ربها : قولى ، فقالت .

وقال مجاهد : ﴿ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى : أمرها . وقال القُرَظى : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى : يرجعون عن مواقف الحساب ، ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أى : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شقى وسعيد ، مأمور به إلى الجنة ، ومأمور به إلى النار .

قال ابن جريج : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السُّدِّى : ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ : فرقا .

وقوله تعالى : ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ أى : ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا ، من خير وشر . ولهذا قال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال البخارى : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثنى مالك عن يزيد بن أسلم ، عن أبى صالح السَّمان عن أبى هُرَيرة : أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛فأما الذى له أجر ، فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طِيَلها فى مرج أو روضة ، فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنَّت شرَفا أو

---

(١) المسند (٢/ ٣٧٤) وسنن الترمذى برقم (٣٣٥٣) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥/ ٦٥) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤١) : « وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف » .

(٣) صحيح البخارى (٨/ ٧٢٦) « فتح » .

(٤) زيادة من م ، أ .

شرفين ، كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يَسقَى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تَغَنيا وتعففا ، ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها ،فهى له ستر . ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء ، فهى على ذلك وزر » .فسُئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، فقال : « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿ **فَمَن** [١] **يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به [٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية ــ عم الفرزدق ــ : أنه أتى النبى ﷺ فقرأ عليه : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ ، قال : حسبى ! لا أبالى ألا أسمع غيرها [٣].

وهكذا رواه النسائى فى التفسير ،عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب ، عن أبيه ، عن جرير ابن حازم ، عن الحسن البصرى قال : حدثنا صعصعةُ عم الفرزدق ، فذكره [٤] .

وفى صحيح البخارى ، عن عَدى مرفوعا : « اتقوا النار ولو بِشِقٍّ تمرة ،ولو بكلمة طيبة»[٥] . وفى الصحيح :« لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » [٦] . وفى الصحيح أيضاً : « يا نساء [٧] المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة » [٨] يعنى : ظلفها . وفى الحديث الآخر : « ردوا السائل ولو بظلْف مُحَرق»[٩].

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، حدثنا كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « يا عائشة ، استترى من النار ولو بشق تمرة ،فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » . تفرد به أحمد [١٠] .

ورُوِىَ عن عائشة أنها تصدقت بعنبة ، وقالت : كم فيها من مثقال ذرة [١١] .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سعيد بن مسلم ، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير :

---

(١) فى م ، أ : « من » وهو خطأ .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٢) وصحيح مسلم برقم (٩٨٧) .

(٣) المسند (٥/ ٥٩) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٤) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٧٥١٢) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٦) من حديث أبى ذر الغفارى ، رضى الله عنه .

(٧) فى م : « يا معشر نساء » ، وفى أ : « معشر النساء » .

(٨) صحيح البخارى برقم (٢٥٦٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٩) رواه أحمد فى المسند (٥/ ٣٨١) وأبو داود فى السنن برقم (١٦٦٧) والترمذى فى السنن برقم (٦٦٥) من حديث أم بجيد الأنصارية ، رضى الله عنها . وقال الترمذى : « حديث أم بجيد حديث حسن صحيح ».

(١٠) المسند (٦/ ٧٩) .

(١١) هو فى الموطأ (٢/ ٩٩٧) بلاغاً عن عائشة .

حدثنى عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أن النبى ﷺ كان يقول : « يا عائشة ، إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً » .

ورواه النسائى وابن ماجة ، من حديث سعيد بن مسلم بن بَانَك ، به[١] .

وقال ابن جرير : حدثنى أبو الخطاب الحسانى ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا سماك بن عطية، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿ فمَن[٢] يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه ﴾ ، فرفع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إنى أُجزى بما عملتُ من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ، ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذَر الخير حتى تُوفَاه يوم القيامة »[٣] .

ورواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه [عن][٤] أبى الخطاب ، به . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ،حدثنا أيوب قال : فى كتاب أبى قِلابة ، عن أبى إدريس: أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ ،فذكره[٥] .

ورواه أيضاً عن يعقوب ، عن ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ،عن أبى قلابة : أن أبا بكر ، وذكره .

طريق أخرى: قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى حُيَى ابن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ، قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله ﷺ:« ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكينى هذه السورة . فقال له رسول الله ﷺ: « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر الله لكم ، لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»[٦].

حديث آخر : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن [محمد بن][٧] المغيرة ــ المعروف بعلان المصرى ــ قالا : حدثنا عمرو بن خالد الحرَّانى ، حدثنا ابن لَهِيعة ، أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : لما نزلت : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ قلت : يا رسول الله ، إنى لراء عملى؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم» . قلت : الصغار الصغار ؟ قال: « نعم » . قلت : وا ثُكلَ أُمى . قال : « أبشر يا سعيد ؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها ــ يعنى إلى

(١) المسند (٦/ ١٥١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٣) .
(٢) فى أ : « من » وهو خطأ .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤١٨) « مجمع البحرين » من طريق أبى الخطاب ، به ، وقال : «لم يروه عن أيوب إلا سِمَاك ، ولا عنه إلا الهيثم . تفرد به زيادة » . قلت : الهيثم بن الربيع ضعيف .
(٤) زيادة من م ، أ .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٤) ورواه البيهقى فى شعب الإيمان برقم (٧١٠٣) والطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٨٧) « القطعة المفقودة » من طريق ابن وهب ، به .
(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٧٥) .
(٧) زيادة من الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ١/ ١٩٥) .

سبعمائة ضعف ــ ويضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة بمثلها أو يغفر الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله». قلت : ولا أنت يا رسول الله [(١)] ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة » [(٢)].
قال أبو زُرْعَة : لم يرو هذا غير ابن لَهِيعة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنى ابن لهيعة ، حدثنى [(٣)] عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ ، وذلك لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان:٨] ، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشىء القليل الذى أعطوه ، فيجىء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك ، فيردونه ويقولون : ما هذا بشىء . إنما نُؤجَر على ما نعطى ونحن نحبه . وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر . فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ،وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فنزلت : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعنى : وزن أصغر النمل ﴿ **خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ يعنى : فى كتابه ،ويَسُرُّه ذلك . قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة .وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبى عياض ، عن عبد الله بن مسعود ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » . وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صَنِيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود ، والرجل يجىء بالعود ، حتى جمعوا سوادا ، وأجَجوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها [(٤)] .

[آخر تفسير سورة « إذا زلزلت »] [(٥)] [ولله الحمد والمنة] [(٦)]

---

(١) فى أ : « يا نبى الله » .
(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٥٩٤) وعزاه لابن أبى حاتم ،ولآخره شاهد فى الصحيح من حديث أبى هريرة ،رضى الله عنه .
(٣) فى م : « عن » .
(٤) المسند (١/ ٤٠٢) .
(٥) زيادة من م ، أ .
(٦) زيادة من أ .

تفسير سورة العاديات

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾ .

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فَعَدَت وضَبَحت ، وهو : الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار .

﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ يعنى : الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمّع [١] أذانا ، فإن سمع [٢] وإلا أغار .

[وقوله] [٣] : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ يعنى : غباراً فى [مكان] [٤] معترك الخيول .

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أى : توسطن ذلك المكان كُلّهن جُمعَ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشَجّ ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ قال : الإبل .

وقال على : هى الإبل . وقال ابن عباس : هى الخيل . فبلغ عليا قولُ ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك فى سرية بعثت .

قال ابن أبى حاتم وابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ، قال : بينا أنا فى الحِجْر جالساً ، جاءنى رجل فسألنى عن : ﴿ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عنى فذهب إلى على ، رضى الله عنه ، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال :سألت عنها أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير فى سبيل الله . قال : اذهب فادعه لى . فلما وقف على رأسه قال : تفتى الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أولَ غزوة فى الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فَرَسان : فرس للزبير وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة

---

(١) فى أ : « ويستمع » . (٢) فى م : « فإن سمع أذاناً » . (٣،٤) زيادة من م ، أ .

إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على ، رضى الله عنه [١] .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال على : إنما ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة ، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران .

وقال العَوفى عن ابن عباس : هى الخيل .

وقد قال بقول على : إنها الإبل جماعة . منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس ، وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جُرَيْج [٢] ، عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح .

وقال أكثر هؤلاء فى قوله : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : بحوافرها . وقيل : أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن . قاله قتادة .

وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : مكر الرجال .

وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك : نيران القبائل .

وقال من فسرها بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

وقال ابن جرير : والصواب الأول ؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى إغارة الخيل صبحاً فى سبيل الله .

وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى .

وقالوا كلهم فى قوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ هو : المكان الذى إذا حلت فيه أثارت به الغبار ، إما فى حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قال العَوفى ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : يعنى جَمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : فوسطن بذلك المكان جَميعُهُن ، ويكون ﴿ جَمْعًا ﴾ منصوباً على الحال المؤكدة .

وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً [غريباً جداً] [٣] فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جُمَيع ، حدثنا سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٧٦) .

(٢) فى أ : « جرير » .

(٣) زيادة من م ، أ .

فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ **فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا** ﴾ : قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ، ﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا** ﴾ : صَبَّحت القوم بغارة ، ﴿ **فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا** ﴾ : أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ قال : صبحت القوم جميعاً [(١)] .

وقوله : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ : هذا هو المقسم عليه ، بمعنى : أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النَّخعى ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحى ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذى يعد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ** ﴾ ، قال : «الكفور الذى يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » [(٢)] .

ورواه ابن أبى حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير ــ وهو متروك ــ فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبى أمامة موقوفاً [(٣)] .

وقوله : ﴿ **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ** ﴾ : قال قتادة وسفيان الثورى : وإن الله على ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان ، قاله محمد بن كعب القرظى ، فيكون تقديره : وإن الإنسان على كونه كنوداً [(٤)] لشهيد ، أى : بلسان حاله ، أى : ظاهر ذلك عليه فى أقواله وأفعاله ، كما قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ** ﴾ [التوبة : ١٧] .

وقوله : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ أى : وإنه لحب الخير ــ وهو : المال ــ لشديد . وفيه مذهبان :

أحدهما : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثانى : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مُزَهِّدا فى الدنيا ، ومُرَغِّباً فى الآخرة ، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال : ﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ** ﴾ أى : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ **وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ** ﴾ قال ابن عباس وغيره : يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم ، ﴿ **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ** ﴾ أى : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، مجازيهم [(٥)] عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر [تفسير] [(٦)] سورة « والعاديات » ولله الحمد [والمنة ، وحسبنا الله] [(٧)]

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٩١) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤٢) : « فيه حفص بن جميع وهو ضعيف » .

(٢) ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ١٨٠) عن أبى كريب ، به .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٠) .

(٤) فى م : « لكنودا » . (٥) فى أ : « ويجازيهم » . (٦، ٧) زيادة من م .

تفسير سورة القارعة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾ .

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطامة ، والصاخة ،والغاشية ، وغير ذلك .

ثم قال معظماً أمرها ومهولا لشأنها : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ؟ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أى : فى انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث [١] ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧].

وقوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ يعنى : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذى قد شَرَع فى الذهاب والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ،والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراسانى ، والضحاك ، والسدى : ﴿الْعِهْنِ ﴾ : الصوف .

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت حسناته على سيئاته ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ يعنى : فى الجنة . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت سيئاته على حسناته .

وقوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم . وَعَبَّر عنه بأمه ـ يعنى [٢] دماغه ـ رُوى نحو هذا عن ابن عباس ،وعكرمة ،وأبى صالح ، وقتادة ـ قال قتادة : يهوى فى النار على رأسه [٣] . وكذا قال أبو صالح : يهوون فى النار على رؤوسهم .

وقيل : معناه : ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ التى يرجع إليها ، ويصير فى المعاد إليها ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ ، وهى اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير : وإنما قيل : للهاوية أمه ؛ لأنه لا مأوى له غيرها [٤] .

---

(١) فى أ : « منتشر » . (٢) فى م : « وهو » . (٣) فى م : « على رؤوسهم » .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٣) .

وقال ابن زيد : الهاوية : النار ، هى أمه ومأواه التى يرجع إليها ويأوى إليها ، وقرأ : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١] .

قال ابن أبى حاتم : وروى عن قتادة أنه قال : هى النار ، وهى مأواهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى : حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوِّحُوا أخاكم ، فإنه كان فى غَمِّ الدنيا . قال : ويسألونه : ما فعل فلان [١] ؟ فيقول : مات ، أو ما جاءكم ؟ فيقولون : ذُهب به إلى أمه الهاوية [٢] .

وقد رواه ابن مَرْدَوَيْه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً ، بأبسط من هذا . وقد أوردناه فى كتاب صفة النار ، أجارنا [٣] الله منها بمنه وكرمه [٤] .

وقوله : ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى : حارة شديدة الحر ، قوية اللهيب والسعير .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال: « نار بنى آدم التى تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية . فقال : « إنها فُضّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً » [٥] .

ورواه البخارى ، عن إسماعيل بن أبى أويس ، عن مالك . ورواه مسلم عن قُتيبة ، عن المغيرة ابن عبد الرحمن ، عن أبى الزِّناد ، به[٦] . وفى بعض ألفاظه : « إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرّها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا حماد ــ وهو ابن سلمة ــ عن محمد بن زياد ــ سمع [٧] أبا هريرة يقول : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « نار بنى آدم التى توقدون ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية . فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حَراً فحرا » [٨] .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

(١) فى م ، أ : « بفلان » .
(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٢) .
(٣) فى أ : « أعاذنا » .
(٤) قال السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٦٠٦) : « وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه: ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة؟ فإن كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية حتى يقولوا : ما فعل فلان هل تزوج ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فيقولون : دعوه فيستريح فقد خرج من كرب الدنيا » .
(٥) الموطأ برواية الزهرى برقم (٢٠٩٨) وهو فى رواية يحيى (٢/ ٩٩٤) .
(٦) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .
(٧) فى م ، أ : « سمعت » .
(٨) المسند (٢/ ٤٦٧) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا سفيان ، عن أبى الزياد [١] ، عن الأعرج ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ ــ وعمرو ، عن يحيى بن جَعْدَة ــ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت [٢] بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» [٣] .

وهذا على شرط الصحة [٤] ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق [ابن أبى الزناد] [٥] [٦] .

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً » [٧] .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا [٨] عبد العزيز ــ هو ابن محمد الدراوردى ــ عن سُهَيل عن أبيه ،عن أبى هُريرة ،عن النبى ﷺ قال : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » [٩] .

تفرد به أيضاً من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضا .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عَمّه أبى سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً » [١٠].

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك ، ولم يرفعه . وروى الترمذى وابن ماجة ، عن عباس الدَّورىّ ، عن يحيى ابن أبى بُكَيْر : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة » [١١] .

وقد روى هذا من حديث أنس [١٢] وعمر بن الخطاب .

---

(١) فى أ : « عن أبى الزناد » . (٢) فى أ : « وضرمت » .
(٣) المسند (٢/ ٢٤٤) .
(٤) فى م ، أ : « على شرط الصحيحين » . (٥) زيادة من م .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .
(٧) أما حديث ابن مسعود ، فهو فى مسند البزار برقم (١٨٦٤) من طريق عبيد بن إسحاق ، عن زهير ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ،رضى الله عنه ، وقال البزار : « هكذا رواه زهير ولا نعلم رواه عن زهير إلا عبيد بن إسحاق . ورواه عمرو بن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو الأصم ، عن عبد الله ، عن النبى ﷺ نحوه ، ورواه غير عمرو ابن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عمرو الأصم ، عن عبد الله موقوفاً » . وأما حديث أبى سعيد ، فقد رواه أيضاً الترمذى فى السنن برقم (٢٥٩٠) من طريق فراس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ــ رضى الله عنه ــ وقال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب » .
(٨) فى أ : « بن » .
(٩) المسند (٢/ ٣٧٩) .
(١٠) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) « مجمع البحرين » وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٨٧) : « رجاله رجال الصحيح » .
(١١) سنن الترمذى برقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٢٠) وقال الترمذى : « حديث أبى هريرة فى هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن بكير عن شريك » .
(١٢) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعاً ، وقد تقدم عند تفسير الآية : ٨١ من سورة التوبة .

وجاء فى الحديث ــ عند الإمام أحمد ــ من طريق أبى عثمان النَّهدى ، عن أنس ــ وأبى نضرة العَبْدىّ ، عن أبى سعيد وعَجْلان مولى المُشْمَعِّل ، عن أبى هريرة ــ عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلى منهما دماغه » (١) .

وثبت فى الصحيح (٢) أن رسول الله ﷺ قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنَفَسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف . فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها » (٣) .

وفى الصحيحين : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فَيح جَهَنم » (٤) .

آخر تفسير سورة « القارعة »

(١) حديث أبى سعيد فى المسند (٣/١٣) وحديث أبى هريرة فى المسند (٢/٤٣٢) .

(٢) فى م : « فى الصحيحين » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٠) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٣٣) وصحيح مسلم برقم (٦١٥) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

تفسير سورة التكاثر

وهى مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨) ﴾ .

يقول تعالى : شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ،وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر ، وصرتم من أهلها ؟!

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا زكريا بن يحيى الوَقار المصرى ، حدثنى خالد بن عبد الدايم ، عن ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ عن الطاعة ، ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ : حتى يأتيكم الموت» [(١)] .

وقال الحسن البصرى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ فى الأموال والأولاد .

وفى صحيح البخارى ، فى « الرقاق » منه : وقال لنا أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبى بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يعنى : « لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة : سمعت قتادة يحدث عن مُطَرِّف ــ يعنى ابن عبد الله بن الشِّخِّير ــ عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : « ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، يقول ابن آدم : مالى مالى . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت ؟ » .

ورواه مسلم والترمذى والنسائى ، من طريق شعبة ، به [(٢)].

وقال مسلم فى صحيحه : حدثنا سُوَيد بن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :« يقول العبد : مالى مالى ؟ وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فاقتنى [(٣)]، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » .تفرد به مسلم [(٤)] .

---

(١) وهذا معضل ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف .

(٢) المسند (٤/ ٢٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٨) وسنن الترمذى برقم (٣٣٥٤) وسنن النسائى (٦/ ٢٣٨) .

(٣) فى أ : « فأبقى » .

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٩) .

وقال البخارى : حدثنا الحُمَيدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثةٌ ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .

وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى ، من حديث سفيان بن عيينة ، به [(١)].

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس : أن النبى ﷺ قال : «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان : الحرص والأمل » . أخرجاه فى الصحيحين [(٢)] .

وذكر الحافظ ابن عساكر ، فى ترجمة الأحنف بن قيس [(٣)] ــ واسمه الضحاك ــ أنه رأى فى يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لى . فقال : إنما هو لك إذا أنفقته فى أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر :

أنتَ للمال إذا أمسكتَه فإذا أنفقتَه فالمالُ لَكْ

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة قال : صالح بن حيان حدثنى عن ابن بريدة فى قوله : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ . قال : نزلت فى قبيلتين من قبائل الأنصار ، فى بنى حارثة وبنى الحارث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثلُ فلان بن فلان ، وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا [(٤)] بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور . فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبر ــ ومثل فلان ؟ وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل .

وقال قتادة : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ : كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان[(٥)] ، ونحن أعَدُّ من بنى فلان ، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم .

والصحيح أن المراد بقوله : ﴿ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ أى : صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء فى الصحيح : أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده ، فقال : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » . فقال : قلت : طَهُور ؟! بل هى حمى تفور ، على شيخ كبير ، تُزيره القبور ! قال : «فَنَعَم إذاً » [(٦)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهانى ، أخبرنا حكام بن سلم الرازى ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن الحجاج ، عن المِنْهال ، عن زر بن حُبَيش ، عن على قال: ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ .

---

(١) صحيح البخارى برقم (٦٥١٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٦٠) وسنن الترمذى برقم (٢٣٧٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٢٠٦٤) .
(٢) المسند (٣/ ١١٥) وصحيح البخارى برقم (٦٤٢١) وصحيح مسلم برقم (١٠٤٧) .
(٣) تاريخ دمشق (٨/ ٤٤٣ « المخطوط ») .
(٤) فى م : « وتفاخروا » . (٥) فى أ : « من بنى إسرائيل » .
(٦) صحيح البخارى برقم (٥٦٦٢، ٥٦٥٦، ٧٤٧٠) .

ورواه الترمذى عن أبى كُرَيب ، عن حكَّام بن سلم [١] ، [به] [٢]، وقال : غريب [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا سلمة بن داود العُرضى [٤] ، حدثنا أبو المليح الرقى ، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز ،فقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ .حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فلبث هُنَيهة [٥] فقال : يا ميمون ، ما أرى المقابر إلا زيارة ، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله .

قال أبو محمد : يعنى أن يرجع إلى منزله ــ إلى جنة أو نار . وهكذا ذُكرَ أن بعضَ الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فقال : بُعثَ اليوم [٦] ورَب الكعبة . أى : إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره .

وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ : قال الحسن البصرى : هذا [٧] وعيد بعد وعيد .

وقال الضحاك : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى : الكفار ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى : أيها المؤمنون .

وقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أى : لو علمتم حق العلم ، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة ،حتى صرتم إلى المقابر .

ثم قال : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم ، وهو قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ تَوعَّدَهم بهذا الحال ، وهى رؤية النار [٨] ، التى إذا زفرت زفرة خرّ كل ملك مقرب ، ونبى مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال ، على ما جاء به الأثر المروى فى ذلك .

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ أى : ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم ، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك . ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز [٩] المقرى ،حدثنا عبد الله ابن عيسى أبو خالد الخزاز ،حدثنا يونس بن عبيد ، عن عكرمة ،عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة ، فوجد أبا بكر فى المسجد فقال : « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » قال : أخرجنى الذى أخرجك يا رسول الله . قال : وجاء عمر بن الخطاب فقال : «ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ » قال أخرجنى الذى أخرجكما . قال : فقعد عمر ، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ، ثم قال : « هل بكما من قوة ، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاماً وشراباً

(١) فى أ : « سليم » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٥) .
(٤) فى أ : « العرمى » .
(٥) فى أ : « هنية » .
(٦) فى أ : «القوم » .
(٧) فى أ : « هو » .
(٨) فى م : « أهل النار » .
(٩) فى أ : « الجزار » .

وظلا؟» قلنا : نعم . قال : « مُروا بنا إلى منزل ابن التَّيهان أبى الهيثم الأنصارى » . قال : فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا ، فسلم واستأذن ـ ثلاث مرات ـ وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام ، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم ، فقالت : يا رسول الله ، قد ـ والله ـ سمعت تسليمك ، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك . فقال لها رسول الله ﷺ : « خيراً » . ثم قال : « أين أبو الهيثم ؟ لا أراه » . قالت : يا رسول الله ، هو قريب ذهب يَستعذبُ الماء ، ادخلوا فإنه يأتى الساعة إن شاء الله ، فبسطت ـ بساطا تحت شجرة ، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم ، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقاً ، فقال له رسول الله ﷺ : « حَسْبُكَ يا أبا الهيثم » . قال : يا رسول الله ،تأكلون من بُسره ، ومن رطبه ، ومن تَذْنُوبه، ثم أتاهم بماء فشربوا عليه ، فقال رسول الله ﷺ: « هذا من النعيم الذى تسألون عنه»[1] . هذا غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير : حدثنى الحُسَين بن على الصدائى ، حدثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : بينما أبو بكر وعمر جالسان ، إذ جاءهما النبى ﷺ فقال: « ما أجلسكما هاهنا ؟ » قالا : والذى بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع . قال : «والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره » . فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ،فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبى ﷺ : « أين فلان ؟ » فقالت : ذهب يستعذب [2] لنا ماء . فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال : مرحبا ، ما زار العباد شىء أفضل من شىء [3] زارنى اليوم . فعلق قرْبَتَه بكرب نخلة [4] ،وانطلق فجاءهم بعذْق ، فقال النبى ﷺ : « ألا كنت اجتنيت » ؟ فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم . ثم أخذ الشفرة ، فقال النبى ﷺ : « إياك والحلوب ؟ » فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا . فقال النبى ﷺ : « لتسئلن عن هذا يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا ، فهذا من النعيم » [5] .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان ، به [6] .ورواه أبو يعلى وابن ماجة ، من حديث المحاربى، عن يحيى بن عُبيد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن أبى بكر الصديق ، به [7] . وقد رواه أهل السنن الأربعة ، من حديث عبد الملك بن عمير ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، بنحو من هذا السياق وهذه القصة [8] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُرَيج ، حدثنا حشرج ، عن أبى نُصرة ، عن أبى عسيب ـ يعنى

---

(١) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٩/ ٢٥٣) من طريق زكريا بن يحيى ، عن عبد الله بن عيسى ، به . وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣١٧) : « فيه عبد الله بن عيسى ـ أبو خلف ـ وهو ضعيف » .

(٢) فى م : « ليستعذب » . (٣) فى م : « من نبى » . (٤) فى أ : « بكور نخلته » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٥) .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٠٣٨) .

(٧) مسند أبى يعلى (١/ ٧٩) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٨١) .

(٨) سنن أبى داود برقم (٥١٢٨) وسنن الترمذى برقم (٢٨٢٢) ، (٢٣٦٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٩٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٤٥) .

مولى رسول الله ــ قال : خرج رسول الله ﷺ ليلا فمر بى، فدعانى فخرجت إليه ،ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، فانطلق حتى أتى [(١)] حائطا لبعض الأنصار ،فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا » . فجاء بعِذْق فوضعه ،فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب ، وقال : « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » . قال : فأخذ عُمَرُ العذْقَ فضَرب به الأرض ، حتى تناثر البُسرُ قبل رسول الله ﷺ ثم قال : يا رسول الله ، إنا لمسؤول [(٢)] عن هذا يوم القيامة ؟ قال : « نعم ، إلا من ثلاثة : خرقة لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سَدَّ بها جوعته ، أو جحر تَدخَّل فيه من الحر والقر » [(٣)] . تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد ، حدثنا عمار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً ، وشربوا ماء ،فقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم الذى تسألون عنه » .

ورواه النسائى ، من حديث حماد بن سلمة [عن عمار بن أبى عمار عن جابر] [(٤)] ، به [(٥)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ،عن صفوان بن سليم، عن محمود [(٦)] بن الربيع قال : لما نزلت :﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ ، فقرأ حتى بلغ : ﴿ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قالوا : يا رسول الله ، عن أى [(٧)] نعيم نُسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر ،وسيوفنا على رقابنا ، والعدو حاضر ، فعن أى نعيم نسأل ؟ قال [(٨)] : « أما إن ذلك سيكون » [(٩)] .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر ، عبد الملك بن عمرو ،حدثنا عبد الله بن سليمان ، حدثنا معاذ ابن عبد الله بن خُبَيب ، عن أبيه ، عن عمه قال : كنا فى مجلس فطلع علينا النبى ﷺ وعلى رأسه أثر ماء ،فقلنا : يا رسول الله ، نراك طيب النفس . قال : « أجل » . قال : ثم خاض الناس فى ذكر الغنى ،فقال رسول الله ﷺ : « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله ، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى ، وطيب النفس من النعيم » .

ورواه ابن ماجة،عن أبى بكر بن أبى شيبة،عن خالد بن مخلد،عن عبد الله بن سليمان، به[(١٠)].

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا شبابة ،عن عبد الله بن العلاء ، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم الأشعرى قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال النبى ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه ــ يعنى يوم القيامة ــ العبد من النعيم أن يقال له : ألم نُصِحّ لك جسمك ، ونُرْوِكَ من الماء البارد ؟ » .

---

(١) فى أ : «حتى دخل » .
(٢) فى م ، أ : « إنا لمسؤولون » .
(٣) المسند (٥/ ٨١) .
(٤) زيادة من أ .
(٥) المسند (٣/ ٣٥١) وسنن النسائى (٦/ ٢٤٦) .
(٦) فى أ : « عن محمد » .
(٧) فى م : « أى يوم » .
(٨) فى م : « فقال » .
(٩) المسند (٥/ ٤٢٩) .
(١٠) المسند (٥/ ٣٧٢) وسنن ابن ماجة برقم (٢١٤١) وقال البوصيرى فى الزوائد (٢/ ١٥٨) : « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » .

تفرد به الترمذى . ورواه ابن حبان فى صحيحه ، من طريق الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن العلاء بن زَبْر ، به [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن حاطب ، عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير : لما نزلت : ﴿ [ثُمَّ] [٢] لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قالوا: يا رسول الله ، لأى نعيم نسأل عنه ، وإنما هما الأسودان التمر والماء ؟ قال: « إن ذلك سيكون » . وكذا رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث سفيان ــ هو ابن عيينة ــ به [٣] . ورواه أحمد عنه [٤] ، وقال الترمذى : حسن .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو عبد الله الظهرانى ، حدثنا حفص بن عمر العَدَنى ، عن الحكم ابن أبان ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قالت الصحابة : يا رسول الله ، وأى نعيم نحن فيه ، وإنما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : قل لهم : أليس تحتذون النعال ، وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهانى، عن ابن أبى ليلى ــ أظنه عن عامر ــ عن ابن مسعود، عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ [ثُمَّ] [٥] لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قال : « الأمن والصحة » [٦] .

وقال زيد بن أسلم ، عن رسول الله ﷺ : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ يعنى : شبع البطون، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخلق ، ولذة النوم . رواه ابن أبى حاتم بإسناده المتقدم ، عنه فى أول السورة .

وقال سعيد بن جبير : حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا . وقال الحسن البصرى : نعيم الغداء والعشاء ، وقال أبو قِلابة : من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقى . وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ، قال : النعيم : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وثبت فى صحيح البخارى ، وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن سعيد ابن أبى هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من

---

(١) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٨) وصحيح ابن حبان برقم (٧٣٢٠) « الإحسان » .

(٢) زيادة من أ .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٥٦) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٥٨) .

(٤) المسند (١/ ١٧٤) .

(٥) زيادة من أ .

(٦) ورواه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد برقم (٨٥٥) من طريق محمد بن سليمان الأصبهانى ، به .

الناس : الصحة والفراغ » (١) .

ومعنى هذا : أنهم مقصرون فى شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه ، فهو مغبون .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزى ، حدثنا على بن الحسن ابن شقيق ، حدثنا أبو حمزة ، عن ليث ، عن أبى فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « ما فوق الإزار ، وظل الحائط ، وخُبْز ، يحاسب به العبد يوم القيامة ، أو يسأل عنه » (٢) ، ثم قال : لا نعرفه إلا بهذا الإسناد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بَهْزُ وعفان قالا : حدثنا حماد ــ قال عفان فى حديثه : قال إسحاق ابن عبد الله ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « يقول الله ، عز وجل ــ قال عفان : يوم القيامة ــ : يابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تَرْبَع (٣) وترأس ، فأين شكر ذلك ؟ » (٤) . تفرد به من هذا الوجه .

آخر تفسير سورة « التكاثر » (٥) [ولله الحمد والمنة] (٦)

(١) صحيح البخارى برقم (٦٤١٢) وسنن الترمذى برقم (٢٣٠٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٧٠) .

(٢) مسند البزار برقم (٣٦٤٣) « كشف الأستار » وليث بن أبى سليم ضعيف .

(٣) فى أ : « ترتع » .

(٤) المسند (٢/٤٩٢) .

(٥) فى م : « ألهاكم » .

(٦) زيادة من أ .

تفسير سورة العصر

وهي مكية.

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب [لعنه الله] (١) ، وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال (٢): لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ . ففكر مسيلمة هُنَيهة ثم قال : وقد أنزل على مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا وَبْر يا وَبْر ، إنما أنت أذنان وصَدْر ، وسائرك حفز نَقْز . ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو :والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب (٣) .

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند (٤) في كتابه المعروف بـ « مساوى الأخلاق » ، في الجزء الثاني منه ،شيئاً من هذا أو قريباً منه (٥) .

والوبْر : دويبة تشبه الهر ، أعظم شيء فيه أذناه ، وصدره وباقيه دميم . فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان .

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن حصن [أبي مدينة] ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا ، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر « سورة العصر » إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر (٦) .

وقال الشافعي ، رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة ، لوسعتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا

---

(١) زيادة من أ . (٢) في م : « فقال » .

(٣) وفي صحة هذه القصة نظر ؛ فإن إسلام عمرو بن العاص متقدم على تنبئ مسيلمة ، فإن مسيلمة الكذاب تنبأ سنة عشر من الهجرة، وكان قد وفد على النبي ﷺ مع قومه سنة عشرة من الهجرة ، كما في السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٧٤) . وعمرو بن العاص أسلم سنة ثمان على الأصح كما في الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٢) . ثم وقفت على ما نقله الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢٢٥) : أن عمراً بن العاص أرسله رسول الله ﷺ إلى البحرين وتوفى رسول الله ﷺ وهو هناك وأنه مرَّ على مسيلمة وأنه أعطاه الأمان ثم قال له : إن محمداً أرسل في جسيم الأمر وأرسلت في المحقرات . . .فذكر نحو القصة ، وعزاه لابن شاهين في الصحابة ، فعلى هذا يكون ما جاء هنا بعد إسلام عمرو بن العاص وليس قبل إسلامه ، والله أعلم .

(٤) في أ : « استدل » .

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من مساوئ الأخلاق ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن ابن شاهين وصل هذه القصة من طريق الليث عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال : « أن قرة بن هبيرة قدم على رسول الله . . . ثم ذكر أن رسول الله أرسل عمراً إلى البحرين ، فذكر نحو القصة » . انظر : الإصابة (٣/ ٢٢٥).

(٦) المعجم الأوسط برقم (٥٠٩٧) « مجمع البحرين » .

بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ .

العصر : الزمان الذى يقع فيه حَركاتُ بنى آدم ، من خير وشر .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : هو العَشى ، والمشهور الأول .

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفى خسر ، أى : فى خسارة وهلاك ، ﴿ **إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ** ﴾ وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ على المصائب والأقدار ، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

آخر تفسير سورة « العصر » ولله الحمد والمنة

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة

وهى مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾ .

الهماز : بالقول ، واللماز : بالفعل . يعنى : يزدرى بالناس [(١)] وينتقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك فى قوله : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم:١١] .

قال ابن عباس : ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ : طعان معياب . وقال الربيع بن أنس : الهُمَزة ، يهمزه فى وجه ، واللمزة [(٢)] من خلفه . وقال قتادة : يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه ،ويأكل لحوم الناس،ويطعنُ عليهم.

وقال مجاهد : الهمزة : باليد والعين ، واللمزةُ : باللسان . وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك، عن زيد بن أسلم : هُمَزة لحوم الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأخنس بن شَرِيق . وقيل غيره . وقال مجاهد : هى عامة .

وقوله : ﴿ الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أى : جمعه [(٣)] بعضه على بعض ،وأحصى عدده كقوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ [المعارج:١٨] . قاله السدى ، وابن جرير .

وقال محمد بن كعب فى قوله : ﴿ جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ : ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى[(٤)] هذا ، فإذا كان الليل ، نام كأنه جيفة .

وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أى : يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار ؟ ﴿ كَلاَّ ﴾ أى : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى: ﴿ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ﴾ أى : ليلقين هذا الذى جمع مالاً فعدده [(٥)] فى الحطمة وهى اسم من أسماء النار صفة ؛ لأنها تحطم من فيها . ولهذا قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكى .

---

(١) فى م : « على الناس » . (٢) فى م : « ولمزه » . (٣) فى م : « أى جمع » .
(٤) فى م : « فى » . (٥) فى م : « فعده » .

وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده ، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقه ترجع على جسده .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي : مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثنا عبد الله بن محمد ،حدثنا على بن سراج ، حدثنا عثمان بن خَرزَاذ ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ قال : « مطبقة » .

وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد [١] ، عن أبى صالح ، قوله ، ولم يرفعه .

﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ : قال عطية العوفى : عمد من حديد . وقال السُّدِّى : من نار . وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس:﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ يعنى : الأبواب هى الممدوة [٢] .

وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممدة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : أدخلهم فى عَمَد فمدت عليهم بعماد ، وفى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب .

وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار . واختاره ابن جرير .

وقال أبو صالح : ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ ، يعنى القيود الطوال .

آخر تفسير سورة « ويل لكل همزة لمزة »

(١) فى أ : « إسماعيل بن أبى خالد » .

(٢) فى أ : « هى الممددة » .

تفسير سورة الفيل

وهى مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ .

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل ، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وأرغم آنافهم ، وخيب سعيهم، وأضل عملهم ، وَرَدهم بشر خيبة . وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان . ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ ، فإنه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ،ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم ـ يا معشر قريش ـ على الحبشة لخيريتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبى الأمى محمد ، صلوات الله وسلامه عليه [١] ، خاتم الأنبياء .

وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم فى قصة أصحاب الأخدود [٢]: أن ذا نُوَاس ــ وكان آخر ملوك حمير ، وكان مشركاً ــ هو الذى قتل أصحاب الأخدود، وكانوا نصارى ، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً ،فلم يفلت منهم إلا دَوس ذو ثعلبان ، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام ــ وكان نصرانياً ــ فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة ؛ لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين : أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم [٣] ، فى جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار ، واستلبوا الملك من حمير ،وهلك ذو نواس غريقاً فى البحر . واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران : أرياط وأبرهة ، فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بيننا ، ولكن ابرز إلى وأبرز إليك ، فأينا قتل الآخر ، استقل بعده بالملك . فأجابه إلى ذلك فتبارزا ، وخَلْفَ كل واحد منهما قناة ، فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف ، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه ، وحمل عَتَوْدَة مولى أبرهة على أرياط فقتله ،ورجع أبرهة جريحاً ،فداوى جرحه فَبَرأ ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب[٤] إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ،ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته. فأرسل إليه أبرهة يترقق له ويصانعه ،وبعث مع رسوله بهدايا وتحف ، وبجراب فيها من تراب اليمن ، وجز ناصيته فأرسلها معه ، ويقول فى كتابه : ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه،

---

(١) فى أ : « ﷺ » .

(٢) عند تفسير الآية : ٤ من سورة البروج .

(٣) فى أ : « أبا بكشوم » .

(٤) فى أ : « فأرسل » .

وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك . فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ، ورضى عنه ، وأقره على عمله .
وأرسل أبرهة يقول للنجاشى : إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها . فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء ، رفيعة البناء ، عالية الفناء ، مزخرفة الأرجاء . سمتها العرب القُلَّيس ؛ لارتفاعها ؛ لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها . وعزم أبرهة الأشرمُ على أن يصرف حَجّ العرب إليها كما يُحَج إلى الكعبة بمكة ، ونادى بذلك فى مملكته ، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً ، حتى قصدها بعضهم ، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً . فأحدث فيها وكرّ راجعاً . فلما رأى السدنة ذلك الحدث ، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذى ضاهيت هذا به ، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة ، وليخربنه حجراً حجراً .

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً ، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقته ، وسقطت إلى الأرض .

فتأهب أبرهة لذلك ، وصار فى جيش كثيف عَرَمرم ؛ لئلا يصده أحد عنه ، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله ، يقال له : محمود ، وكان قد بعثه إليه النجاشى ملك الحبشة لذلك . ويقال : كان معه أيضاً ثمانية أفيال . وقيل : اثنا عشر فيلاً . وقيل غيره ، والله أعلم . يعنى ليهدم به الكعبة ، بأن يجعل السلاسل فى الأركان ، وتوضع فى عُنُق الفيل ، ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة . فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة [1] دون البيت، ورَد من أراده بكيد . فخرج إليه رجل [كان] [2] من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له «ذو نَفْر » فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وخرابه . فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، فهزمهم لما يريده الله ، عز وجل ، من كرامة البيت وتعظيمه ، وأسر « ذو نُفْر » فاستصحبه معه . ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم ، عَرَض له نُفَيل بن حَبيب الخَشْعمى فى قومه : شهران وناهس ، فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة ، وأسر نُفَيل بن حبيب ، فأراد قتله ثم عفا عنه ، واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز . فلما اقترب من أرض الطائف ، خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم ، الذى عندهم ، الذى يسمونه اللات . فأكرمهم وبعثوا معه « أبا رغَال » دليلاً . فلما انتهى أبرهة إلى المُغَمْس ــ وهو قريب من مكة ــ نزل به وأغار جيشه على سَرْح أهل مكة من الإبل وغيرها ، فأخذوه . وكان فى السرح [3] مائتا بعير لعبد المطلب . وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له : « الأسود بن مَقْصود» فهجاه بعض العرب ــ فيما ذكره ابن إسحاق [4] ــ وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش ، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تَصُدوه عن البيت . فجاء حناطة فَدُل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه منه فهو بيته

(١) فى أ : المحاجة » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) فى أ : « فى السراح » .
(٤) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥١) .

وحرمه ، وإن يخلى بينه وبينه ، فو الله ما عندنا دَفْع عنه . فقال له حناطة : فاذهب معى إليه. فذهب معه ، فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره ،وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه : قل له : حاجَتك ؟ فقال للترجمان : إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى . فقال أبرهة لترجمانه : قل له : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زَهِدت فيك حين كلمتنى ، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ، لا تكلمنى فيه ؟! فقال له عبد المطلب : إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع منى ! قال : أنت وذاك .

ويقال : إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت ، فأبى عليهم ، ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة ،والتحصن فى رؤوس الجبال ، تخوفاً عليهم من مَعرة الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ،وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ،وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَّ [1] إنَّ المرء يمـ ـنَعُ رَحْلَه فامْنع حلالَك
لا يغلبنَّ صَلِيبُهم ومحَالُهم غدواً مِحَالك

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب ، ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال [2].

وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مُقَلَّدة ، لعل بعض الجيش [3] ينال منها شيئا بغير حق ، فينتقم الله منه .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ــ وكان اسمه محموداً ــ وعبأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال : « أبرك محمود ، أو ارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك فى بلد الله الحرام » . ثم أرسل أذنه ،فبرك الفيل . وخرج نفيل بن حبيب يَشتد حتى أصعد فى الجبل . وضربوا الفيل ليقوم فأبى.فضربوا فى رأسه بالطَّبرزين[4] وأدخلوا محاجن لهم فى مَرَاقه فبزغوه بها ليقوم ، فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول . ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك . ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك .ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره ، وحجران فى رجليه، أمثال الحمص والعَدسَ ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت .وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ،ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا . ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة،وجعل نفيل يقول :

---

(١) فى أ : « اللهم » .
(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٥٢/١) .
(٣) فى م ، أ : « بعض الحبشة » .
(٤) فى أ : « بالطورين من الآلات » .

أينَ المَفَرُّ ؟ والإلهُ الطَّالب [(١)] والأشرمُ المغلوبُ غير الغالب [(٢)]

قال ابن إسحاق : وقال نُفَيل فى ذلك أيضاً :

ألا حُيِّيت عَنا يا رُدَينا نَعمْناكُم مَعَ الإصبَاح عَينَا
رُدَينةُ ، لَو رأيت ــ وَلَا تَرَيْه لَدَى جَنْب المحصّب ــ ما رَأينَا
إذا لَعَذَرتنى وَحَمَدت أمْرى وَلَم تأسى عَلىَ مَا فات بَيْنَا
حَمدتُ الله إذ أبصَرتُ طيراً وَخفْتُ حَجارة تُلقَى عَلَينا
فكُلّ القوم يَسألُ عَن نُفَيل كَأنَّ علىّ للحُبْشَان دَينَا !

وذكر الواقدى بأسانيده أنهم لما تعبؤوا لدخول الحرم وهيؤوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب [فيها] [(٣)] ، فإذا وجهوه إلى الحرم رَبَض وصاح .وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل على دخول الحرم . وطال الفصل فى ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة ، منهم [(٤)] المطعم بن عدى ، وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، ومسعود [بن عمرو] [(٥)] الثقفى ، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون ،وماذا يلقون من أمر الفيل ، وهو العجب العجاب . فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل ، أى قطَعاً قطَعاً صفرا دون الحمام ، وأرجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاث أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا .

وقال محمد بن كعب : جاؤوا بفيلين فأما محمود فَرَبض ، وأما الآخر فَشَجُع [(٦)] فحُصِب .

وقال وهب بن مُنَبِّه : كان معهم فيلة ، فأما محمود ــ وهو فيل الملك ــ فربض ، ليقتدى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تَشَجّع فحصب ، فهربت بقية الفيلة .

وقال عطاء بن يَسَار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعاً ، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون ،وكان أبرهة ممن يتساقط عضواً عضواً ، حتى مات ببلاد خثعم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل [(٧)] ، وأصيب أبرهة فى جسده ،وخرجوا به معهم يسقط أنْمُلة أنْمُلة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن [(٨)] قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم ،وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

---

(١) فى م : « الغالب » .
(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٣) وتفسير الطبرى (٣٠/ ١٩٦) .
(٣) زيادة من م ، أ .
(٤) فى م ، أ : « فيهم » .
(٥) زيادة من م ، أ .
(٦) فى أ : « فخشع » .
(٧) فى م : « كل سهل » .
(٨) فى أ : « من » .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتْبَة : أنه حدث [1] أن أول ما رؤيت الحَصبة والجُدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى به مَرائر الشجر الحَرْمل ، والحنظل والعُشر ، ذلك العام[2] .

وهكذا روى عن عكرمة ، من طريق جيد .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يَعُد به على قريش من نعْمته [3] عليهم وفضله ، ما رَدّ عنهم من أمر الحبشة ،لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ . ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [سورة قريش] أى : لئلا يغير شيئاً من حالهم التى كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبابيل الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحدة . قال : وأما السجيل ، فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَنْج وجل يعنى بالسنج : الحجر ،والجِل : الطين. يقول : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين .قال: والعصفُ : ورقُ الزرع الذى لم يُقضب، واحدته عصفه . انتهى ما ذكره [4] .

وقد قال حماد بن سلمة : عن عاصم، عن زر، عن عبد الله ــ وأبو سلمة بن عبد الرحمن ــ: ﴿ **طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ قال : الفرق [5] .

وقال ابن عباس ، والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضاً . وقال الحسن البصرى ، وقتادة : الأبابيل : الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيلُ : شتى متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة، تأتى من هاهنا ، ومن هاهنا ، أتتهم من كل مكان .

وقال الكسائى : سمعت [النحويين يقولون: أبُول مثل العجول . قال : وقد سمعت] [6] بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل : إبيل .

وقال ابن جرير : [حدثنا ابن المثنى] [7] ، حدثنى عبد الأعلى ، حدثنى داود ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ؛ أنه قال فى قوله : ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ هى : الأقاطيع ، كالإبل المؤبلة .

---

(١) فى أ : « أنه حدثه » .

(٢) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٤) .

(٣) فى أ : « من بعثه » .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٥) .

(٥) فى أ : « الغرق » .

(٦، ٧) زيادة من تفسير الطبرى (٣٠/ ١٩١) .

وحدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب .

وحدثنا يعقوب ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله : ﴿ **طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ قال : كانت طيراً خضرا خرجت من البحر ، لها رؤوس كرؤوس السباع .

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدى ، عن سفيان ،عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد ابن عمير : ﴿ **طَيْرًا أَبَابِيلَ** ﴾ قال :هى طير [(١)] سود بحرية ،فى منقارها [(٢)] وأظافيرها الحجارة .

وهذه أسانيد صحيحة .

وقال سعيد بن جبير : كانت طيراً خضرا لها مناقير صفر ، تختلف عليهم .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عنقاء مُغْرب . رواه عنهم ابن أبى حاتم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبة ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن عبيد بن عمير ، قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل ، بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر ، أمثال الخطاطيف . كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مُجَزّعة : حجرين فى رجليه وحجراً فى منقاره . قال : فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شىء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر . وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً .

وقال السُّدِّى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **حِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ** ﴾ قال : طين فى حجارة : «سَنْك ــ وكل » وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ : قال سعيد بن جبير : يعنى التبن الذى تسميه العامة : هبور . وفى رواية عن سعيد : ورق الحنطة . وعنه أيضاً : العصف : التبن . والمأكول : القصيل يجز للدواب . وكذلك قال الحسن البصرى .

وعن ابن عباس : العصف : القشرة التى على الحبة ، كالغلاف على الحنطة .

وقال ابن زيد :العصف :ورق الزرع ،وورق البقل ، إذا أكلته البهائم فراثته ، فصار دَرِينا [(٣)] .

والمعنى : أن الله،سبحانه وتعالى ،أهلكهم ودمرهم ، وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ، ولم يرجع منهم بخير إلا وهو جريح ، كما جرى لملكهم أبرهة ،فإنه انصدع صَدْرُه عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء ، وأخبرهم بها [(٤)] جرى لهم ، ثم مات. فملك بعده ابنه

---

(١) فى م : « هى طيور » .
(٢) فى أ : « فى مناقيرها » .
(٣) فى م : « دوثاً ».
(٤) فى م : « بما » .

يكسُوم، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة[١] . ثم خرج سيف بن ذى يَزَن الحميرى إلى كسرى فاستغاثه [٢] على الحبشة ، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه ، فرد الله إليهم ملكهم ، وما كان فى آبائهم من الملك ، وجاءته وفود العرب للتهنئة .

وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة ، عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مُقعَدَين ، يستطعمان [٣] . ورواه الواقدى ، عن عائشة مثله . ورواه أيضا عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : كانا مقعدين يستطعمان الناس ، عند إساف ونائلة، حيث يذبح المشركون ذبائحهم .

قلت : كان اسم قائد الفيل : أنيساً .

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى كتاب « دلائل النبوة » من طريق ابن وهب ، عن ابن لَهِيعة عن عقيل بن خالد ، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ،ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن ، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له :شمر بن مفصود ، وكان الجيش عشرين ألفاً ، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً ، فأصبحوا صرعى .

وهذا السياق غريب جداً ، وإن كان أبو نُعيْم قد قواه ورَجحه على غيره . والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشى قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روى ابن لَهيعة ، عن الأسود، عن عُرْوَة : أن أبرهة بعث الأسود بن مفصود على كتيبة معهم الفيل ، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ، ولعل ابن مفصود كان على مقدمة الجيش ، والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب ،فيما كان من قصة أصحاب الفيل ، فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبعرى :

تَنكَّلُوا عن بطن مكَّةَ إنها ... كانتْ قديماً لا يُرام حَريمها
لم تُخلَق الشِّعرَى ليالى حُرِّمتْ ... إذ لا عزيزَ من الأنام يَرُومها
سائل أميرَ الجيش عنها ما رأى؟ ... فلسوفَ يُنبى الجاهلين عليمها
ستونَ ألفاً لم يَؤُوبوا أرْضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانتْ بها عادٌ وجُرْهُم قبلهم ... واللهُ من فوق العباد يُقيمها[٤]

وقال أبو قيس[٥] بن الأسلت الأنصارى المرى [٦]:

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦١، ٦٢) .
(٢) فى م : « فاستعانه » .
(٣) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٧) .
(٤) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥٨) .
(٥) فى م : « أبو القيس » .
(٦) فى م ، أ : « المدنى » .

ومن صُنْعه يوم فيل الحُبُو ش ، إذ كل ما بَعَثُوه رَزَمْ
مَحاجنهم تحت أقرابه وقد شَرَموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولاً إذا يَمَّمُوه قَفَاه كُلِيم
فَسوَّل(١) أدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثَمَّ
فأرسل من فوقهم حاصباً يَلُفهُم مثْلَ لَفُّ القزُم
تحث على الصَّبر أحبارُهم وَقَد ثأجُوا كَثؤاج الغَنَم

وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، ويروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة :

إن آيات رَبِّنا بَاقياتٌ مَا يُمَارى فيهنَّ إلا الكفورُ
خُلِقَ الليلُ والنهارُ فَكُلٌ مستبينٌ حسابُه مَقْدُورُ
ثم يجلو النَّهارَ ربٌ رحيمٌ بمهاة شُعَاعها منشورُ
حُبِسَ الفيلُ بالمغُمَّس حَتَى صار يَحْبُو ، كأنه معقورُ
لازماً حَلقُه الجرانَ كما قُطِّر من ظَهْر كَبْكَب مَحدُورُ
حَوله من مُلُوك كندَة أَبطالُ مَلاويثُ فى الحُرُوب صُقُورُ
خَلَّفُوه ثم ابذَعرّوا جَميعاً، كُلَّهم عَظْمُ ساقه مَكْسُورُ
كُلّ دين يَومَ القِيَامَة عندَ الـ ـله إلا دِينُ الحَنيفَة بورُ

وقد قدمنا فى تفسير « سورة الفتح » أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش ، بركت ناقته ، فزجروها فألحَّت ، فقالوا : خلأت القصواء ، أى : حَرَنت . فقال رسول الله ﷺ : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » ثم قال: « والذى نفسى بيده ، لا يسألونى اليوم خطة يُعَظمون فيها حُرُمات الله ، إلا أجبتهم إليها » . ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخارى (٢) .

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسَلَّط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حُرمَتُها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»(٣) .

آخر تفسير سورة « الفيل »

(١) فى م ، أ : « فولى و » .
(٢) تقدم تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ٢٦ من سورة الفتح ، وهو فى صحيح البخارى برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) .
(٣) صحيح البخارى برقم (١١٢) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٥) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

تفسير سورة لإيلاف قريش

وهى مكية .

ذكر حديث غريب فى فضلها : قال البيهقى فى كتاب « الخلافيات » : حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفى بمرو ، حدثنا أحمد بن عُبَيد الله النرسى [١] ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل ، حدثنى عثمان بن عبد الله [بن] [٢] أبى عتيق ، عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدته أم هانئ بنت أبى طالب ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « فضل الله قريشاً بسبع خلال : أنى منهم [٣]، وأن النبوة فيهم ، والحجابة ، والسقاية فيهم ، وأن الله نصرهم على الفيل ، وأنهم عبدوا الله ، عز وجل ، عشر سنين لا يعبده غيرهم ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن » ثم تلاها رسول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ [٤] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤)** ﴾ .

هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الإمام ،كتبوا بينهما سطر ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ وإن كانت متعلقة بما قبلها . كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ لأن المعنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ** ﴾ أى : لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين .

وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن ، وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم ؛ لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فمن عَرَفهم احترمهم ، بل من صوفى إليهم وسار معهم أمن بهم . هذا [٥] حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم . وأما فى حال إقامتهم فى البلد ، فكما قال الله : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾ [العنكبوت:٦٧]. ولهذا قال: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ** ﴾ ، بدل من الأول ومفسر له . ولهذا قال : ﴿ **إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ** ﴾ .

---

(١) فى م ، أ ، هـ : « الزينبى » وهو خطأ .　(٢) زيادة من م ، أ .　(٣) فى أ : « أنى فيهم » .

(٤) ورواه البيهقى فى مناقب الشافعى (١/ ٣٤) وهو فى المستدرك (٢/ ٥٣٦) وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »،وتعقبه الذهبى فقال : « فيه يعقوب بن محمد الزهرى ضعيف ، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها » وقد حسن الحافظ العراقى هذا الحديث . وللشيخ ناصر الدين الألبانى مبحث حول هذا الحديث فى السلسلة الصحيحة برقم (١٩٤٤) ذهب إلى تحسينه ، والله أعلم .

(٥) فى م : « وهذا » .

وقال ابن جرير : الصواب أن « اللام » لام التعجب ، كأنه يقول : اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان [١] .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ** ﴾ أى : فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: ٩١] .

وقوله : ﴿ **الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ** ﴾ أى : هو رب البيت ، وهو الذى أطعمهم من جوع ، ﴿**وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** ﴾ أى : تفضل عليهم بالأمن والرخص[٢] ، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً . ولهذا من استجاب لهذا الأمر جَمَعَ الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣] .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا عبد الله بن عمرو العَدَنى ، حدثنا قَبيصة ،حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ويل أمكم ، قريش ، لإيلاف قريش » [٣]. ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا المؤمَّل بن الفضل الحرانى ، حدثنا عيسى ــ يعنى ابن يونس ــ عن عُبَيد الله ابن أبى زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . ويحكم يا معشر قريش ، اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » .

هكذا رأيته عن أسامة بن زيد ، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن ، أم سلمة الأنصارية ، رضى الله عنها [٤]. فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة « لإيلاف قريش »

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٩٨) .

(٢) فى أ : « والترخص » .

(٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٢٤/ ١٧٧، ١٧٨) من طريق قبيصة بن عقبة ، عن سفيان ، به .

(٤) وكذا فى رواية الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٤٦٠) عن على بن يحيى ، عن عيسى بن يونس ، عن عبد الله بن أبى زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد عن النبى ﷺ .

تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون

وهى مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) ﴾ .

يقول تعالى : أرأيت ـ يا محمد ـ [١] الذى يكذب بالدين ؟ وهو : المعاد والجزاء والثواب ، **﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾** أى : هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ،ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، **﴿وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾** ، كما قال تعالى : **﴿ كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾** [الفجر:١٧،١٨] يعنى : الفقير الذى لا شيء له يقوم بأوده وكفايته .

ثم قال : **﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾** ، قال ابن عباس ، وغيره : يعنى المنافقين ، الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر .

ولهذا قال : **﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾** أى : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية ،كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق ، وأبو الضحى .

وقال عطاء بن دينار : والحمد لله الذى قال : **﴿ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾** ، ولم يقل : فى صلاتهم ساهون .

وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا . وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به . وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية . ومن اتصف بجميع ذلك ، فقد تم نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملى . كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يَرْقُب الشمس ، حتى إذا كانت بين قَرْنَى الشيطان قام فَنَقَرَ أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » [٢]. فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى ، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها ،وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب ، لم يطمئن ولا خَشَع فيها أيضا ؛ ولهذا قال : « لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » . ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءاة الناس ، لا ابتغاء وجه

---

(١) فى م : « يا محمد أرأيت » .

(٢) صحيح مسلم برقم (٦٢٢) ولم أقع عليه فى صحيح البخارى ، ولم يعزه المزى له فى تحفة الأشراف .

الله ، فهو إذاً لم يصل بالكلية . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢] . وقال هاهنا : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ .

وقال الطبراني: حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدويه [(١)] البغدادى ، حدثنى أبى ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : « إن فى جهنم لوادياً [(٢)] ، تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة ، أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب الله ، وللمصَّدِّق فى غير ذات الله ، وللحاج إلى بيت الله ، وللخارج فى سبيل الله » [(٣)].

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نُعَيم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة قال : كنا جلوساً عند أبى عبيدة فذكروا الرياء ،فقال رجل يكنى بأبى يزيد : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ : « من سَمَّع الناس بعمله ، سَمَّع الله به سامعَ خلقه ، وحَقَّره وصَغَّره » [(٤)] .

ورواه أيضا عن غُنْدَر ويحيى القطان ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل ، عن عبد الله ابن عمرو ، عن النبى ﷺ ، فذكره [(٥)].

ومما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ : أن من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس ، فأعجبه ذلك ، أن هذا لا يعد رياء ،والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا مخلد بن يزيد ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : كنت أصلى ، فدخل علىَّ رجل ، فأعجبنى ذلك ، فذكرته لرسول الله ﷺ ،فقال : « كتب لك أجران : أجر السر ، وأجر العلانية » [(٦)] .

قال أبو على هارون بن معروف : بلغنى أن ابن المبارك قال : نعم الحديثُ للمرائين .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وسعيد بن بشير متوسط ، وروايته عن الأعمش عزيزة . وقد رواه غيره عنه .

قال أبو يعلى أيضا : حدثنا محمد بن المثنى بن موسى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو سِنان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل يَسُرُّه ، فإذا اطُّلِعَ عليه أعجبه . قال : قال رسول الله ﷺ : « له أجران : أجر السر

---

(١) فى م ، أ : « عبد ربه » . (٢) فى م ، أ : « لواد » .

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ١٧٥) ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/ ٦٧) : « رفع حديث ابن عباس غريب، ولعله موقوف ، والله أعلم » .

(٤) المسند (٢/ ٢١٢) .

(٥) المسند (٢/ ١٦٢) .

(٦) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٤٩٤٩) « مجمع البحرين » ، وقال الطبرانى : « لم يروه عن سعيد إلا محمد بن معاذ ، ومحمد بن بكار » . وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٩٠) :« رجاله ثقات ». قلت : سعيد بن بشير ضعفه الأئمة .

وأجر العلانية » [١] .

وقد رواه الترمذى عن محمد بن المثنى ، وابن ماجة عن بُنْدَار ، كلاهما عن أبى داود الطيالسى، عن أبى سنان الشيبانى[٢] ـ واسمه : ضرار بن مرة . ثم قال الترمذى : غريب ، وقد رواه الأعمش وغيره . عن حبيب ، عن [النبى ﷺ] [٣] ، مرسلا .

وقد قال أبو جعفر بن جرير : حدثنى أبو كُرَيْب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان النحوى، عن جابر الجعفى ، حدثنى رجل ، عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ قال : « الله أكبر ، هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا ، هو الذى إن صلى لم يَرْجُ خير صلاته ،وإن تركها لم يخف ربه » [٤] .

فيه جابر الجعفى ، وهو ضعيف ،وشيخه مُبهم لم يُسَم ، والله أعلم .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنى زكريا بن أبان المصرى ، حدثنا عمرو بن طارق ، حدثنا عِكْرِمة بن إبرهيم ، حدثنى عبد الملك بن عمير [٥]، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبى وقاص قال : سألت رسول الله ﷺ عن : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ قال : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » [٦] .

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ، أو صلاتها بعد وقتها شرعا ، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً حتى ضاع] [٧] الوقت .

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فَرُّوخ ، عن عكرمة بن إبراهيم ، به . ثم رواه عن أبى الربيع ، عن جابر ، عن عاصم ، عن مصعب ، عن أبيه موقوفاً [٨] . وهذا أصح إسناداً ، وقد ضعف البيهقى [٩] رفعه ، وصحح وقفه ، وكذلك الحاكم .

وقوله : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ أى : لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم . فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُرُبات أولى وأولى . وقد قال ابن أبى نَجِيح ، عن مجاهد : قال على : الماعون : الزكاة . وكذا رواه السدى ، عن أبى صالح ، عن على . وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر . وبه يقول محمد بن الحنفية،وسعيد بن جبير ، وعِكْرِمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وعطية العوفى ،والزهرى ،والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد .

---

(١) الحديث فى مسند الطيالسى برقم (٢٤٣٠) .

(٢) سنن الترمذى برقم (٢٣٨٥) ، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٢٦) .

(٣) فى م ، أ ، هـ : « عن أبى صالح » ، والمثبت من تحفة الأحوذى ، مستفادا من هامش ط . الشعب .

(٤) تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٢) .

(٥) فى أ : « بن عمر » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٢) .

(٧) زيادة من م ، أ .

(٨) مسند أبى يعلى (٢/٦٣) .

(٩) السنن الكبرى (٢/٢١٤) .

وقال الحسن البصرى : إن صلى راءى ، وإن فاتته لم يأس عليها ، ويمنع زكاة ماله . وفى لفظ: صدقة ماله .

وقال زيد بن أسلم : هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ،وضَمِنَت الزكاة فمنعوها .

وقال الأعمش وشعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار : أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس ، والقدر ، [والدلو] (١).

[وقال المسعودى ، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبى العُبَيدين : أنه سُئِل ابنُ مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر] (٢) ، والدلو ، وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير : حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن أبى العُبَيدين وسعد بن عياض ، عن عبد الله قال : كنا أصحاب رسول الله(٣) ﷺ نتحدث أن الماعون الدلوُ ، والفأس ، والقدر ، لا يستغنى عنهن .

وحدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شُمَيْل ، أخبرنا شعبة ، عن أبى إسحاق قال : سمعت سعدَ بن عياض يحدث عن أصحاب النبى ﷺ مثله (٤) .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم، عن الحارث بن سُوَيْد ، عن عبد الله : أنه سئل عن الماعون ، فقال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والدلو ،وشبهه .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على الفلاس ، حدثنا أبو داود ــ هو الطيالسى ــ حدثنا أبو عَوانَة ، عن عاصم بن بَهْدَلة ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول : الماعون : منع الدلو وأشباه ذلك (٥) .

وقد رواه أبو داود والنسائى ، عن قتيبة ، عن أبى عوانة بإسناده ، نحوه (٦) .ولفظ النسائى عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، كنا (٧) نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريَّة الدلو والقدر.

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر، عن عبد الله قال : الماعون : العَوارى : القدر ،والميزان ، والدلو .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس :﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ يعنى : متاع البيت . وكذا قال مجاهد وإبراهيم النَّخعى،وسعيد بن جبير،وأبو مالك ،وغير واحد : إنها العاريَّة للأمتعة .

وقال ليث بن أبى سليم ، عن مجاهد (٨)، عن ابن عباس : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ قال : لم يجئ أهلها بعد.

(١، ٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م : « كنا أصحاب محمد » .
(٤) تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٥) .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٦) .
(٦) سنن أبى داود برقم (١٦٥٧) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٧٠١) .
(٧) فى م : « وكنا » . (٨) فى م : « ومجاهد » .

وقال العوفى عن ابن عباس : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون﴾ قال : اختلف الناس فى ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة . ومنهم من قال : يمنعون الطاعة . ومنهم من قال : يمنعون العارية . رواه ابن جرير . ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم ،عن ابن عُلَيَّة ، عن ليث بن أبى سليم ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن على : الماعون : منع الناس الفأس ، والقدر ، والدلو .

وقال عكرمة : رأس الماعون زكاةُ المال ،وأدناه المنخل ،والدلو ،والإبرة . رواه ابن أبى حاتم .

وهذا الذى قاله عكرمة حسن ؛ فإنه يشمل الأقوال كلها ،وترجع كلها إلى شىء واحد . وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة . ولهذا قال محمد بن كعب : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون ﴾ قال : المعروف . ولهذا جاء فى الحديث : « كل معروف صدقة » .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وَكِيع ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزهرى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُون ﴾ قال : بلسان قريش : المال .

وَرَوَىَ هاهنا حديثاً غريباً عجيباً فى إسناده ومتنه ، فقال: حدثنا أبى ،وأبو زُرْعَة قالا: حدثنا قيس ابن حفص الدارمى ، حدثنا دلهم بن دَهثم العجلى، حدثنا عائذ بن ربيعة النَميرى ، حدثنى قرة بن دُعْموص النَميرى : أنهم وفدوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ما تعهد إلينا ؟ قال : «لا تمنعوا الماعون » . قالوا : يا رسول الله ، وما الماعون ؟ قال : « فى الحَجَر ، وفى الحديدة ، وفى الماء » . قالوا : فأى حديدة ؟ قال : « قدوركم النحاس ، وحديد الفأس الذى تمتهنون به » . قالوا: وما الحَجَر ؟ قال : « قدوركم الحجارة » [1] .

غريب جدا ، ورفعه منكر ، وفى إسناده من لا يعرف ، والله أعلم .

وقد ذكر ابنُ الأثير فى الصحابة ترجمة « على النميرى » ، فقال : روى ابن قانع بسنده إلى عائذ ابن ربيعة بن قيس النميرى ، عن على بن فلان النميرى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسلم أخو المسلم . إذا لقيه حَيَّاه بالسلام ، ويرد عليه ما هو خير منه ، لا يمنع الماعون » . قلت : يا رسول الله ، ما الماعون ؟ قال : « الحَجَر ، والحديد ، وأشباه ذلك »[2].

آخر تفسير سورة « الماعون »

(١) ورواه ابن مردويه أيضاً ، كما فى الدر المنثور (٦٤٤) .
(٢) أسد الغابة (٣/ ٦٢٤) .

تفسير سورة الكوثر

وهى مدنية ، وقيل : مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣) ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فُلْفُل ، عن أنس بن مالك قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ، فرفع رأسه مبتسما ، إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه أنزلت علىَّ آنفا سورة » . فقرأ : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾، حتى ختمها ،قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « هو نهر أعطانيه ربى ، عز وجل ، فى الجنة ، عليه خير كثير ، تردُ عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب، يُخْتَلَج العبد منهم فأقول : يا رب ، إنه من أمتى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » [(١)] .

هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثى ، وهذا السياق .

وقد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْخَب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر ، وأن عليه آنية عددَ نجوم السماء . وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائى ، من طريق محمد بن فضيل ، وعلى بن مُسْهِر ، كلاهما عن المختار بن فُلْفُل ، عن أنس . ولفظ مسلم قال : « بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد ، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟ قال : « أنزلت على آنفا سورة » ، فقرأ : ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ . ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . قال: « فإنه نهر وَعَدَنيه ربى ، عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوض تَرِدُ عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم [(٢)] ، فَيختلجُ العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتى . فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك » [(٣)] .

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

فأما قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ ، فقد تقدم فى هذا الحديث أنه نهر فى الجنة . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى ، عن أنس فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ،

---

(١) المسند (٣/١٠٢) .

(٢) فى م ، أ : « عدد نجوم السماء » .

(٣) صحيح مسلم برقم (٤٠٠) وسنن أبى داود برقم (٤٧٤٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٧٠٢) .

عن أنس أنه قرأ هذه الآية [(١)] : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ .قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيتُ الكوثر ، فإذا هو نهر يجرى ، ولم يُشقْ شقاً ،وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدى فى تربته ، فإذا مسْكه ذَفَرة ، وإذا حصاه اللؤلؤ » [(٢)].

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء ، فإذا مسك أذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله ، عز وجل »[(٣)].

ورواه البخارى فى صحيحه ،ومسلم، من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، عن أنس ابن مالك قال :لما عُرِجَ بالنبى ﷺ إلى السماء قال :« أتيتُ على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف [(٤)] ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخارى [(٥)]، رحمه الله .

وقال ابن جرير : حدثنا الربيع ، أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن هلال ، عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال : لما أسرى برسول الله ﷺ ، مضى به جبريل فى[(٦)] السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فذهب يَشمّ تُرَابه ، فإذا هو مسك . قال : « يا جبريل ، ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذى خَبَأ لك ربك » [(٧)].

وقد تقدم [فى] [(٨)] حديث الإسراء فى سورة « سبحان » ، من طريق شريك عن أنس [عن النبى ﷺ] [(٩)] . وهو مخرج فى الصحيحين [(١٠)].

وقال سعيد ، عن قتادة ، عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال : « بينا أنا أسير فى الجنة إذ عَرَض لى نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ مُجَوف ، فقال الملك الذى معه : أتدرى ما هذا ؟ هذا الكوثر الذى أعطاك الله . وضرب بيده إلى أرضه ، فأخرج من طينه المسك »[(١١)] . وكذا رواه سليمان بن طِرْخان، ومعمر وهَمَام وغيرهم ، عن قتادة ، به .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن أبى سُرَيج [(١٢)] ، حدثنا أبو أيوب العباسى ، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنى محمد بن عبد الله ، ابن أخى ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس قال : سُئل رسول

---

(١) فى م : « هذه السورة » .
(٢) المسند (٢/٢٤٧) .
(٣) المسند (٣/١٠٣) .
(٤) فى م ، أ : « المجوفة » .
(٥) صحيح البخارى برقم (٤٩٤٦) .
(٦) فى م : « إلى » .
(٧) تفسير الطبرى (٣٠/٢٠٧) .
(٨ ، ٩) زيادة من م .
(١٠) انظر : تفسير أول سورة الإسراء .
(١١) رواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/٢٠٨) عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، به .
(١٢) فى أ : « شريح » .

الله ﷺ عن الكوثر ، فقال : « هو نهر أعطانيه الله فى الجنة ، ترابه مسك، [ماؤه] (١) أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إنها لناعمة؟ قال : « أكلها أنعم منها » (٢) .

وقال أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزاعى ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الوهاب ، عن عبد الله بن مسلم بن شهاب ،عن أنس ،أن رجلاً قال : يا رسول الله ،ما الكوثر ؟ قال : « نهر فى الجنة أعطانيه ربى ، لهو أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » . قال عمر : يا رسول الله ، إنها لناعمة ؟ قال : « أكلها أنعم منها يا عمر »(٣) .

رواه (٤) ابن جرير ، من حديث الزهرى ، عن أخيه عبد الله ، عن أنس : أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر ، فذكر مثله سواء (٥) .

وقال البخارى : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة قال : سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ، قالت : نهر [عظيم] (٦) أعطيه نبيكم ﷺ ، شاطئاه عليه دُرّ مجوف ،آنيته كعدد النجوم (٧) .

ثم قال البخارى : رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف ، عن أبى إسحاق .

ورواه أحمد والنسائى ، من طريق مُطرّف ، به (٨) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عائشة قالت : الكوثر نهر فى الجنة ، شاطئاه در مُجَوف . وقال إسرائيل : نهر فى الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء .

وحدثنا ابن حُمَيد ، حدثنا يعقوب القُمى (٩) ، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية ، عن شقيق (١٠) أو مسروق قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، حدثينى عن الكوثر . قالت: نهر فى بطنان الجنة . قلت : وما بطنان الجنة ؟ قالت : وسطها ،حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ،ترابه المسك،وحصاؤه اللؤلؤ والياقوت .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن أبى جعفر الرازى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عائشة

---

(١) زيادة من أ .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٠٩) .

(٣) المسند (٣/ ٢٢٠) .

(٤) فى م : « ورواه » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٠٩) .

(٦) زيادة من أ .

(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٥) .

(٨) المسند (٦/ ٨١) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٧٠٥) .

(٩) فى أ : « العمى » .

(١٠) فى أ : « سفيان » .

قالت: من أحب أن يسمع خرير الكوثر ، فَلْيَجعل أصبعيه فى أذنيه [١] .

وهذا منقطع بين ابن أبى نجيح وعائشة ، وفى بعض الروايات : « عن رجل ، عنها » . ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك ، لا أنه يسمعه نفسه ، والله أعلم .

قال السهيلى : ورواه الدارقطنى مرفوعاً ، من طريق مالك بن مِغْوَل [٢] ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبى ﷺ [٣] .

ثم قال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هُشَيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس أنه قال فى الكوثر : هو الخير الذى أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يَزْعُمون أنه نهر فى الجنة ؟ فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه [٤] .

ورواه أيضا من حديث هُشَيم ، عن أبى بشر وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : الخير الكثير [٥] .

[وقال الثورى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : الخير الكثير] [٦] .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ؛ لأن الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحارب بن دِثَار ، والحسن بن أبى الحسن البصرى . حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير فى الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : هو النبوة والقرآن ، وثواب الآخرة .

وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا ، فقال ابن جرير :

حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : نهر فى الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجرى على الياقوت والدر ، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل .

وروى العوفى ، عن ابن عباس ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا هُشَيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دِثار، عن ابن عمر أنه قال : الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه ذهب وفضة ، يجرى على الدر

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٠٧) ، ورواه ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة برقم (٦٧) من طريق محمد بن ربيعة ، عن أبى جعفر الرازى ، عن مجاهد ، عن عائشة مرفوعاً .

(٢) فى م : « يزيد بن مغول » .

(٣) الروض الأنف للسهيلى (١/ ٢٤١) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٦) .

(٥) صحيح البخارى برقم (٦٥٧٨) .

(٦) زيادة من تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٠٧) .

والياقوت، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل .

وكذا رواه الترمذى عن ابن حميد ، عن جرير ، عن عطاء بن السائب ، به مثله [١] ،موقوفا . وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد :

حدثنا على بن حفص ،حدثنا ورقاء قال . . . وقال عطاء [بن السائب] [٢] عن محارب بن دِثار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ،والماء يجرى على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ».

وهكذا رواه الترمذى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء بن السائب ، به مرفوعا [٣] . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَّية ، أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لى محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير فى الكوثر ؟ قلت : حَدَثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدق ،والله إنه للخير الكثير .ولكن حدثنا ابن عمر قال : لما نزلت : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَر** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب ، يجرى على الدر والياقوت » [٤].

وقال ابن جرير : حدثنى ابن البرقى ، حدثنا ابن أبى مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير، أخبرنى حَرَام بن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أسامة بن زيد : أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده ، فسأل امرأته عنه ــ وكانت من بنى النجار ــ فقالت : خرج يا نبى الله آنفا عامداً نحوك ، فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أو لا تدخلُ يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حَيْساً ، فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، هنيئا لك ومريئا ،لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهْنيك وأمْريك ؛ أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر . فقال : « أجل ، وعرضه ــ يعنى أرضه ــ ياقوت ومرجان ، وزبرجد ولؤلؤ » [٥].

حَرَام بن عثمان ضعيف . ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا ، بل قد تواتر من طريق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث ،وكذلك أحاديث الحوض [ولنذكرها هاهنا] [٦].

وهكذا رُوى عن أنس ، وأبى العالية ، ومجاهد ، وغير واحدٍ من السلف : أن الكوثر : نهر فى الجنة . وقال عطاء : هو حوض فى الجنة .

وقوله : ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ أى : كما أعطيناك الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ، ومن ذلك

---

(١) تفسير الطبرى (٢٠٧/٣٠) ولم يقع لى فى سنن الترمذى من هذا الطريق ولا ذكره المزى فى تحفة الأشراف.

(٢) زيادة من م .

(٣) المسند (١٥٨/٢) وسنن الترمذى برقم (٣٣٦١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٣٤) وتفسير الطبرى (٣٠/ ٢١٠) .

(٤ ، ٥) تفسير الطبرى (٢١٠/٣٠) .

(٦) زيادة من أ، وكذا قال الحافظ ، ولم يقع فى النسخ ذكر أحاديث الحوض ، وقد ذكرها الحافظ ابن كثير فى كتابه (النهاية فى الفتن والملاحم ١/ ٣٧٤ ــ ٤١٢) ولولا خشية الإطالة لذكرناها هاهنا فلتراجع هناك .

النهرُ الذى تقدم صفته ــ فاخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونَحْرَك ، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له . كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ، قال ابن عباس، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن : يعنى بذلك نحر البُدْن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن كعب القرظى ، والضحاك ، والربيع ،وعطاء الخراسانى ، والحكم ، وإسماعيل [١] بن أبى خالد ، وغير واحد من السلف . وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ** ﴾ الآية [الأنعام: ١٢١] .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ : وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر . يُروَى هذا عن على ، ولا يصح. وعن الشعبى مثله .

وعن أبى جعفر الباقر : ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ يعنى : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة .

وقيل : ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ أى : استقبل بنحرك القبلة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير .

وقد روى ابن أبى حاتم هاهنا حديثا منكرا جدا فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم الفامى [٢] ــ سنة خمس وخمسين ومائتين ــ حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزى ،حدثنا مقاتل بن حيان ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن على بن أبى طالب قال : لما نزلت هذه السورة على النبى ﷺ : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ ، قال رسول الله : « يا جبريل ، ما هذه النَّحيرة التى أمرنى بها ربى ؟ » فقال: ليست بنحيرة ، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت ،وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع ، وإن لكل شىء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة .

وهكذا [٣]رواه الحاكم فى المستدرك ، من حديث إسرائيل بن حاتم ، به [٤] .

وعن عطاء الخراسانى : ﴿ **وَانْحَرْ** ﴾ أى : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ،وأبرز نحرك ، يعنى به الاعتدال . رواه ابن أبى حاتم .

[كل هذه الأقوال غريبة جدا] [٥] . والصحيح القول الأول ، أن المراد بالنحر ذبح المناسك ؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلى العيد [٦] ، ثم ينحر نسكه ويقول : « من صلى صلاتنا ،ونسك نسكنا،فقد أصاب النسك.ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له ».فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول

(١) فى م : « وسعيد » . (٢) فى أ : « العامى » . (٣) فى م : « وقد » .

(٤) المستدرك (٢/ ٥٣٧) ، ورواه من طريق البيهقى فى السنن (٢/ ٧٥) ، ورواه ابن حبان فى المجروحين (١/ ١٧٧) من طريق إسرائيل بن حاتم ، به . وقال ابن حبان : « هذا متن باطل إلا ذكر رفع اليدين فيه ، وهذا خبر رواه عمر بن صبح ، عن مقاتل بن حيان ، وعمر بن صبح يضع الحديث فطفر عليه إسرائيل بن حاتم فحدث به عن مقاتل » .

(٥) زيادة من م ، أ . (٦) فى م : « يصلى يوم العيد » .

الله ، إنى نَسكتُ شاتى قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم . قال : « شاتك شاة لحم». قال : فإن عندى عناقا هى أحب إلىَّ من شاتين ، أفتجزئ عنى ؟ قال : « تجزئك ، ولا تجزئ أحداً بعدك » [١].

قال أبو جعفر بن جرير : والصواب قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ما سواه من الأنداد والآلهة [٢] ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ؛ شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذى لا كِفَاء له ، وخصك به [٣].

وهذا الذى قاله فى غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى : محمد بن كعب القرظى ،وعطاء .

وقوله : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر** ﴾ أى : إن مبغضك ــ يا محمد ــ ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين ، هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكْرُه .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة : نزلت فى العاص بن وائل .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأنزل الله هذه السورة .

وقال شَمِر بن عطية : نزلت فى عقبة بن أبى مُعَيط .

وقال ابن عباس أيضا ، وعكرمة : نزلت فى كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش .

وقال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحَسَّانى ، حدثنا بن أبى عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المُصنْبر [٤] المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ،ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة وأهل السقاية ؟ فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر** ﴾ .

هكذا رواه البزار [٥]،وهو إسناد صحيح .

وعن [٦] عطاء : نزلت فى أبى لهب ، وذلك حين مات ابن رسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بُتِرَ محمد الليلة . فأنزل الله فى ذلك : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت فى أبى جهل . وعنه : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ** ﴾ يعنى : عدوك . وهذا يَعُمُّ جميعَ من اتصفَ بذلك ممن ذكر ، وغيرهم .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه برقم (٩٨٣) من حديث البراء ، رضى الله عنه .

(٢) فى م : « والأولاد » .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٢١٢) .

(٤) فى م : « هذا الضبر » .

(٥) مسند البزار برقم (٢٢٩٣) « كشف الأستار » ووقع فيه : « حدثنا الحسن بن على الواسطى ، حدثنا يحيى بن راشد ، عن داود فذكر مثله ، ورواه أيضاً النسائى فى السنن الكبرى برقم (١١٧٠٧) .

(٦) فى م : « وقال » .

وقال عكرمة : الأبتر : الفرد . وقال السُّدِّى : كانوا إذا مات ذكورُ الرجل قالوا : بُتر . فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد . فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴾ .

وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذى إذا مات انقطع ذكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد [١] ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد .

آخر تفسير سورة « الكوثر » ، ولله الحمد والمنة

(١) فى م : « والتناد » .

تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

وهى مكية [١].

ثبت فى صحيح مسلم ، عن جابر : أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ،وبـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فى ركعتى الطواف [٢] .

وفى صحيح مسلم ، من حديث أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قرأ بهما فى ركعتى الفجر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب،بضعا وعشرين مرة ــ أو: بضع عشرة مرة ــ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [٣] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : رمقت النبى ﷺ أربعاً وعشرين ــ أو : خمسا وعشرين ــ مرة ، يقرأ فى الركعتين قبل الفجر ،والركعتين بعد المغرب بـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [٤] .

وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد ــ هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيرى ــ حدثنا سفيان ــ هو الثورى ــ عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : رَمقتُ النبى ﷺ شهراً ، وكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر بـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

وكذا رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث أبى أحمد الزبيرى [٥] . وأخرجه النسائى من وجه آخر ، عن أبى إسحاق ، به [٦] . وقال الترمذى :هذا حديث حسن .

وقد تقدم فى الحديث أنها تعدل ربع القرآن ، و﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم [٧] بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن فروةَ ابن نَوفل ــ هو ابن معاوية ــ عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال له : « هل لك فى ربيبة لنا تكفلها؟» قال : أراها زينب . قال : ثم جاء فسأله النبى ﷺ عنها ، قال : « ما فعلت الجارية ؟» قال: تركتها عند أمها . قال : « فمجيء ما جاء بك ؟» قال : جئت لتعلمنى شيئاً أقوله عند منامى . قال : «اقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم نم على خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك». تفرد به أحمد[٨] .

---

(١) بعدها فى م : البسملة .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٢١٨) من حديث طويل وهو منسك جابر المشهور .

(٣) المسند (٢/ ٢٤) .

(٤) المسند (٢/ ٩٩) .

(٥) المسند (٢/ ٩٤) وسنن الترمذى برقم (٤١٧) وسنن ابن ماجة برقم (١١٤٩) .

(٦) سنن النسائى (٢/ ١٧٠) .

(٧) فى أ : « هشيم » .

(٨) لم أقع عليه فى المطبوع من المسند ، وذكره الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند (٥/ ٤٢٥) .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عَمرو القطرانى ، حدثنا محمد بن الطفيل ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن جبلة بن حارثة ـ وهو أخو زيد بن حارثة ـ أن النبى ﷺ قال : «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ حتى تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك» (١). [والله أعلم وهو حسبى ونعم الوكيل] (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحاق ، عن فروة بن نوفل ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ، علمنى شيئا أقوله عند منامى . قال : « إذا أخذت مضجعَك من الليل فاقرأ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، فإنها براءة من الشرك » (٣) .

وروى الطبرانى من طريق شريك ، عن جابر (٤) ، عن معقل الزبيدى ، عن [عباد أبى الأخضر عن خباب] (٥)، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى يختمها(٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾ .

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون، وهى آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين(٧) بهذا الخطاب هم كفارُ قريش .

وقيل : إنهم من جهلهم دَعَوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية ، فقال : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ يعنى : من الأصنام والأنداد ، ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، وهو الله وحده لا شريك له . فـ « ما » هاهنا بمعنى « من » .

ثم قال : ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد ﴾ أى: ولا أعبد عبادتكم ، أى : لا أسلكها ولا أقتدى بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ؛ ولهذا قال : ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أى : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته ، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم ، كما قال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [النجم:٢٣] ، فتبرأ منهم فى جميع ما هم فيه ، فإن العابد لابد له من معبود يعبده ، وعبادة (٨)

(١) المعجم الكبير (٢/ ٢٨٧) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٢١) : « رجاله وثقوا » .
(٢) زيادة من أ .
(٣) لم أقع عليه فى المطبوع من المسند ، وذكره الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند (٢/ ٢٢٠) .
(٤) وقع فى المعجم الكبير : « عن شريك وجابر » مقروناً وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .
(٥) زيادة من المعجم الكبير (٤/ ٨١) .
(٦) المعجم الكبير (٤/ ٨١) ورواه البزار فى مسنده برقم (٣١١٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٢١) : « وفيه جابر الجعفى ، وهو ضعيف » .
(٧) فى أ : « ولكن المواجهون » .
(٨) فى م : « وعبادته » .

يسلكها إليه ، فالرسول وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ؛ ولهذا كان كلمة الإسلام « لا إله إلا الله محمد رسول الله » أى : لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [يونس: ٤١] ، وقال : ﴿ **لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ** ﴾ [القصص: ٥٥] .

وقال البخارى : يقال : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ** ﴾: الكفر ، ﴿ **وَلِيَ دِينِ** ﴾ : الإسلام . ولم يقل : « دينى» لأن الآيات بالنون، فحذف الياء ، كما قال: ﴿**فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٨] ، و﴿**يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠] . وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيبكم فيما بقى من عمرى ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال : ﴿ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا** ﴾ [المائدة: ٦٤] .

انتهى ما ذكره [١] .

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله : ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [الشرح: ٥ ، ٦]، وكقوله: ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾ [التكاثر: ٦ ، ٧] . وحكاه بعضهم ـ كابن الجوزى ، وغيره ـ عن ابن قتيبة ، فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال : أولها ما ذكرناه أولاً . الثانى : ما حكاه البخارى وغيره من المفسرين أن المراد : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ : فى الماضى ، ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ : فى المستقبل. الثالث : أن ذلك تأكيد محض .

وثم قول رابع ، نصره أبو العباس بن تَيمية فى بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ : نفى الفعل لأنها جملة فعلية ، ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ** ﴾ : نفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفى بالجملة الإسمية آكد فكأنه نفى الفعل ، وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعى أيضا . وهو قول حسن أيضا ، والله أعلم .

وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة تُورثه [٢] اليهود من النصارى ، وبالعكس ؛ إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان ـ ما عدا الإسلام ـ كلها كالشىء الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس ؛ لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتوارث أهل ملتين شتى » [٣] .

آخر تفسير سورة « قل يا أيها الكافرون » ولله الحمد والمنة

---

(١) صحيح البخارى (٨/ ٧٣٣) « فتح » .

(٢) فى م : « فورث » .

(٣) رواه أحمد فى المسند (٢/ ١٩٥) وأبو داود فى السنن برقم (٢٩١١) .

تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح[(١)]

وهى مدنية .

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ تعدل ربع القرآن .

وقال النسائى : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر ، عن أبى العُمَيس (ح) وأخبرنا أحمد بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العُمَيس ، عن عبد المجيد بن سهيل[(٢)]، عن عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس : يا ابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت[(٣)] ؟ قلت : نعم ، ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . قال : صدقت[(٤)] .

وروى الحافظ أبو بكر البزار والبيهقى ، من حديث موسى بن عبيدة الرّبذى[(٥)] ، عن صدقة بن يَسَار ، عن ابن عمر قال : أنزلت هذه السورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع ، فأمر براحلته القصواء فَرحلت ، ثم قام فخطب الناس ، فذكر خطبته المشهورة[(٦)] .

وقال الحافظ البيهقى : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا الأسفاطى ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، دعا رسول الله ﷺ فاطمة[(٧)] وقال : «إنه قد نُعيت إلىّ نفسى » ، فبكت ثم ضحكت ، وقالت : أخبرنى أنه نُعيت إليه نفسُه فبكيت ، ثم قال : «اصبرى فإنك أول أهلى لحاقاً بى » فضحكت[(٨)].

وقد رواه النسائى ــ كما سيأتى ـ بدون ذكر فاطمة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ .

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عَوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وَجَد فى نفسه ، فقال:

---

(١) فى م : « تفسير سورة النصر » . (٢) فى أ : « سهل » . (٣) فى م : « نزلت من القرآن » .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٧١٣) ورواه مسلم فى صحيحه برقم (٣٠٢٤) من طريق جعفر بن عون به.

(٥) فى أ : « الزبيرى » .

(٦) سنن البيهقى الكبرى (٥/ ١٥٢) ، وموسى بن عبيدة ضعيف .

(٧) فى أ : « فاطمة ابنته » .

(٨) دلائل النبوة للبيهقى (٧/ ١٦٧) .

لم يَدْخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن علمتم [١] . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُؤيتُ أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليُريهم فقال: ما تقولون فى قول الله ، عز وجل : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح** ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نَحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفُتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح** ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾. فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول. تفرد به البخارى [٢] .

وروى ابن جرير ، عن محمد بن حُمَيد ، عن مِهْران ، عن الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رَزين ، عن ابن عباس ، فذكر مثل هذه القصة ، أو نحوها [٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فُضَيل ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : لما نَزلَت : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح** ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « نُعيَت إلىّ نفسى » . . بأنه مقبوض فى تلك السنة . تفرد به أحمد [٤] .

وروى العوفى ، عن ابن عباس ، مثله . وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وغير واحد : إنها أجل رسول الله ﷺ نُعى إليه .

وقال ابن جرير : حدثنى إسماعيل بن موسى ، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفى [٥] ، عن مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن أبى حازم ، عن ابن عباس قال : بينما رسول الله ﷺ فى المدينة إذ قال: « الله أكبر ، الله أكبر ! جاء نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن ». قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » [٦] .

ثم رواه عن ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة ، مرسلا .

وقال الطبرانى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو كامل الجَحْدَرىّ ، حدثنا أبو عَوَانة ، عن هلال بن خَبَّاب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح** ﴾ ، حتى ختم السورة ، قال : نُعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت ، قال : فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً فى أمر الآخرة . وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك : « جاء الفتحُ ونصر الله ، وجاء أهل اليَمن » . فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يَمان ، والفقه يمان » [٧] .

---

(١) فى م : « ممن قد علمتم » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٠) .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٢١٥) .

(٤) المسند (١/٢١٧) .

(٥) فى أ : « الثقفى » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/٢١٥) .

(٧) المعجم الكبير (١١/٣٢٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ علم النبى ﷺ أنه قد نُعِيت إليه نفسه ، فقيل : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، السورة كلها [١] .

حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رَزِين : أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال : لما نزلت نُعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه [٢] .

وقال الطبرانى : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عُمَر الوكيعى ، حدثنا أبى ، حدثنا جَعفر بن عون ، عن أبى العُمَيس ، عن أبى بكر بن أبى الجهم ، عن عُبَيد الله بن عَبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [٣] .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبى البَخْتُرى الطائى [٤] ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، فقال : « الناس حيز ، وأنا وأصحابى حيز» . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . فقال له مَرْوان : كذبت ــ وعنده رافع بن خَديج ، وزيد بن ثابت ، قاعدان معه على السرير ــ فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق [٥] .

تفرد به أحمد ، وهذا الذى أنكره مروان على أبى سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » . أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما [٦] .

فالذى فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر ، رضى الله عنهم أجمعين ، مِنْ أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، يعنى نصلى ونستغفره ــ معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبى ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات ،فقال قائلون : هى صلاة الضحى . وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها ، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم يَنْو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة ويُفطر هو وجميع الجيش ، وكانوا نحواً من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلى فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات .

---

(١) المسند (١/ ٣٤٤) .

(٢) المسند (١/ ٣٥٦) .

(٣) المعجم الكبير (١٠/ ٣٦٩) .

(٤) فى أ : « عن أبى البخترى عن الطائى » .

(٥) المسند (٣/ ٢٢) .

(٦) صحيح البخارى برقم (١٣٤٩، ١٨٣٤) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٣) .

وهكذا فعل سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصليها كلها بتسليمة واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد فى سنن أبى داود : أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين . وأما ما فسر به ابن عباس وعمر ، رضى الله عنهما ، من أن هذه السورة نُعِى فيها إلى رسول الله ﷺ نفسه [١] الكريمة ، واعلم أنك إذا فتحت مكة ـ وهى قريتك التى أخرجتك ـ ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، فقد فرغ شغلنا بك فى الدنيا ، فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال : ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ .

قال النسائى : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال ابن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ ، إلى آخر السورة ، قال : نُعيت لرسول الله ﷺ نفسُه حين أنزلت ، فأخذ فى أشدّ ما كان اجتهاداً فى أمر الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك : « جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لَيِّنة قلوبهم ، الإيمان يَمانٍ، والحكمة يمانية ، والفقه يمان » [٢] .

وقال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جَرير ، عن منصور ، عن أبى الضحَى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » يتأول القرآن .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى ، من حديث منصور ، به [٣] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق قال : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يكثر فى آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه » . وقال : « إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمتى ، وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان توابا ، فقد رأيتها : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ » .

ورواه مسلم من طريق داود ــ وهو ابن أبى هند ــ به [٤] .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم ، عن الشعبى ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجىء ، إلا قال: « سبحان الله وبحمده » . فقلت : يا رسول الله ، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجىء ، ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده ؟ قال : « إنى أمرت بها » ، فقال:

(١) فى م : « روحه » .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٧١٢) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩٦٨) وصحيح مسلم برقم (٤٨٤) وسنن أبى داود برقم (٨٧٧) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٧١٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٨٩) .

(٤) المسند (٦/ ٣٥) وصحيح مسلم برقم (٤٨٤) .

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ، إلى آخر السورة [١] .

غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه فى جزء مُفرد ، فيكتب هاهنا[٢] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عُبَيدة ، عن عبد الله قال : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ،كان يكثر إذا قرأها ـ وركَعَ ـ أن يقول: « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك،اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثا [٣] .

تفرد به أحمد . ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه ، عن عمرو بن مُرّة ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق، به .

والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوّم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبى . فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجاً ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ، ولله الحمد والمنة .وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ ، وكانت الأحياء تَتَلَوّمُ بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبى . الحديث [٤] . وقد حَرّرنا غزوة الفتح فى كتابنا : السيرة ، فمن أراد فليراجعه هناك ، ولله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعى ، حدثنى أبو عمار ، حدثنى جار لجابر بن عبد الله قال : قدمت من سفر فجاءنى جابر بن عبد الله ، فسلم علىّ [٥] ، فجعلت أحدّثهُ عن افتراق الناس وما أحدثوا ، فجعل جابر يبكى ، ثم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجاً ، وسيخرجون منه أفواجاً » [٦] .

[آخر تفسير سورة « إذا جاء نصر الله والفتح » ولله الحمد والمنة] [٧]

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/٢١٦) .

(٢) سبق ذكر أحاديث كفارة المجلس وذكر طرقها فى آخر تفسير سورة الصافات .

(٣) المسند (١/٣٨٨) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٣٠٢) .

(٥) فى م : « يسلم على » .

(٦) المسند (٣/٣٤٣) .

(٧) زيادة من أ .

تفسير سورة تبت

وهى مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ .

قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ،عن عمرو بن مُرّة، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء ، فصعد الجبل فنادى : « يا صباحاه » . فاجتمعت إليه قريش ، فقال : « أرأيتم إنْ حَدثتكم أن العدوّ مُصبحكم أو مُمْسيكم ، أكنتم تصدقونى ؟ » . قالوا : نعم . قال : « فإنى نذيرٌ لكم بين يدى عذاب شديد » . فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا ؟ تبا لك . فأنزل الله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، إلى آخرها [١] .

وفى رواية : فقام ينفض يديه ،وهو يقول : تبا لك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [٢].

الأول دعاء عليه ، والثانى خبر عنه . فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله [٣] ﷺ واسمه : عبد العزّى بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عُتبة . وإنما سمى « أبا لهب » لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبى العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن أبيه قال : أخبرنى رجل ــ يقال له : ربيعة بن عباد ، من بنى الديل ، وكان جاهلياً فأسلم ــ قال : رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس ،قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء الوجه أحولُ ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب[٤].

ثم رواه عن سُرَيج ، عن ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، فذكره ــ قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إنى يومئذ لأعقل أنى أزفر القربة . تفرد به أحمد [٥].

وقال محمد بن إسحاق : حدثنى حُسَين بن عبد الله بن عُبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة ابن عباد الديلى يقول : إنى لمع أبى رجل شاب ، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ــ ووراءه

---

(١) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٢) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٣٩٤،٤٨٠١،٣٥٢٥) .

(٣) فى م : « أعمام النبى » .

(٤) المسند (٣٤١/٤) .

(٥) المسند (٣٤١/٤) .

رجل أحول وضيء ، ذو جُمَّة ـ يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول : « يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم ، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصدقونى وتمنعونى حتى أنفِّذَ عن الله ما بعثنى به » . وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بنى فلان ، هذا يريد منكم أن تسلُخوا اللات والعزى ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أُقَيْش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه . فقلت لأبى : من هذا ؟ قال : عمه أبو لهب [(١)] .

رواه أحمد أيضا ، والطبرانى بهذا اللفظ [(٢)] .

فقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ أى : خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه ، ﴿ وَتَبَّ ﴾ أى : وقد تَبَّ تحققُ خسارته وهلاكه .

وقوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ ، قال ابن عباس وغيره : ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعنى: ولده. ورُوِى عن عائشة ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وابن سيرين ، مثله .

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان ، قال أبو لهب : إذا كان ما يقول ابن أخى حقا ، فإنى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى . فأنزل الله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

وقوله : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى : ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ .وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهى : أم جميل ،واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية ، وهى أخت أبى سفيان . وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ؛ فلهذا تكون يوم القيامة عَوناً عليه فى عذابه فى نار جهنم . ولهذا قال : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ يعنى : تحمل الحطب فتلقى على زوجها، ليزداد على ما هو فيه ، وهى مُهَيَّأة لذلك مستعدة له .

﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ : قال مجاهد ، وعروة : من مَسد النار .

وعن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والثورى ، والسدى : ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾: كانت تمشى بالنميمة ، [واختاره ابن جرير] [(٣)] .

وقال العوفى عن ابن عباس ، وعطية الجدلى ، والضحاك ، وابن زيد : كانت تضع الشوك فى طريق رسول الله ﷺ ، واختاره ابن جرير .

قال ابن جرير : وقيل : كانت تعير النبى ﷺ بالفقر ، وكانت تحتطب ، فعيرت بذلك .

كذا حكاه ، ولم يعزه إلى أحد . والصحيح الأول ، والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقنها فى عداوة محمد ، يعنى : فأعقبها الله بها حبلاً فى جيدها من مسد النار .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٢٣) .

(٢) المسند (٣/ ٤٩٢) والمعجم الكبير (٥/ ٦٣) .

(٣) زيادة من م .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وكيع ، عن سليم [١] مولى الشعبى ، عن الشعبى قال : المسد : الليف .

وقال عروة بن الزبير : المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً .

وعن الثورى : هى قلادة من نار ، طولها سبعون ذراعاً .

وقال الجوهرى : المَسَدُ : الليف . والمَسَد أيضا : حبل من ليف أو خوص ، وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ، ومسدت الحبل أمسدُهُ مَسْداً : إذا أجْدتُ فَتله [٢] .

وقال مجاهد : ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى : طوق من حديد ، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَداً ؟

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى وأبو زُرْعة قالا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحُمَيدى ، حدثنا سُفيان ، حدثنا الوليد بن كثير ، عن ابن تدرس ، عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما نزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة ، وفى يدها فهر ، وهى تقول :

مُذَمماً أَبَينَا ودينَه قَلَينا وَأَمْرَه عَصَينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله ﷺ : « إنها لن ترانى ». وقرأ قرآنا اعتصم به ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:٤٥] . فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت : يا أبا بكر ، إنى أخبرتُ أن صاحبك هجانى ؟ قال : لا ، ورب هذا البيت ما هجاك . فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها . قال : وقال الوليد فى حديثه أو غيره : فعثَرَت أم جميل فى مِرْطها وهى تطوف بالبيت ، فقالت : تَعس مُذَمَّم . فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إنى لحصانٌ فما أكلَّم ، وثَقَافُ فما أعلَّم ، وكلنا من بنى العم ،وقريش بعد أعلم [٣] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار :حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ،جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ، ومعه أبو بكر . فقال له أبو بكر : لو تَنَحَّيت لا تُؤذيك بشىء . فقال رسول الله ﷺ : « إنه سيُحال بينى وبينها » . فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر فقالت : يا أبا بكر، هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : لا ، ورب هذه البنية ما نَطَق بالشعر ولا يتفوه به .فقالت : إنك لمصدق ، فلما ولت قال أبو بكر ، رضى الله عنه : ما رأتك ؟ قال : « لا ، ما زال ملك يسترنى حتى ولت » .

---

(١) فى أ : « سليمان » .

(٢) الصحاح للجوهرى ، مادة « مسد » (١/ ٥٣٥) .

(٣) مسند الحميدى (١/ ١٥٣) ورواه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٥٣) من طريق سفيان به ، وسبق تخريجه عند تفسير الآية : ٤٥ من سورة الإسراء .

ثم قال البزار : لا نعلمه يُروَى بأحسنَ من هذا الإسناد ، عن أبى بكر ، رضى الله عنه [١] .

وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أى : فى عنقها حبل من نار [جهنم] [٢] تُرفَع به إلى شفيرها ، ثم يرمى بها إلى أسفلها ، ثم كذلك دائما .

قال أبو الخطاب بن دَحْيَة فى كتابه التنوير [٣]ــ وقد رَوَى ذلك ــ : وعُبر بالمسد عن حبل الدلو، كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب « النبات » : كلّ مَسَد : رشاء ، وأنشد فى ذلك :

وبَكْرَةً ومِحْوَراً صِـرَاراً وَمَسَـداً مِنْ أبق مُغَـاراً

قال : والأبقُ : القِنَّبُ .

وقال الآخر :

يا مَسَدَ الخُوص تَعَوَّذْ منى إنْ تَكُ لَـدْناً لَيّنا فإنى

ما شئتَ مِنْ أشْمَطَ مُقْسَئِنّ

قال العلماء : وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يقيض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً ، لا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة .

[آخر تفسير « تبت » ولله الحمد والمنة] [٤]

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٩٤) « كشف الأستار » ، ورواه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٣٣) من طريق عبد السلام بن حرب به ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤٤) : « فيه عطاء بن السائب وقد اختلط » .

(٢) زيادة من م ، أ .

(٣) التنوير فى مولد السراج المنير لابن دحية الكلبى ، عمله لملك إربل . انظر : وفيات الأعيان (٣/ ١٢٢) .

(٤) زيادة من م ، أ .

تفسير سورة الإخلاص

وهى مكية .

ذكر سبب نزولها وفضيلتها [١]

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعد محمد بن مُيَسّر الصاغانى ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أُبىّ بن كعب : أن المشركين قالوا للنبى ﷺ : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[٢] .

وكذا رواه الترمذى ، وابن جرير ، عن أحمد بن منيع ـ زاد ابن جرير : ومحمود بن خِدَاش ـ عن أبى سعد محمد بن مُيَسّر به [٣] ـ زاد ابن جرير والترمذى ـ قال : ﴿ **الصَّمَدُ** ﴾ : الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وإن الله جل جلاله لا يموت ولا يورث ، ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ : ولم يكن له شبه [٤] ولا عدل ، وليس كمثله شىء .

ورواه ابن أبى حاتم ، من حديث أبى سعد [٥] محمد بن مُيَسّر ، به . ثم رواه الترمذى عن عبد ابن حميد ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فذكره مرسلا ولم يذكر « أخبرنا » . ثم قال الترمذى : هذا أصح من حديث أبى سعد [٦] .

حديث آخر فى معناه : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا سُرَيج [٧] بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر : أن أعرابياً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال: انسب لنا ربك . فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، إلى آخرها . إسناده مقارب [٨] .

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف ، عن سُرَيج [٩] فذكره [١٠] . وقد أرسله غير واحد من السلف .

وروى عُبيد بن إسحاق العطار ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ .

---

(١) فى م ، أ : « وفضلها » .

(٢) المسند (٥/١٣٣) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣٦٤) وتفسير الطبرى (٣٠/٢٢١، ٢٢٣) .

(٤) فى م ، أ : « له شبيه » . (٥) فى م ، أ : « سعيد » .

(٦) سنن الترمذى برقم (٣٣٦٥) .

(٧) فى أ : « شريح » . (٨) فى م : « إسناده متقارب » . (٩) فى أ : « شريح » .

(١٠) مسند أبى يعلى (٤/٣٨، ٣٩) وتفسير الطبرى (٣٠/٢٢١) ، ومجالد ضعيف فى روايته عن الشعبى عن جابر .

قال الطبرانى : رواه الفريابى وغيره ، عن قيس ، عن أبى عاصم ، عن أبى وائل ، مرسلا [(١)].
ثم رَوَى الطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفى ، عن الوازع بن نافع ، عن أبى سلمة، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شىء نسبة ، ونسبة الله : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد [اللَّهُ الصَّمَدُ** ﴾ » ، والصمد ليس بأجوف] [(٢)] [(٣)] .

حديث آخر فى فضلها : قال البخارى : حدثنا محمد ـ هو الذّهلىّ ـ حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن أبى هلال : أن أبا الرجال مُحمد بن عبد الرحمن حَدّثه ، عن أمه عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ـ وكانت فى حِجْر عائشة زوج النبى ﷺ ـ عن عائشة : أن النبى ﷺ بعث رجلاً على سَرِيَّة ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم ، فيختم بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبى ﷺ ، فقال : « سلوه : لأىّ شىء يصنع ذلك ؟ » . فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبى ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » .

هكذا رواه فى كتاب « التوحيد » [(٤)] . ومنهم من يسقط ذكر « محمد الذّهلى » . ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح . وقد رواه مسلم والنسائى أيضاً من حديث عبد الله بن وهب ،عن عمرو ابن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، به [(٥)] .

حديث آخر : قال البخارى فى كتاب الصلاة : « وقال عُبَيد الله [(٦)] ، عن ثابت ، عن أنس قال: كان رجل من الأنصار يَؤمَهم فى مسجد قُبَاء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به ، افتتح بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ حتى يَفرُغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة . فكلَّمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئُك حتى تقرأ بالأخرى ، فإما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتَقرأ بأخرى . فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم . وكانوا يَرَونَ أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يَؤمهم غيره . فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « يا فلان ، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما حملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟ » . قال : إنى أحبها . قال : « حُبك إياها أدخلك الجنة » [(٧)] .

هكذا رواه البخارى تعليقاً مجزوماً به . وقد رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه ، عن البخارى ، عن إسماعيل بن أبى أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردى ، عن عُبَيد الله بن عمر ، فذكر بإسناده مثله سواء [(٨)] ، ثم قال الترمذى : غريب من حديث عبيد الله ، عن ثابت . قال : وروى

---

(١) ورواه الطيالسى عن قيس ، عن عاصم ، عن أبى وائل مرسلاً ،ورواه أبو الشيخ فى العظمة برقم (٨٩) .
(٢) زيادة من أ .
(٣) ورواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٣٤٢٣) « مجمع البحرين » من طريق عبد الرحمن بن نافع ، عن على بن ثابت ، عن الوازع ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة به ، وقال : « لايروى عن أبى هريرة إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عبد الرحمن » .
(٤) صحيح البخارى برقم (٧٣٧٥) .
(٥) صحيح مسلم برقم (٨١٣) ، وسنن النسائى (٢/ ١٧٠) .
(٦) فى أ : « وقال عبد الله » .
(٧) صحيح البخارى برقم (٧٧٤) .
(٨) سنن الترمذى برقم (٢٩٠١) .

مُبَارك بن فَضالة ، عن ثابت ، عن أنس ، أن رجلا قال : يا رسول الله ، إنى أحب هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ . قال : « إن حُبَّك إياها أدخلك الجنة » .

وهذا الذى علقه الترمذى قد رواه الإمام أحمد فى مسنده متصلاً ، فقال :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى أحب هذه السورة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ . فقال رسول الله ﷺ : « حبك [١] إياها أدخلك الجنة » [٢] .

حديث فى كونها تعدل ثلث القرآن: قال البخارى: حدثنا إسماعيل، حدثنى مالك، عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعَة ، عن أبيه ، عن أبى سعيد . أن رجلاً سمع رَجُلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ، يرددها ، فلما أصبح جاء إلى النبى ﷺ ، فذكر ذلك له ، وكأن الرجل يتقالّها ، فقال النبى [٣] ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » . زاد إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبى سعيد قال : أخبرنى أخى قتادة بن النعمان ، عن النبى ﷺ [٤] .

وقد رواه البخارى أيضا عن عبد الله بن يوسف ، والقَعْنَبِىّ . ورواه أبو داود عن القعنبى ، والنسائى عن قتيبة ، كلهم عن مالك ، به [٥] . وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائى من طريقين، عن إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، به [٦] .

حديث آخر : قال البخارى : حدثنا عُمَر بن حفص ، حدثنا أبى ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرِقىّ ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ » . فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يُطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال : «الله الواحد الصمد ثلث القرآن » [٧] .

تفرد بإخراجه البخارى من حديث إبراهيم بن يزيد النَّخعى والضحاك بن شُرَحبيل الهمدانى المشرقى ، كلاهما عن أبى سعيد ، قال القَرَبرِىّ : سمعت أبا جعفر محمد بن أبى حاتم وراقُ أبى عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخارى : عن إبراهيم مرسل ، وعن الضحاك مسند [٨] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهيعَة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بـ ﴿ قُلْ هُوَ

---

(١) فى م : « إن حبّك » .
(٢) المسند (٣/ ١٤١) .
(٣) فى م : « فقال رسول الله » .
(٤) صحيح البخارى برقم (٧٣٧٤) .
(٥) صحيح البخارى برقم (٥٠١٣، ٦٦٤٣) وسنن أبى داود برقم (١٤٦١) وسنن النسائى (٢/ ١٧١) .
(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (٨٠٢٩) وبرقم (١٠٥٣٦) .
(٧) صحيح البخارى برقم (٥٠١٥) .
(٨) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٩/ ٦٠) : « والمراد أن رواية إبراهيم النخعى عن أبى سعيد منقطعة ، ورواية الضحاك عنه متصلة »

اللَّهُ أَحَد ﴾، فذكر ذلك للنبى ﷺ ، فقال: « والذى نفسى بيده ، لَتَعدلُ نصف القرآن ، أو ثلثه » [١] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا حُيَىّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى ، عن عبد الله بن عمرو : أن أبا أيوب الأنصارى كان فى مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال : فإن ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ ثلث القرآن . قال : فجاء النبى ﷺ وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : « صدق أبو أيوب » [٢] .

حديث آخر : قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسَان ، أخبرنى أبو حَازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احشُدوا ، فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . فحشد من حشد ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ . ثم دخل فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله ﷺ : « فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . إنى لأرى هذا خبراً جاء من السماء ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال : « إنى قلت : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » .

وهكذا رواه مسلم فى صحيحه ، عن محمد بن بشار ، به [٣] . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب ، واسم أبى حازم سلمان .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن زائدة بن قُدَامة ، عن منصور ، عن هلال بن يَساف ، عن الربيع بن خُثَيم [٤] ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبى أيوب ، عن النبى ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ فإنه من قرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَد** ﴾ فى ليلة ، فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » .

هذا حديث تُسَاعىّ الإسناد للإمام أحمد. ورواه الترمذى والنسائى، كلاهما عن محمد بن بشار [٥] بندار ــ زاد الترمذى وقتيبة ــ كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدى ، به [٦] . فصار لهما عُشَاريا . وفى رواية الترمذى : « عن امرأة أبى أيوب ، عن أبى أيوب » ، به [وحسنه] [٧] . ثم قال : وفى الباب عن أبى الدرداء ، وأبى سعيد ، وقتادة بن النعمان ، وأبى هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبى مسعود . وهذا حديث حسن ، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه على روايته إسرائيل ، والفضيل بن عياض . وقد رَوَى شُعبةُ وغيرُ واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه .

---

(١) المسند (٣/ ١٥) .

(٢) المسند (٢/ ١٧٣) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٩٠٠) وصحيح مسلم برقم (٨١٢) .

(٤) فى أ : « بن خيثم » . (٥) فى أ : « يسار » .

(٦) سنن الترمذى برقم (٢٨٩٦) وسنن النسائى (٢/ ١٧٢) .

(٧) زيادة من م ، أ .

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، عن حُصَين ، عن هلال بن يَسَاف ، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ـ أو : رجل من الأنصار ـ قال : قال رسول الله ﷺ :« من قرأ بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ فكأنما قرأ بثلث القرآن »[١] .

ورواه النسائى فى « اليوم والليلة » ، من حديث هُشَيم ، عن حُصَين ، عن ابن أبى ليلى ، به[٢] . ولم يقع فى روايته : هلال بن يساف .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، عن أبى قيس[٣] ، عن عمرو بن ميمون ،عن أبى مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تعدلُ ثلث القرآن »[٤] .

وهكذا رواه ابن ماجة ،عن على بن محمد الطَّنافسى ، عن وَكيع ، به[٥] . ورواه النسائى فى «اليوم والليلة » من طرق أخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعاً وموقوفاً[٦] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا بُكَير بن أبى السَّميط[٧] ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مَعْدَان بن أبى طلحة ، عن أبى الدّرداء ، أن رسول الله ﷺ قال : «أيعجزُ أحدُكم أن يَقرأ كلّ يوم ثلث القرآن ؟ » . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن أضعفُ من ذلك وأعجز . قال : « فإن الله جَزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ثلث القرآن » .

ورواه مسلم والنسائى ، من حديث قتادة ، به[٨] .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم ـ ابن أخى ابن شهاب ـ عن عمه الزهرى ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ـ هو ابن عوف ـ عن أمه ـ وهى : أم كلثوم بنت عقبة[٩] بن أبى مُعَيط ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن » .

وكذا رواه النسائى فى « اليوم والليلة » ، عن عمرو بن على ، عن أمية بن خالد ، به[١٠] . ثم رواه من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن ، قوله[١١] . ورواه النسائى أيضا فى « اليوم والليلة » من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفُضَيل الأنصارى ، عن الزهرى، عن حُمَيد بن عبد الرحمن : أن نَفَراً من أصحاب محمد ﷺ حَدثوه عن النبى ﷺ أنه قال:

(١) المسند (٥/ ١٤١) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٢١) .

(٣) فى م : « إسحاق » .

(٤) المسند (٤/ ١٢٢) .

(٥) سنن ابن ماجة برقم (٣٧٨٩) .

(٦) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٢٩،١٠٥٢٥، ١٠٥٢٨) .

(٧) فى أ : « حدثنا بكر بن أبى السمط » .

(٨) المسند (١/ ٤٤٧) وصحيح مسلم برقم (٨١١) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٣٧) .

(٩) فى م : « عتبة » .

(١٠) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٣١) .

(١١) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٣٣) .

« ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ تَعدلُ ثُلُثَ القرآن لمن صلى بها » [١] .

حديث آخر فى كون قراءتها توجب الجنة : قال الإمام مالك بن أنس ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ، عن عُبيد بن حُنَين قال : سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبى ﷺ ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ،فقال رسول الله ﷺ: « وَجَبَتْ ». قلت : وما وَجَبت ؟ قال: « الجنة » .

ورواه الترمذى والنسائى ، من حديث مالك [٢] . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مالك .

وتقدم حديث : « حُبّك إياها أدخلك الجنة » .

حديث فى تكرار قراءتها : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا قَطن بن نُسير ، حدثنا عيسى ابن ميمون القرشى ،حدثنا يزيد الرقاشى،عن أنس قال :سمعت رسول الله [٣] ﷺ يقول:« أما يستطيع أحدكم أن يقرأ:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ ثلاث مرات فى ليلة [٤]،فإنها تعدلُ ثلث القرآن ؟» [٥] .

هذا إسناد ضعيف ، وأجود منه حديث آخر ، قال عبد الله ابن الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن أبى بكر المُقَدمى ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن أسيدُ ابن أبى أسيد ، عن معاذ بن عبد الله بن خُبيب ، عن أبيه قال : أصابنا طَش وظلمة، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلى لنا ، فخرج فأخذ بيدى ، فقال : « قل » . فسكت . قال : « قل » . قلت : ما أقول ؟ قال:«﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ ،والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثاً ،تكفك كل يوم مرتين» .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث ابن أبى ذئب ، به [٦] . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائى من طريق أخرى ، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر ، فذكره [ولفظه : « يكفك كل شيء »] [٧] [٨] .

حديث آخر فى ذلك : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثنى الخليل بن مرة ، عن الأزهر بن عبد الله ، عن تميم الدارى قال : قال رسول الله ﷺ : «من قال : لا إله إلا الله واحداً أحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، ولم يكن له كفوا أحدا ، عشر مرات ، كُتب له أربعون ألف ألف حسنة » .

تفرد به أحمد[٩] ، والخليل بن مُرّة : ضعفه البخارى وغيره بمُرّة .

حديث آخر : قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لَهيعَة ، حدثنا زَبّان بن

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٣٢) .

(٢) الموطأ (٢/٢٠٨) وسنن الترمذى برقم (٢٨٩٧) وسنن النسائى (٢/ ١٧١) .

(٣) فى م : « سمعت نبى الله » .　　(٤) فى أ : « فى كل ليلة » .

(٥) مسند أبى يعلى (٨/ ١٥٠)، وقال الهيثمى فى المجمع (١٤٧/٧) : « فيه عبيس ، وهو متروك » .

(٦) زوائد المسند (٥/ ٣١٢) وسنن أبى داود برقم (٥٠٨٢) وسنن الترمذى برقم (٣٥٧٥).وسنن النسائى (٨/ ٢٥٠) .

(٧) زيادة من م .

(٨) سنن النسائى (٨/ ٢٥١) .

(٩) المسند (٤/١٠٣) .

فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال :« من قرأ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ حتى يختمها ، عشر مرات ، بنى الله له قصراً في الجنة » . فقال عمر : إذن نستكثر يا رسول الله . فقال ﷺ : « الله أكثر وأطيب » . تفرد به أحمد [١] .

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ــ قال الدارمي : وكان من الأبدال ــ أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله ﷺ قال : « من قرأ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ عشر مرات ، بنى الله له قصراً في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة ». فقال عمر بن الخطاب : إذن لتكثر قصورنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أوسع من ذلك » [٢] . وهذا مرسل جيد .

حديث آخر : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا نصر بن على ، حدثنى نوح بن قيس ، أخبرنى محمد العطار ، أخبرتنى أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله ﷺ قال: « من قرأ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ خمسين مرة غُفِرت له [٣] ذنوب خمسين سنة » [٤] . إسناده ضعيف .

حديث آخر : قال أبو يعلى : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ في يوم : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ مائتى مرة ، كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » [٥] . إسناده ضعيف ، حاتم بن ميمون : ضعفه البخاري وغيره . ورواه الترمذي ، عن محمد بن مرزوق البصري ، عن حاتم بن ميمون ، به . ولفظه : «من قرأ كل يوم ، مائتى مرة : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، محى عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دَين » .

قال الترمذي : وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال : « من أراد أن ينام على فراشه ، فنام على يمينه، ثم قرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب ، عز وجل : يا عبدى، ادخُل على يمينك الجنة » [٦] . ثم قال : غريب من حديث ثابت ، وقد رُوى من غير هذا الوجه، عنه .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حَبّان بن أغلب ، حدثنا أبى ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ :﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ مائتى مرة ، حط الله عنه ذنوب مائتى سنة » [٧]. ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبى جعفر ، والأغلب بن

---

(١) المسند (٣/٤٣٧) .

(٢) سنن الدارمي برقم (٣٤٢٩) .

(٣) في م ، أ : « غفر الله له » .

(٤) ورواه الدارمي في السنن برقم (٣٤٣٨) : حدثنا نصر بن على بمثله سواء .

(٥) مسند أبي يعلى (٦/١٠٣) .

(٦) سنن الترمذي برقم (٢٨٩٨) .

(٧) ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن برقم (٢٦٧) والخطيب في تاريخ بغداد (٦/١٨٧) من طريق الحسن بن أبي جعفر ،عن ثابت به.

تميم، وهما متقاربان فى سوء الحفظ .

حديث آخر فى الدعاء بما تضمنته من الأسماء :قال النسائى عند تفسيرها : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى مالك بن مِغْول ، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه : أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلى ، يدعو يقول : اللهم ، إنى أسألك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . قال : « والذى نفسى بيده ، لقد سأله باسمه الأعظم ، الذى إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » [١] .

وقد أخرجه بَقِيَّة أصحاب السنن من طُرُق ، عن مالك بن مِغْول ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، به[٢] . وقال الترمذى : حسن غريب .

حديث آخر فى قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة : قال الحافظ أبو يعلى [الموصلى] [٣] : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا بشر بن منصور ، عن عمر بن نبهان[٤] ، عن أبى شداد ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من جاء بِهِنّ مع الإيمان دَخَل من أىّ أبواب الجنة شاء ، وزُوّج من الحور العين حيث شاء : من عفا عن قاتله ، وأدى دينا خفيا ، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ » . قال : فقال أبو بكر : أو إحداهن يا رسول الله ؟ قال: « أو إحداهن » [٥] .

حديث فى قراءتها عند دخول المنزل : قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكرى ، حدثنا محمد بن الفرج ، حدثنا محمد بن الزبرقان ، عن مروان بن سالم، عن أبى زُرْعَة بن [٦] عمرو بن جرير ، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ حين يدخل منزله ، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » [٧]. إسناده ضعيف .

حديث فى الإكثار من قراءتها فى سائر الأحوال : قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن العلاء بن[٨] محمد الثقفى قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى

---

(١) سنن النسائى الكبرى كما فى تحفة الأشراف للمزى (٢/ ٩٠) .

(٢) سنن أبى داود برقم (١٤٩٣) وسنن الترمذى برقم (٣٤٧٥) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٥٧) .

(٣) زيادة من م . (٤) فى م ، أ ، هـ : « عمر بن شيبان » .

(٥) مسند أبى يعلى (٣/ ٣٣٢) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٠٢) :« فيه عمر بن نبهان وهو متروك » .

(٦) فى م ، أ ، هـ : « عن » .

(٧) المعجم الكبير (٢/ ٣٤٠) .

(٨) كذا ترجمه البخارى فى التاريخ (٦/ ٥٠٧) ، وابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٨١) ، وترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح (٦/ ٣٥٥)، والذهبى فى الميزان (٣/ ١٠٦) ، كذا : « العلاء بن يزيد ، أبو محمد الثقفى » وكأن هذا هو الراجح ، لكن أثبتنا الأول لكونه وقع فى النسخ هكذا ، وكذلك فى مسند أبى يعلى ، أما الدلائل فقد وقع فيه على الكنية فأثبتناه كما هو فيه .

بمثله ، فأتى جبريل النبى ﷺ فقال [(١)]: « يا جبريل ، مالى أرى الشمس طلعت اليوم [(٢)] بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » . قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثى ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه. قال: « وفيم ذلك ؟» قال : كان يكثر قراءة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ فى الليل وفى النهار ، وفى ممشاه وقيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : « نعم » . فصلى عليه .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقى فى [كتاب] [(٣)] « دلائل النبوة » من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبى [(٤)] محمد [(٥)] ـ وهو متهم بالوضع ـ فالله أعلم.

طريق أخرى : قال أبو يعلى : حدثنا محمد بن إبراهيم الشامى أبو عبد الله ، حدثنا عثمان بن الهيثم ـ مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندى ـ عن محمود أبى عبد الله [(٦)] ، عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبى ﷺ فقال : مات معاوية بن معاوية الليثى ، فتحب أن تصلى عليه ؟ قال: « نعم » . فضرب بجناحه الأرض ، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت ، فرفع سريره فنظر إليه ، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، فى كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبى ﷺ : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟ ». قال بحبه :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾، وقراءته إياها ذاهباً وجائياً قائماً [(٧)] وقاعداً ، وعلى كل حال [(٨)] .

ورواه البيهقى ، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن ، عن محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبى ميمونة ، عن أنس ، فذكره . وهذا هو الصواب [(٩)] ، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازى : «ليس بالمشهور » [(١٠)] . وقد روى هذا من طرق أخر ، تركناها [(١١)] اختصاراً ، وكلها ضعيفة .

حديث آخر فى فضلها مع المعوذتين : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة، حدثنى على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ ، فابتدأته فأخذتُ بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة ، احْرُسْ لسانك وليسَعَك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك » . قال : ثم لقينى رسول الله ﷺ ، فابتدأنى فأخذ بيدى ، فقال : « يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سُوَر أنزلت فى التوراة ، والإنجيل ،

---

(١) فى م : « فقال لى » .
(٢) فى م : « يومئذ » .
(٣) زيادة من م .
(٤) فى أ : « العلاء بن محمد » .
(٥) مسند أبى يعلى (٧/ ٢٥٦) ودلائل النبوة (٥/ ٢٤٥) .
(٦) وقع فى أصل مسند أبى يعلى : « محمود بن عبد الله » ووقع هنا : « محمود أبى عبد الله » ـ كما ترى ـ والصواب : « محبوب ابن هلال » كما فى رواية البيهقى ، والله أعلم .
(٧) فى م : « وقائماً » .
(٨) مسند أبى يعلى (٧/ ٢٥٨) .
(٩) دلائل النبوة (٥/ ٢٤٦) ورواه ابن الضريس فى فضائل القرآن برقم (٢٧٢) ،من طريق محبوب بن هلال به، وساقه المؤلف فى البداية والنهاية من رواية البيهقى (٥/ ١٤) ، وقال : « منكر من هذا الوجه » .
(١٠) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٨/ ٣٨٩) .
(١١) فى م : « تركنا ذكرها » .

والزبور ، والقران العظيم ؟ » . قال: قلت : بلى ، جعلنى الله فداك . قال : فأقرأنى: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس** ﴾ . ثم قال : « يا عقبة ، لا تَنْسَهُن ولا تَبُتْ ليلة حتى تقرأهن » . قال : فما نسيتهن منذ قال :« لا تنسهن » ، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن. قال عقبة ، ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى بفواضل الأعمال . فقال :« يا عقبة، صِلْ من قطعك، وأعْطِ من حَرَمَك، وأعرض [١] عمن ظلمك » [٢] .

روى الترمذى بعضه فى « الزهد » ، من حديث عُبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد وقال : هذا حديث حسن [٣] . وقد رواه أحمد من طريق آخر :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن عياش ، عن أسيد بن عبد الرحمن الخَثْعَمى ، عن فرْوَة بن مجاهد اللخمى ، عن عقبة بن عامر ، عن النبى ﷺ ، فذكر مثله سواء . تفرد به أحمد [٤] .

حديث آخر فى الاستشفاء بهن : قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا المفضل ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كُل ليلة جمع [٥] كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس** ﴾. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث عُقَيل ، به [٦] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ .

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عُزيرَ ابن الله . وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله . وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر . وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان ــ أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ .

يعنى : هو الواحد الأحد ،الذى لا نظير له ولا وزير ،ولا نديد ولا شبيه ولا عديل ، ولا يُطلَق

(١) فى م : « واعف » .

(٢) المسند (٤/١٤٨) .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٤٠٦) ، وفى إسناده عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم كلهم ضعفاء ، قال ابن حبان فى عبيد الله بن زحر : « يروى الموضوعات عن الأثبات ، وإذا روى عن على بن يزيد أتى الطامات ، وإذا اجتمع فى إسناده خبر عبيد الله ، وعلى ابن يزيد ، والقاسم ــ أبو عبد الرحمن ــ لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم » .

(٤) المسند (٤/١٥٨) .

(٥) فى م : « ليلة جمعة » .

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٠١٧) وسنن أبى داود برقم (٥٠٥٦) وسنن الترمذى برقم (٣٤٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٦٢٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٨٧٥) .

هذا اللفظ على أحد فى الإثبات إلا على الله ، عز وجل؛ لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، قال عكرمة ، عن ابن عباس : يعنى الذى يصمد الخلائق إليه فى حوائجهم ومسائلهم.

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته [1] . وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغى إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثله شىء، سبحان الله الواحد القهار .

وقال الأعمش ، عن شقيق [2] ، عن أبى وائل : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : السيد الذى قد انتهى سؤدده ، ورواه عاصم ، عن أبى وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : السيد . وقال الحسن ، وقتادة : هو الباقى بعد خلقه . وقال الحسن أيضا : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : الحى القيوم الذى لا زوال له . وقال عكرمة : ﴿الصَّمَدُ﴾: الذى لم يخرج منه شىء ولا يطعم .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيراً له ، وهو قوله : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ، وهو تفسير جيد . وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبى بن كعب فى ذلك ، وهو صريح فيه .

وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بُريدة ، وعكرمة أيضا ، وسعيد بن جبير ، وعطاء بن أبى رباح ، وعطية العوفى، والضحاك ، والسدى: ﴿الصَّمَدُ﴾ : الذى لا جوف له .

قال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : المصمت الذى لا جوف له .

وقال الشعبى : هو الذى لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

وقال عبد الله بن بُرَيدة [3] أيضاً : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : نور يتلألأ .

روى ذلك كلَّه وحكاه : ابن أبى حاتم ، والبيهقى والطبرانى ، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده ، وقال :

حدثنى العباس بن أبى طالب ، حدثنا محمد بن عمرو بن رومى ، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، حدثنى صالح بن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال ـ لا أعلم إلا قد رفعه ـ قال : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : الذى لا جوف له .

وهذا غريب جداً ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة .

---

(١) فى م : « فى حكمه » . (٢) فى أ : « سفيان » . (٣) فى أ : « يزيد » .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة له ، بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال فى تفسير « الصمد » : وكل هذه صحيحة ، وهى صفات ربنا ، عز وجل ، وهو الذى يُصمَد إليه فى الحوائج ، وهو الذى قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذى لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقى بعد خلقه . وقال البيهقى نحو ذلك [أيضاً] [1] [2] .

وقوله : ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد** ﴾ أى : ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة .

قال مجاهد : ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد** ﴾ يعنى : لا صاحبة له .

وهذا كما قال تعالى : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام:١٠١] أى : هو مالك كل شىء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه من نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ، تعالى وتقدس وتنزه . قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ [مريم:٨٨ ـ ٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنبياء:٢٦ ، ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ **وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الصافات:١٥٨ ، ١٥٩] . وفى الصحيح ـ صحيح البخارى ـ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافيهم » [3] .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال : « قال الله ، عز وجل : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقوله : لن يُعيدَنى كما بدأنى ، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته . وأما شتمه إياى فقوله : اتخذ الله ولداً . وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همام بن مُنَبِّه ، عن أبى هريرة ، مرفوعاً بمثله . تفرد بهما من هذين الوجهين [4] .

آخر تفسير سورة « الإخلاص »

---

(١) زيادة من م ، أ .

(٢) وقد أطنب شيخ الإسلام ابن تيمية فى بيان معنى الصمد فى الفتاوى (١٧/ ٢١٤) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٦٠٩٩) من حديث أبى موسى ، رضى الله عنه .

(٤) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٤) وبرقم (٤٩٧٥) .

تفسير سورتي المعوذتين

وهما مدنيتان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا عاصم بن بَهْدَلة ، عن زر بنُ حُبَيش قال : قلت لأبى بن كعب : إن ابن مسعود [كان] [١] لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرنى أن جبريل ، عليه السلام ، قال له : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ فقلتها، قال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ فقلتها . فنحن نقول ما قال النبى ﷺ [٢] ، [٣].

ورواه أبو بكر الحُميدى فى مسنده ، عن سفيان بن عيينة ،حدثنا عبدة بن أبى لُبَابة وعاصم بن بهدلة ، أنهما سمعا زر بن حبيش قال : سألتُ أبى بن كعب عن المعوذتين ، فقلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يَحكهما من المصحف . فقال : إنى سألت رسول الله ﷺ ، فقال : « قيل [٤] لى : قل ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [٥] .

وقال أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر قال : سألتُ ابنَ مسعود عن المعوذتين فقال : سألتُ النبى ﷺ عنهما فقال : « قيل لى ، فقلت لكم ، فقولوا » . قال أبى : فقال لنا النبى ﷺ فنحن نقول [٦] .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ،حدثنا سفيان ، حدثنا عَبدَةُ بن أبى لُبَابة ، عن زر بن حُبَيش ــ وحدثنا عاصم عن زر ــ قال : سألت أبى بن كعب فقلت : أبا المنذر ،إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا . فقال : إنى سألت النبى ﷺ فقال : « قيل لى ، فقلت » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ [٧].

ورواه البخارى أيضاً والنسائى ، عن قتيبة ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبدة وعاصم بن أبى النجود ، عن زر بن حبيش ، عن أبى بن كعب ، به [٨] .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا الأزرق بن على ، حدثنا حسان بن إبراهيم ، حدثنا الصَّلْت بن بَهرَام ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : كان عبد الله يَحُك المعوذتين من المصحف ، ويقول : إنما

(١) زيادة من المسند .
(٢) فى م : « عليه السلام » .
(٣) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٤) فى م : « قال » .
(٥) مسند الحميدى (١/ ١٨٥) .
(٦) المسند (٥/ ١٢٩) .
(٧) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٧) .
(٨) صحيح البخارى برقم (٤٩٧٦) .

أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما [١] .

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن [٢] بن يزيد قال : كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه،ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله ــ قال الأعمش: وحدثنا عاصم،عن زر بن حبيش ،عن أبي بن كعب قال : سألنا عنهما رسول الله ﷺ ، قال : «قيل لي ، فقلت » [٣].

وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، فلعله لم يسمعهما من النبى ﷺ ، ولم يتواتر عنده ، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة ، رضى الله عنهم ، كتبوهما [٤] فى المصاحف الأئمة ،ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، ولله الحمد والمنة .

وقد قال مسلم فى صحيحه : حدثنا قتيبة ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن قيس بن أبى حَازم ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ » [٥] .

ورواه أحمد ، ومسلم أيضا ،والترمذى ،والنسائى ، من حديث إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن عقبة ، به [٦]. وقال الترمذى : حسن صحيح .

طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم أبى عبد الرحمن ، عن عقبة بن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله ﷺ فى نَقب من تلك النقاب ، إذ قال لى : « يا عقبة ، ألا تَركب ؟ » . قال : [فَأَجْلَلْتُ رسول الله ﷺ أن أركب مركبه . ثم قال : «يا عُقيب ، ألا تركب ؟ ».قال] [٧] فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيهة ، ثم ركب ، ثم قال : « يا عُقيب ، ألا أُعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ ». قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأنى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ، ثم مر بى فقال : « كيف رأيت يا عقيب [٨]،اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت » .

ورواه النسائى من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن ابن جابر، به [٩].

---

(١) ورواه البزار فى مسنده برقم (٢٣٠١) ، من طريق محمد بن أبى يعقوب ، عن حسان بن إبراهيم به ، وقال البزار : « وهذا لم يتابع عبد الله عليه أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قرأ بهما فى الصلاة، وأثبتتا فى المصحف ».

(٢) فى م : « عن عبد الله » .

(٣) زوائد المسند (١٢٩/٥) .

(٤) فى م : « أتبعوهما » .

(٥) صحيح مسلم برقم (٨١٤) .

(٦) المسند (١٤٤/٤) وصحيح مسلم برقم (٨١٤) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٢) وسنن النسائى (١٥٨/٢) .

(٧) زيادة من المسند .

(٨) فى م : « يا عقب » .

(٩) المسند (١٤٤/٤) وسنن النسائى (٢٥٣/٨) .

ورواه أبو داود والنسائى أيضاً ، من حديث ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عقبة ،به [١] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، حدثنى يزيد ابن عبد العزيز الرعينى وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشى ، عن على بن رباح ، عن عقبة بن عامر قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات فى دبر كل صلاة .

ورواه أبو داود والترمذى والنسائى،من طرق،عن على بن رباح [٢]. وقال الترمذى : غريب.

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا يحيى [٣] بن إسحاق ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن مشَرح بن هاعان ، عن عقبة بن عامر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما». تفرد به أحمد [٤].

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا حيوة بن شُرَيْح ، حدثنا بَقِيَّة ، حدثنا بَحير بن سعد ، عن خالد بن مَعْدان ، عن جُبَير بن نُفَير ، عن عقبة بن عامر أنه قال : إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء ، فركبها فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول الله ﷺ [٥] : « اقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ » . فأعادها له حتى قرأها ،فعرف أنى لم أفرح بها جداً ، فقال : « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلى بشىء مثلها » .

ورواه النسائى عن عمرو بن عثمان ، عن بقية ، به [٦]. ورواه النسائى أيضاً من حديث الثورى، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر: أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين ، فذكر نحوه [٧] .

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد أبى الأسد ، عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين : ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ » [٨].

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ،عن ابن عجلان ،عن سعيد المقبرى ، عن عقبة بن عامر قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فقال : « يا عقبة ، قل » . فقلت : ماذا أقول ؟ فسكت عنى ، ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله ؟ فسكت عنى ، فقلت : اللهم ، أردده على .فقال : « يا عقبة ، قل » . قلت:ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال :« ﴿ **قُلْ أَعُوذُ**

---

(١) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢،٢٥٣) وسنن أبى داود برقم(١٤٦٢) .

(٢) المسند (٤/ ١٥٥) وسنن أبى داود برقم (١٥٢٣) ، وسنن الترمذى برقم (٢٩٠٣) وسنن النسائى (٣/ ٦٨) .

(٣) فى م ، أ : « حدثنا محمد » .

(٤) المسند (٤/ ١٤٦) .

(٥) فى م ، أ : « فقال رسول الله ﷺ لعقبة » .

(٦) المسند (٤/ ١٤٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٤٣،٧٨٤٤) .

(٧) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢) .

(٨) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٦) .

بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال : « قل » . قلت : ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: «﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ »، فقرأتها حتى أتيت على آخرها ،ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « ما سأل سائل بمثلهما ، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما » [١] .

طريق أخرى : قال النسائى: أخبرنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث،عن مكحول ،عن عقبة بن عامر :أن رسول الله ﷺ قرأ بهما فى صلاة الصبح[٢] .

طريق أخرى : قال النسائى : أخبرنا قتيبة ،حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر قال : اتبعت [٣] رسول الله ﷺ وهو راكب ، فوضعت يدى على قدمه [٤] فقلت : أقرئنى سورة هود أو سورة يوسف . فقال : « لن تقرأ شيئاً أنفع [٥] عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ » [٦] .

حديث [٧] آخر : قال النسائى : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبى عبد الله ، عن ابن عائش[٨] الجهنى : أن النبى ﷺ قال له : « يا ابن عائش ، ألا أدلك ــ أو : ألا أخبرك ــ بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » . قال : بلى ، يا رسول الله . قال : « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ،هاتان السورتان» [٩].

فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين فى الحديث .

وقد تقدم فى رواية صُدَىّ بن عجلان ، وفَرْوَةَ بن مُجَاهد ، عنه : « ألا أعلمك ثلاثَ سُوَر لم ينزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان [١٠] مثلهن؟ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ » .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا الجريرى ، عن أبى العلاء قال : قال رجل : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ،والناس يعتقبون ، وفى الظهر قلة ، فحانت نَزْلَة رسول الله ﷺ ونزلتى ، فلحقنى فضرب [من بعدى] [١١] منكبى، فقال: « ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ »، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه ،ثم قال : «﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾» ، فقرأها رسول الله ﷺ وقرأتها معه، فقال : « إذا صليت فاقرأ بهما » [١٢] .

---

(١) سنن النسائى (٨/ ٢٥٣) .
(٢) سنن النسائى (٨/ ٢٥٢) .
(٣) فى م : « أتيت » .
(٤) فى م ، أ : « على قدميه » .
(٥) فى م : « أبلغ » .
(٦) سنن النسائى (٨/ ٢٥٤) .
(٧) فى أ : « طريق » .
(٨) فى أ : « عباس » .
(٩) سنن النسائى (٨/ ٢٥١) .
(١٠) فى أ : « فى القرآن » .
(١١) زيادة من المسند .
(١٢) المسند (٥/ ٢٤) .

الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر ، والله أعلم .

ورواه النسائى عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن علية ، به[1] .

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثنى يزيد بن رومان ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمى ـ هو ابن أنيس ـ : أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **هُوَ اللَّهُ أَحَد** ﴾ . ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** ﴾ ، حتى فرغت منها ، ثم قال لى : « قل » . قلت : ﴿ **أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ، حتى فرغت منها . فقال رسول الله ﷺ :« هكذا فَتَعَوَّذْ [2]، ما تعوذَ المتعوذون بمثلهن قط »[3].

حديث آخر : قال النسائى : أخبرنا عمرو بن على أبو حفص ، حدثنا بَدَل ، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجُرَيرى ، حدثنا أبو نَضْرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبى أنت وأمى ؟ قال : « اقرأ ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ». فقرأتهما ، فقال : « اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما » [4] .

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن ، وينفث فى كفيه ،ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده .

وقال الإمام مالك: عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة : أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده عليه،رجاء بركتها .

ورواه البخارى عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعنبى ، والنسائى عن قتيبة ـ ومن حديث ابن القاسم ، وعيسى بن يونس ـ وابن ماجة من حديث معن وبشر بن عُمَر،ثمانيتهم عن مالك ،به [5].

وتقدم فى آخر سورة : ﴿ن﴾، من حديث أبى نضرة ، عن أبى سعيد : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان ،فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة ، وقال الترمذى : حديث حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)** ﴾ .

---

(١) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٩) .

(٢) فى م : « فتعوذوا » .

(٣) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٤٥) .

(٤) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٨٥٤) .

(٥) الموطأ (٢/ ٩٤٢) وصحيح البخارى برقم (٥٠١٦) وصحيح مسلم برقم (٢١٩٢) وسنن أبى داود برقم (٣٩٠٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٥٤٩،٧٥٤٤،١٠٨٤٧) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٩) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمدبن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ،حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : الفلق : الصبح .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الصبح . ورُوى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظى ، وابن زيد ، ومالك عن زيد بن أسلم ،مثل هذا .

قال القرظى ، وابن زيد ، وابن جرير : وهى كقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام:٩٦] .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره، ورواه ابن أبى حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سماه ، عن السدى ، عن زيد بن على ، عن آبائه أنهم قالوا : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جب فى قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منا [(١)] نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه .

وكذا رُوى عن عمرو بن عَبَسَةَ [(٢)]، والسدى ، وغيرهم . وقد ورد فى ذلك حديثٌ مرفوع منكر، فقال ابن جرير :

حدثنى إسحاق بن وهب الواسطى ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطى ، حدثنا نصر ابن خزيمة الخراسانى ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هُريرة ، عن النبى ﷺ قال : « ﴿ الْفَلَقِ ﴾ : جُبٌ فى جهنم مغطى » [(٣)] إسناده [(٤)] غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحبلى : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ :من أسماء جهنم .

قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح . وهذا هو الصحيح ،وهو اختيار البخارى ، رحمه الله ، فى صحيحه [(٥)] .

وقوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أى : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البنانى ، والحسن البصرى : جهنم وإبليس وذريته مما خلق .

﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ ، قال مجاهد : غاسقُ الليلُ إذا وقبَ غُروبُ الشمس . حكاه البخارى عنه . ورواه ابن أبى نَجيح ، عنه . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظى ، والضحاك ، وخُصَيف ، والحسن ، وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه .

---

(١) فى م ، أ : « خرجت منه » . (٢) فى أ : « عنبسة » .
(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) .
(٤) فى م : « إسناد » .
(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٥) وصحيح البخارى (٨/ ٧٤١) « فتح » .

وقال الزهرى : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ : الشمس إذا غربت . وعن عطية وقتادة : إذا وقب الليل : إذا ذهب . وقال أبو المهزم ، عن أبى هريرة : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ :كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : الغاسق سقوط الثريا ، وكان[1] الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها .

قال ابن جرير :ولهؤلاء من الأثر ما حدثنى : نصر بن على ، حدثنى بكار بن عبد الله ــ ابن أخى همام ــ حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبى سلمة ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ : « ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال : النجم الغاسق» [٢] .

قلت : وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبى ﷺ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : هو القمر .

قلت : وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود الحَفرى ، عن ابن أبى ذئب ، عن الحارث ،عن أبى سلمة قال : قالت عائشة ، رضى الله عنها : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فأرانى القمر حين يطلع ، وقال : « تَعوَّذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب » .

ورواه الترمذى والنسائى ، فى كتابى التفسير من سننيهما ، من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ذئب ، عن خاله الحارث بن عبد الرحمن ،به [٣] . وقال الترمذى:حسن صحيح . ولفظه : « تعوذى بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب » . ولفظ النسائى : « تعوَّذى بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب » .

قال أصحاب القول الأول وهو أنه الليل إذا ولج ــ : هذا لا ينافى قولنا ؛ لأن القمر آيةُ الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ،وكذلك النجوم لا تضىء ، إلا فى الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ ﴾ ، قال مجاهد ، وعكرمة ،والحسن ، وقتادة والضحاك: يعنى : السواحر ــ قال مجاهد : إذا رقين ونفثن فى العقد .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : ما من شىء أقرب من [٤] الشرك من رقية الحية والمجانين[٥] .

وفى الحديث الآخر : أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ فقال : «نعم». فقال :باسم الله أرْقيك ،من كل داء يؤذيك،ومن شر كل حاسد وعين ،الله يشفيك [٦] .

---

(١) فى م : « وكانت » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .

(٣) المسند (٦/ ٦١) وسنن الترمذى برقم (٣٣٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠١٣٨) .

(٤) فى أ : « إلى » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/ ٢٢٧) .

(٦) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢١٨٦) من حديث أبى سعيد ، رضى الله عنه .

ولعل هذا كان من شكواه ، عليه السلام ، حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرَة الحسَّاد من اليهود فى رؤوسهم ، وجعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفضحهم ، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن حَيَّان ، عن زيد بن أرقم قال : سحر النبى ﷺ رجلٌ من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ،عقد لك عُقَداً فى بئر كذا وكذا ، فَأَرْسِل إليها من يجىء بها . فبعث رسول الله ﷺ [علياً ، رضى الله تعالى عنه] (١) فاستخرجها ، فجاء بها فحللها (٢) ، قال : فقام رسول الله ﷺ كأنما نَشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه [قط] (٣) حتى مات .

ورواه النسائى عن هنَّاد ، عن أبى معاوية محمد بن حَازم الضرير (٤) .

وقال البخارى فى « كتاب الطب » من صحيحه : حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت سفيان ابن عيينة يقول : أول من حدثنا به ابنُ جُرَيْج ، يقول : حدثنى آل عُرْوَة ، عن عروة ، فسألت هشاما عنه ، فحدثَنا عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ سُحر ، حتى كان يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ــ قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا ــ فقال : « يا عائشة ، أعلمت أن الله قد أفتانى فيما استفتيتُه فيه ؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى ، فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب .قال : ومن طَبَّه ؟ قال: لَبيد بن أعصم ــ رجل من بنى زُرَيق حَليف ليهُودَ ، كان منافقاً ــ قال : وفيم ؟ قال : فى مُشط ومُشاقة . قال : وأين ؟ قال : فى جُف طَلْعَة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذَرْوَان » . قالت : فأتى [النبى ﷺ] (٥) البئر حتى استخرجه فقال : « هذه البئر التى أريتها ، وكأن ماءها نُقَاعة الحنَّاء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين » . قال : فاستخرج (٦) . [قالت] (٧). فقلت : أفلا ؟ أى : تَنَشَّرْتَ؟ فقال : « أمَّا اللهُ فقد شفانى ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً » (٨) .

وأسنده من حديث عيسى بن يونس ، وأبى ضَمْرة أنس بن عياض ، وأبى أسامة ، ويحيى القطان وفيه : « قالت : حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يفعله » . وعنده : « فأمر بالبئر فدفنت » . وذكر أنه رواه عن هشام أيضاً ابن أبى الزِّناد والليث بن سعد (٩) .

وقد رواه مسلم ، من حديث أبى أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير . ورواه أحمد ، عن

(١) زيادة من المسند .

(٢) فى م : « فحلها » .

(٣) زيادة من المسند .

(٤) المسند (٤/ ٣٦٧) وسنن النسائى (٧/ ١١٢) .

(٥) زيادة من صحيح البخارى .

(٦) فى أ : « فاستخرجه » .

(٧)زيادة من صحيح البخارى .

(٨) صحيح البخارى برقم (٥٧٦٥) .

(٩) صحيح البخارى برقم (٥٨٦٣، ٦٣٩١، ٥٧٦٦) .

عفان ، عن وُهَيب [(١)] ، عن هشام ، به [(٢)] .

ورواه الإمام أحمد أيضاً عن إبراهيم بن خالد ، عن رباح ، عن مَعْمَر ، عن هشَام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يُرى أنه يأتى ولا يأتى ، فأتاه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث [(٣)].

وقال الأستاذ المفسر الثعلبى فى تفسيره : قال ابن عباس وعائشة ، رضى الله عنهما : كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدبَّت إليه اليهود ،فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطة رأس النبى ﷺ وعدة أسنان من مُشطه ، فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها . وكان الذى تولى ذلك رجل منهم ــ يقال له : [لبيد] [(٤)] بن أعصم ــ ثم دسها فى بئر لبنى زُرَيق ، يقال لها : ذَرْوان ، فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ،ولبث سته أشهر يُرَى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ،وجعل يَذُوب ولا يدرى ما عراه. فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فَقَعَد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طُبَّ . قال : وما طُبَّ ؟ قال : سحر . قال : ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى . قال : وبم طَبَّه ؟ قال : بمشط ومشاطة . قال : وأين هو ؟ قال : فى جُفَّ طلعة تحت راعوفة فى بئر ذَرْوَان ــ والجف : قشر الطلع ، والراعوفة : حجر فى أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح ــ فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً ، وقال : « يا عائشة ، أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى ؟ » . ثم بعث رسول الله ﷺ عليا والزبير وعمار بن ياسر ، فنزحوا ماء البئر كأنه نُقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة ،وأخرجوا الجف ،فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر معقود ، فيه اثنتا عشرة [(٥)] عقدة مغروزة بالإبر . فأنزل الله تعالى السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الآخيرة ، فقام كأنما نَشطَ من عقال ، وجعل جبريل ، عليه السلام ،يقول : باسم الله أرْقيك ، من كل شر يؤذيك ، من حاسد وعين الله يشفيك . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نأخذ الخبيث نقتله ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أما أنا فقد شفانى الله ، وأكره أن يثير على الناس شراً » [(٦)] .

هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفى بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ

---

(١) فى م : « وهب » .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٩) والمسند (٦/ ٩٦) .

(٣) المسند (٦/ ٦٣) .

(٤) زيادة من م ، أ .

(٥) فى م ، أ : « فيه اثنا عشر » .

(٦) الكشف والبيان للثعلبى (ق١٩٤ المحمودية » .

﴿ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦) ﴾ .

هذه ثلاث صفات [١] من صفات الرب ، عز وجل ؛ الربوبية ، والملك ، والإلهية : فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ،وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين يُزَين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً فى الخبال . والمعصوم من عَصَم الله، وقد ثبت فى الصحيح أنه : « ما منكم من أحد إلا قد وُكِل به قرينة » . قالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : « نعم ، إلا أن الله أعاننى عليه ، فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير » [٢] ، وثبت فى الصحيح ، عن أنس فى قصة زيارة صفية النبى ﷺ وهو معتكف ،وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال رسول الله : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حُيى » .فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله . فقال :« إن الشيطان يجرى من ابن آدم[٣] مجرى الدم ،وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً ، أو قال : شراً » [٤] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا محمد بن بحر ، حدثنا عدى بن أبى عمَارة ، حدثنا زياداً [٥] النّميرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان واضع خطمه [٦] على قلب ابن آدم ، فإن ذكر [٧] خنَس ، وإن نسى [٨] التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس »[٩] . غريب.

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ،حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا تميمة يُحَدث عن رَديف رسول الله ﷺ قال : عثَر بالنبى ﷺ حمارهُ ، فقلت : تَعس الشيطان. فقال النبى ﷺ: « لا تقل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاظَم ، وقال : بقوتى صرعته ، وإذا قلت : باسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب » [١٠].

تفرد به أحمد ، إسناده [١١] جيد قوى ، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغُلِب ، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفى ، حدثنا الضحاك بن عثمان ، عن سعيد المَقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدكم إذا كان فى المسجد ، جاءه الشيطان فأبس

---

(١) فى هـ : « صفة » والمثبت من م ، أ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٨١٤) من حديث عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه .

(٣) فى أ : « من الإنسان » .

(٤) صحيح مسلم برقم (٢١٧٤) وهو فى صحيح البخارى برقم (٢٠٣٥،٦٢١٩،٧١٧١) من حديث صفية ، رضى الله عنها .

(٥) فى م : « زياد » وهو الصواب .

(٦) فى أ : « خرطومه » .

(٧) فى أ : « ذكر الله » .

(٨) فى أ : « نسى الله » .

(٩) مسند أبى يعلى (٧/٢٧٨،٢٧٩) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/ ٧٤٢) : « إسناده ضعيف » ؛ وذلك لضعف زياد النميرى والكلام فى عدى بن أبى عمارة .

(١٠) المسند (٥/٥٩) .

(١١) فى م : « إسناد » .

به كما يُبَس الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنقه ــ أو : ألجمه » . قال أبو هُرَيرة : وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلاً ــ كذا ــ لا يذكر الله ،وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله ، عز وجل . تفرد به أحمد (١) .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ ،قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خَنَس . وكذا قال مجاهد ،وقتادة .

وقال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : ذُكِرَ لى أن الشيطان ، أو : الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح ،فإذا ذكر الله خنس .

وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله: ﴿ الْوَسْوَاسِ ﴾ ،قال : هو الشيطان يأمر ، فإذا أطيع خنس.

وقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، هل يختص هذا ببنى آدم ــ كما هو الظاهر ــ أو يعم بنى آدم والجن ؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا .

وقال ابن جرير : وقد استعمل فيهم (رجَالٌ منَ الجنَ) فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم .

وقوله : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ ،هل هو تفصيل لقوله : ﴿ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ ﴾ ، ثم بينهم فقال : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾. وهذا يقوى القول الثانى. وقيل قوله: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾، تفسير للذى يُوسوس فى صدور الناس ، من شياطين الإنس والجن ،كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وكما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكِيع ، حدثنا المسعودى ، حدثنا أبو عُمَر الدمشقى ، حدثنا عبيد بن الخشخاش ، عن أبى ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ، فجلست،فقال : « يا أبا ذر ، هل صليت؟». قلت: لا .قال: « قم فصل » . قال : فقمت فصليت ، ثم جلست فقال : « يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » .

قال : قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : « نعم » . قال : قلت : يا رسول الله، الصلاة ؟ قال : « خير موضوع ، من شاء أقل ، ومن شاء أكثر » . قلت : يا رسول الله فما الصوم ؟ قال : « فرض يجزئ ، وعند الله مزيد » .قلت : يا رسول الله ، فالصدقة ؟ قال : «أضعاف مضاعفة » . قلت : يا رسول الله ، أيها (٢) أفضل ؟ قال : « جُهد من مُقل ، أو سر إلى فقير». قلت :يا رسول الله ، أى الأنبياء كان أول ؟ قال :« آدم ». قلت : يا رسول الله ،ونبى (٣) كان ؟ قال : « نعم ، نبى مُكَلَّم » . قلت : يا رسول الله ،كم المرسلون ؟ قال : « ثلثمائة وبضعة عشر ، جَمَّاً غَفيراً ». وقال مرة : « خمسة عشر » . قلت : يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم؟

---

(١) المسند (٢/ ٢٣٠) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٤٢) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٢) فى م : « فأيها » . (٣) فى م : « ونبياً » .

قال : « آية الكرسى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ » .

ورواه النسائى ، من حديث أبى عمر الدمشقى ، به [١]. وقد أخرج هذا الحديث مطولاً جداً أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، بطريق آخر ، ولفظ آخر مطول جداً [٢] ، فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ذر بن عبد الله الهَمْدانى ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى أحدث [٣] نفسى بالشىء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به . قال : فقال النبى ﷺ : «الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » .

ورواه أبو داود والنسائى، من حديث منصور ــ زاد النسائى: والأعمش ــ كلاهما عن ذر ، به[٤].

آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة ، والحمد لله رب العالمين[٥]. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين [٦] . ورضى الله عن الصحابة أجمعين [٧]. حسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ منه فى العاشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانين . والحمد له وحده[٨] .

---

(١) المسند (٥/ ١٧٨) وسنن النسائى (٨/ ٢٧٥) .

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٩٤) « موارد » ، (١/ ٢٨٧) « الإحسان » من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغسانى ، عن أبيه عن جده ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ذر ، رضى الله عنه ، وقد قال ابن عدى عن هذا الحديث : « هذا الحديث منكر من هذا الطريق » .

(٣) فى م : « لأحدث » .

(٤) المسند (١/ ٢٣٥) وسنن أبى داود برقم (٥١١٢) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٥٠٣) .

(٥) فى أ : « والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى » .

(٦) فى أ : « وسلم تسليماً أبداً دائماً إلى يوم الدين » .

(٧) فى أ : « ورضى الله عن أصحاب رسول الله » .

(٨) فى م :« آخر التفسير ويليه فضائل القرآن للمؤلف أيضاً ،وبه يتم الكتاب إن شاء الله ،ولله الحمد والمنة على التمام، إنه ولى الإنعام».

وقد جاء فى خاتمة النسخة « هـ » هذه الخاتمة للناسخ :

« الحمد لله الذى رفع السماء بغير عماد ، وبسط الأرض وثبتها بالأطواد ، ومنح معرفته ومحبته من شاء من العباد ، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به ، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد ، وأعلى منار الدين بالعلماء العاملين ، وأوضح بهم طرق الرشاد ، وقَمَع بهم أهل الزيغ والأهواء والبدع والفساد ، وثبت لهم دينهم بالنقل عن نبيهم بصحيح الإسناد ، ونفى عنهم التدليس والشذوذ والانفراد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، المتعالى عن الشركاء والنظراء والأنداد ، المنزه عن الحلول والاتحاد والإلحاد .

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ، وحبيبه وخليله ، سيد العباد ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأنجاد ، وصحابته السادة الأبرار الأمجاد ، صلاة تدوم وتقوم ما قامت السموات والأرض بأمره ، وقابل البياض السواد .

وبعد ، فقد أمرنى السيد الجليل ، من وصل الله له جناح الصنيع الجميل ، وواصل عليه السّول ، وأوصل إليه المأمول ، وعَمّر بحبه ربوع أنسى ، وأمطر بفيضه ربيع نفسى ، مولانا وسيدنا العبد الفقير إلى الله سبحانه الآمل الراجى عفوه الكريم وإحسانه ، قاضى القضاة ، حاكم الحكام ،نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين، سيد العلماء فى العالمين ، بهاءُ الملة ، لسانُ الشريعة ،عزّ السنة ، حصْنُ الأمة، خطيب الخطباء ، إمام البلغاء ، غرة الزمان ، ناصر الإيمان شيخ شيوخ العارفين ، أبو حفص عمر ــ ابنُ سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى ــ الشيخ الإمام العلامة ، والحَبْر الفهامة ، قدوة العلماء العاملين ، أبى محمد حجى السعدى الشافعى ــ أمر ــ أعلى الله أمره ، وأسد قدره ، من لا يتقلب إلا فى طاعته ، ولا يتصرف إلا فى مرضاته ــ أن يُكتَبَ برسم خزانة تفسيرُ الإمام العالم الكبير ، العلامة عماد الدين ابن كثير ــ رحمه الله وأرضاه ، وجعل بحبوحة الجنة مقره ومثواه . فامتثلت أمره بالسمع والطاعة ،=

= وعددت هذا الأمر من أنفس البضاعة ، مع أنى فى الكتابة قليل الصناعة . فكتبت قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه . فإن صادفت قبولاً وبلغت مأمولاً، فيكون سعدى سعيداً ، ويقع سهمى سديداً . . .

فَإن وَقَفَتْ بى قُدْرَتى دُونَ هِمَتى   فمبلغَ علْمى والمعاذيرُ تُقْبَلُ

قد جمعت هذه الخزانةُ الشريفةُ أشتات العلوم على الإطلاق ، من رام مثلها فهو مُقَصر عن روم أسباب اللَّحاق، خصوصاً إذا كان بها هذا التفسير الذى مادته سُنَن المصطفى المنبه على جوامع ما يزداد اللبيب بها بصيرة فى علمه النافع ، إذ كان ﷺ قد أوتى جوامع الكلام ، وعلّم فصل الخطاب . فلم يسمع الناس كلاماً أعم نفعا ، ولا أقصر لفظاً ، ولا أعدل وفراً ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً . ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ﷺ .

فلله دَرُّ مولانا ؛ إذا جمع الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الذرى والغوارب . فلا يخفى على ذى لب أنه أغْرقَ فى الفهم فُصولاً ، وأعرق فى العلم أصولاً ، فأقول مختصراً ، وعما يليق بمدحه معتذراً ، عسى يمر به من تضاعيف ثنائى عليه ما يبلغنى به الزلفى فى حبه ، والقربى من قلبه ، وتلك أمنيتى حين ألقى منيتى ، لا أتعداها ، ولا أتمنى سواها ولله در القائل :

إذا ابنُ حجى حادت لنا يده   لم يُحمد الأجودان البحر والمطرُ
وَإن أضاءت لنا أنوارُ غُرته   تضاءل الأنوران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جَدَ عزمته   تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يبت حذراً من خوف سطوته   لم يدر ما المزعجان: الخوف والحذر؟
كأنه الدهر فى نعمى وفى نقم   إذا تعاقب منه النفع والضرر
كأنه وزمام الدهر فى يده   يدا عواقب ما يأتى وَمَا يذَر

فالحمد لله الذى جعل جمال منظرك موازيا لكمال مخبرك ، وشامخ فَرعكَ مقارناً لراسخ عنصرك ، والله حسبى فيك من كل ما يُعَوِّذ العبد به المولى :

واسلم وعش لا زلت فى نعمة   أنت بها من غيرك الأولى

وصَلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير محمد بن على الصوفى البواب ، لمنعاه التضائية ، بدمشق المحروسة ، حامداً ومصلياً ، ومحسبلاً ومحوقلاً ، والحمد لله وحده » .

يقول الفقير إلى عفو ربه سامى بن محمد بن عبد الرحمن بن سلامة : وكان الانتهاء من تحقيق تفسير القرآن العظيم فجر يوم الأربعاء الثانى من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة والألف من الهجرة النبوية فى مدينة الرياض ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس السور

السـورة	رقم الصفحة
الحديد	٥
المجادلة	٣٤
الحشر	٥٦
الممتحنة	٨٢
الصف	١٠٤
الجمعة	١١٥
المنافقون	١٢٥
التغابن	١٣٥
الطلاق	١٤٢
التحريم	١٥٨
الملك	١٧٤
القلم	١٨٤
الحاقة	٢٠٨
المعارج	٢٢٠
نوح	٢٣١
الجن	٢٣٨
المزمل	٢٤٩
المدثر	٢٦١
القيامة	٢٧٥
الإنسان	٢٨٥
المرسلات	٢٩٦
النبأ	٣٠٢
النازعات	٣١٢
عبس	٣١٩
التكوير	٣٢٨
الانفطار	٣٤١
المطففين	٣٤٦
 الانشقاق	٣٥٥